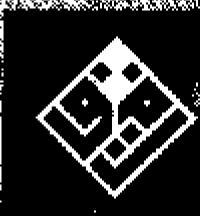
شتاء 84

رواية



المشروع القومي للترجمة

195

تأليف :

ترجمة :

المشروع القومى للترجمة

شتاء ٨٤

تأليف

إسماعيل فصيح

ترجمة

محمد علاء الدين منصور



٢٠٠٠

هذه ترجمة عن الفارسية لرواية

زمستان ٦٢

مقدمة

مرة أخرى مع إسماعيل فصيح وبعض أبطاله فى روايته الأولى التى نشرها المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٥ بعنوان (ثريا فى غيبوبة). التقينا به فيها وبثُريًا وبأخته فرنجيس وعامله مطرود وابنه ادريس ، ونراهم في نفس روايته التى نَشْرُف بترجمتها وعنوانها (شتاء ٨٤) .

تشترك الروايتان أيضا فى الزمان والمكان تقريبًا ، وإن كانت أحداث (شتاء ٨٤) تسبق (ثريا) وتقع بالتحديد فى شتاء عام (١٩٨٤) حين استعرت الحرب بين العراق وإيران وصعّدت الطائرات العراقية قصفها المدن الإيرانية فى الغرب والجنوب وأهلكت الأبرياء واستخدمت الأسلحة الكيماوية التى تحيل العزل أشباحًا مفزعة قبل أن تتولاهم الرحمة الألهية بالموت والراحة . إذا كان فصيح سلط ضوءه الكاشف على الإيرانيين الفارين فى أوربا خاصة فى فرنسا فى (ثريا) ورصد تغييرات الثورة الإسلامية والحرب العراقية الإيرانية على وجوههم وفي قلوبهم ، بعد أن صور بقلمه الدقيق آثار هذين الحدثين على الإيرانيين جميعا بداخل إيران ، إلا أنه فى (شتاء ٨٤) أوقف فنه وفنيته ودقيق تصويره وثاقب رؤيته وخفة دمه على الشخصية الإيرانية فى أشد مناطق إيران حساسية وهى منطقة جوزستان التى تقصف يوميا ويهدد مركزها (الأهواز) بالويل الثبور الإبادة لأنها تضم مصادر الضغط وهى قلب الاقتصاد الإيرانى أيضا ، من خلال رواية تبرأ فى البداية من أنه يكون أشخاصها ومركز أعمالهم ، لهم وجود حقيقى فى الأهواز . قصة إيرانى أحرز الدكتوراه فى علوم الكمبيوتر ونال منصبًا عاليا فى أكبر شركات تكنولوجيا الكمبيوتر

فى أمريكا وعاش فى نعيمها وقامت الثورة والجمهورية الإسلامية والحرب بإيران وكان يسمع وسائل الأعلام الأمريكية تسب بلاده فانشغل عنها بعشقه لفتاه أمريكية رائعة الجمال واتفقا على الزواج والعيش فى هناء ورواء . لكن القدر خطط له عكس ما يعيشه ويتمناه أو قلب له ظهر المجن . فى روعة العشق ولهيبه تقتل الفتاة فى حادث تصادم أمام عينيه ولايستطيع أن يقدم عونًا لعينيها الجميلتين المتوسلتين له . وهنا تبدأ التجربة الخالدة التى حولت مجرى حياة كثير من الناس إلى فلاسفة متجردين أو صوفية متنزهين أو شعراء مُقلقين . كان مجنون ليلي شخصًا كسائر الناس لكنه عشق ليلاه وحُرم منها فصار شاعراً مجيداً وخلد بشعره قصة عشقه وجنونه ، ولولا عشقه ما أنشد شعراً ولا بقى في قلوب الناس . وكان محيى الدين بن عربي رجلاً عاديا فعشق وصبا وحرم وضنا ، فتجرد ووجد فى التصوف برداً وسلاماً ، فعلا فكره وسما نظره وألف أبدع النظريات الصوفية وألطفها . وكان جلال الدين الرومى إنسانًا عاديا فأحب وهوى وذاق مرارة العشق وفقده فحول آلام روحه شعراً جميلا ثائراً في عطفه وعاطفته ومعناه ومبناه . أما بطل (شتاء ٨٤) لم يحوله فَقْدُهُ لعشقه ومعشوقه فيلسوفًا أو صوفيا أو شاعر إنما أوى به إلى أن يضحى بماله ... وعلمه وشبابه ثم بحياته من أجل الثورة الإسلامية وفداءً لوطنه المعتدى عليه .

العشق كما يقول الصوفية لايشرف به إلا من استحقه . ولا يستحقه إلا من تهيأ لقبوله . العشق أعلى مكانًا من أن يحل فى قلب كل من هبَّ ودبَّ بل يختار من يحبهم وتؤثرهم لعشقه . وقد تهيأت الظروف لبطل الرواية لكى يكون جنديًا فى لواء سير العاشقين أو سيد الشهداء أو الحسين كما يؤمن به الإيرانيون . نما فى بيت خلا من العشق ، وفقدان العشق هو بداية تجربته ، ثم عانى (موت العشق) فى الخارج فأهابت به جوانحه إلى العودة إلى إيران فى أحرج سنواتها لكى يعانى (عشق الموت) على أرضها . وسع كل من اتصل به فى إيران حبا

وإيثاراً وتضحية . أراد لإيران أن تعلم (المستضعفين) أو الفقراء من شبابها آخر ما وصل إليه الكمبيوتر وعلومه ليبنى بهم ومعهم (إيران القوية المتقدمة) ونظم البرامج وخطط المخططات ووضع المناهج وسهر ليله فاصطدم بالنقيض من أبناء جلدته الذين لم يفهموا معنى الثورة والإسلام كما فهم . الثورة تعنى الإعجاز والعلو والقرآن فى رأيه إعجاز وعلو . لكن المنتهزين فهموا ماجد على إيران من حدث جلل على أنه (إطلاق اللحى) و (إخفاء الوجه والجسم) فقط دون تغيير فى العقل والوجدان والطباع والأخلاق . عمل بلا أجر وهو راضٍ ورضى أن ينهبوا ما أحضره من حطام الدنيا فلم يزده إلا قبولاً ومثابرة على إنهاء مهمته . خدعوه وسلبوا منه (دولاراته) الكثيرة فلم يأبَهْ ولم يثنه هذا عن مواصلة رسالته . بعد أن نظم مركز الكمبيوتر وتعليم اللغات الأجنبية اشترطوا عليه لكي يستمر في عمله ويأخذ ماحدوده من راتب أن يمتحنوه تحريريا وشفوياً فى (أيدلوجية الثورة) وهى آداب الغسل والطهارة الواجب منها والمستحب والمكروه . ورسب هذا الدكتور المخطط على أيديهم لكى ينهوا وجوده . لم تعقم سحابة إيثاره بل زاد (عشقًا) لبلده وأبنائه المساكين فتعلق بأولئك الصبية والبسطاء الذين تركوا مدارسهم وأعمالهم ولحقوا بركاب (سيد الشهداء ساكن كربلاء) ليدفعوا عن بلادهم المغير ويستهلكوا ألغامه وقنابله وصواريخه بأجسادهم الدقيقة يتسابقون ويستبقون إلى الجنة ولقاء الله ورسوله وعلى والحسين ، بعد أن كتبوا وصاياهم إلى أهليهم يبشرونهم بنيل الشهادة ويلقائهم فى الجنة وينصر إيران . انفتحت عينا البطل على هذه الصورة البسيطة والرائعة لتجربة (عشق الموت) . خلب لبه شعارات هؤلاء الصبية المكتوبة فى وصاياهم بصدق وتلقائية : (يوم استشهادى هو يوم زفافى) — (لاتبكى فى فرحى يا أمى فقميص زفافى صار كفنًا) (الشهادة باب يفتحه الله لعبادة الخواص ومختاريه) . فرنَّتْ فى

جوانحه كلمات عشاق الصوفية (الطيران هو أجر العاشقين المختارين والوصول إلى الله هو عمل سالكي العشق) كانوا يحثونه على العودة إلى حياته المنعمة بأمريكا فليس مسؤولاً عن الثورة والحرب بل لم يكن موجوداً بإيران وقت حدوثهما لكن نداء العشق الذي ولد به وهو ناعم الأظفار في بلده هو الذي استاقه إليها تحت الصواريخ والقنابل لكي يهب كل ما امتلك فدءًا لوطنه وأهدافه والمظلومين فيه . لم يفهم ناصحوه وعاذلوه كنه شعوره ومبلغ رحابة (عشقه) ، ولايفهم (العشق) إلا من كابده وعاناه .

لاينسى (فصيح) وسط الفظائع الفجائع التي لحقت بالآهلين والأهلين الأبرياء جرَّاء الحرب وبين مشاهد (المجنونين بالعشق) على جبهات القتال وقصص إيثارهم الخالدة أن ينتقد سلبيات الشخصية الإيرانية التي جوبهت بغتة بالثورة والحرب ومقتضياتهما ، لابغية في مجرد النقد والتلذذ بشهوة التخطئ والحط من القدر وإنما ليقدم حلولاً . كان قد سبق بنظراته الثاقبة وفكره المتأني ضرباءه من الأدباء والمفكرين فجاءت الأيام بعد نحو خمس عشرة سنة وحققت له ماتمناه أو على الأقل فجرت بصورة شعبية ورسمية ما أثاره من قضايا .

صور مالحق بالمرأة ومكانتها الاجتماعية وكرامتها الأنثوية من ظلم واستخفاف وتمنى أن تنظر الثورة والمؤمنون بها إلى المرأة نظرة أكثر إنصافاً واحتراماً وتجعلها مضطلعة بدورها في المجتمع وتحفظ عليها كبرياءها فكان من برنامج رئيس إيران في حملته الانتخابية النهوض بالمرأة والحفاظ على كرامتها كأم وذات مكانة اجتماعية ومنصب حكومي وكبنتٍ وأختٍ وكان من نصيبه الفوز على أقرانه بأصوات المثقفين والنساء .

لس من قرب مرة وبعد أخرى مايعتقده الشعب في رجعة (المهدى) آخر الزمان أو (المهدوية) وما ارتبط بها من قعود وتخاذل عن التغيير والتقدم والرقي والرضا بالواقع إلى حد الخنوع إنتظاراً منهم إلى تعجيل الله بفرج المهدى ليقوم عنهم بالتغيير والتطوير بآخر الزمان . وها نحن أخيراً نسمع نشر الطلاب الجامعيين لمسرحية في جريدة (موج) وقيامهم بتمثيلها تنتقد سوء فهم الناس لهذه العقيدة التي راجت عند البشر جميعاً لا الإيرانيين وحدهم وذاعت في العقائد كلها لا في المذهب الشيعي وحده . وهي كما نرى ليست عقيدة لابد أن ينزل بها نص من السماء وإنما إحساس فطرى ومتنفس طبيعي للمرء في حياته الدنيا إذا استحكم الظلم وزال العدل . كل امرئ في كل زمان ومكان إذا ضاقت به السبل وتراكمت عليه الآلام والمظالم ولم يستطع أن يدفع هذه البلايا عنه لابد أن تتحرك فطرته إلى أن يتصور أنه سوف يجئ يوم إن عاجلاً أو آجلاً يزول فيه الظلم عنه ويحيا في هدوء وراحة على يد كائن غيبي يهبط من السماء بعد أن عز المنصف على الأرض . حتى وإن أقر بأن هذه الفكرة ليست إلا خيالاً بعيداً ، لكنه يظل مصراً ومسراً عليها قلبه حتى يستمر حيًا على هذا الكوكب الظالم المؤلم ، فهي على كل حال متنفس للمكروب ونفثه للمصدور . ورغم دفاع المرشد الروحي الأول عن هذه العقيدة وشرحه أنها (أى المهدية) هي التي أقامت دولاً في شمال إفريقيا وحفظت بعض بلاد العالم الإسلامي قوية أمام المؤامرات الاستعمارية في العصر الحديث أو أجلت دخول هذا المستعمر بلادهم فترة من الزمن ، إلا إنه سمح بأن ينشر نص المسرحية وسمح بأن تمثل وينشغل بها الخواص والعوام وهذا ماكان يتمناه (فصيح) في مناقشته هذه العقيدة في روايته هذى .

والنقطة الأخيرة التى أشار إليها (فصيح) هى خصوصيته الواقع السياسى والدينى التى تتميز به وربما تتحمله وتضنى به إيران عن سائر بلدان العالم الإسلامى . ومفادها أن إيران من بداية حياتها إلى اليوم وغداً يحكمها مؤسستان وفريقان من الرجال : المؤسسة السياسية أو رجال الحكم والسياسة ، والمؤسسة الدينية أو رجال الدين أو المذهب . وما تاريخ إيران القديم والوسيط والمعاصر إلا حلقات صراع هاتين المؤسستين ، فإن اتفقتا بشكل أو آخر هدأت إيران وارتقت وعلت وظهرت وإن تعارضتا ثارت البلاد ومن عليها وضعفت وجمدت ومهما يكن من أمر فقد أتحفنا (إسماعيل فصيح) بهذه الرواية التى أرى أنها تفوق روايته السابقة (ثريا فى غيبوبة) فى كثير من السمات التى تخص الموضوع وطريقة عرض الحدث والمهارة فى تحليل أنماط الشخصية الإيرانية وروح الدعابة خاصة فى المواقف الشديدة الحساسية . كما أنها صفحة تخليد لحقبة مُرّة وحزينة عاشتها إيران أثناء (الحرب المفروضة) ، وتعيشها غيرها من البلاد ويحياها الأهلون العاجزون إذا نكبوا بالحروب والمعارك والصراعات ، آخرها دعوة متكررة من أرباب الفكر والقلم والشعور إلى مجنونى التسلّط وعشاق السفك والتجاوز بأن يكفوا عما يفعلون لأن مصيرهم هو الزوال السريع ، والحياة و (العشق) والأمن أقوى وأبقى من الموت والإرهاب والقلق .

الرحلة الأولى

- ١ -

وحيدان ، معًا ، لكننا ،وحيدان !

في ضيق غروب بارد لأحد الأيام أوائل عام ١٩٨٤ على شاطئ نهر كارون في الأهواز وكلانا منهك وحيد ، وقفنا بركن من ميدان الشهداء - في آخر رحلة طويلة استغرقت النهار كله من طهران إلى قم أراك ثم بروجرد فخرم آباد ثم انديمشك وفي النهاية الأهواز . تحركت من منعطف أمام نقطة الحراسة القديمة بأول طريق (خر مشهر) إلى داخل الطريق خلف شارع (نيوسايت) . قدت في جنح الظلام من (خرمكوشك) في شارع بعرض أربعة وعشرين مترًا ثم توقفت في النهاية بركن من ميدان التمثال الذي تحول اسمه إلى ميدان الشهداء حيث يُرفرف العلم وتعلّق الملصقات بأعلى قاعدة حجرية خالية في الميدان كانت في أحد الأيام مستقرا للتمثال العظيم للشاهنشاه آريامهر أما الآن فقط أحيطت بلافتة قماشيه بسيطة كتب عليها (يامهدى . . عجل على ظهورك) ترجلنا من السيارة ومشينا لنحرك أقدامنا ، كما أن محرك السيارة قد أصابته السخونة بدرجة سيئة . كانت الكهرباء بالمدينة مقطوعة كذلك ، أو أنهم قطعوها بسبب احتمال حدوث غارة جوية ، ونحن بصدد أن نقرر كيف يفترق واحدنا عن الآخر . لاأحب أن أتركه وسط الميدان المظلم ومعه عدد من حقائب الملابس وحقيبة يد حتى يكمل رحلته بسيارة أجرة .

كانت المدينة هذه الليلة يلفها صمت رهيب وتثير اليأس فى النفوس ، ناصية هذا الركن من الميدان التى كانت يوما أرض البنك الوطنى الإيرانى ومكتبة الجرائد الدولية ،وقصفا بالمدافع فى أوائل الحرب ودمرا تماماً لاتزال قائمة فى صورة تل من التراب والقمامة والأنقاض فبعت قطة سوداء بأعلى تل التراب والأنقاض كأنها لاتدرى ماذا تفعل ؟ الكوبرى لايبدو لنا من المكان الذى وقفنا به ولانسمع غير أصوات السيارات من حين لآخر والتاكسيات والحافلات وعربات الإسعاف داخل الميدان ، لانسمع صوتاً لموجة آتياً من شاطئ نهر كارون ولا صوتاً لطائر ليل ولا حتى نقيق ضفدعة ، كانت هذه الرحلة أول سفر للدكتور « منصور فرجام » إلى الأهواز بعد اثنتى عشرة سنة ، وأنا أخذت تراودنى فكرة على مهل أنه لابد أن شوقه إلى طهران وسعادتها أخذا بلبه حين رأى صمت المدينة المطبق وانقطاع أنوارها وموت شوارعها بأول الليل ، لكنه كان يدرس خريطتين للأهواز على ضوء النور بداخل السيارة كسائح عالم أجنبى وهو يمسك غليونه :

- « لو أن الميدان هنا فهناك الكوبرى المعلق . إذن فهذا هو (ميدان التمثال) سابقاً والذى صار الآن (ميدان الشهداء) . وذاك هو الشارع البالغ عرضه أربعة وعشرين متراً الذى صار الآن شارع (آية الله منتظرى) » .

- (تماما ياسيدى) .

- (الآن يجب أن نكتشف أين فندق الفجر ؟ من المحتمل أنه نفس فندق رويال آستوريا بأسفل الكوبرى ؟) ويدق بأصبعه على نقطة فى الخريطة فوق كرسى السيارة .

- (ممكن) .

وافقـوا على حجز غرفـة له فى فندق الفجر من طهـران وأكدوا الحجز .

فأقول له (يجب أن نبحث عن هذا الفندق) .

- (أو ربما هو أحد الفـنادق البعيـدة التى أقامتـها شـركة النفط بتلك الأماكن .

- (نفس الشركة كان يتبعها فندق الأهواز وهو الآن مستشفى).

- بإمكاننا أولاً أن نذهب إلى مكان ونتاول « كأسـا » وعشاءً ثم نستفسر هناك من أحدهم . أنا معى نقـود كثيرة) . ويتحسس بيده - ضاحكاً - جيبه تحت إبطه .

- (هذا كـلام مـضـبـوط ، يمكن أن نذهب إلـى نفس « فندق آستوريا » ونتناول العشاء به ... فربما هو فندق الفجر) .

- (موافق) .

ويظهـر من خلال الظلام بداخل طريـق المشاه فى اتجـاهنا هيكل شاب يحمل كتابا ودفتراً تحت إبطه كأنه كان يتجه إلى محطة الأتوبيس ويقف أمامنا ويقول (السلام عليكم ياسيدى ، هل من خدمة ؟) .

- (وعليكم الســلام) وجهـه مألـوف لكنى لا أستطيع تذكـره بسبب الظلمة من ناحية وبسبب اللحية التى كست وجهه .

- (أنا على رضا نـوبختى ياسيـدى . . كنت أدرس عندكم فى دورة إعداد التقارير الفنية فى كلية النفط بعبدان . .) .

- (فلماذا تعرج إذن ؟)

يضحك ويقول (أصابت شظية من قنبلة فى اليوم الأول من الحرب ساقى أمام المدينة الجامعية) .

- (وماذا فعلت بعد ؟)

- (شكرنا الله لأنها لم تدخل دماغى) .

ويضحك كلانا ضحكة هادئة ونتصافح ويقبل أحدنا الآخر . وأقدمه إلى الدكتور منصور فرجام .

وأسأله (وأين أنت الآن ؟ فى الأهواز ؟) .

- (أجل ياسيدى فى كلية نفط عبدان الموجودة بالأهواز فى نفس هذه المنطقة فى كوت عبد الله) .

- (منذ متى ؟)

- (أنا بالكلية منذ سبع سنوات ولا أزال بالفرقة الثالثة !)

- (ماشاء الله كيف الحال ؟)

- (درامية ياسيدى)

- (لماذا انقطع نور المدينة ؟ هل هو انقطاع مؤقت ؟ أو أنهم أطلقوا صفارات الإنذار بسبب شئ ما ؟)

- (الموقف دقيق ياسيدى. ضرب العراقيون بالأمس سوزن جرد ، وهم هنا ينفذون من البارحة برنامج الظلمة من وجه الحيطة) .

- (دقيق ؟) وأتوجه لمنصور فرجام (سيدى الدكتور أهلا بك فى الحرب المفروضة للعبة الجولف !)

فيقول (سمعت أنه ليس هنا فى الأهواز أحداث كثيرة ، دفاعها الجوى لايمكن اختراقه) .

فأخرجت سيجارة وأشعلتها بينما أخذ يتحدث عن الكلية ورحيل أساتذتها المتميزين وفقدهم المعمل والحمّام بآخر الحديقة حين ترتفع فى السماء أصوات الضرب وتلمع فى الظلمات بالسماء أنوار حمراء وبرتقالية أيضاً ، ارتعد منصور فرجام وفجأة يركع بغير تفكير خلف السيارة .

يقول على رضا نوبختى (أنها المدافع المضادة للطائرات ياسيدى . . من البارحة كانوا يطلقونها لمدة ساعة)

- (يطلقونها من البارحة ؟ مدافع مضادة للطيران ، ليس هذا مزاحًا) أو شعر أيضًا بقليل من القلق .

- (يطلقونها على الفور نحو عشرين طلقة إذا رأوا سيئا على الردار)

وأنظر إلى منصور فرجام ، ويجلس ثانية على كرسى السيارة ويدق غليونه بكعب حذائه وينقض منه ترابه البارد : (الأفضل أن هؤلاء يلطقون مدافعهم حتى يتقهقر أولئك)

وأقول (اسمع ياعلى رضا أى فندق هذا « فندق الفجر » ؟ أى جنة موعودة هو ؟)

- (فندق الفجر ياسيدى هو نفس فندق رويال آستوريا الواقع بأسفل الكوبرى)

- (حسن جداً . .) وأعيد النظر إلى منصور فرجام .

ويقول نوبختي (ياسيدى إن شاء الله لم تأتيا لكى تبقيا هنا ؟)

- (أنا أتيت لفترة مؤقتة لكن هذا المحترم الدكتور منصور فرجام قدم من أمريكا لكى يدير لكم مركز تعليم تكنولوجيا الكمبيوتر)

- (لكلية النفط ؟)

- (لا أدرى هل لمركز إعداد القوى العاملة وتكنولوجيا الاكتشاف والإنتاج) وتصمت أصوات المدافع المضادة للطيران وألعاب النار فى السماء السوداء . وينظر نوبختى بدهشة واحترام إلى منصور فرجام (فى ظل هذه الجلبة والضوضاء يادكتور ؟!) .

ويبتسم فرجام ولايقول غير (سوف تتحسن الأحوال) .

- (هل وظفت رسميًا ؟)

- (تقريبا - « اقترحوا » بالفعل عقداً لمدة عام لى)

- (هل صدر القرار بذلك ؟)

- (بعثوا إلى خطابًا والمقرر أن يُنسخ أصل القرار هنا)

ويهز نوبختى رأسه لكنه يقول (عظيم ياسيدى الدكتور . هم فعلاً بحاجة إلى أمثال سيادتك والسيد المهندس) .

- (تعال اركب لكى أوصلك)

- (شكراً لك ياسيدى . يوجد الأتوبيس فى نفس هذا الاتجاه ويتجه إلى كوت عبد الله أمام الكلية) . ثم يسألنى (أين تقيم ياسيدى ؟ فى فندق الفجر ؟) .

(حجزوا للدكتور فى فندق الفجر أما أنا فالمفروض أن أذهب إلى منزل صديقى الدكتور يار ناصر) .

- (تفضل ياسيدى يوجد مكان فى المدينة الجامعية عند الزملاء ، عديد من الأماكن ، وســوف يسعدون جميعــا حين يرونك ، والسيد الدكتور فوق رءوسنا) .

- (أنت صادق فعلاً ، سوف أتى لك بعد الآن)

وأستعد أنا وفرجام لركوب السيارة .

- (سيدى هل تتذكر حقيقى ؟ ، كان بالفرقة الأولى)

وأتذكر حقيقى كان الطالب الأول تقريباً على دفعة الفرقة الأولى وعضواً بالجماعة الإسلامــية بالكلية وكان له نشاط وقتل فى الأحداث بعد الثورة فى مدينة خرم شهر .

- (أجل ، يرحمه الله)

- (أخوه إيضا قتل هذا الأسبوع فى شلمتشة)

- (واأسفاه ... وما هو ترتيبه ؟)

- (هو الثانى عشر ممن قتل من الطلاب)

- (حسناً ، إلى اللقاء)

لايزال يرمقنى (سيدى سمعنا أنك أُحِلْت للتقاعد ؟) تنم لهجته الخوزية الصادقة عن ضيق غير متكلف .

- (أجل ولكن لم أتقاعد عن العمل)

- (ألم تسافر إلى الخارج ؟)

- (أنا ألف وأدور هنا فقط بالفعل) .

- (هل أردت أنت بنفسك التقاعد أو دفعك إليه الإخوان ؟)

- (لم يمنعنى الإخوان) .

لايضحك (لابد ياسيدى أن تأمرنا بأى خدمة يمكننا فعلها لك)

وأتذكر ابن مطرود (سوف نرى ، هل لايزال مقـر شئون المضارين بالحرب فى ذاك الشارع الواقع أمام السكة الحديد والمتجه إلى مبنى المحافظة ؟) .

(أجل ياسيـــدى ، أظن أنه لايزال فى مكانه ، لـكن أسـمـاء الشوارع تغيرت كلها ، فقد تغير اسم الشارع الممتد أمام السكة الحديد إلي شارع الجيش ولابد أن تـقود سيارتك جنوبا ناحيـة شارع فلسطين والمقر فى تلك الناحية) .

- (أين مقر شئون الجرحى ؟ هل لهم مقر ؟) .

- (لابد أن تسأل عنه فى مركز المتطوعين) .

- (وأين مكانه ؟) .

- (أظن أن مقـرهم بالقرب من محطة غاز البسوتان بأول شارع كمبلو الذى تغير اسمه إلى شارع الثورة) .

- (ومركز تأهيل القوات هل ليس لديه مقر هنا ؟) .

- (ولم لاياسيـدى ، حولوا مدرسـة فى شارع كوت عـبد الله مركزاً لتأهيل القوات فى شارع كوت عبد الله قبل أن تصل إلى العطفة المتجهة إلى المقابر) .

- (فهمت) .

ويسألني (هل لديك مأمورية هناك ياسيدى ؟) واقترب أكثر إلى جانب زجاج السيارة بجوارى .

وأرد عليه (ابن لأحد العمال المعروفين لى فى عبدان ذهب إلى تشكيلات المتطوعين ، ثم سمعنا أنه ربما أصيب فى المعركة وأريد أن أبحث عنه ، وعدت أباه الطاعن بأن استفسر عنه) .

(يمكنك الاستفسار عنه من المكتب المسئول بالكلية أو أنه تتصل بالمقر الجامعى لجند يسابور فلهم اتصال بالمستشفيات والموسسات) .

- (من رئيسه ، هل هو الدكتور ناجى نفسه ؟) .

(أعتقد ذلك . . أجل ياسيدى ، أنهم لهم اتصال بكافة المؤسسات ، يمكنك أن تتصل تليفونيا بالمكتب المسئول فى مقر الجهاد الجامعى فى شركة النفط ، فى نفس هذا المكان فى خرم كوشك . هناك السيدة شايان ، أخرجوها من الكلية فذهبت للعمل هناك) .

وأكرر هامسًا (السيدة شايان ، المكتب المسئول فى المقر الجامعى ، نعم)

- (سيدى هل تود أن نتصل نحن بدلاً منك ؟ تفضل اذكر لنا اسم من تبحث عنه) .

- (لا ، تزعج نفسك ، سوف أبحث عنه بنفسى) ثم أسأله (أليست السيدة شايان هى نفس السيدة التى كانت تعمل قبل الثورة فى قسم الكمبيوتر التابع لشركة النفط ؟) .

- (لا أعلم . . كانت بكلية النفط لمدة بضعة شهور ثم طرودها)

- (حسنًا ، إلى اللقاء ، أنا ماشٍ لأن الدكتور متعب) .

- (تحت أمرك ، إلى اللقاء) .

وأدير محرك السيارة وأستعد للتحرك من ركن الميدان المظلم (أذن قتل أخو حقيقى) .

- (نعم ياسيدى نعم الزميل) .

- (الأخوة الأفاضل يرحلون واحداً بعد الآخر) .

- (صدقوا حين قالوا لايبقى على الأوتاد إلا شر البقر مثلى) .

- (سوف يصل دورنا نحن شر البقر ، فى حفظ الله) .

- (فى حفظ الله ياسيدى ، مع السلامة يادكتور) .

- (فى حفظ الله) .

أقود السيارة ببطء واتجه إلى فندق آستوريا أو الفجر وأدور فى الظلمة حول الميدان وأسوق داخل شارع آية الله منتظرى ، ثم انعطف إلى شارع فرعى هو شارع الشهيد عابدى . وأعبر ناصية موقف انتظار السيارات من أمام قسم الشرطة الذى يتمتع بنور بضعة من المصابيح ببركة المولد الكهربائى فأنار الشارع الفرعى قليلاً . وبنهاية هذا الشارع المتفرع بضع سلمات على شاطئ نهر كارون . وعلى الجهة اليمنى من السلمات يقف المبنى العظيم لفندق السامق آستوريا أو الفجر بطرازه الأمريكى على شاطئ النهر محتفظًا بأبهته وفخامته حتى تحت أستار الظلام . به مولد قوى يشعل بعض مصابيحه . وخارج هذا الفندق تقف فى ساحة الانتظار المظلمة بضع من سيارات المرسيدس والسيارات

الكبيرة الحجم والصغيرة وعدد كـبير جدا من الحافلات اليابانية الصنع من مثل الباترول والمودلات الأخرى كـالتويوتا بلا أرقام وبلون زيتونى والتى تخـتص فى العادة بخدمـة المؤسسـات ، ونقفل أبواب السـيارة ونذهب بدون حـمل الحقـائب لنرى إلام صـار وضع (حجـزه) فى فندق الفجر .

- ٢ -

حارســان ملتحيان يوقـفاننا أمام باب الفندق وبعـد تعريفهـما بنا يســمحـان لنا بالدخـول . لم يكن منظرنا يدل على أننا أتـينا لنفجـر الفندق .

لكن الحكاية تنتهى إلى أن الدكـتور منصور فرجـام لم يحجز له غرفة فى فندق الفجر من قبل شئون السفر فى شركة النفط أو من قبل مؤسسة الإعداد والتعليم والقوى العاملة أو من قبل أى مؤسسة أخرى . لم يسمع أحد فى فى استعلامات الفندق باسم الدكتور منصور فرجام . ولايزيد موظف الاستعلامات بالفندق الواقف وراء منصته على أنه لم يُملأ باسمه استمارة (الحجز) .

لم يتغـير هذا الجزء من الفندق كثيراً . المنصة الكبيـرة ، حجرة سويتش التليفونات الضخمة بجوار المنصة . الغرفة الصغيرة للصناديق بهذا الركن ، الموظف الأنيق المنمق الوجه والطلعة ، بـضعة تليفونات خلف منصة الاسـتعلامـات هنا وهناك ، لم يزد غيـر صورة لآية الله بهشتى معلقـة على العمود المواجه للمنصة وصورة مبـروزة كبيرة لآية الله الخمينـى الذى بدا فيها واقفًـا ومادًا يده وخلفيتـها زرقاء وعلقت على الحائط خلف المنصة .

بينما أقف وأتفحص ماحولى يوضح منصور فرجام والغليون بيده لموظف الاستعـلامات أنهم أفهموه فى طهـران بأنه حجز له فى فندق الفجر وأكد الحجـز . وقالوا له أيضـا فى حالة حـــدوث أى مشكلة أو عائق فلابد م أن يتصل بالأخ (أناركى) . ويرى رقم تليفون الأخ أناركى المكتوب بحـروف لاتينية جميلـة فى مفكرته لموظف الفندق . هذا الموظف وربما يكون المخلوق الوحيد الذى يتحدث الليلة بالفارسية المخلوطة بكلمـات إنجليزية فى الجـمهـورية الإسلامـية ويعـرف كيف يضغط صـوته حين ينطق الكلمات التى يريد التـأكيد عليـها . لايزال الأخ موظف الاستعلامات يجيب على الدكتور بتحمل .

- (سعادة البيـه نحن لدينا تليفون الأخ أناركى . . لديه فى كل وقت ضيوف أو أنه يملأ بنفسه استمارات وكروت الحجز ويرسلها) .

- (حسنًا) .

- (لم يرسلوا لنا شيئًا بهـذا الاسم) ويمشى لمباشرة أمور أخرى فيقـول منصور فرجام بصوت خفـيض (ألم يرسلوا لكم باسم آخر ؟ ربما تشابهت الأسـماء ، ربما كتبوا اسـمى الدكتور فرشـاد أو الدكتور ضرغام ، اسمى أحيانا يتشابه مع هذين الأسمين خلال التليفون) .

- (لدينا أسـماء ثلاثة نزلاء من شـركة النفط) يحـاول موظف الفندق بتحمل ألا يـغضب (الأخ عبد الله ، والدكتـور أفشار والأخ إيزدى وقد جاءت لهم جميعا استمارات حجز) .

- (ربما اشتبه اسمى مع أسم الدكتور أفشار ، هل يمكن أن تفحص الأمر ؟) .

- (جاء الدكتور أفـشار وتحققوا من اسمـه ونزل بغرفة بالأعلى وأتى جميع النزلاء من شئون السفر بشركة النفط . تمام ؟) .

ويعود منصور فرجام وينظر إلى يعنى (مفيش فايدة) . لكنه لايزال مبتسما فيتوجه إلى موظف الاستعلامات قائلاً (هل لديكم تليكس ؟) .

- (لدينا ماذا ؟) .

- (تليكس . . لوكان عندكم فإنه يصلكم نسخة أتوماتيكياً من طهران لمن يطلب الحجز فى جنوب البلاد) .

ويشهق موظف الفندق شهقة طويلة ويقول (التليكس عندنا خسران) وأقول لمنصور فرجام (دكتور اتصل أنت بنفسك بالأخ أناركى هذا وكلمه حيثما يكون) .

- (أعتقد أننا مضطرون لذلك) ويقول هذه الجملة بالإنجليزية .

ثم يلتفت إلى موظف الاستعلامات (يمكن أن تتعب نفسك وتوصلنى بتليفون الأخ أناركى ؟) .

يولى موظف الاستعلامات إذ ذاك ظهره لنا ويتصل بالتليفون بمكان اخر ولايهتم بنا . يناديه الدكتور فرجام . يصر الموظف على إهماله لنا . وفى النهاية يلتفت الموظف لنا وبعد أن ينهى مكالمته ويتوجه إلى حجرة السويتش ويقول للأخت العاملة بها (اتصلى بأناركى على أحد التليفونات الموجودة بمنصة الاستقبال وأعطى المكالمة لهذا الحاج) .

يبتسم منصور فرجام ويشكره . ننتظر . لكن تليفون أناركى لايجمع أولا يجيب أو أن الأخت موظفة السويتش لاتحاول الاتصال أصلاً . لانرى ماذا تفعله فى حجرة السويتش .

ويشعل منصور فرجام مبتسما غليونا آخر .

أقول (دكتور ربما حجزوا لك فى فندق آخر ؟) .

- (هل لهم تعامل مع فندق آخر ؟) .

ويتصل موظف الاستعلامات بمكان آخر تليفونيا كأنه المطعم . اسأل أحد موظفى الفندق الواقف بجوارنا ويتحسس أحوالنا وأوضاعنا (هل لشركة النفط تعامل مع فندق آخر) . إنه بواب أو موظف أمن أو كلاهما لايبدو من منظره شابًا صغيراً ، له عينان سوداوان نافذتان ولحية وشارب طويل جداً خشن وحسن المنظر يشبه راسبوتين قليلاً إلا إنه يحمل مسبحة .

يتعارف علينا ويقول (أنهم يتعاملون مع فندق نادرى ياحاج) .

- (أين فندق نادرى ؟ هل هو نفس الفندق الذى يبعد جنوبًا عنا بثلاثين مترا ؟) .

- (نعم ياحاج) .

- (هل لايوجد هنا تليفون عمومى ؟) .

- (اتصل بهم من السويتش هنا) .

وبناء على هذا نستمر واقفين صابرين .

ثم أسأله (متى يقفل المطعم عندكم ؟) كانت بطنى تصدر صريراً بسبب الجوع .

- (التاسعة) .

كانت الساعة الثامنة وخمسًا وأربعين دقيقة .

أ قترح على منصور فرجام (دكتور . كيف لانتناول هنا بعض الطعام . معى فلوس وسأدفع . يمكنك فى نهاية الأمر الاتصال غداً بالمسئولين ليفعلوا شيئا . كلانا متعب . ربنا يفرجها غداً . لنذهب قبل أن يقفل المطعم ونتناول شيئًا) .

- (موافق) ويرمقنى بنظرة .

أفتح الموضوع مع موظف الاستعلامات لكن الأخ يرفع حاجبيه قائلاً (ليس لدينا مكان) .

- (من فضلك ياسيدى) .

- (عزيزى . .) يأتى أحد عمال المطعم ليعلمه أن يأتى قبل أن يرد عشاؤه أسأله (فندق بهذا الاتساع وليس فيه غرفتان خاليتان ؟ إننا لانطلب أمراً عظيماً) .

- (ليس لدينا أى غرف خالية) ويتجه نحو المطعم .

فأقول له (إذن أفعل شيئا لسيادة الدكتور على الأقل من فضلك . فهو ضيف شركة النفط وموظف بعقد لديها وأتى من أمريكا) أخفف نطق كلمة (أمريكا) الثقيلة .

ينظر إلى منصور فرجام الشاب والمستحى وإلى أنا الأشيب ، لكنه يهز رأسه ويمشى دون استئذان . ونبقى نحن والمنصة الخالية ، فقط تهز الصورة الكاملة لجسم الأمام الخمينى يدها لنا .

يخاطبنى فرجام (أنظر . . سأذهب إلى فندق تادرى هذا أو إلى أى فندق آخر وآخذ غرفة وأقضى فيها بقية الليل . فلاتزعج نفسك معى أكثر من هذا وأذهب إلى منزل صديقك أو أى إلى غيره) .

- (من فضلك يامنصور بيه ، أتينا معًا كل هذه المرحلة ولابد أن نتمها معًا) ثم ألتفت إلى الحاج راسبوتين البواب أو موظف الأمن الذى لايزال واقفًا بجوارنا (عجيب أن فندقا بهذا الاتساع ليس لديه مكان لشخصين) .

يحك لحيته الرمادية ، هو أكثر تعاونًا من موظف الاستقبال . علقت شارة صغيرة عليها اسمه بأعلى جيبه الصغير فى معطفة (سيد أكبر حاج مولالى) يقول (والله دوران منه تبع الجيش ، وبقية الغرف لايعطونها إلا لموظفى الشركات والأجانب بسبب الظروف الأمنية وعلى وجه الحيطة) .

- (ابحث لنا عن مخرج ياحاج) .

- (ربما تجدان مكانًا فى فندق الخيام) .

- (يمكن أن أتصل بهم لكم ، أعرف صاحبه) .

- (هنا مولد وصاحبه غائب . فاعمل مابوسعك من أجلنا هنا ياحاج يضحك : (قال ليس هنا مكان وقد أعطى أوامره بذلك) أتأوه وأرمق منصور فرجام . الآن أخذ الصرير بداخل معدتى يتحرش بى .

يقول فرجام (أعطونى رقم تليفون واحد اسمه جهان بيكلرى أيضًا وهو موظف فى مركز تعليم وتدريب الكوادر . المفروض أن أبحث عنه فى الغد كيف لا أتصل به هو بدوره ؟) .

- (لديك تليفون منزله ؟) .

- (لا ، ولكن تليفون مكتبه) .

- (طبعا نستطيع أن نتصل بمنزله بعد أن نستفسر عنه من

استعلامات الشركة) .

- (ماشى) لـكنه يحك رأسه متردداً ، ولايمديده ليـخرج رقم تليفونه من جيبه . لابد أنه لايريد أن يتصل فى هذا الوقت من الليل بمنزل رجل لا يعرفه ويسبب له الإزعاج . أو كأنه لايثق فى أنه سيعود بنتيجـة إيجابية . يرفع كتفيـه ، أنظر إليه . أرى أنه دخل مكانًا ليس مكانه وليس من فرصة له فيه .

وإلتـفت إلى الحـاج راسبـوتين وأطلب منه أن يأخـذ من عـاملة التليفـون رقم تليفـون الدكتور بمـنزل ياروناصر المقيم بالمـدينة . يعرف الدكتور فيقبل بابتسام وتواضع بعد هذا يتصل بمنزل الدكتور ناصر فيرد الدكـتور عليـه بنفسـه وحـين يسمع اسـمى بوصوتى يزعق بصـوته العالى والمرح دائمًـا (السلاام عليكم) بطريقـة تجبـرنى على أن أبعد السماعة عن أذنى بضع سنتيمـترات ، كأنه لايزال بمفرده وأنقبض قلبه من وحدته أو ربما اختل عقله . . بدون أن يسكر .

- (أين أنت ياجلال ياعديم المذهب ؟) .

- (فى الدنيا) .

- (قلت إنك آت من يومين . . من أين تتصل ؟) .

- (من مكان ما مريح) .

- (من الأهواز) .

- (دخلت المدينة الآن ومعى صديق عزيز ونحن بداخل صالون فندق رويال آسـتـوريا أو الفـجر) . وبما أن الحـاج راسـبـوتين يقف بجوارى أضيف بلهجة مؤدبة جدًا أنهم لم يسمحوا لنا بالإقامة فيه .

- (فندق الزجر ؟) .

- (بل فندق الفجر أو رويال آستوريا) .

- (ابق مكانك ولاتتحرك أنا قادم إليك) .

- (أنا معى سيارة يادكتور) .

- (إذن فتعال أنت وصديقك العزيز وكونا عندي في ظرف خمس دقائق) .

- (حاضر !) .

- (لا أسأل عن صاحبك هل هو إمرأة أو رجل . . تعال) .

أضحك (حاضر . . إنه صديقى العزيز منصور فرجام . دكتور كمبيوتر ووحيد جاء حديثا من أمريكا . المفروض أن يعمل فترة لدى شركة إيران الوطنية للنفط . جرى له هنا ترحيب حار ولائق من قبل إدارة شئون السفر وإعداد الكوادر ، فرشوا له الأرض حريراً . ياسلام . لكنى ربما أستطيع أن ألتمس منهم أن . .) .

فيقاطعنى الدكتور (قَصِّرْ ياجلال وانهض وتعال إلى هنا لعن الله فندق آستوريا . .) ويضحك كلانا .

- (هل من أخبار عن السيدة فرخندة والأولاد ؟) .

- (هم بخير ، أتت رسالة منهم اليوم) .

- (والآخران الصغيران هل دخلا المدرسة ؟) .

- (نعم و احد منهما ، انهض وتعال إلى هنا . قلبى مقبوض . .) .

- ٣ -

أدور بالسيارة راجعًا للوراء وأتقدم من شارع فرعى وألف من أمام مركز الشرطة فى الجهة اليمنى خلف (الحديقة الوطنية) . المكان يلفه الصمت المطبق .أسير فى فى ضوء باهت وأمرمن أمام المدرسة الثانوية السابقة (نظام وفا) وأتجه إلى ناحية (بختيارى) ولم تمر بعد دقيقتان حتى يظهر لنا منزل الدكتـــور المؤلف من طابقين منذ ثلاثين سنـــة وله عيادة هنا ويعيش هنا الدكتور كريم بارناصر طبيب ممارس عام ومتخصص فى الطب النفسى . كان يعتبر نفسه اشتراكيا منذ سنوات كان مثقفا ومن أهل الفن والأدب . فى عهد رواج الكتاب والشعر والمسرح فى عهد الشاهنشاه آريامهر ألف الدكتور أربع مسرحيات وقصصًا قصيرة تحول واحد منها إلى فيلم سينمائى وحاز عليها جائزة . انتهى هذا العهد الآن لكنه استمر يعمل طبيباً حتى بلوغه سن التقاعد . بحد قوله هو ممنوع من الكتابة وليس ممنوعًا من حرية الحركة . له أصدقاء فى إيران وفى الأهواز يعمل فى مهنته الطبية القديمة . تعد عائلته من أخيار محافظة خوزستان وهم فى الأصل أشراف وشيوخ صوفيون فى الطريق القصيرة إلى منزل الدكتور كان فرجام صامتًا . حدثته حديثًا مختصراً عن صداقتى التى دامت سنوات مع ناصر وعن حياته ومشاكله فى الأهواز .سافرت زوجته وولداه الصغيران إلى

زيورخ لفترة مؤقتة ، ويدرس ابنه الأكبر الطب أيضًا فى زيورخ ويقضى دورة الامتياز وأنه وأنه وأنه . . وطبقًا للقانون الجديد للخدمة العسكرية واحتياجات الجمهورية الإسلامية فى حربها مع العراق منع سفر الأولاد الذكور من الأربعة عشر سنًا فصاعداً . وبناء عليه فبعض أولياء الأمور خاصة الأمهات يضعون أيديهم على قلوبهم خوفًا على أبنائهم وهم فى العاشرة أو الثانية عشرة من عمرهم ويقدمون على فعل أى شئ لو كان بمقدروهم .

ألمح الجسم الدقيق للدكتور وقد ظهرت طلعته البيضاء الضاربة إلى الحمرة وقليل شعره الأبيض أمام منزله . المصباح الكيروسينى الصغير بأعلى باب منزله الذى كان يشتعل طوال الليل مضاء . وقف الدكتور تحت شجرة عرعر بحافة جدول أمام عيادته ومنزله . حين نصل وأوقف السيارة أمام جدول الماء يرفع كلتا يديه .

– (صديقى العزيزين) .

– (مشردان بلا مأوى ومستقر . السلام عليكم) .

– (وعليكم السلام . أهلاً وسهلاً ومرحبا جئتما بالصفاء لنا) .

– (لكننا لم نجلب معنا الكهرباء) .

– (تأتينا الكهرباء . تأتى وتختفى) .

يلقى منصور فرجام عليه السلام حين يخرج من السيارة ، كان الدكتور من اللطف بحيث لايبادر أولاً بتقبيل فى حضور ضيف غريب عنه .

– (دكتور اسمح لى بأن أقدم لك منصور فرجام) .

- (أهلاً وسهلاً) .

يقول فرجام : (لابد من الاعتذار بسبب هجومنا عليك ليلاً) .

- (أبداً كنت وحيدا فأتيتما لنا بالسعادة) .

ثم يتصافحان ويقبل أحدهما الآخر . ثم يأتى دورى فى السلام والتقبيل . لم أره منذ شهور عديدة .

يقول الدكتور (اتركا حقائبكما سوف يأتى الآن عبدى ويدخلها) .

- (ليس لدى حقائب كثيرة . لكن الدكتور لديه من الحقائب بما يجب أن يحضرها عبدى له ، ولايهم أنها بداخل الحارة) . ويظهر عبدى طويلا ونحيفا من وراء الدكتور ويلقى السلام فأسلم عليه وأُقَبِّله كان بواب منزل الدكتور وعيادته .

ويقول الدكتور (خذ ياجلال نفساً عميقاً . . ماذا تشم من الهواء؟) أرفع رأسى وآخذ نفساً عميقاً من الهواء الغامق الخانق لليل الأهواز وأقول (هل هو البارود ؟) .

يضحك مقهقها : (أليست هذه نفس الرائحة التى تعم الأهواز منذ عشرين سنة وإنما أنت الذى أتيت حديثاً إليها ؟) وأتنفس نفساً آخر (رائحة عفن طين شاطئ النهر) ونضحك نحن الثلاثة ويقول الدكتور (ادخل ، تفضل ياسيادة الدكتور) لكن حين تدخل مرة منزل الدكتور يارناصر تفهم سبب عدم قبوله التخلى عن الحياة فيه وترك موطنه وبلاده . فقد امتلأ بهو منزله بالكتاب واللوحات الفنية وتابلوهات الصور الفوتوغرافية والأثاث والرياش الإيرانى الذى اختفى بعضه فى النور الباهت للمصباح الزيتى الصغير . الصور المبروزة

القديمة المكسوة بالجلد المنقوش وهى صورة مختلفة لأسرته وعائلته وعشيرته ، صورة ابنه فى بلاس التخرج من كلية الطب فى زيورخ . صورة والده فى ملابس أساتذة جامعات إيران وفى لقاءاته الرسمية ، عمه الأكبر حاكم خوزستان بمعطفه وقميصه بغير ياقة وقلنسوته البهلوية حين قدم قائد الجيش إلى (الناصرية) وقضى على ثورة الشيخ خزعل العربى . جده الحاج ميرزا حسين خان حين كان حاكماً لمدينة شوشتر فى لباس يشبه الأمير الكبير رئيس الوزراء فى عهده . الأبواب والنوافذ البارزة النقش ذات الزجاج الأنيق الجميل الألوان ، أرضية الحجرات من الباركيه المغطى بالسجاجيد العجمية العريقة المصنوعة فى نائين وأصفهان وكاشان وعليها صور مجالس أفراح الملوك والشعراء ، وحائطان مغطيان بالحرير الأصفهانى من طراز زرد شت وفروهر وعرش جمشيد وكل هؤلاء فى ظلال نور الحجرة تشبه الأرواح المذهولة والمخيفة نوعًا ما . الأثاث النفيس شغل أصفهان والمناضد المطعمة بالصدف وصناديق الكتب التى لاحصر لها والنقوش والتابلوهات العظيمة الإيرانية الصنع والأستار والستائر الحريرية المتشابهة وقماش الأثاث كلها حقًا فائق الجمال وأنيق بدون نور .

أستريح أنا وفرجام على الكراسى ونمد سيقاننا المتعبة ويأتى عبده بالشاى والكعك إلى أن يعد العشاء .

يذهب فرجام إلى أحد المراحيض الخاصة بالضيوف فى نهاية الصالة ويشايعه الدكتور حتى منتصف المسافة ويقول له إن الشمع داخل المرحاض ثم يأتى ويجلس بجوارى .

- (حسنًا ، كيف أحوالك ياجلال بيه ، كيف حال حنجرتك ؟ ألم تسمح لهم حتى الآن بأن يزيلوا من حلقك هذه اللحمية ؟) .

- (لاشئ ، كشفت عليها ، حالتهـا معقولة لكنها فقط تضغط على أحبالى الصوتية) .

- (هل تسبب لك الألم ؟) .

- (حسن آخذ نفسى وأتحدث فقط) .

- (حسنًا ، ليس الأمر بهذه الصورة سيئا ، لكن ماهو أصل حالتك ؟)

- (. . .) .

- (أنك لاتشكو أبداً من الزمان) .

- (إذا شكوت منه فأى خطأ يمكن أن أعمله بعد ذلك ؟) .

يضحك (وكيف حال فرنجيس أختك) .

- (موجودة) .

- (كيف حال قدميها ، ألا تسبب لها آلامًا ؟) .

- (لماذا لا . .) .

- (مع هذه الأحوال القاسية من الحرب والضغوط وكل شئ ماذا تفعل ؟) .

- (مطرود هناك ويساعدها ويشكو هو الآخر) .

- (إذن أتيت لتجد إدريس وتعود به ؟) .

- (إنه الزمن . .)

- (وهل لاتنشغل بأى شئ ؟) .

- (يوجد شئ فعلاً) .

- (حين اتصلت بى وقلت إن معك صديقا عزيزاً ظننت أولاً أنك قمت برحلة سعيدة) .

- (فى الجمهورية الإسلامية ؟) .

ثم يضحك ويدير رأسه إلى ناحية ويخفض صوته (هل أتى فى مهمة ؟) .

أشير بعينى بالإثبات والإيجاب . على أية حال فالمرحاض يبتعد عنا بمسافة طويلة .

- (فى خضم هذه الأحداث والوقائع يقوم بمهمة ؟ هذا عجيب)

- (لانسمع عن الأهواز أخبار حوادث ، لكن هل فيها شئ ؟)

- (ممكن أن تصبح الأحوال حساسة تجمع هنا نحو نصف مليون جندى ومتطوع . من هنا تتغذى جميع جبهات الجنوب ، يمكن أن تكون الأحوال هنا حساسة) .

- (ألا تخاف ؟) .

- (نحن رمل بقعر جدول الماء) .

- (بل أنت متأصل هنا) .

- (لاتكثر من الكلام فهذا يضرك كل الكعك واشرب الشاى . عندى شئ سأتى به لك فى الحال ، دواء مرضك هذه الليلة) .

- (ياربى !) .

- (كلهم يتمنونه ويتجشمون المصاعب لكى يأتوا به) .

- (إذن ليس لديك خبر) .

- (خبر عن أى شئ ؟) .

أنظر إلى ناحـية المرحـاض ويعود فـرجام من ظلال النور بـآخر الصالة والمرحاض وقد غسل رأسه ووجهه .

(تفضل واشرح يادكتور) .

ويقول الدكتور ناصر (لم تقم بهذا الأمر من قبل يادكتور فى نور الشمع حتى اليوم أو قمت به ؟) .

- (التمرين الذى أقوم به هو التواليت فى نور الشمع) ويجلس.

- (أحسنت) .

ويطلق كل منا ضحكات عالية ويقول فرجام الذى احمر وجهه : (تنقطع الكهرباء كثيراً فى طهران) ثم يزيد (وأنا عارف هذه الرياضة منذ الطفولة) .

- (حين تعـود يادكـتـور إلى أمـريكا اكـتب كل هذه الخـواطر والذكريات) .

- (حاضر ، سوف أكـتب فى مذكراتى أننى قمت فى إيران فى هذا العام بالتمرين الرياضى على قضاء الحاجة على نور الشمع) .

- (كلنا نقوم بهذا التمرين) .

- (أنه التمرين الرياضى فى عصرنا هذا) .

- (على نور الشمع !) .

ويأتى النور فى نـفس هذا الوقت ! وتـتـضح الحـجـرة الكبـيـرة والجميلة للدكتور ناصر ،وتتـجمل الأرواح المقبضة الميروزة ذات اللون الثابت والأوضاع التى كأنها على مـوقد عدسى بالمنزل تعتدل . يرسل

الدكتـور مازحًا صلواته . ثم يـسير إلى أحـد دواليب الأدوية ويخرج زجاجـة . واحدة من الزجاجـات الطويلة والخضراء لكن بطنهـا دقيق بالطراز القديم اليـوناني أو الإيطالي . ويضعها بجانب صـينية الكعك والشاى (من أجل السائرين بالليل المتكهين الأغراء) .

ويحك فرجام مؤخرة رأسه قائلاً (خمر الأنسطين ؟!) وأتنفس نفسًا عميقا : (ليت النور قد عجل بالمجئ) .

- (ليتكم عجلتم فى المجئ وأتيتم بالنور معكم) .

- (أنت نورها حقيقى يادكتور) .

ويفتح الدكتور مبتسما الباب الزجاجى .

ينتهى ذاك اليوم الطويل وتلك الليلة المضنية بشكل مريح على كل حال . نجلس بعـد تناول العشاء للحديث . ويعـد الدكتور موسـيقى إيرانية عذبة ، ،ويضع شريطًا لغزليات حافظ . ويأتى عبدى ويذهب ويصب لنفـسه كـأسًا ويأتى بشئ عـلى الصينيـة ويحمل الأطبـاق . ويحدثنا فـرجام عن خلاصة الأعـمال التى يريد أن يقوم بها للـمركز التكنولوجى للشركة . فقد تحدث مـعه أحد رؤساء قسم إعداد القوى العاملة فى طهـران وشرح له الأهداف الكلية لهـذا البرنامج . يريدون إنشاء مركز تعليم الكمـبيوتر ومعه مركز تعليـم اللغة الإنجليزية كالشئ ولزوم الشئ . أولاً لابد أن يشغلوا فى مدة قـصيرة الأجل . وبشكل غير مسبوق مركز تعليم اللغـة ثم مركز تعليم الكمبيوتر فى مدة طويلة الأجل . اعتـمدت مـيزانيـة كبيـرة جداً لكل من المركـزين . خططوا لتدريب الشـباب المستضـعف الخوزستانى وأولاد المضـارين من الحرب والشهـداء لشغل الوظائف العديـدة التى هم فى أمس الحاجة إليـها .

وأنظر إليـه أنا والدكتور ناصـر فى إعجـاب . ويسأله الدكـتور (هل وظفت يادكتور وأنت فى الخارج ؟) .

- (لا ، بل كنت فى طهران) .

ويهز الدكـتور رأسه ، اعتـقد أنه يريد أن يقول (عـجيب هذا) لكنه يقول له (كم سيعطونك راتبًا ؟) .

- (لم يتقرر هذا بعد . لكنهم قالوا أنهم سيعطوننى بعد حذف الضرائب وغيرها عشرين ألف تومان صافية) .

- (ولماذا لم يكتبوا العقد ؟) .

- (كانوا فـى عجلة من أمرهـم بحد أن هم قالوا نـبدأ أولاً فى العمل ثم نكتب العقد قالوا بإمكانك إذا أردت أن تأخذ أى مبلغ تحب على الحساب ، الرجل الذى تحدث معى كان يبدو لى رجلاً طيبا باعثا على الطمأنينة) .

- (من هو ؟ هل هو من هؤلاء الأخوان الجـدد أو من القدامى بشركة النفط ؟) .

يبتسم فرجام (من هولاء الاخوان . كان ينادون عليه باسم حاج أغا لواسانى لـكنه كان يبدو لى رجلاً جـاداً . فيما يبدو كـان عمـله إعداد الكوادر المتخصصة على مستوى البلاد ويكتب تقاريره إلى الوزير أو إلى أحد وكلاء رئيس الوزراء قال أنه سيأتى بنفسـه ليستقر فترة فى الأهواز ويعاون بنفسـه لإدارة هذا العمل ، استشهـد له أخوان شابان على الجبهة) .

وأنظر إلى الدكتور ناصر وينظر هو إلى . إعداد القوى العاملة .

يضع الدكتور ناصر يده أسفل ذقنه ، وينصت باهتمام إلى حديث فرجام . ثم يتأوه قائلاً (نرجو لك التـوفيق يادكتور ، لكن لاتدعهم يستغلونك مجاناً) ، ثم يقول : (وادع الله أن يكون كلامهم صحيحًا)

- (أنا للأسف نسيت الدعاء) ويعاود الابتسام .

- (إذن فلربما لاتتفق معهم) .

- (لابد من الانتظار لنرى) .

- (على أى حـال شرفـتنا .. نحن رمـال بقـعر نهـر الأهواز لانملك الجرأة على هذه الأعمال ، وفقك الله) .

- (أشكرك كثيرا) .

- (إن شاء الله سوف تقوم بهذه الخدمة للشعب المظلوم الخوزى ثم تسـافر بـالسلامة إلى أمـريكا . تغيرت الدنيـا يادكتور هنا تغـيرًا عظيمًا . أصبح الزمـان قاسيا ومرًا . وأنت قد تعـودت الحياة بأمريكا بعد أكثر من أحد عشر عامًا فيها) .

ويعيد فرجام النظر إلى (لا أعرف الدعاء !) .

ويعاود ثلاثتنا الضحك .

ثم يسأله الدكـتور ناصر (دكتـور سعادتك أخذت شـهادتك فى الدكتوراه فى أى تخصص على وجه الدقة ؟) .

- (علوم الكمبيوتر ، نظام التحليل) .

- (ولابد أن السـادة الآن يطالبـونك لتـكمـيل ملفك ولمتـابعـة الإجراءات البـيروقراطيـة الإدارية بشهاداتك الدراسـية المصدق عليـها

وبترجماتها وإرسالها إلى طهران لتحديد الدرجة العملية وإلى وزارة الثقافة العالية وغيرها . .) .

– (ليست مشكلة) .

– (أى شركة كنت تعمل بها فى أمريكا ؟) .

– (شركة 3M المساهمة) .

– (هل هى شركة حكومية أم خاصة ؟) يحاول الدكتور أن يجعل لهجته لطيفة وأن يخفى حالة استجوابه وسوء ظنه ولكنه لايستطيع .

(٣ إم هذه شركة متعددة الجنسيات لها أفرع فى ٥٧ دولة . عملهم الإنتاج وإخراج الأموال .Bussiness . إنتاجهم هو سائر آلات الحساب ولوازم المكاتب والإدارة من أوراق النسخ حتى الملصقات وأشرطة الفيديو والمعدات الإدارية وأخيرا بالطبع أجهزة الكمبيوتر الشخصية . .) .

– (كيف عاودك الحنين إلى الوطن مرة واحدة حين يعج بالحروب والحوادث ؟) يطأطئ فرجام رأسه وتنقضى لحظة سكوت (كان بسبب حادثة خاصة وشخصيته وكنت أريد أن أبتعد عن أمريكا فترة) .

ويسعل الدكتور ويفهم أنه لايجب أن يسأله ثانية . ثم يقول بعد برهة : (على أية حال وفقك الله يادكتور وأنجح مساعيك بإذنه تعالى) ثم ينظر إلى .

(كان النهار والليل طويلين لكما ولابد أن الدكتور متعب ومن

المستحسن أن يتفضل للراحة . أول ليالى الأهواز ذكريات . أعد عبدى سريريكما) .

- (ليلة سعيدة وتصبح على خير . .) .

- (ليلتك سعيدة ياسيد آريان) .

- (ليلتك سعيدة) .

ويقول الدكتور (وفى الساعة السابعة صباحًا أو السابعة والنصف نتناول الإفطار ثم تتفضل بأن تبلغهم بأنك أتيت وتزجرهم بسبب تقصيرهم فى حقك فى هذه الليلة ولأنهم لم يفوا بالتزاماتهم معك . وقل لهم إن شاء الله لاتكون بقية التزاماتهم وتعاقداتهم معك بمثل هذا التقصير) .

- (حاضر) .

- (وتوكل على الله) .

- (حاضر توكل على الله وتشفع بحضرة جرجس ، طابت ليلتكم) .

- (طابت ليلتك) .

حين نختلى يمد الدكتور ساقية على كرسى ويتثاءب ويجمل قصّ حوادث حياتى (حسنًا ثم وصلت هنا وأحلت إلى التقاعد والتشرد فى الجمهورية الإسلامية وفى سن التاسعة والأربعين ، لايسمع منك صوت والعرق الذى لايجب أن تشربه وأتيت للبحث عن ابن مطرود . .) .

- (مللن من طهران) .

- (ومللت الناس الشكائين النائحين) .

– وألقى نظرة على حجرة النوم التى ذهب إليها منصور فرجام .

– (مأمورية صاحبنا عجيبة) .

– (هل مل هو الآخر من الشكائين النائحين الأمريكيين ؟) .

– (لا . .) .

– (أجل . .) ويأخذ نفسا عميقًا (إنى لأعجب . . هناك شئ . . أفصح عما تريد قوله بأول الليل) .

لم نكن مجبرين على أن نخفض صوتنا ، فقد أدار مؤشر مذياعه على صـوت أمريكا على الموجة القصـيرة ليسمع أخبـارها . أقـول له (لديك تصريـح بالإقامة الدائمـة فى أمريكا والكارت الأخـضر وكل شئ . ولك منصب دائم فى شـركة متـعددة الجنسـيات . . هل تريد تعريـفًا أكثـر ؟ حين تبرز لى جـواز سفـرك يسقط من داخلـه كارت بلاستيك أبيض وأحمـر هويتك يتبع شركة 3M التابعة لشــركة سانت بول المتعدد الجنسيات . دكتور فرجام ، المتخصص فى برنامة التحليل)

– (هل تعلم جيدًا ماذا يعنى هذا الآن هنا ، سيدى الفاضل ؟)

– (يعنى يمكنك ياسـعادة البيـه أن تقوم غـدًا وتتفـضل بركوب الطائرة وتعود هنيئا سعيدًا لشركت؛ وحياتك) .

– (إذن فلن يبقى هنا ، لكنه أتى هنا لسبب لديه . لدافع عنده . لشئ ما . أليس جاسوسًا وغنيًا ؟) .

أضحك (لا أظن ذلك . . أمه من شوشتر . وقضى أسبوعًا فى شوشتر ، ثم سافر إلى طهران وقبل عملاً مـؤقتا ، ربما أتى سائحًا هنا للأهواز ليرى أوضاع أرض آبائه وأجداده كيف صارت فى الجمهورية الإسلامية) .

- (هناك شئ داخل جهاز تسجيل مخه أتى به إلى هنا . إنسان لديه دكتوراة فى الكمبيوتر وأموال فى أمريكا ولديه منصب محترم لاينهض بدون تفكير ليأتى هنا وسط الحروب ، الإنسان العادى لايفعل ذلك) .

- (ولد إيرانى طيب ، وابن من أبناء خوازستان) .

- (هل عنده مشكلة عاطفية ؟ أتى ليتزوج ؟) .

- (لا ، لم يذكر لى شيئًا عن ذلك ، لاأعتقد) .

- (كم عمره ؟) .

- (خمسة أو ستة وعشرين عامًا) .

يهز الدكتور رأسه ويشعل سيجاراً آخر ويتنفس بعمق .

- (لو وجدت ابن مطرود فعمره هو نفس العمر ، أليس كذلك؟) وينظر إلىّ وأنظر إليه أيضا .

(هل تعرف أين يمكن أن نجده ؟) .

- (لا ، لا أعرف إلا أنه ، كان فى عبدان فى أول عامين من الحرب أى ٨٠ و ٨١ . ثم سمعنا أنه ربما أصيب وأتوابه إلى الأهواز أو أنديمشك) .

- (يمكن أن نستفسر عنه من الدكتور نور بخش فهو يعرف مراكز تأهيل المصابين والجرحى وإسكانهم وهو وكيل الإدارة الصحية بالمحافظة شئون التأهيل ، طبعًا شئون المتطوعين والجنود لاتتبع الإدارة الصحية لكن لديهم علم ويمكنهم المعاونة) .

- (ممكن) .

- (إذا كان لايزال على قيد الحياة وموجوداً هنا فسوف تجده . الآن أحسنوا أمر إحصائهم فقد أعدوا كشوفًا بأعدادهم وأسمائهم ونوعية إعاقتهم ونسبة العجز فيهم لإرسالها إلى الصليب الأحمر العالمى وهيئة الأمم المتحدة) .

(ذكر لى أحد الطلاب أننى يمكننى أن أراجع المكتب المسئول عن مقر الجهاد الجامعى وأعطانى اسم الدكتور ناجى والسيد شايان) .

- (يمكن أن يساعدك هذان أيضًا . والسيدة شايان بالصدفة تقيم فى المنزل الذى بجوارنا وهى زوجة كوروش شايان أيضًا جارى) .

- (كوروش شايان صاحبنا ؟ رئيس حزب البعث المعروف ؟ شعبة خوزستان ؟ . .) .

- (نعم الذى أخذوه وأعدموه . هل كنت تعرف كوروش شايان ؟ لاتزال أرملته تعمل موظفة . لديها بكالريوس فى الاقتصاد والمحاسبة . كانت تشغل لهم فى البداية الكمبيوتر لكن بما أنها إمرأة فأنت تعرف بقية الحكاية جيداً . لكنها امرأة مؤمنة ذات شخصية ووقار من عهد الشاه - ولاتزال موظفة حتى اليوم فى المحفوظات . امرأة ممتازة يمكنها مساعدتك) .

- (كنت أعرف كوروش شايان جيداً . . لكن لم أكن أعرف جيدًا زوجته . لم تكن ترتاد النوادى . كنت أعرف عنها فقط أنها تعمل فى شركة كمبيوتر . . ماهو اسمها ؟ السيدة مارى ؟ . .) .

- (السيدة مريم . .) .

- (كان اسم ماري يناسبها أكثر ، بيضاء ، زرقاء العينين ، نحيفة القوام إذا لم تُخنّي ذاكرتي) .

- (هي نفسها . مريم جزايري سيدة طيبة وشجاعة) .

- (لابد أنها من الصلابة بحيث لم يستطيعوا طردها حتى اليوم بعد إعدام زوجها لكنها كانت في حالها حتى تلك الأيام التي كانت أغلب السيدات الموظفات العاملات يذهبن أثناءها إلى نادي شركة النفط ونادي الجولف كل ليلة . كانت متشددة وترتدي أثناء عملها لباسًا محافظًا) .

- (هي نفسها أنك تعرف هذه الأرملة بالصدفة وكانت تعمل باسم كوروش شايان . وهي تعمل اليوم باسم السيدة جزايري اسم عائلتها . تعلم أنها الابنة الأولى للدكتور حسين جزايري رحمه الله ولابد أنك سمعت أن أمها كانت دكتورة أمريكية اسمها الدكتورة انجيلا جزايري) .

كان هذا الجزء من التاريخ الموجز لتلك السنوات للأسر العريقة في النصف الأول لهذا القرن . كان الدكتور حسين خان جزايري وزوجته الدكتورة انجيلا شخصيتين معروفتين كان لها ولزوجها عيادة مشتركة هنا ظلت سنوات . كانت انجيلا جزايري أولاً في لبنان وأستاذًا بالجامعة الأمريكية في بيروت . كانت عاشقة للشرق والحضارة والثقافة الشرقية ، اعتنقت الإسلام برواية الدكتور حسين قبل أن تتزوج منه ، وحين كان الدكتور جزايري يقضي دورة الامتياز بهذه الجامعة تزوج منها . كانت انجيلا أكبر من زوجها سنًا وكان للدكتور أيضًا من زوجته الأولى طفلان وافتهما المنية . تزوجا في بيروت ، ثم قدما

معاً إلى الأهواز أوائل عهد حكم محـمد رضا شاه . ثم ولدً لهما مريم وأختها هـنا فى الأهواز ويبدو أن أختها الصغـرى هاجرت إلى أمريكا واستقرت بها . . وماتت الدكتورة إنجيلا جزايرى بعدها بعدة سنوات .

« مريم بنتهما الكبـرى نمت وشبت هنا ودرست ونالت الليسانس وبقت محافظة على تقاليد والدتها . وتزوجت من كوروش هنا . كانا يسافران إلى إنجلترا وأمريكا ويأتيان منهما وكأن الحياة مقبلة عليهما . . ثم حدثت الثورة وتـعلم أنت بقية حكايتهمـا . وهى الآن ممنوعة من السفر بسبب زوجها) .

- (هل فضلت أن تعمل هنا ؟) .

- (فضلت أن تعمل فى مؤسسة الكمبيوتر الذى كان من المشروعات الأولى لكوروش وشايان وهى شخصيا ، لكنهم طردوها).

- (حسنًا ربما يمكنها الآن التعاون مع صاحبنا . فهى متخصصة وهو أيضًا متخصص وكلاهما يحبان أن يعملا فماذا يريد الآخرون ؟).

- (بعض المفسدين سعوا مراراً إلى طردها منهم الحاج أبو غالب الذى كان يتآمـر ضدها كثيراً . طردوها مـن كافة الإدارات هنا وهناك ويمكن أن يفصلوها نهـائياً فى النهاية . إذا لم تكن ممنوعـة من السفر لسافـرت إلى الخارج . آذوها كثيـراً) فأقول : (أى إنسان لم يصـبه الأذى ؟ مع وجود هذه الحرب . .) .

- (حسنًا تـريد الآن أن تجد ابن مطرود وتعود بـه إلى طهران ؟ كيف حال مطرود نفـسه ؟ لابد أنه يعانى هذا العجـوز العبدانى الذى تشرد وأثار الضوضاء فى طهران . .) .

- (هو أفضل حالاً من هذه المرأة النصف الأمريكية التى تشردت داخل الجمهورية الإسلامية فى الأهواز ، لكنه يقاسى الهموم . أغلب مضارى الحرب .

الطاعنين الذيــن عــدمــوا المأوى أو أصــابهم الضــعف ســرعــان مايصيبهم الهم والمرض) .

- (هم هناك يقاســون آلام الموت . . وأولادهم جرحى هنا من قصف المدافع والصواريخ) .

- (نعم ياسيدى) .

- (وصــاحبنــا الذى نـــــزل من شــركة ســانت بول يريد أن يدير لهم مــركــز تعليم الكمــبيــوتر كيف صــادف أحدكم الآخــر فى رحلته ؟) .

أذكر له ذاك اليوم الذى تعرفت فيه بـالمصادفة على منصور فرجام فى حجرة الأخ زين العابدين خير أنديش فى إدارة شئون السفر بشركة النفط . كان كلانا مسافرًا إلى الأهواز ولماكنت مستقلاً سيارتى اقترحوا على لماذا لا أتفـضل بإيصاله واتخــذه رفيق سفــر طويل فى قلب بلاد الزهور والبلابل ؟ كان فــرجام قد قبل الرفقة بسعــادة . كان يقبل كل شئ بطلاقــة وجه . كــان يلبس وقتــهــا معطفًــا وسروالاً أنيــقين من الجبــردين فى لون الحمص وقــميــصا مــستديرة الــياقة حــريريًا أبيض ويحــتذى حــذائين جلديين فى لون الــقهــوة براقين أمــريكىّ الصنع ، ويمسك غليونا على شكل الدال له نهاية معدنيــة ويحشوه تبغًا من نوع (الآمفورا) .

- (لابد من وجود سبب أو دافع له فلايمكن لأحد قط له مثل هذا العلم العظيم والمقدرة الفائقة أن يترك شركته الكبرى حبًا فى خوزستان ويأتى فى خضم هذه الأحوال والأوضاع) .

- (حين كنا نتناول الغذاء خارج المقهى بجانب الطريق فى مدينة «بل دختر» أتا إلى مائدتنا من ينبئ عن فأل حافظ الشيرازى ، ففتح صاحبنا ديوان حافظ وقرأ فأله منه) .

- (أى غزل ظهر له ؟) .

- (ياملك الحسان بسبب هموم الوحدة . .) .

- (جميل جميل إذن اتضحت مهمته ، حسنًا ألا تشعر بالتعب؟) .

- (هل أصدقك القول ؟ - لا) .

- (ما أشد أعصابك . قلت إنك منقبض القلب . ألا تحب أن تذهب للنوم ؟) .

- (بل أحب أن أخرج وأتمشى قليلاً فى الأهواز) .

- (حسنًا اذهب وتمشّ ، هذا حسن تخرج أنت وأنا استحم . يوجد بضعة تقريرات علىّ أن أكتبها . عبدى مستيقظ يفتح لك الباب. ومكان نومك جاهز . هل تريد شيئا آخر ؟ طلباتك أوامر) .

- (متشكر) .

- ٤ -

ليلة باردة وقارصة ، ومع أن مصابيح المدينة كانت منيرة إلا أن الجو كان حالكًا لايبدو فيه لمعة من نجم أو غيره . شارع بختيارى خال بدوره . السكون يخيم على المدينة ، واتجه شمالاً ناحية الشارع الذى عرضه أربعة وعشرون متراً . المنزل رقم ٢٢ ، كانت تستأجره يوما شركة النفط لايزال متربعًا هناك وسط الظلام ، وأنا أرى (مدرسى) وسيارته الفورد الخضراء واقفا تحت السماء الزرقاء لمطار كوت عبد الله ينتظرنى وأول مايصل بى إليه كان بانسيون سعدى) . كان قد حجز لى حجرة (فردية) قبل مجيئى بفترة . بانسيون سعدى فخم وتشع منها الأنوار المبهرة . وبعد العشاء نتجول بالسيارة حتى أطراف المدينة ونتفرج على الألعاب النارية التى تطلقها فرق المدفعية فى شارع أغاجارى ثم رقص الغجر وألحانهم وغناءهم فى مخيماتهم .

أسير من تقاطع شارع الشهيد المقدم دستجردى إلى داخل شارع الأربعة والعشرين متراً الذى يحوى الآن اللافتات الزرقاء والبيضاء المكتوب عليها (شارع آية الله منتظرى) . يبدو هنا أيضاً فى هذا الوقت من الليل خاليا مهجوراً ولايمر به بين الفينة والأخرى غير تاكسى خال أو سيارة الحراسة والأمن . وفى الطرف الآخر للشارع أخلدت إلى النوم نفس المحلات الصغيرة والممرات الخربة والمتعرجة

المعوجة . لايفتح غير محل أغذية صغير وغير نظيف وتفوح رائحة الزيت المحروق والسجق والفلفل والهمبوجر والخيار المخلل وعفن القمامة الملقى بها فى جوف النهر .

والمحل الوحيد الذى يتمتع بقليل من النور هو صيدلية قديمة وصغيرة باسم صيدلية شيخ الإسلام بجانب الجاراج المقفل . لايزال المصباح الأحمر الصغير ينير فوق الفترينات الأمامية التى يحتفظ فيها بالأدوية السامة . لايزال فوق هذه الفترينات الزجاجية نفس علامة الجمجمة والعظمتين بشكل علامة الضرب منقوشة . لاتزال نفس الأفعى الملتفة على كأسها الزجاجى الذى يحوى الكحول قد راحت فى سبات عميق . لكن الصيدلية لاتخلو من إعلانات الرواج والأزدهار . فخلف زجاج الفترينة الأمامية وخلف الباب الحديدى المشبك تنبئ كتابات خطية إعلانية عن وجود الرواج والكسب : (تأمين القوات المسلحة) ، (تأمين موظفى البنوك) ، (يوجد حزام الفتق) ، (يوجد الرباط الطبى ورباط البطن) .

وفى فتحة الحارة بين نهاية الحديقة الوطنية وسينما كارون رسموا على جزء من الجدار الخشبى المحيط بالحديقة رسومًا بسيطة وساذجة لبضعة من الفتيان المقاتلين يحمل كل منهم مدفعًا رشاشا . أحدهم يسير أسفل تل مرتفع وآخر تحصن داخل مجرى نهر وآخر سقط شهيدا وسط النخيل . هذه فلسفة المدينة ونموذجها . وفى مكان آخر ماكت لقبة المسجد الأقصى . وبضع صور لمشاهير رجال الدين وبضعة شعارات منها (سوف نطأ أمريكا بأقدامنا) ، (الإسلام يرتوى من دم الشهداء) . وتهب ريح باردة من ناحية نهر كارون وتضرب الفروع النصف اليابسة لشجرة حنظل الحائط ذا الرسوم ولاينبعث غير صوت حفيف الأغصان بالجدار

الخشبى . وتبـرز صورة كبيرة أخـرى رسمًا لجماعـة من المتطوعين الصغار وهم يذهبون إلى الجبهات عارين من المهمات وحاسرى الرءوس . ويشير شريط أحمر بعقود على جبهـاتهم إلى أنهم ذاهبون إلى كربلاء . ولد مقاتل يحمل رشاشا تحصن فى جوف النهر بدا كهيئة إدريس الابن التائه لمطرود حين كان إدريس فى عـبدان وسنه سـتة أو سبـعة أعوام كـان بريئًا سـاذجًا مصابًا بقليل من التخلف العقلى . ذهب إلى المدرسة عامين ثم تركها . كـان يبيع سـجائر الـوينستـون . كان سـعيـدا وهو يحـمل مذياعـه الترانزسـتور وحقـيبة سـجائره . كان يصـيخ السمع للأغانى العـربية وأغانى الميناء . وحين بدأت الحـرب كان فى الخامسـة عشرة وأين هو الآن ؟ أعبـر من ميدان الشـهداء النهر بطريق الكوبرى المعلق . أعـبر رويدًا رويدًا إلى الناحية الأخرى . ينزلق مـاء كارون العجوز والأسود بلاصوت .

تبدو الجزر وسط النهر هذه الليلة ، مع النذر القليل من مائه قذى فى العين وبرصـاء ذلك الشط من النـهر الذى كـان « مـيـدان البنات الثلاث » صـار ينقصه الآن تماثيل البنـات الصغيرة الـتى تعلو النافورة وإنما تظهـر إعلانات تقول (مـيدان الشـهيـد جواد أفـشارى) هذا الشاطئ أكثـر صمتا وسكونا كـأنه ساحة مفتـوحة على مصراعـيها . أحاول أن أكتشف موقع مقر شئون الجـرحى ومستشفى الجيش ومركز تأهيل المعاقين . . فى الظلمـة والنور لانسمع غير صـوت جميل يذيع أنشودة الاستشهاد والحرب يأتى من خلال مكبر صوت من مكان ما . رنين الأنشودة والشعر هو مابقى عالقًا بالهواء البعيد لنخيل الليل :

أنا شهيد ، أنا شهيد

أنا شهيد ، أنا شهيد   أصبت التوفيق والفلاح

في حفظ الله يا أمي   لن أراك ثانية بعد .

لا أعلم هل هذا أثر الريح القارسة أو أثر برودة النهر أو أثر النواح المؤلم الذي يموج في فضاء الليل جعل عيني تحترقان وتدمعان فأصمم على العودة أن تكية سويقة (درخونكاه) ومن يدقون صدورهم بها وجماعات النواح والبكاء على الموتى والمفقودين لم يكن له مثل هذا الألم المحرق .

أعود من ركن الميدان إلى شارع الأربعة والعشرين ثم شارع بختياري أتفحص أبواب سيارتي الواقفة أمام منزل الدكتور . الأبواب مغلقة والمكبح وعجلة القيادة في مكانهما . ويفتح عبدي لي الباب .

الدكتور يجلس على مكتبه مرتديا بيجامته وروبه ولايزال يعمل . يسألني عن مشيتي الليلية في شوارع الذكريات والآلام فأراد أن أغلبها يشبه شوارع الموت والمجانين واتجه لأتفقد مراسم التهيؤ للنوم .

في الحجرة المخصصة للضيوف يضيء صغير جدا ذو لون أرجواني. ومنصور فرجام نائم على أحد سريريها ويدون أدنى صوت وجلبة أنزلق بهدوء تحت الملاءة والبطانية على السرير الثاني . السرير مألوف لدى بنفس مرتبته الناعمة وفرشته المزهرة الحريرية الأصفهانية . لم يصدر الدكتور منصور فرجام أدنى شخير أو حتى صوت التنفس . ينام في راحة ونظافة وهدوء . أو هكذا يبدو لي . لابد أنه في سانت بول ميني سوتا في شقة رقم ٩٠ شارع فولر في حجرة نوم سريرها دائري فخم وعليه حورية شقراء زرقاء العينين مشغول معها على الفراش بمباحثات تأسيس مركز تعليم الكمبيوتر خارج مدينة الأهواز .

كان نور المصباح من الضعف بحيث لايمكن مطالعة كتاب تحته . أنا الآن مشتت بدداً وبعد مدة أروح فى سبات عميق .

● ● ●

فى منتصف تلك الليلة يوقظنى صوت من نومى . صوت نواح صادر من حلقوم ممطوط يخرج من صدر إنسان من فم مفتوح ويستمر فترة طويلة فترة طويلة جدا ويشق جو الحجرة . لايزال منصور فرجام فوق سريره مغموراً فى نومه لكنه يرتعش كانسان اتصل دماغه بكهرباء خمسمائة فولت . تهتز يداه ونصف جسده خرج من تحت البطانية وفرش السرير بل أننى أرى ارتعاد ركبتيه الفظيع من تحت الغطاء . كان الارتعاش والانتباه المباغت من النوم من صفاتى لكنى لن أره بمثل هذه الشدة قط عند واحد من الناس حتى فى تلك الأيام أوائل الحرب فى مستشفى عبدان (دكتور . . دكتور !) .

ولافائدة ، يستمر فى ارتعاده وارتعاشه .

أنهض من سريرى وأقف بجانبه وألمس كتفيه (دكتور . . استيقظ) يقطع لمس يدى لجسمه ارتعاده ، لكن نومه كان ثقيلاً عميقًا فى الظاهر ثم يتنفس بعد ذلك براحة وعمق ويتدحرج لينام على جنبه .

- ٥ -

فى الصباح الجو صحو والنور يغمر الأهواز . وبعد أن يتوجه الدكتور فى السابعة إلى مستشفى جنديشابور يتصل فرجام بجهان بيكلرى فى تعليم الكوادر ويبلغه عن مجيئه وماحـدث له البارحة باختصار ويذكر له المكان الموجـود وعنوانه ولا أستـطيع فهم رد جـهـان بيكلرى ، لكن بما أنى كنت أعرفه منذ عهد سابق فكان بإمكانى أن أحدس جوابه ، فهو يمثل دور الرئيس فى نفس الوقت الذى يرحب به بضـيفه ويشـخط ويصيح فى غضب وينظم فى البـحر الطويل قصـائد مدح نفسه وتقـريظها . على أية حال يبدو أنه أرضى الدكتور فرجام الذى أعاونه فى إملائه العنوان الدقيق للمنزل . يدقق فرجام كشأن الأمريكيين الحرفيين مرتين فى صحة كتـابة العنوان بل يجـبر بيكلرى على أن يقـرأ عليه العنوان المـكتوب ويكرره هو أيضًا بصوت عال ثم يترك السـماعة . بعد ذلك يتجه إلى بالقول : (وعدنى أنه سوف يصل إلى خلال خمس دقائق) .

- (فعلت خيرًا حين كنت متأهبًا للخروج بالسلامة) .

يحك جانب جبـهته بإظفر إصـبعه الصغيـر : (هل أحمل معى الحقائب والأمتعة ؟) .

- (أعتقد أنـه من المستحسن أن تترك أمتـعتك هنا وحين يعُرف مكان إقامتك يمكنك أن تنقلها دفعة واحدة) .

- (قال إن مـن المقرر أن يعطوني شـقة بهـا أثاث وتليفـون في المناطق السكنية الجديدة) .

- (أجل ، في هذه الشقق أجزاء سابقة التجهيز استوردوها يومًا ما من هولندة ، ممتازة ، صغيرة ، لكنها ممتازة) .

- (هل ستبقى هنا ؟) .

- (لست متعجلاً ، الآن الساعة الـسابعة وعشر دقائق . سوف أخرج في الثامنة أو الثامنة والنصف وأسيـر بتمهل إلى المكتب المسئول عن الجهاد الجامعي وأقابل الدكـتور ناجي ربما أتمكن أن آخذ منه قائمة بمراكز المعاقين . ثم أتوجه في الحادية عشـرة إلى الدكتور في مستشفى جنديشابور . ونتناول العشاء معك إن شاء الله في شقتكم الجديدة !).

فيقول (ماشي) ويعيد تعمير غليونة .

لكن السيارة لـم تجئ لأخذ منصور فرجام حـتى الثامنة والنصف حين كنت على أهبة الانطلاق . اتصل مرتين بمكتب جهان بيكلري ، وأبلغه بيكلري في المرة الأولى أن السيارة كان عليها أن تقل رجلاً آخر من فندق الفجر ثم نسي السائق أن يصطحـبه بعدها . وفي المرة الثانية قدم السائـق ولم يستدل على العنوان . وفي الاتصال الثـالث قالوا له أن بيكلري في اجتـماع لمناقشة الميـزانية وعليه بعـد عبث الانتظار لمدة ساعـة وخمس وأربعين دقيـقة يقرر أن يسـتقل معي سـيارتي بما أنني متجه إلى نفس هذه المنطقة حيث شركة النفط .

شارع آية الله منتظري منير وتملؤه الحركة والنشاط والحياة والعمل من بدايات النهار ، ونجتاز شارع بختياري شمالاً ونعبر من أسفل نفق

الجيش تجاه خرم كوشك ثم إلى شارع (نيو سايت) أو فدائى الإسلام والمبانى المؤلفة من أربعة طوابق مقار شركة النفط فى الجنوب التى كانت تتبع يومًا ما الشركة الرئيسية للنفط . يبدو لى منصور فرجام هادئًا وسعيدًا ويتفرج على المدينة ويسألنى عن هذا الموضوع وذاك البناء . لم يتغير هذا الجزء من المدينة عن حالته منذ ثلاث وعشرين سنة حين كنت موجودًا فيه . أغلب العرب والعرب الإيرانيين والإيرانيين يتزاحمون أمام المحلات ويتحركون داخل الشوارع وتتصاعد جلبة المرور . لكن المنطقة المواجهة لخرم كوشك والمدرسة الفنية الصناعية لشركة النفط هى التى زادت اتساعًا وضخامة وهذا التغيير بدوره فيما يبدو كان آخر المنجزات للنظام السابق .

وفى فناء انتظار السيارات التابع للمبنى المركزى الذى كان مقر الرؤساء السابقين لإدارات الشركة أقرر أن أصعد وألقى التحية على الرفاق القدامى الذين ظلوا فى عملهم بشركة النفط لعلى ألتقط منهم خبرًا أو معلومة عن ابن مطرود .

يقف الحرس المكثف على باب الدخول الأساسى وتحمل الصور واللافتات الكبرى الفلسفة والنموذج الجديد لشركة النفط مثل (البلاد ملك للفقراء) و (السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين) و(نحن صامدون ولو دامت هذه الحرب عشرين سنة) و(أختى إن حجابك أشد فتكًا من دمائى - شهيد) . ملأ مكبر صوت قوى جميع الصالات والممرات بصوت تلاوة القرآن الكريم . تغطى تقريبا جميع أوجه الجدران والأعمدة من أسفلها لأعلاها بالصور الملصقة وصور الشهداء وعليها زهور شقائق النعمان بحيث بدا أن المبنى كله قد وقف على أكتاف أصحاب الصور . مايزال كارنيه عملى بشركة النفط معى

لكن منصور فرجام لابد أن يمر بتفتيش الأمن . على أية حال تعرضنا نحن الاثنان للتفتيش الذاتى . والآن إلى من من المسئولين نتجه ؟ الأخ بيكلرى ليس على مكتبه . وندخل بعد لف السبع لفات المرهقة على موظفى الاستعلامات والأمن والاتصال بالرؤساء الأعلى والأدنين فى النهاية إلى مكتب عباس طاعتيان الذى صار الآن الرئيس العمومى للكوادر وتعليم الموظفين وتأمين القوى العاملة فيتعرف على ويقول أنه ينتظر قدوم منصور فرجام . وهو على أية حال رئيس بيكلرى ومكتبة فى الدور الثالث غرفة ٣١٥ . وفى الممرات الطويلة للطابق الثالث تحولت أرضيتها المصنوعة من اللينوليوم الأجنبى إلى حال مزرية بسبب السير المستمر للإخوة الملتحين المتحذين أحذية شبه عسكرية . وتنزلوا بين الحين والآخر من هذه الغرفة إلى تلك الأخوات المتشحات الأردية السوداء والخمارات الإسلامية المتشددة المتزمتة أو ينتظرن المصعد المكتوب بأعلاه (خاص بالإخوان) .

وفى الغرفة الحاوية لمكتب أصغر والتى يبدو أنها لسكرتارية مكتب الأخ طاعتيان انشغل أخان شابان يواجه أحدهما الآخر على مكتبين صغيرين فى أمر عظيم . علق على بابها وجدرانها الصور واللافتات الكثيرة عن الحرب والاستشهاد وصور الشخصيات الدينية التى استشهدت . كان أحدهما كثيف اللحية والآخر نبتت لحية خفيفة بأسفل ذقنه وشارب فوق شفته . ولاتزال آثار خبز الإفطار والبيض المسلوق ظاهرة على مكتب الأخ الكثيف اللحية فضلاً عن مذياع صغير . يدخلاننا إلى مكتب طاعتيان وحين يرانا طاعتيان المتأنق الحسن الهندام ويفهم مالحق بمنصور فرجام من البارحة حتى الآن من إزعاج يخفى ضحكة مكتئبة ويظهر تأوهًا آسفًا . جلس طاعتيان على

مكتب كبير جدا فوقه ثلاث تليفـونات ومنفضة سيجار ضخمة ولاشئ يذكر آخر . لايزال طويل القـامة حسن المظهر وغـضًا ورائقا ويرتدى معطفًا وسروالاً إنجليزى الصنع رخيصًا وقـميصًا أسود ذا نقوش مربعة صفراء وطبعا بلا رباط العنق وشعـره خشن طويل يخالطه البياض كان مدرس لغـة سابقًا يدرس الإنجليزية فى المـعهد العالى للتـدريب التابع للشركة فى شارع (آغا جـارى) ووصل إلى منصبه الحالى تدريجًا . وهو فى ذاته إنسان سهل متهاود ومـتماشٍ ومنبسط ويعرف الآن جيدًا كيف يتـعامل مع الإخوان . يجلسنا ويتصل تليـفونيًا فيـأتون بالشاى وينهض بنفسه من مكتبه ويأتى ويجلس بجوارنا . وحين يسمع حادثة البارحـة فى فندق الفجـر وانتظار فرجـام سيارة الشـركة سـاعتين فى صـبيـحـة اليـوم يأخـذ فى شتـم بيكلرى وذمـه الذى بدافع (بخله الشخصى وتدقـيقه الشديد) يخـصص سيارة واحدة فى خـدمة أربعة أشخاص وذلك لكى يظهر للأخوة الأعلى أنه يقتصد فى ميزانية الأمة وبيت المال . يخلط ألف أمـر ويمزجـها ببـعضـها . كنت قـد رأيت طاعتيان فى المناطق المنتجة للنفط بين الحين والآخر لكننا لم نعمل سويا ، وهو الآن يرمقنى أكثر من نظره إلى فرجام . وأفهم بعد ذلك أنه ليس له دخل فى برنامج إحضار فرجام وليس له إهتمام بهذا الأمر وأن هذا البـرنامج قد خطط له بين الحـاج أغا لـواسانى وبيكلرى رئيس قـسم شئون التعليم الإدارية .

أقول بود لطاعتـيان : (الخلاصة إن الدكتـور تعب البارحة وهو فى فندق الفجر الذى يتبعكم ، لكن الدكتور تغاضى عما حدث ولم يعترض عليه فأعطه اليوم مكانًا محترمًـا) . ويضحك طاعتيان (على عينى ، مامن

مشكلة . . No problem . . حاضـر) ثم يسألنى متـضاحكًا (أين أنت الآن ياسيد آريان ؟) .

- (فى هذه النواحى والأنحاء) .

- (أهلاً وسهلاً ومـرحباً) . درج بمكتبه مـفتوح وأرى بداخله لأنى أجلس على مقربة منه - ... - بضعة أشرطة فيديو .

أقول له (انظر . أهتم بصـديقنا ، اعمل له عقدًا مـجزيا وأنزله فى مكان مريح وإلا احترقت بنار غضب الله) وأشير إلى لافتة عليها (كلمة الله) . وأتذكر أن الدكتور دافيد جونسون رئيس الكوادر كان يجلس على نفس هذا المكتـب منذ سنوات قليلة مضت وكـانت وراءه صورة ضخمة للشاه على نفس الحائط .

ويرتفع ضحك طاعتيان (حاضر ، على عينى . . No problem . . مامن مشكلة) ثم يقول (كنت بالصدفة أتحدث صبيحة اليوم مع حاج لواسانى نائب مدير القوى العـاملة . كل شئ حاضر . المبنى المركزى جاهز . كيف تحـملنا ياسيدى من متاعب لأخذ هذا المبنـى وتجهيزه ؟ على عينى حاضـر . .) ويدق تليفونه فينهض إلى مـكتبه ويرد وحين تنتهى مكالمتـه ينظر إلى فرجام ويفرك يديه (كـان مكتب لواسانى . . يسأل عنك . نحن نحسب الثوانـى منذ أيام فى انتظار قدوم ساعدتك . واتصل الآن الأخ المسئـول عن شئون السـفر بأعلى وقـال إن لواسانى يبحث عنك من عصر أمس حتى اليوم . نشرب الشاى الآن مع آريان بيه ثم أصـعد معك لفوق) ويهم فـرجام بالكلام لكن طاعتـيان ليس لديه وقت للاستماع ، فـيرفع سماعة التليفون ثـانية ويبلغ أولاً بسيدة اسمها الأخت مقدم لتـبحث عن بيكلرى وتجده وترسله بأسرع مايمكن

إلى مكتبه ، ثـم يستفسر عن المشـروع الفلانى وعن موعد الاجـتماع الفلانى، ثم يتـصل بمكتب لواسانى بأعلى وبعـد أن يوصله سكرتيره واسمـه الأخ شوشتـرى به يتبادل مع لواسـانى التحيـة ويقول (الأخ فـرجـام شرفنـا بوصوله وهـو الآن فى مكتـبى ، وأنا آتٍ إليك حين تأمـرنى ، رءوس الموضـوعات . . نعـم ، حاضـر ، علىّ عـينى ، ماشى. بعد عشر دقائق مناسب ؟ حاضر ، على عينى . .)

أنهض وأضغط على يد فرجام مودعا ،أحرك يدى لوداع طاعتيان أيضاً . . فيشير طاعتيان بيده وحركة عينيه وفمه وشفتيه أن أظل دقيقة . فأعـود إلى فرجام وحسب لأقـول له (حين يُوَقع اليوم عقدك فـخذه وضعه فى جيبك) .

- (حاضر) يبتسم ويومئ بعينه .

- (حين تصعد إلى الحاج لواسانى قله له أن يوقع عقد توظيفك أولاً لكى تتضح الأمور) .

- (على عينى) .

- (حسنًا ، وفقك الله) .

فيرد بالإنجليزية (شكراً على كل شئ) .

- (سوف آتيِ بنفسى لك وأنقل أمتعتك) .

- (حاضر ، وشكرا لك) .

- (وفقك الله) .

- (كُلّه على الله ، ويقبلنى مودعًا وشاكراً . هو وحيد فى تلك

اللحظات القليلة لكنه يبـدو سعيداً ومتـماسكًا وقويا . . وضـعته فى أيدى رجال أخيار وجميعـهم بحاجة إليه وكانوا ينتظرونه من فتـرات بل حتى إنهم يبدون له الطاعة والمداهنة .

ولايزال طاعتيان يقول خلال التلـيفون (حاضر . . على عينى) حين أخرج فيـضع يده على صدره فى تعظيم مختـصر لى ، ثم يرفع يده مودعًا بطريقة أنيقة ، دافيد جونسون لم يكن بمثل هذه الأناقة .

داخل الممر أرى من بعيـد جسمًا ممتلئا وقصـيرا بمعطف وسراول سبـور متداخل غـير مكوى يحمل بضع ملفـات ويأتى متهـملاً . أنه حسين جـهان بيكلرى الذى لايمكن تجاهله حتى داخـل دروب صحراء الحشر . ومع أنه لم يتـبق على رأسه من شعره المجعـد السابق الأقذر من الزغب المنتصب الآن لكنه هو بلحمه وشـحمه . أحاول أن أخفى وجهى عنه لكن بلافائدة .

- (السلام عليكم آريان بيه . . ياسـلام . . مشتاق لرؤيتك . . أنت أستاذنا الوفـى العالى . . رئيسنا . . نور أعيننا . . سـيدى تعال أقبلك وألثم وجهك) يحتضننى وينثـر على وجهى قبلاته (عزيزى . . سيدى . . وحشتنى . . آه . . كيف حالك ؟ أين أنت . . لم لا أراك أيها الانسان الطيب ؟)

- (السلام عليكم ، كيف حالكم ؟)

كنت أعرفه معرفة أقل من طاعتيان . . كان حسين جهان بيكلرى موظفًا بسيطًا فى إدارة التعليم والكوادر بشركة النفط فى النظام السابق ولما كان بدلاله السخيف مـرة وبشراسة أخلاقه مرة أخرى يثـير الجميع فلم يمسك رئاسته لكنه الآن صار رئيس قـسم بسبب خبرته الإدارية .

فهو على النقيض من طاعتيان ، المهذب المهندم الظريف ، بدين غير مهندم غاضب ومثير للأعصاب . يحاول الآن أن يتحكم ضاحكًا فى الملفات والحاجات تحت إبطه لكن رأس ساندويتش ملفوف فى ورقة ظهر من بين ملفاته .

(مازلنا أحياء . الحمد لله . . ببركة معاليك . على الذهاب إلى مكتب طاعتيان . هل تتذكره ؟ أمامنا اجتماع . ثم أذهب إلى مكتب الحاج لواسانى . حسنًا ، سعادتك بخير إن شاء الله ؟ أموركم ماشية بعون الله ؟ المدام والأولاد بخير إن شاء الله ؟ هل هم بالخارج ؟)

- (فَرْمِلْ يابيكلرى بيه . .)

كان الإخوة والموظفون العابرون بنا يلقون إليه السلام والتعظيم لابد أن أموره ماشية . يضحك (أنا أحب كل أصدقائى وسادتى . . سعادتك ماذا تفعل هنا ؟ آريان بيه سمعت إنك . .)

- (نعم ، استقلت) .

- (من هذه الشركة ؟) وتدور عيناه بسرعة .

- (أتيت ،وأحضرت لكم موظفكم وسلمته لطاعتيان) .

- (موظفنا ؟) .

- (دكتور منصور فرجام) .

- (هل أنت أتيت به إلى هنا ؟! وسلمته لطاعتيان ؟ إذن لماذا لم يأت بالسيارة التى أرسلتها له ؟) وماتت فجأة الضحكة من فوق شفتيه (ما أعجب تصرفاتهم ، ألم يأتوا حتى الآن ! ألم أرسل ثلاث سيارات ؟) .

- (اسمـــع . . تعطـل الرجل ساعتين وهو ينتظر السـيارة ولم تأت واتصل ثلاث مرات بكم وكنت آتيا إلى هذه المنطقة فاصطحبته . ولم يحجزوا له البارحة فى فندق الفـجر وكانوا قالوا له فى طهران إن فندق الفجر . .) .

(فندق الفـجر ؟) تقلص وجهـه إذ ذاك حتى بلغ إتسـاع ثقب رصاصة رشاش .

(من قال فندق الفجر ؟)

- (قالوا فى طهران فندق الفجر) .

- (دعك من طهران نحن الذين نخطط هنا ونحن الذين ندير . جهـزت له شقة . أنا لا ألعب ، شـقة ممتازة ، صناعـة هولندا . بها ثلاجة والغاز الطبيعى والتليفون . فما هذا فندق الفجر الآخر ؟)

- (حسنًا كان يمكنكم كما قيل له فى طهران وصدرت تعليماتهم له أن تنزلوه ليلة فى الفندق ثم تنقلوه إلى الشقة أو على الأقل تبلغونه بألا يذهب إلى فندق الفجر) .

- (لماذا فندق الفجر ؟ ولماذا نضيع مال بيت المال ؟)

- (مع السلامة يا أخى) .

- (إلى أين يا آريان بيه . . تفضل يا أخى كوب شاى أو عصيراً أنا تحت أمرك) .

- (كرمك ممتد وزائد لكن أهتم بالدكتور فرجام) .

- (سعـادته على عينينا ورأسنا ونور أبصـارنا . بإذن الله تعالى

تدور عـجلة هذا البـلد بهـمـة هؤلاء الإخـوان وأمـثـالكم ، إن هذا لايحتاج إلى توضيح وشرح) .

- (أستـودعكم الله ، وأصافـحه . وحين ألف أصطدم تقـريبا بإحدى الأخـوات امرأة مسنة ونحيـفة ترتدى بالطو فضفـاضًا وبنطالاً ضافيًا واسعًا أسود وحجابًا غطى حـتى أعلى حاجبيها . منحنية القامة وتحمل أكـثر من عشرة ملفـات مغلقة بالجلد السمـيك كانت متـجهة لأعلى أو للأمام حين ضربت ملفاتها بطنى . تـبدى اعتذارها وأعتذر أنا أيضاً ويبتسم كلانا تبدو مألوفة لدىّ مما يظهر من قامتها ووجهها . تنظر هى أيضًا لى .

تقول (ألست سيادتك . . سيادتك آريان ؟) .

- (بلى) .

تجعلنى أقف ، تحـرر يدها وتزيح حجابهـا المربع قليلاً من أعلى عينهـا الزرقاوين (ألا تعرفنى ؟ حين كنت تعـمل فى المهارات Skills كان زوجى رئيس إدارة التعليم) وأدقق النظر فى وجهها وأحرك رأسى .

- (أنا السيدة شايان) .

- (شايان ؟) .

- (نعم أنا هى) .

- (السيدة كوروش شايان التى . .)

- (أنا أعـمل الآن باسم السيـدة جزايرى الذى كـان الاسم فى هويتى ولايجب أن يذكرنى أحد باسم كوروش شايان) .

- (يالها من مصادفة !) .

- (أجل يالهـا من مـصادفـة !) ثم تقـول (هل تركت تعليم المهارات إلى عبدان ؟) أجيب بالإثبات .

- (وكيف حالكم ؟ هل عدت وجئت إلى هنا ؟) .

وأجيب بالنفى . وتتساءل بعينيها إذن فماذا تفعل هنا ؟

- (أُعَزّل فقط) . وتضحك .

أنظر بتدقيـق شديد فيما يظهـر من وجهها (العـفو . . تفضلى بإعطائها لى . . ربنا يعطيك العافية) .

- (ليست ثقيلة . . حجمها كبير فقط . . ملفات عفا عليها الزمن).

مريم شـايان دراسات عليا فى الاقـتصاد والمحاسـبة من جامـعة هارفارد وكـانت يوما سيدة عـاملة فى غاية النشاط فى المقـر الرئيسى لشـركة النفط صـارت الآن بوجـهها النحيـف والباهت وبلامكيـاج والمحـجب والمقنع كأنها مخلوق ممسوخ خرج من وجودها . أسألهـا (أين تعملين الآن ؟) .

- (لا أعمل شـيئا . حـولونى إلى قسم التوظيف ليـحددوا لى عملاً . . أو) وتشير إلى باب الخروج .

- (هل حديثك مع الرجال يشكل لك مشكلة ؟)

- (لا ، أى مشكلة ؟).

- (لاأريد أن أسبب لك إزعاجًا) .

- (لا، لا إزعــاج . . هل يمكن أن أساعــدك بشئ ؟ لن أتعب من عمل شئ لك) .

- (هل أنت واثقة ؟)

- (تقريبا) .

- (بالصدفة لدى أمر مهم . هل تعلمين مع الدكتور ناجى ؟)

ونتحرك تجاه مكتبها .

(أجل ، فيمــا يتصل من أعمالــه بميزانية وزارة الصحــة وصحة العاملين المضارين بالحرب الجرحى التابعين لهذه الشركة . . وهو يعمل كذلك للمؤسسات) .

أفضى لها بأشيــاء عن إدريس ولد مطرود العامل السابق لدى فى عبــدان . ونحن نصل مكتبهــا تدخل هى حجرة أخرى داخل حــجرة وتضع الملفــات فــوق مكتب . جلست فيــها امــرأة كبيــرة الســـن وبنت نحيفة جداً تعــمل على آلة النسخ . كأن المرأة الكبيرة فى حدود الخمسين وتخطو إلى السبعين وعــاملــة النسخ كأن المـــرأة الكبيـــرة فى حــدود الخمــسين وتخطو إلى السبــعين وعــاملة النسخ كأنهــا فى الخــامســة عشـر وتخطو إلى الســابعــة . وتجلس مـريم شاـــيــان أو جزايــرى على مكتـبها . ويســقط شعاع من نور الشــمس من خلال ركن ستــارة النافذة الواقية من الشــمس فيظهر وجهــها أكثر وضــوحًا وأكثر تحطماً . لاأزال أشرح عجزنا عن العثور على ابن مطرود وأتيت إلى الأهواز لأرى هل يمكننى عمل شئ له . فــتسألنى (وأين مطرود الآن ؟ ألا يزال حيًا ؟)

- (إنه يتنفس ، فى طهران ، عندى) .

- (هل معك رقمه الوظيفى ، أو هل تتذكره ؟).

- (لم يعمل قط فى الشركة . كان مطرود العامل الشخصى لى فى عبدان وكان يعمل بستانيا عندى . وبقى ابنه فى عبدان حتى ذهب للتطوع) .

فتقول مريم شايـان (إذن فلن تضمه قوائمنا ، ولابد من البحث عنه فى قوائم المتطوعين والجنود) .

- (كنت أفكر فى هذا . قلت ربما يعطينى الدكتور ناجى بداية خيط) .

- (سوف أعطيك عناوين لأفضل الأماكن لكى تبدأ منها) .

- (مـرسى . المفـروض أن يعطينى الدكـتـور يار ناصـر بعض العناوين فى الحادية عشرة) . لاتتـحدث بصوت عال وعلى أية حال فإن آلة النسخ التى تعمل عليها البنت الصغيرة النحيفة تصدّر صوتًا عاليًا .

- (الدكتور كريم يار ناصر ؟) .

- (إنه هو) .

- (من أين تعرف الدكـتور يار ناصـر ؟ إنه صاحب المنزل الذى أسكنه . طبعا المنزل تدفع شركة النفط إيجاره) .

- (قضـيت البارحة فى منزله . نحن أصـدقاء منذ سنوات . . أتيت من طهران وذهبت إلى منزله . وذكرناك البارحة بالخير) .

- (إذن فلماذا قلت عندما رأيتنى يالها من مصادفة) .

أنظر إليهـا وأهز رأسى . أشعر من موضع بمخى أن هذا المـشهد كان من المـفروض أن يحدث الـيوم . فأقـول (حين كنت تتـحركين بجبل الملفات القديمة أمكن حدوث المصادفة) .

- (ألم أسبب لك الألم ؟) .

أطمئنها أنه لم يحدث شئ ثم أقص عليها موجزا عن الدكتور فرجام الشاب الذى اصطحبته بسيارتى وكانوا يريدون استخدامه بعقد لتأسيس مركز الكمبيوتر . وأقول ربما يصح أن تتعاونا معًا فلا تجيب بغير (حسنًا . .) .

وتعطينى العنوانين المكتوبين على قصاصة ورق منفصلة ويدها النحيفة البارزة العظم كأنها قبضة هيكل عظمى . وأسألها (وكيف حالك ؟) فترد (حياة وتمر) وتخفض بيديها حجابها الذى كان ارتفع قليلاً من فوق حاجبيها (كنت أعمل يومًا فى الكمبيوتر بشركة النفط) .

- (أتذكر هذا) ثم أسألها (كيف حال ابنك ؟ أتذكر أنك وكوروش أنجبتما ابنا ، أليس كذلك ؟) .

- (بلى . . إنه لايزال فى إنجلترا) .

- (وهل ترينه ؟) .

تهز رأسها (لايسمحون لى بالسفر بعد موضوع كوروش) .

- (أحواله بخير ؟ معتدلة ؟) .

- (معقولة) .

- (بقيت أنت هنا تعملين وترسلين إليه نفقاته الدراسية ؟)

- (ولم أره من ستة أعوام وله بنت ولدت حين كان كوروش محبوسًا ولم أرها قط ، سنها ستة أعوام الآن) .

- (إنها حياة وتمر) .

- (أجل حـيـاة وآخـرها الموت) انهـض (حـسنًا . . أشكرك واستودعك الله) .

- (سعيدة إذا استطعت معاونتك . . يحدونى الأمل أن تجد هذا الولد صحيحًا معا فى) .

- (مرسى) .

- (هل أنت عند الدكتور ؟) تصحبنى حتى الباب .

- (ليومين أو ثلاثة . .)

- (ثم تعود إلى طهران ؟)

- (إذا شاء الله) .

- (اسمع . المفـروض أن يشرفنا الدكتـور مساء الغـد أرجو أن تشرفنا معه إذا كـان لديك فرصة . أخى وزوجته أيضًا سـيحضران ، فتعال أنت أيضًا وانضم لنا) .

- (شكرًا) .

- (شكرًا تعنى نعم أم شكرًا تعنى لا ؟)

- (شكرًا . . بمعنى لا أعرف ما أكثر لطفك . .)

- (ولم لا ؟ هل تتضايق من حفلات أعياد الميلاد ؟)

- (أنا ذاهب عند صديق جديد لأرى هل لايزال حيًا أم ميتًا)

- (اصطحب صديقك أيضًا معك . ألا تخشى ألا يشغل أحد بعد ذلك أسطوانة (مولدك - مولدك - مولدك هنيئًا به) . إنما نتجمع وحسب وننفث عن قلوبنا ، المهم هو أن نتجمع سويًا) .

- (حسنًا ، أشكرك على العنوانين اللذين تفضلت بهما على)

- (حفظك الله) .

- (سعيد حين أراك قوية الروح ومتماسكة) .

- (جلدى غليظ) .

- (بل لطيف وكامل) .

- (أبلغى سلاماتى) .

- (على عينى) .

وأطأطئ رأسى وأتجه إلى الممر . تقابل هذه الأيام كثيرًا أصنافًا وأنواعًا من الناس إما إنهم أرواح لطيفة أو أفاعى كثيفة ويتداخل بعضهم فى الآخر سواء فى وقت الحرب أو فى عهد السلام داخل الممرات أو خارجها .

- ٦ -

في منتصف شارع آية الله منتظرى أقف بالسيارة أمام الحديقة القديمة التى كساها الغبار والتراب لمستشفى جندى شابور . فى عصر ما ليس بعيداً كثيراً ولابد أنه عهد سلطنة ناصر الدين شاه القاجارى حين كان ينفذ المرحوم حسين على خان حاكم خوزستان (مساعيه) لإشاعة الأمن فى المنطقة وأنشأ الميناء الناصرى على ساحل نهر كارون فى أماكن مهجورة قديمة بالأهواز لخدمة تجار شوشتر ودزفول وأعلن حرية الملاحة للأجانب كانت هذه الحديقة تشبه غيرها من الحدائق أما الآن فلا . الآن إذا كان بها أىٌ نوع من التشابه مع الحدائق الحقيقية والأشجار والأزهار الفعلية فإن هذا التشابه من قبيل المصادفة تماماً .

الدكتور يار ناصر مشغول بعيادة المرضى فى القسم الداخلى وخارج مكتبه صخب وجلبة وحين تبلغه ممرضته بوصولى يغادر الدكتور تقريباً عيادته حاملاً معه بضع قصاصات ورق . لم يتذكرنى وحسب بل قام بالبحث على مراكز تأهيل المعاقين وتقويتهم الموجودة بالأهواز على أحسن وجه وعلى غير ما كنت أتوقع .

(تعال ياجلال ، هذه قائمة لمراكز تقوية المعوقين والجرحى وتأهيلهم بالأهواز التى كنت تريدها . .) ويعطينى القصاصات .

- (آه ، مرسى)

- (وهذا ما قدرت عليه . .)

- (أنا شاكر لك حتى تستغيث)

- (حسناً هذه الأوراق كفيلة بأن تشغلك يومين أو ثلاثة)

- (عظيم)

- (الغذاء بالمنزل فى الثانية بعد الظهر)

- (مرسى سيدى ، أريد أن أبحث فى هذه المراكز لأرى ما يمكن أن أفعله فلا يجب أن تنتظرنى على الغذاء)

- (كما تحب . على أية حال أنا بالمنزل فى الثانية . وتبدأ عيادتى من الثالثة حتى السابعة أو الثامنة)

- (إذن سأراك فى الليل)

- (موفق إن شاء الله)

- (متشكر جدا)

- (لاترهق نفسك واعتن بنفسك ، ابحث عنها على أقل من مهلك . أرح نفسك . لا تنس أنك على المعاش)

- (حاضر)

- (هل ذهب صاحبنا إلى علمه الجديد ؟)

- (اصطحبته بنفسي وتركته وسط دود العلق)

- (هاته معك بالليل لكى نجتمع معاً)

- (سوف أرى ، شكراً ، حسناً لن أهدر وقتك)

- (فى أمان الله)

جميع العناوين التى معى تقريباً على الناحية الأخرى للنهر . فعلى الورق قائمة كاملة لمراكز التأهيل بالأهواز وأطرافها وعناوينها وأرقام تليفوناتها . أمام بعض المراكز وضعت علامة استفهام وكتب (يستبعد أن يكون بها مرضى ، لأنها للكشف العام) ووضع خط تحت بعض منها وكتب أمامها (تابع لشركة النفط) أو (تابع للجيش) أو (تابع للمتطوعين) أو (تابع للحرس الثورى) . وذكر أمام بعضها كذلك (عيادة خاصة) . أما مركز التأهيل والتقوية التابع لمستشفى جندى شابور فيقع فى (أمانية) بشارع خيابان . أما مستشفى الجيش بأسفل كوبرى السكة الحديد فهو مركز تأهيل يضم نحو مائة وخمسين جريحاً ومعوقاً . ومستشفى الشهيد بقائى المخصص للجنود والمتطوعين فى كمبلو أكبر المراكز جميعا ويضم نحو ستمائة جريح ومعوق . وفى (كيان پارس) يقع مركز تأهيل المعوقين واسمه مركز الشهيد الدكتور فياض بخش ومن المحتمل أنه خاص بالكشف العام فقط . وتقع مصحة خلف مقر تعمير وتجديد المناطق التى خربتها الحرب فى خوزستان وهى مستقر لنحو ألف جريح ومعاق . ومركز الهلال الأحمر بخوزستان ومؤسسة شئون المضارين بالحرب له مصحات وعيادات فى الجهة الأخرى للنهر خلف ميدان الشهيد جواد أفشارى أو أبو بلال (ميدان الثلاث بنات سابقا) وكل منها يضم نحو أربعمائة معاق وجريح . ويضم مركز التأهيل ومصحة شهيد سجّاى فى شارع كوت عبد الله بالقرب من مقابر الأرامنة نحو ألف ومائتى معاق وجريح . ويمركز تأهيل الشهيد بهشتى فى شارع (نيوسايت) التابع لشركة النفط نحو مائة وعشرين معاقاً وجريحاً

وبصحبة الدكتور شامل خمسون معاقا . أقرر أن أبدأ بمركز الهلال الأحمر بالأهواز الواقع بالطرف الآخر من الكوبرى المعلق خلف مبنى المحافظة .

وفى وسط الشارع يجرى استعراض عظيم وطويل للأخوة المرتدين زى المتطوعين وهم ذاهبون إلى الجبهة يدقون صدورهم ويلتهبون حماساً وينشدون أناشيد تفيض حماساً :

من أجل الحفاظ على الشرف نتوجه إلى الجبهة

نبحث فى الجبهة عن ارتقائنا وعلائنا

الموت لأمريكا

الموت لأمريكا

كل منهم عقد شريطا أحمر على رءوسهم كتب عليه (ياكربلاء نحن إليك قادمون) أو (لبيك ياخمينى) أو (الله أكبر) أو (يا أبا عبد الله) ووقفت بعض سيارات التويوتا واللاندكروزر العسكرية المجهزة بمكبر صوت تدعوهم لاتباع التعليمات ومتابعة الفدائيين بنظام وبساطة خاصّين . بينهم أولاد تحت العشرين وطاعنون أشايب فوق السبعين والثمانين كأنهم خلاصة لكافة القرى والمناطق والمدن الإيرانية . أقف وأتفحص صفوفهم لعلى أرى إدريس وسطهم !

رغم أنف العدو الباغى نلبى نداء الوطن

سعياً لفتح كربلاء نتقدم إلى الجبهات

الموت لأمريكا

الموت لأمريكا

وبعد ربع ساعة من تحرك العرض العسكرى أدير سيارتى وأغوص فى مرور مزدحم وأسير من ميدان الشهداء وأعبر الكوبرى المعلق وبعد دقائق عديدة أقف بجانب الرصيف المتسع للقائد الشهيد جمران أمام الهلال وأتقدم نحو مكتب الاستعلامات والأمن المجاور للبوابة الحديدية والحديقة التابعة للمبنى . ويتعالى صوت أذان الظهر من مكان بآخر الغناء الكبير للمبانى المتعددة . وبداخل مكتب الاستعلامات والأمن انشغل رجلان بتناول الغذاء .

ألقى عليهم بكل مودة واحترام السلام وأسالهما (أين أيها الأخوان القسم الخاص بتأهيل المعاقين وعلاجهم ؟) السياسة العامة هى أن الموظف المشغول بتناول الطعام على مكتبة لاينبغى مطلقا أن تشغل تفكيره .

أحدهم سألنى بلطف (أى قسم ؟)

- (قسم تأهيل المعوقين ورعايتهم)

فيرد الآخر (لا . . .)

يتناولان من داخل صينية أرزاً باللحم مع الخبز والكوكاكولا

أقول : (أليس لديهم مركز إكلينكى تأهيلى ؟)

- (لا)

- (قال الدكتور يار ناصر أنه موجود هنا) .

يقول الأول وهو يضع لقمة كبيرة فى طرف فمه (لماذا لا ياعباس . . كأن لديهم هناك مبنى . . يكشفون عليهم فيه)

أقول (يمكن أن يكون هو هذا المبنى)

- (يأتون بالمعـاقين والمشلولين ويكشـفـون عليـهم أو يعطونهم الكراسى وعصّى الإبط).

- (نعم . تمام) ويقول الأول (لكنهم لا يحجزونهم)

- (ألا يمرضونهم)

- (ليس لهم قسم)

- (هل يمكن أن أدخل وأنظر ؟

- (هل لديك تصريح ؟)

أشرح له موجـزاً عن إدريس ابن عامل كان من أصـدقائى وكان مع المتطـوعـين فى عـبدان ويـبـدو أنه جـريح وأسكن فى مكان مـا بالأهواز . ينظران إلى بعيـون مفتوحـة والأرز باللحم يملأ فميـهما . لايعتقدان أننى فقدت كامل عقلى أو أننى مجنون قليلا ، لماذا

يقول الثانى (ليس هنا)

- (يمكن أن ألقى نظرة ؟ أين قسم التأهيل ؟)

- (ليس هنا)

يقول الأول (هناك بالنهاية على يدك اليـمنى خلف المسجد) ثم يقول :(لا يحجـزونهم هنا ، إذا تقرر حجزهم يرسلـونهم إلى مركز الشهيد بقائى أو إذا تقـرر إعطاؤهم سكنا سفروهم إلى طهران) رجل طيب . بل لم يتوقف عن مضغ الطعام يمكن أن يكون من أهل عبدان

(تفضل .. لكنهم لا يحجزونهم هنا)

- (على كل حال أشكركما أيها السيدان ، حفظكما الله)

لكن معهما حقاً ، فالمركز ليس به غير قسم صغير ونحو ثلاث غرف للتأهيل والتقوية واستراحة أو مقر . وصالة وساحة مزدحمة نوعاً ما وبضع غرف بجانبها . فوق أحد الأبواب تحت لافتة (الحرب الحرب حتى النصر) كتب (تسليم الوسائل لا يتم بغير شهادة) . وعلى باب آخر تحت لافتة (الحرب الحرب حتى النصر) كتب (علاج بالأشعة الكهربية) . وكلا البابين مقفلان . جلس نحو أربعين أو خمسين مريضاً مقعداً وضعيفا هنا وهناك أو كانوا يتحركون أو مشغولين بالتدرب على استخدام العصى تحت الإبط وعصى اليد والأقدام الصناعية والكراسى بالعجلات . وفى أحد نواحى المصحة انهمكت بنت صغيرة جدا محجبة ذات عباءة فى ربط القدم الصناعية بركبة أحد الفتيان الملتحين . وبضعة نفر آخرون يجربون عصيهم التى تعقد بالعضد وآخرون يعقدون عصيّهم برسغهم . وآخرون يعاونون فى ربط عنق فتى صغير برابط العنق البلاستيك المحكم الأبيض . وفى أحد الأركان يقوم أخ يبدو صحيحاً معافى من موظفى القسم بتقديم مساعدته . يشرح طريقة استخدام كرسى يتحرك على عجل جديد لولد فقد ساقه .

أتقدم وألقى التحية واستفسر من الأخ عن الموظف المسئول عن المكتب والشئون الإدارية هنا .

(السلام عليكم تحت خدمتك)

- (هل لديكم هنا قسم لحجز المعاقين واستراحات لهم ؟)

– (لا يا أخى)

– (لم يكن عندكم مثله سابقاً ؟)

– (لا ، هذا القسم افتتح حديثاً منذ عام واحد . نكشف عليهم وإذا كان لديهم تصريح أعطيناهم وسائل الحركة ثم يغادرون)

– (أين مصحات المعاقين واستراحاتهم هنا ؟)

– (ليس لدينا شىء منها . . لكن يوجد واحـدة فى شارع كوت عبد الله بأول منعطف طريق خاكستان) .

– (هنا فى هذه الجهة من النهر ؟)

– (هناك أغلب مـراكـز التأهيـل لكنهم لا يحـجزون أحـداً إلا مستشفى الشهيد بقائى الذى يحجزهم)

– (نعم سمـعت هذا) وأصف له شكل إدريس فيقـول الشاب الذى سيتسلم الكرسى (كان جنديا أم متطوعاً ؟)

– (متطوعاً)

– (من أى جبهة ؟)

– (لا أعرف لكنه كـان فى عبـدان . يقول أبوه كـان فى العام الماضى فى مثل هذه الأيام فى عبـدان وأصيب فى أوائل الربيع الماضى ثم أتوا به إلى هنا. اعـتقـد أنهم كـانوا يقولون أنه أصـيب فى قدمـه ووسطه ولا نعرف عنه شيئا بعد ذلك) .

- (إذن فلـيس غير قـسم التأهيـل بمسـتشفى الشـهيد بقـائى أو مصـحة الشـهيد سـجائى أو أخذوه إلى انديمشـك أو ذهبوا به إلى طهران) .

- (متشكر جدا)

- (العفو)

وأسال الشاب المسئول (هل لديكم مكتب للقيد والحفظ)

يهز رأسه .

(ربما أتى هنا وأثبتوا اسمه وعنوانه)

- (لا يا أخى افتتح هذا المركز حديثـا . يأتون ومعهم شهادات ويأخذون وسائلهم وقسم تأهليهم لم يشتغل بعد لأن تجهيزاته لم تكتمل)

- (حسناً ، على أية حال أنا شاكر لك على معلوماتك)

- (العفو)

ويقـول المعاق الفـاقد ساقـه (إذا لم يكن فى مـصحـة الشهـيد سجائى فقد أخذوه إلى طهران).

- (. . . حاضر أسأل عليه هناك)

- (موفق إن شاء الله)

كرسيه معدّ ويعاونه من يساعده فيدفع به إلى الأمام ويسحبه إلى الخلف أتذكـر منصور فـرجـام لو كان هناك لاسـتطاع أن يلتـقط بآلة تصويره الكمبيوترية صوراً لأجل شركته الأمريكية .

- ٧ -

أتعرف بساعة قيادة فى هذه الناحية من النهر على أماكن أغلب المراكز التى تقع فى هذا الجزء من المدينة حسب القائمة معى باستثناء (مستشفى الشهيد بقائى) الذى يقع خارج شارع كمبلو ويبتعد كثيرا عن وسط المدينة و (مصحة الشهيد سجائى) الذى يقع فى الناحية الأخرى للنهر . بعد الظهر بقليل دخل أغلب الأقسام الإدارية للمستشفيات ومراكز العلاج فى حالة من التلكؤ والعطلة والأهواز هذه السنة فى أوائل شتاء عام ١٩٨٤ جدّ عليها نشاط والتهاب . فهى عاصمة المحافظة المنتجة للنفط والذهب الأسود أو خوزستان التى صارت المنبع الأصلى ورأس المال القومى للبلاد فى السنوات الخمسين الأخيرة واشتعلت جميع حدودها الغربية والجنوبية فى حرب مع العراق حرب ربما ، كما يذكر الدكتور يا رناصر ، تزيد حتى نهاية الشتاء أواراً والتهاباً . والأهواز فى الحال الحاضرة هى التى تغذى كافة جبهات الغرب والجنوب سواء من ناحية الأفراد والمهمات أو من ناحية الاستعدادات . المؤسسات والقواعد والمستشفيات ممتلئة . ميدان السكة الحديد فى هذه الساعة بعد الظهر تخص بشدة بجماعات لا حصر لها من الجنود والأخوة من الحرس الثورى والمتطوعين الذاهبين والقادمين .

أرى فى هذه الناحية من الكوبرى المعلق المواجهة لمطعم الخيام (عزيز ريتونى) الذى يبتاع سجائر من كشك . أتوقف وأسأل عن أحواله . أنه هو نفس عزيز النحيف المقتول بوجهه اليابس وضحكته البريئة التى يتميز بها العرب الخوزيون ، نفس طلعته ذات الشعر

النزيز . . يتعرف هو أيضاً عليّ ويتذكر اسمى . كان عزيز من عشرين سنة عاملاً بعقد فى الشركة فى المدرســة الفنية الصناعية . واليوم بحد قوله أقالوه فـاشترى من كل الأموال التى اكتـسبها من الشركـة سيارة تويوتا ويشير إليها . سيارة تويوتا لبنيــة اللون نظيفة عليها أرقام مدينة الأهواز ويعمل بها لدى وكالة تاكسيات محترمة بجانب فندق الفجر .

أقول (دعنا أولاً نعرف هل تناولت غذاءك أم لا ؟)

- (لا يا أخى ، أنا ذاهب الآن إلى المنزل)

- (مطعم الخيام لايزال يقدم الدجاج المشوى المعروف)

- (آه يا أخى المهندس لم يعد مطعم الخيام كما كان)

- (ماذا يقدم الآن العصافير المشوية ؟)

يضحك وتظهر نفس أسنانه الصفراء .

- (تعال ياعزيز أنت ضيفى علــى الغذاء . نتناول شيئا وأريد أن أتحدث معك لأنك يمكن أن تساعدنى فعندى مشكلة)

- (على عينى يا أخى المهندس)

أوقف سيـارتى خلف سيارته ونذهب إلى داخل الصــالة الكبرى للمطعم التى يعمها الآن الصمت والسكون وتمتد على طول ساحل نهر كارون . نجلس ونوصى بالدجاج المشوى والبـيرة . ويظهر من خلال النافذة الـضخمـة المستـعرضة بلاج الشـهداء والنهـر والساحـة ومبنى المحافظة بل وجامعة جند يشابور على الناحية الأخرى من النهر .

حين افتتح مطعم الخيال فى الماضى كان له لون وشأن آخر . كانت الأهواز لاتزال صغيرة حالمة وكان لهذا المطعم ساحة فوق سطحه حين تجلس فيها وقت الغروب لا تسمع المدافع المضادة للطيران ولا تعرف ماهى البيرة . يسألنا الجرسون وهو يأخذ قائمة أصناف الطعام وباقى الطعام عن الأسطوانة المفضلة عندنا لكى يشغلوها لأن لديهم جهاز جراما فون داخل المطبخ . كان هذا المطعم يقدم لحم الخراف ومعه خمر (صحراء بوران) أو الدجاج المشوى وخمر (غروب بلاد الجبل) أو الأكارع وخمر (مرضية) .

يعرفنى عزيز كيف أن ابنه أرسل (بالإجبار) فى السنة الأولى للحرب واستشهد بالقرب من موقع(حميد) كما قتل أخوه داخل مدينة خرم شهر ويقيم لديه أولاد أخيه وأمهم حتى الآن بالأهواز . استفسر منه عن استراحات المعاقين ومراكز التأهيل . ليس لديه معلومات مؤكدة كأن مثل هذه الاستراحات والمراكز ليس لها وجود في الأهواز . لكنه يعرف المستشفى البعيد (الشهيد بقائى) ومصحة الشهيد سجائى فى شارع المقابر .يطلب أن يأتى إلىّ صباح الغد الساعة التاسعة أو العاشرة لمعاونتى ومصاحبتى للسؤال فى هذين الموضعين . يمتدح الخدمة كعهدة حين كان يأتى الجرسون بالشاى على صينية . أقول له (تصحبنى بشرط أن تتركنى أدفع أجرة تاكسيك كرجل منضبط المعاملة) .

– (ما معنى أوامرك هذه يا أخى المهندس ؟)

– (إذن انْسَ الموضوع يا عزيز .. أذهب لوحدى . أعتقد بما أنى لا أعرف بالضبط موقعهما فلابد أن أكون أعمى فأفضل طريقى وأتشرد ساعتين أو ثلاثاً)

- (حسناً يا أخى المهندس سوف أتى لكنك والله تؤذينى بهذه المعاملة) .

- (على أية حال أكون أكثر سعادة لو سمحت لى بأن أعاملك بهذه الطريقة) .

- (أنا تحت أمرك)

- (تستطيع إذ ذاك أن تدعونى للغذاء فى مطعم ما)

- (هذا مبعث فخرى) .

أعطى عنوان منزل الدكتور ناصر لعزيز لكنه يقول أنه يعرف لأنه أتى إلى عيادته أكثر من مرة بوالدته وامرأته وأولاده لأن يد الدكتور (ماهرة جداً وخفيفة) . ثم يقول (المرحوم شايان كان يسكن فى نفس المكان أيضاً . هل تتذكره يا أخى المهندس)

- (نعم سمعت ذلك ، كأن زوجته لاتزال فى نفس المنزل).

- (نعم هل سمعت بما فعلوه بهذا المسكين المهندس ؟)

- (لا أعرف على وجه الدقة .. لابد أن تقصّ على حكايته وقتاً ما) .

- (مسكين .. كم كان مهندساً فاضلاً)

- (حسناً ، إذن تعال صباح الغد حدود التاسعة أو العاشرة).

- ٨ -

حين أعود كـان الدكتور مـشغولاً فى عـيادته وعـبدى فى مطبخ الشقة . لايبدو الحـمام الساخن فى الحياة المتعبة أمـراً سيئا وأذكر أن الدكتور ركّب قـبل الثورة بانيو (سونا) . أسأل عبـدى بيه عن حال البانيو ووضعه فيقول حاله وحال الدش بحمد الله طيبة .

- (حسناً إذن آخذ حماماً)

- (قال الدكتور فى الظهر أن أنظف ثقب البانيو)

- (هل ماؤه ساخنة ؟)

- (ها ، إنه معد ، الدكتور جاء وضبط درجته وقال لاتزدها)

- (الدكتور نفسه يأخذ حماماً فى بانيو سونا كل يوم بعد العيادة ؟)

- (يوما نعم ويوماً لا)

- (حسناً سوف أخلع ملابسى)

آخذ أولاً دشا معتبرا ثم أتمدد نصف ساعـة فى البانيو وسعته متر ونصف فى متـر ونصف وله سخان غازى حـرارته نحو ست وأربعين درجة والبانيو جيد جاف وإن كان يفرز العرق لكننى أغوص فيه بسبب مابى من تعب فى حالٍ من الارتخاء والوسن .

أود أن أفكر فى أمر ابن مطرود وأعثر عليه سريعا وأعود به إلى طهران حيث أبوه وأختى فرنجيس أو أراعيه فى مصحة أخرى . لكن فكرى يموج أغلبه حول فرنجيس التى هى الآن وحيدة فى طهران وتعانى أشد أمراض الروماتيزم آلاماً . . ثم أتذكر فرنجيس منذ أيام بعيدة ، بعيدة جداً حين كانت شابة تفيض جمالاً وتتألق سعادة وتحيا فى حبور مع زوجها الدكتور نقوى فى المنزل ٤٠٢ فى حى (بريم) بمدينة عبدان ورزقا بثريا ويمتلكان أثاثاً ورياشاً فخماً . ثم تعاودنى الذكرى لحياتى ولتلك الأيام حين عدت إلى إيران ثم قدمت بعد فترة إلى الأهواز هذه وقت أن كان رئيس التعليم بشركة النفط هو السيد هوتمان الهولندى وأسعى إلى إعداد شقة ومسكن وهذا لم يحدث ثم أتذكر منصور فرجام وأين هو الآن وكيف يصنع مع شلة طاعتيان وبيكلرى تحت لواء لواسانى .

ويأتى صوت عبدى من الخلف (سيدى المهندس ، التليفون يطلبك) .

- (من ؟)

- (لا ياسيادة المهندس ، ترك رقماً لتطلبه فيما بعد)

أسأله (من المتحدث ياعبدى رجلاً كان أم امرأة ؟)

- (كان رجلاً ، الأخ المهندس هذا الأخ نفسه الذى جاء معك بالبارحة)

- (حسناً ياعبدى ، أنا آت حالاً)

أقفل الصنبور المغذى للبانيو وأنهض وجسدى يغمره العرق لآخذ دُشاً آخر وبعد أن أجفف جسدى وأرتدى ملابسى أدخل إلى الصالة .

يأتى عبدى بكوب من الشاى وآخر به عصيـر الليمون الطازج ومعهما رقم التليفون الجديد لمنصور فرجـام مكتوباً على قصاصة ورق . الرقم مكون من أربعة أعداد يعنى أنه استقـر فى نفس منطقة شركة النفط . أصب أولاً الليمـون الحامض فى الشـاى ثم اتصل برقم ٨ الذى يصل المدينة بمنطقة شركة النفط ، ثم أضـرب رقم فرجام . بدأت فى شرب الشاى حين يجيبنى بالانجليزية (Hello مرحباً)

- (السلام عليكم تحت أمرك)

فيقول (وعليكم السلام آمل ألا أكون أزعجتك)

- (لا ، كأنك استقررت ؟)

- (أجل ، وضعـوا تحت تصرفى فى نصف شقة من حـجرتين من عنبر هنا)

- (مبارك !)

ثم يقـول بعد السـؤال عن الأحـوال (قلت أتى لأنقل أمـتعـتى فكيف أرتب لأرى الدكتور وأشكره ؟)

- (أمر سهل ، تأتى فتناول العشاء معاً ، ثم أصحبك عائداً بك)

- (الأفضل ألا أزعجكم على العـشاء كما إنى كنت أود أن أبدأ تنفيذ مشروعين أو ثلاثة فقد وعدتهم أن أقدمها لهم بأسرع مايمكن)

- (المشروع فى وقـته . .) ثم أقول (أنا أعرف بالضـبط موقع العنابر خلف المبانى ذات الطوابق الأربعـة . . إعطنى فقط رقم عنبرك وشقتك وسوف آتى إليك)

- (لا أنا سوف أتى بنفسى مستقلاً تاكسيًا)

- (ماشى . . تعرف عنوان الدكتور ؟)

- (أجل) .

- أتحب أن أتصل لك بوكالة لتأجير التاكسيات ؟ بالقرب منا هنا وكالة تبع فندق رويال - استوريا - الفجر . . لدى واسطة معرفة فيها)

يضحك (لا ، أنا سأستقل بنفسى تاكسيا وأتى . أود أن أتعرف على هذه النواحى تدريجاً حتى أتعود على التاكسيات)

- (كما تحب ، تعال إذن)

- (أوكى)

- (هل وقعوا عقدك ؟)

- (لا حتى الآن . قالوا كتابة العقد ليس مشكلة ، لن يستغرق نصف ساعـة . لكن هنا إجراءات رسـمية إدارية لابـد أن تنفذ . ربما تستغرق يومين أو ثلاثة) .

- (أى إجراءات إدارية هذه ؟)

- (لا أعرف لكن بيكلرى قال لى اعتـبر يامنصور بيه أن قرارك كتب ووقع عليه)

- (اتفقت معهم على كم تومان راتباً شهريا ؟)

- (تقريبا عشرين ألف تومان صافى)

- (يعنى كتبوا هذا المبلغ بعد أن خصموا الضرائب وسوف تقبض من الخزنة آخر الشهر عشرين ألفا ؟)

- (نعم ، نفس ماذكرت)

- (حسناً ومبارك)

يدقق مرتين فى كتابته العنوان المضبوط لمنزل الدكتور ويضع السماعة . أنه يحب أن تكون الأمور كلها واضحة ومرتبة و (مدققة مرتين) .

- ٩ -

حدود الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة يأتى ويعتذر . ينشغل وهو يتحدث بلغة نصفها أوروبى وبلهجة انجليزية فى كتابة واعداد رءوس المشروعات والتعهدات ويبدو الدكتور ناصر غضباً منيراً لامعاً بعد أن أخذ دشاً وحماماً فى بانيو سونا . نجلس معاً ويأتى الدكتور ببقية زجاجة خمر الأفسنطين التى شربنا نصفها البارحة. يخلط بعضاً منها بعصير البرتقال لمنصور فرجام وتمضى ليلتنا فى سعادة . كان منصور هو أكثر من تحدث عن عمله ومشروعاته الجديدة التى تشبه (الكبسول) بحد قوله . طلبوا منه إنشاء وحدة لتعليم اللغة الاصطلاحية والتكنولوجية تتبع مركز تعليم اللغات والحرف والمهارات بالشركة - ويخطط لإنشاء مركز لتعليم الكمبيوتر وهو مركز جديد . ثم يسأله مازحاً الدكتور ناصر : هل التعليم باللغة العربية أم بالانجليزية يادكتور ؟ فيجيب مبتسما (الانجليزية بالطبع) . لكنه أخذ الواجب المناط مأخذاً جدياً كاملاً وهو فيما يبدو رجل جاد . وضعوا تحت تصرفه مبنيين كبيرين مؤلفين من ثلاثة طوابق قاموا بإعدادهما وتجهيزهما وبأعمال الديكور بهما . خصصوا الأصغر ليتعلم اللغة وذاك الأكبر لتعليم علوم الكمبيوتر . اقترح فرجام لوحدة تعليم الكمبيوتر شراء جهاز له نظام الستة محطات رئيسية من شركة يونيفاك أو جهاز الآى بى إم . ومع أن مقر هذه الشركات فى أمريكا لكن

فرجام على ثقـة من أن الحكومة الإيرانية يمكنها شراء أو استـئجار هذا النظام عن طريق شركة السلع النفطية فى لندن من شعبة الشركات فى انجلترا ووعده لواسانى بأن هذا الموضـوع يمكن تنفيذه . وتشمل برامج تعليم الكمبيوتر دورات مـختلفة لتعليم التخصصـات المختلفة وتشمل عمـوماً دورات التعـريف المبدئى والتشغيل وإعـداد البرامج مسـتوى مبتـدئى وإعداد البرامج مسـتوى متقدم ونظام التـحليل ثم النظام المعد للبرامج . وسرعـان ماتوضع الدورات الفنية أيضاً بـعد ذلك لتدريب وتعليم الكوادر المتخصصة على صيانة الأجهزة وإصلاحها .

وفيـما يخص تعليم اللغـة الانجليزية اقتـرح فرجام تنفـيذ الدورة المكثفة والكاملة لجامـعة ميشيجان التى كانت تدرس بنجـاح فيما يبدو فى كلية النـفط بعبدان ويوجـد مراجعـها وبعض وسائـلها المسـموعة والمرئية . ولابد من الحصول على سلسلة كتب Michigan Intensive Course أو المقرر المكثف لميشجا ثم تطبـع بايران وتنشر. ولابد من تأسيس معمل لغوى فضلاً عن الوسائل السمعية والبصرية منها وسائل تعليم القراءة السـريعة والفهم عن طريق السَّمْع وصـالة عرض الأفلام المجهزة بـبروجكتور ١٦ مليمـتر وفيديو بشـاشة واسعة ونحـو ثمانين شـريط فيلمى سـهل بالانجليـزية فى التخـصصـات الفنيـة والعلميـة والتكنولوجيـة والمعلوماتية . وكـافة فصـول الدراسة تجهز بالشـاشات التليفزيونية والوسائل السمعية ووسائل الاتصال المسموعة المتصلة بمركز إرشـيف المعـمل الـلغـوى . وعلى المشـتـركين فى دورات الـتـعليم المتخصص أى تعليم الكمبيوتر والعلوم والفنون والتكنولوجيا والتجارة والقانون الدولى وسـائل الأوبك إمضاء هذه الدورة المكثفـة فى عشرة أسابيع لتـعلم اللغة أولاً . وبعـد إنهاء هذه الدورة المضغـوطة بنجاح

يصعد الدارسون إلى الدورات المتخصصة الشاملة لدورة الأسابيع الخمسة المكثفة الأساسية (Basic) ثم دورات أطول . ويجب أن تعطى الأولوية من بين المتقدمين لأصحاب الشهادات الحوزيين أو المناطق المنكوبة بالحرب وبعد اختبار ومقابلة يشتركون فى الدورات . وعلى طول الوقت تزيد مراكز تعليم اللغة وتكنولوجيا الكمبيوتر تجهيزا وإعداداً وتكتسب صورة المعاهد العليا وتصبح من أفضل المراكز من نوعها لافى الشرق الأوسط فقط بل وفى كل قارة آسيا على إيران أن تظهر نفسها أنها لاتزال أكبر وأقوى الشعوب القوية فى المنطقة ويتنفس الدكتور ناصر نفساً عميقا وقد فنى فى حديث منصور فرجام ومشروعاته ومثالياته وهو مستند على كرسيه .

(سيدى الدكتور هل تعتقد أن بوسع هؤلاء الأخوة تنفيذ كل هذه المشروعات عملياً ؟) كنا أنهينا عشاءنا وأتى عبدى بالشاى .

يقول فرجام (لايوجد عندهم مانع . أرشدتهم إلى الطريق وهم لديهم القدرة المالية على التنفيذ) . لم يكثر من الطعام ولايزال يتجرع كأس الخمر الهنيئة عنده . كان لايزال عاقداً أكمام قميصه التى ظلت مشمورة منذ أن أتى . صدق حين قال أنه كان يخطط لهذه المشروعات فى المنزل قبل أن يأتينا ويسأله الدكتور (هؤلاء العاجزون بإمكانهم التخطيط والتنسيق وتربية الكوادر ؟)

- (الشاب الذى ينادونه باسم لواسانى وأنا رأيته شاب ممتاز . تحادثت معه كذلك فى طهران . سررت منه . له أخان صغيران استشهدا فى الحرب . لا أعرف أين درس . اختطف أفكارى).

- (وكيف حال هذا الرجل ؟)

- (شاب ومعه ليسانس)

- (هل هو مُلتح ؟)

- (نعم ملتح . قال سوف نستورد جميع المعدات عن طريق الحكومة وعن طريق المؤسسات خارج الشركة ووزارة التجارة . قال : قل أى شيء تريده . قال وضعوا تحت تصرفه ميزانية ضخمة وموظفين بحسب ما أريد ، قال تحت يده خط تليفونى مباشر متصل بلندن وقال هذا الخط المستقيم الذى تحت أمره يتصل مباشرة بشركة السلع النفطية التى تمثل شركة النفط القومية الإيرانية فى لندن . ابن اخت نفس لواسانى هذا يعمل فى شركة السلع بلندن . قال نضرب له تليكس بأى شيء تريده . أصدر الوزير قراراً وخصص لى حساباً وسوف يجلب من شركة السلع هذه المعدات إلى إيران فى خلال أسبوع واحد عن طريق الطيران المباشر .

ويصدر الدكتور ناصر نفساً طويلا آخر .

(يارب ينجح مقصودهم ، وينظر إلىّ كما ينظر إلىّ فرجام أيضاً .

أقول مدافعاً عن كلام فرجام (يمكنهم هذا إذا انتهوا من الحرب)

- (وهل تظن أن بإمكانهم حقاً الانتهاء من الحرب ؟)

- (إلى الآن نفذوا كل ما أرادوا . وكلما تلقوا الضربات زادوا قوة)

وينظر الدكتور ناصر بإعجاب إلى وجه فرجام . أسعده خاصة من كلام فرجام أنه وضع الأولوية لأهل خوزستان المظلومين وقال .

حسناً إن أفضل الناس سوف يكونون ملوكاً لهذه المهمة تحت إرشادك)

- (أشكر لطفك يادكتور)

احمر وجه فرجام كـلون الفراولة . لونه أبيض وقوامـه نحيف وشعره كثيف جميل . يرفع كأس خمره ويشربه بتمهل ثم يهز رأسه .

يقول الدكتور ناصر (أما أنت بقول حافظ وحيد تصرخ من آلام الوحدة)

فأقوله له (أنا بالمصادفة لست وحيداً تماماً فقد رأيت اليوم السيدة شايان . كانت تعمل أيضاً فى الكمبيوتر . امرأة ممتازة ودعت الدكتور كذلك إلى حفل بمنزلها بالغد) فـيرد ناصر (صحيح . . اتصلت بى اليوم وقالت إنها رأتك وأوصتنا بالمجىء) .

- (أليست هى نفس تلك السيدة التى ذكرتماها البارحة وقلتما إن أمها سيدة أمريكية وأنهاولدت هنا وقتل زوجها فى أوائل الثورة ؟)

- (هى نفسها . مريم جزايـرى . امرأة ممتازة حقا ، وهى جارة لى . خلفى .

عيد مـيلاد بنتها الصـغيرة دعتنى للمجـىء إليها . أراها وأذهب إليهـا منذ سنوات فى حـفلات عيـد مـيلاد الأولاد وتأتى إلى وترانى أيضاً فى هذه المناسبات عندى . ورجتنى أن تأتى ياجلال أنت وفرجام فما رأيك ؟)

أقول (أنا مـوجود وكنت أعـرفهـا من زمان سابـق ولا يضر أن نجلس جميعاً معا)

- (وهى نفس عـبارة مـريم شـايان ، قالت قل لـهم يشرفـونا ونجلس جميعاً معاً ساعة أو اثنين) .

أسأل فرجام (تعال معنا أيضا يا دكتور لإزالة الملل)

- (حاضر .. سوف أرى)

ويتنفس ناصر نفسه العميق (.. اعرفا أيها العزيزان قدر بعضكما البعض)

فيقول فرجام وهو يرد للخلف كأسه ويتهيأ للنهوض (ألا أيها الغزال الوحشي أين أنت . لي معرفة وثيقة بك . كلانا وحيد حائر بلا أهل . الوحوش والشباك من أمامك وخلفك . تعال ليتعرف كل منا على حال الآخر . نحقق أيضا المراد لو استطعنا ..) ارتفع حاجبا الدكتور ناصر في جبهته وخرجت عيناه من محجريهما (عزيزي الدكتور أنك تلقي بي في حيرة دقيقة بعد دقيقة) .

- (كيف ؟)

- (إن من أمضى أربع عشرة سنة في أمريكا في العلم والكمبيوتر مثلك ولا يحفظ فقط ديوان شمس التبريزي ومثنوي الرومي بل المثنويات بآخر ديوان شمس التبريزي أيضاً .. لعلك جعلت كل شعر حافظ برنامجاً وركبته في بنك خزنة (حافظة) كمبيوتر مخك ؟)

يضحك فرجام (كيف يمكن هذا .. كنت عاشقاً لحافظ مرة ثم انتهي الأمر) ونضحك جميعاً .

أصحبه تلك الليلة إلى (نيوسايت) حيث عمارته . وحين نتجه من شارع الأربعة والعشرين متراً وشارع عامري إلى شارع سجائي

وخرم كـوشك يسألنى عـن مشوار بحـثى ووضع ابن مطرود فأبـلغه ماحدث .

- (غداً سوف تتابع هذا العمل أيضاً ؟)

- (على مهل تدريجاً)

(قل لى إذا استطعت أن أفعل لك شيئا أو كان باستطاعة الأخوة بالشركة وغيرهم)

- (إن شاء الله)

وخلف المبـانى ذات الطوابق الأربعـة لإدارات شركـة النفط وفى الظلام وهدوء اللـيل اصطفت سـلاسل طويلة من الـشـقق المعـدنيـة الصغيرة يفـصل الواحدة عن الآخرة مسافة متـر أو مترين . فى ظلمة الليل تشبه عربات قطار أو قافلة خيالية حلت بها حادثة أرضية سماوية فجـأة فأوقفـها عن الحركة وجـمدتها . تسـتخدم شـقة منها مطعـماً وتستـقل كل واحدة منها مشـتملة على حجـرتين كل واحدة من هذه الحجـرات مخصـصـة لموظـف أعزب أو للـموظف المقرر أن يـعيش وحيداً . خصـصت الحجرة رقم (ب) من العنبرة الثالث عـشر لمنصور فرجام . وحين يفتح بمفتاحه الباب الأمامى ثم باب الحجرة الخاصة به الواقعـة فى الطرف الأيمن يشرح لى أن الشقـة الأخرى خاصـة بأحد أساتذة كلية نفط عبدان الكائنة بالأهواز وأسرته مستقرة فى شيراز .

وحجرة فرجام كأنها علبة عـرضها متران وطولها ثلاثة بها سرير صغير معدنى سفرى يستـغرق نصف الحجرة وبجواره منصدة شبر فى

شبر عليها أباجورة وتليفون ومكتب صغير للكتابه ووراءه كرسى وثلاجة قدمان فى قـدمين والسلام . يضع حقـائبه تحت المنضدة وفوقـها عدد كبير من الأوراق ومذكرة ورسم بيـانى ومشروع تخطيطى غير كامل . يقدم لى الكرسى الوحيد لديه .

يقول (هنا سخان heater يدوى كهربى يمكننى أن أغلى ماء فيه لكن ليس لدى شاى أو قهوة)

- (هذا نفس مطلبى)

- (إذن فى وقت آخر)

- (أجل فى وقت آخر . أنت أيضا كأن لديك عملاً)

- (نعم ورائى مهمة)

انظر إلى ماحولى (صغيرة)

- (يقول روبرت فروست Stretch the bou ndaries of your mind أى وسِّع حدود خيالك) .

- (لا يضرنى أن أمدد قدمى . هنا تدور العمليات والضربات) يحك رأسه ويبـتسم . أعتـقد أنه يريد أن يقول (وهنا أيضـاً حرب) لكنه يقول (يبدو أنهم يعانون ضيق ذات اليد)

- (على أية حال هى مناسبة كبداية وإن شاء الله حين يتضح موقفك الوظيفى يخصصون لك أحد منازل B فى نيوسايت وهى مريحة جداً)

- (سنرى)

- (أنا نفسى منـذ بضع وعشرين سنة حين أتيت هـنا تركونا فى عنبر طويل فى بانسيون سعدى ويمتلىء بالغرف وكان يعيش به عشرون من الأطباء والمهندسين . حـسناً شرفت شركة النفط الوطنيـة الإيرانية والمناطق المنتجة للنفط بالأهواز)

- (أشكرك كثيرا)

- (وأستودعكم الله)

- (مـاشى ، الوداع . وأشكرك على كل شىء بعد أن اسـتقـر وقبل أن تعاود إلى طهران لابد أن تأتى ليلة كنسمر ونسعد سوياً).

- (حاضر)

- (آسف لأن ليس لدى خـمر الافـسنطين ولا أعـرف من أين يأتون بها)

- (أحضرها لك إن أحببت)

- (ألا تشرب ؟)

- (ربما أشرب . . من يعلم)

- (ماشى)

- (هل أجىء لك مساء الغد دعانا الدكتور ناصر والسيدة شايان لنجتمع معاً)

- (حاضر لكن اتصل بى أولاً)

- (حتما)

- (إذا لم يكن أمامنا عمل مهم سأتى على عينى . السادة يجتمعون وأحاديثهم مشوقة . كان لدينا أكثر من اجتماع اليوم)

- (حسناً جدا سوف أتصل بك)

يعطينى رقم تليفونه وأدونه عندى

- (حسناً ، أراك بالغد)

- (نعم ياسيدى)

- (مع السلام يا سيد آريان)

أسير ناحية دائرة المنازل السكنية للشركة فى نيوسايت وأدور حوله . وسط الظلام والنور فى الليل تقع منطقة صحراوية بين المبانى ذات الطوابق الأربعة والمنازل السكنية ولاتزال صحراوية جدباء إلا من عدد من أشجار العرعر غير المقلّمة ذات أفرع متداخلة متشابكة نمت هنا وهناك برياً . وبسبب فصل المطر تجمع بأطراف الأرض الماء الراكد وسوف تجف الأرض وتقفر وتتجرد حين يأتى الصيف كما كان الوضع منذ عشرين أو من مائتى سنة سبقت . نمت أشجار البقس نمواً فائقاً حول عمارات الشركة ولم تقلّم أشجار الحدائق . لايزال الحراس العرب يتولون الحراسة بمعاطفهم ودشداشاتهم الفضفاضة والعقال يربط برءوسهم انتحوا جانبا وأشعلوا نارهم وجلسوا يتناولون الشاى . سوّرت الساحة التى كانت النوادى وصالات البولنج سابقاً مقامة فيها للأجانب بسور ضخم من الخرسانة الآن ويبدو أنها تستخدم لهبوط الطائرات المروحية التى تنقل الجرحى من الجبهات .

حين أعود إلى المنزل أرى الدكتور منكبا على العمل خلف مكتبه إذ يدرس بضع ملفات طبية ، ألقى عليه تحية المساء وأدخل ملتمساً الفراش .

- ١٠ -

منزل السيدة شايان على عكس منزل الدكتور يارناصر القديم إلى حدّ ما يتألف من طابقين حديثين مبنيين بالطوب الأبيض له باب حديدى مستقل وفناء وحديقة وحوض ماء ظريف . منزلها كان فى الأصل ملكاً للدكتورناصر واستأجرته شركة النفط وخصص من عام ١٩٧٥ للمهندس كوروش شايان وبعد موته بقى مخصصاً لزوجته السيدة شايان لأنها لاتزال من الموظفين الكبار فى شركة النفط والشركة تحتاج إلى عملها . ومع اتساع صناعة النفط أخيرا وتمركز الإدارات المركزية للشركة الرئيسية وشركة النفط الكائنة بالأهواز فضلاً عن منازلها السكنية فى (نيوسايت) فقد دأبت شركة النفط على استئجار منازل عديدة بأطراف الأهواز وتخصيصها تحت ضوابط لبعض موظفيها .

ونحو الثامنة والنصف كان من فتح الباب لى وللدكتور ولمنصور فرجام وقال (تفضلوا هى الخادمة القديمة لمريم شايان واسمها (االنه بوشهرى) وبيدها صينية عليها فناجين فارغة وأطباقها وكيس مملوء بقشر البرتقال والمكسرات . وجهها عجوز عبوس جاف أسود وقوامها نحيف بارز العظام تائه داخل ثوب أسود متسخ واسع . وتحتجب االنه بوشهرى بحجاب أسود وترتدى جوربا طويلاً أسود بل تلبس خفين أسودين أيضا . تسلم علينا وتخفى بيدها الأخرى بحجابها الأسود وجهها قائلة (تفضلوا) .

ويصبح الدكتور ناصر عالياً وهو يرد على سلام الخادمة وترد نحن تحيتها وندخل نحن الثلاثة أحدنا وراء الآخر .

بداخل مبنى المنزل فى الدور الأول حجرتان واسعتان للاستقبال وتناول الغذاء وصالة فسيحة . ثم يليهما السلالم المؤدية إلى غرف النوم بأعلى فيما يبدو . الزخارف والنقوش الإيرانية والأعمال اليدوية كثيرة . أما الستائر والأثاث الفاخر الفخم فهو عمولة تجهيز أصفهان ومن المخمل والحرير كما يبدو لكنه حديث العهد ويبرق ومستند إلى الحائط . وسرعان ما تتقدم مريم شايان وابنتها الصغيرة (آذر) للترحيب بنا . ويلثم الدكتور ناصر شعر آذر الصغيرة ويبارك يوم ولادتها . ولا يصافح مريم شايان كأن المصافحة لم تكن شيئاً رسمياً قبل ذلك . ثم يقدمنى إليها ويقدم منصور فرجام . طبعا لانصافحها أيضاً لأن نظرة واحدة إليها تنبىء تماماً بأن لمس يد هذه المرأة لايخص غير محارمها أو من تحب هى أن يلمسها . ترتدى الليلة حجاباً لبنيا واضح الفخامة تغطى تقريبا جميع شعرها الذهبى وإن كان اليوم قد خالطه البياض . وتلبس ثوباً طويل الكمين بسيطا من الحرير الأزرق عليه بلوزة جلدية فيروزية اللون . ستروا باب المنزل بستارة لكن ليست بالشكل القاسى المتصلب الذى يرى على أبواب المبنى ذى الطوابق الأربعة .

يقول الدكتور ناصر (سيدتى شايان هانم اسمحى لى بأن أقدم لك الدكتورمنصور فرجام أعتقد أنك تعرفين جلال آريان من زمان سابق . أتى الدكتور فرجام لتوه من أمريكا بلاد والدتكم المحترمة إلينا والتحق من يومين بشركة النفط بقسم التعليم التكنولوجى ويريد أن

يحقق معجزة بأن ينشىء لنا مركز لتعليم الكمبيوتر » وتنظر مريم شايان إلى منصور فرجام بنظرة لا تتحلى بكثيرمن الحيرة لكنها تقول مبتسمة (إنه يتمتع بشجاعة كبيرة . . . تفضلوا)

فيرد فرجام : (أو بجنون كبير !)

فيقول الدكتور ناصر (على أية حال إنه يتطلب شيئا أكثر من الشجاعة)

فتقول مريم شايان (في مثل هذا الظرف . .)

كنا نجلس إذ ذاك في الصالة التي تؤدى إلى الغرف . قال الدكتور ناصر (أجل ، يتردد الآن أن الناس في هذا الجزء من إيران مظلومون قدموا مالا يحصى من الشهداء والتضحيات وتقع مدنهم في معرض الاعتداء والهجوم من قبل العدو السفاك . المجيء إلى هنا والعمل والبقاء في هذا المكان يتطلب شجاعة وشيئا يفوق الشجاعة . . نفس ننه بوشهرى هذه الواقفة هنا وتحمل الثقاب استشهد لها ابن ووقع في الأسر ابن آخر لها وأصيب بالجنون ابن ثالث لها بسبب موجات التفجيرات وابنان آخران هاما على وجهيهما وذهبا إلى الكويت وابن سادس نائم داخل التحصينات في أحد الأماكن في جبهة « سومار » . كلامي مضبوط يا ننه ؟) وتكتفي ننه بوشهرى التي لا تزال تحمل الصينية والقشر وتقف مذهوله بقولها (هذا مانعلمه نحن) .

- (نحن نعلم هذا . ونفس السيد الدكتور فرجام يعلم أشياء كثيرة بدوره . أتى لكي يعلم أولادنا المساكين الكمبيوتر وهذا يتطلب شجاعة وفدائية) .

يبتسم فرجام ويقول إلى مريم شايان أرجو أن تعتبرى كلام السيد الدكـتـور على أنه Compliment إطراءاً . أتيت إلى إيران من أجل رؤية أمى . .)

- (وأين أمك ؟ هل هى هنا؟)

- (لا ، فى شـوشـتـر . طلبت منى أن أبقى فـتـرة فى إيران وأتولى عمـلاً والعمل الوحـيد الذى قدم لى هو الكـمبيـوتر . سوف يعطوننى راتبا مجزيا وأنا هنا بناءً على هذا)

فتقول مريم (أنا واثقة من أن فكرتك وهمتك على إخلاص) ثم تتوجه خادمتها قائلة (ننه لماذا أنت واقفة ؟ اذهبى وهات بعض الشاى تفضلى) .

تسير النته عـابسة نحو المطبخ لكنها تهمـهم بغضب (لو سألونى لقلت الأفضل أن يعود إلى نفس المكان الذى جاء منه من أجل أمه !)

داخل الصالة تقدم مريم شايان إلينا باقى الضـيوف . أخوها غير الشقيق بيجن جزايرى وزوجته بروين هانم جزايرى وأولادهما . كنت أعرف بيجن جزايرى من سنوات وكـأن خريج كلية العلوم ويعمل فى شـئون العـاملين ثم فى التعليـم المركزى ولم تقع عـينى على جمـال زوجتـه حتى الليلة إذا لم تخـنى الذاكرة . وأخو زوجـة جزايرى وهو شاب نحـيف صغيـر اسمه مـسعود عـدالت فر الذى لايبـدو كبقـية الضـيوف بل يشـبه مـا جدّ على أيـامنا حديثـا ، ثم أفهم أن خـريج مدارس التعليم الزراعى لكنه يقدم نفسه على أنه مهندس الطرق والغاز الطبيـعى ويعمل للاخوان بشركـة تابعة للحكومة وشركـة الغاز . ثم

فرشاد كيان زاد ابن الأخت غير الشقيقة والكبرى لمريم شايان . ومع أن أختها هذه هي الأكبر وزوجها يعيش في النمسا أو بريطانيا إلا أن فرشاد لم يستطع أو لم يود أن يستخرج جواز سفر له ويسافر بل بقي هنا ممنوعاً من السفر ومغادرة البلاد يدخن الليلة سجائر الوينستون ويسمع التسجيلات الموسيقية . وسيدة سمينة وكبيرة ومحترمة اسمها جهانشاهي هانم التي تجلس صامتة في عباءة وثوب أسود وهي أخت كوروش شايان وصودرت أموال زوجها وأملاكه وبعد ذلك أصيب بالسكتة القلبية ومات ثم ابنة هذه السيدة وعمرها تسعة عشر عاماً واسمها (لاله) التي تتشح بالسواد أيضاً . زوجة بيجن جزايري ذات الشعر المصبوغ والمدهون هي السيدة الوحيدة من عالم النساء المستعدة لأن تجلس الليلة بدون حجاب عارية الرأس وتتابع بعينيها هذا وذاك دائماً أو تعنف أولادها . في الحقيقة هي المرأة السافرة الوجه والرأس الوحيدة التي وقعت عليها عيني من أول يوم لسفري من طهران من منزل فرنجيس . وتجلس لاله جها نشاهي إما بجوار جهاز التسجيل الكبير أو بجانب السماعات المعلقة بالجدران وترتدي حجابا إلا أن خصلة صغيرة من شعرها خرجت ظاهرة لكنها كثيفة . كانوا جميعا في تلك اللحظة يستمعون إلى لحن عذب خال من الكلام من خلال شريط وضعه فرشاه لتوه .

نأتي ونجلس وتتعلق عيني بصورة مبروزة لابن كوروش شايان وهو في نحو الرابعة عشر معلقة على الحائط بأعلى المكتبة بجوار الصورة المبروزة لنفس أبيه كوروش حين تأتي مريم شايان وتضع طبقاً مملوءاً بالحلوى الكرمانشاهية أمامنا . وتقول (هذا هو آرشر ابننا . ألا تذكره ؟ لم أره من خمس أو ست سنوات من قبل الثورة حتى الآن ، قلبي ينفطر عليه) .

(أمر صعب)

أتت النّنه بوشهرى تحمل صينيـة الشاى أمام فرجام وأرى منصور فرجام وقـد جلس على طرف كرسيـه وتتجه عيناه من بعـيد إلى لاله وفرشاد كأنه يرى فى تلك الساعة وفى تلك الغرفة شخصاً أو أشخاصاً من ضمن عابرين أو قادمـين . وأنا الآن لا أعرف هل هذا الاحساس وليد يومى الحـاضر هذا أثناء كتـابتى روايتى عنه لتلك اللحظة أو أن هذا الاحساس كان فى الواقع هو نفسه الذى أحسسته فى تلك الليلة . صالة الاستقبال مزدحمة الآن نسبيا وسرعان ما تجمعنا نحن الرجال فى ناحـيـة كمـا يحـدث فى تكـايا العـزاء وتجمـعت النسـاء فى الناحيـة الأخـرى . انهمك الأطفـال واختلطـت بهم لالة وفرشـاد فى اللعب وسمـاع الموسيقى وانشـغلت مريم شايـان والننه بوشهرى فى حـجرة تناول الطعام فى ترتيب السفرة .

ويسأل بيجن جزايرى منصور فرجام (دكتور تعمل مع طاعتيان ولواسانى ؟)

- (تقريبـا وهناك بيكلرى أيضـا الذى يحسب حسب التـسلسل الوظيفى رئيساً للتعليم التكنولوجى)

- (يعنى أنه يعمل تحت رئـاسة طاعتيـان وطاعتيـان يعمل تحت رئاسة لواسانى)

ويطعن مسعود عـدالت فر بقول يثير الاشمـئزاز ولا يجدر ذكره حول الشخص الذى يعمل لواسانى تحت رئاسته . إنه ثمل وأعتقد أنه يصب خمراً من زجاجة يخفيها فى جيبه ويتجرعها .

يضن فرجام بالنظر إليه .

ويسأله بيجن جزايرى (هل سكّنوا المبنى الجديد فى النهاية ؟ هل ذهبت واستقررت فيه ؟)

- (أنه خال لكن يقال أنهم سكّنوه وأنا ساكن فى إحدى غرفة التى بها منضدة وكرسى وتليفون . وهناك مبنيان عظيمان وجميلان ويستقل أحدهما عن الآخر ووسطهما حديقة . تقرر أن يكون أحدهما مركزاً للتعليم التكنولوجى والآخر مركزاً لتعليم اللغة الانجليزية ، لكن كليهما خالٍ)

- (هذان المبنيان يا سيدى كان ضمهما فى غاية الصعوبة لا تعلم كيف استولت عليهما الشركة من البلدية ومؤسسات المستضعفين بعد مصاعب وقتال وقضايا فى المحاكم . فقد كانا ملك لجنة الثورة ثم أخذتهما مؤسسة المستضعفين ثم كان الجرحى يعيشون فيهما فترة . لا تدرى كم كان شكلهما وحالتهما . أحدهم كان قد أصعد معه عجلاً للدور الثالث ولما سمن العجل لم يستطع إنزاله فأجبروا فى النهاية على ذبحه . ! ثم طالبت به البلدية ثم مؤسسة الدعوة الإسلامية ثم مؤسسة الشهداء . كانت شركة النفط تريد من البداية أن تقلبه إلى مركز التعليم التكنولوجى فانتهى الأمر إلى القضاء وفى الواقع إلى الحرب والقتال وانتهى الأمر إلى الوزير ورئيس الوزراء ومكتب رئاسة الجمهورية . وفى النهاية سلموه إلى شركة النفط . كان مكان خربا . أنفقنا عليه خمسة ملايين)

- (ماذا كانا أولاً ؟ قبل الثورة ؟)

فيرد مسعود عدالت فر (ماخور للعزاب) .

وينظر جزايرى شزراً إلى أخى زوجته . يقول : (قبل الثورة أى فى عامى ٧٨ و ١٩٧٩ كان من المقرر أن يكون هذان المبنيان مركزاً لمتحف الفنون القديمة لجنوب البلاد. كان هذا واحداً من المشروعات الأثيرة عند فرح ديبا . وفى ذاك الوقت عينوا كوروش رحمه الله المدير الفخرى لحزب البعث فى خورستان فأخذله بنفسه ميزانية من إدارة الشركة فى طهران . كانا بنائين فخمين جدا ، قويين لهما أساس مستحكم وسباكتهما وتشطيبهما ممتاز)

فيقول فرجام (لكنهما حاليا خاويان) ويبتسم .

فيسأله جزايرى (ألم يوصوا بتأثيهما ؟ ماذا عندكم من الأثاث ؟)

- (كل مافيهما حجرة أو اثنتان بهما منضدة وكرسى طلبوا مني أن أعد قائمة بكافة المعدات واللوازم والأجهزة والنظم التى تلزم للإدارة فأعددت كشفين لكل مبنى من أول أحدث أجهزة الكمبيوتر ومعمل اللغة حتى سلة المهملات وممحاة السبورة .. ليس عندنا ناسخ لكى ينسخ على آلة النسخ ولا آلة كتابة ولاشىء ..)

فيضحك جزايرى (ليس عندكم موظفون ؟ كان طاعيتان يقول أنه تقرر أن يعمل فيهما جماعة من الموظفين)

- (ليس فى الواقع غيرى والأخ مصطفى فارسى)

- (ما تخصصه ؟)

ويطلق مسعود عدالت فر كلمة قبيحة أخرى ولكن لا يعبأ به أحد إلا أخته التى تضحك من كلامه وهو العمل الذى شغله طول عمره

- (ليس له تخصص)

- (يعنى على الزيرو)

وتأتى مريم لتقول إن العشاء جاهز . لكن الدكتور بما أنه كان يتصل تليفونيا إذ ذاك تجلس بضع لحظات ثم تلحق بالحوار والكلام . وتقول مريم (احملوا ابن أختى فرشاد « هذا وقيدوا فى ركن » يديه بأحد الأعمال)

ويدير فرشاد رأسه وينظر إلى الدكتور فرجام مذهولاً . وتنظر لالة أيضاً .

- (إنه شاب ويجب أن يعمل بوظيفة ولغته الانجليزية قوية) وينظر إلى فرشاد . يقول فرشاد (لدى فقط نقص فى الشهادات يا سيدى الدكتور) فينظر إليه فرجام (ما هو ؟)

- (أنا مصاب بالجذام)

- (اعتقدت أنك تريد أن تقول إنك مصاب بعدم الاهتمام)

- (نفس ماتقول)

يضحك الجميع ماعدا لالة .

يحرك فرشاد رأسه . ثم يسأل فرجام لالة (فى أى مرحلة من الدراسة والعمل والحياة أنت ؟) فترد لالة (فى الدبلوم)

- (كيف لا تستطعين أو تريدين أن تتوظفى فى الشركة ؟)

- (لا أدرى)

فيقول جزايرى المتحدث عن سائر أعضاء الأسرة فيما يتصل بشركة النفط وغيرها (توظيف البنات والسيدات الآن ممنوع . فصل محرم وسط الكتاب) فيسأله فرجام (هل لديك دليل محدد على أن توظيف السيدات صنف ممنوع ؟) فيقول جزايرى (فى الحقيقة ليس لدى دليل محدد) ويسعل .

(يبدو أنه يوجد كثرة من الأخوة المعاقين والعاطلين وأعمال قليلة كما يوجد أيضاً أسر شهداء الحرب والثورة . . والعمل لكل هؤلاء قليل . بل أننا فى صداع دائم بسبب نقل سيدة عاملة قديمة ومتخصصة مثل أختى المسكينة إلى مركز تعليم الكمبيوتر . .) وينظر إلى مريم شايان وقد طأطأت رأسها .

ويأتى الدكتور من عند التليفون وتنهض مريم شايان : (تفضلوا إلى العشاء) العشاء شهى ومرىء حوى طبيخ الخضار باللحم المفروم واللحم و السمك المخلوط بالأرز الأبيض والحساء والسلطة والفاكهة . وليس من خبر عن الخمر والشراب مع أن مسعود عدالت فر الملعون يخرج زجاجة من جيبه ويملأ منها كأسه بين الفينة والأخرى .

ويقول فرجام (لا أعتقد أن توظيف السيدات يتناقض مع توظيف المعاقين وأبناء الشهداء إنهم بحاجة ماسة إلى القوى العاملة . أى توجد أعمال تتفوق فيها السيدات مثل سكرتارية الإدارات والنسخ ومهمات البحث والتجريب . وتوجد بعض الأعمال التى يبرز فيها الرجال مثل التنقيب والإنتاج والحفر وتنظيف المنازل والحمل والنقل . التمييز بين الجنسين عمل غير صحيح) وينظر إلى الدكتور ناصر فيقول الدكتور (معك الحق تماماً . اتفق معك) .

ثم يعود ويرمقني . وأدور ناحية النه بوشهرى التى تضع أكواب الحليب على طرف المائدة (مـا رأيك ياهانم ؟) فتلقى النه بوشـهرى إلىّ نظرة مذهولة ، ليس لديهـا وقت للمناقشة (أنا ذاهبـة إلى الآنية على الموقد وأحضرها قبل أن يحترق ما بها) .

يحك جزايرى رأسـه ويتوجه إلى فرجام قـائلاً (أغلب الإخوان الأكثـر تنوّراً يوافقونك فى نفـس الرأى حول إعداد القـوى العاملة . لكن هذا الرأى يتطلب وقتـاً سمعت من الألمان ولا يمكن أن نفـوقهم حضارة وتنّوراً مثلاً ألمانيا يحدد مكـانة النساء فى المجتمع والحياة فالمرأة عندهم لها ثلاثة أمـاكن فى الحياة تبـدأ بحرف (K) فى الألمانية وهى المطبخ والكنيسة وحجرة النوم)

ينظر فرجام إلى لاله (يجب أن ترمى بعـيداً هذه الأقوال . بعد غد سـوف نعيش فى الـقرن الحادى والعـشرين هذه الـبنت الصغـيرة الايرانيـة التى بلغت اللـيلة ست سنوات هى فى بداية القـرن الحـادى والعـشرين سـيدة فى الثـانية والعـشرين من الظلم أن نقـول إن المرأة الإيرانية ليس لهـا فى القرن الحادى والعشرين إلا ثـلاثة أماكن فقط . علقوا الآن فى مـيدان الحرية بطهران لافـتة كتب فيـها : يصل الرجل إلى الكمـال من ذيل ثوب المرأة أى بعنايتـها) فـتـدور عينا مـسعـود عدالت فـر فى محجريهـما : (من أى شيء ؟) فتقـهقه أختـه لكنها تقول (اسكت يا مسعود) ولا يضحك أحد آخر.

لكـن زوجة جزايرى التى لم تتـحـدث كثيراً حـتى الآن تقـول (أكمل كلامك ياسيدى الدكتور . . .)

إنها المرأة الـوحيدة التى رأيتـها فى حـياتى وبكل أذن من أذنيـها ثقبان يتدلى منهما قرطان فضلا عن الأساور والعقد برقبتها .

منصور فرجام مطأطىء الرأس . يرفع رأسه بعد ذلك وينظر إلى زجاجة البيبسى لابد أنه يفكر لو قذف بها رأى مسعود لانكسرت قطعاً . لكنه لايفعل هذا لابد أن هذا بسبب أن الزجاجة طول عقلة الإصبع وهذا ظلم له .

يريد الدكتور أن يذهب لإجراء مكالمة تليفونية أخري فينهض ويذهب . وينهض فرشاد أيضا ويضع شريط تسجيل طويل قديم عليه موسيقى إيرانية عذبة بنفس طراز موسيقى عهود الثقافة المزدهرة والفن العريق وبه صوت (باريتون مردى) يغنى مقاطع من ليلى والمجنون لنظامى الكنجرى ولا يؤذى الآذان .

- ١١ -

انقضى من الليل نحو ثلاث ساعات حين أنهض مع منصور فرجام . يريد أن يزيل الكلفة والواجب عنى إذ يمكنه أن يستقل تاكسياً فأقول له إنه لايسوؤنى أن أخرج آخر الليل والتقط أنفاسى وأتنزه فى شارع (نيوسايت) و (خرم كوشك) وما حولهما ، فيوافق . وحين نسير ينهض أيضاً فرشاد ويطلب أن يأتى معنا لكى يصل إلى منزل زوجة خاله فى (ملى راه) أو الطريق القومى وهو مكان يزهق الأنفاس حتى نبلغه إنه رجل غير متكلف من النوعيات التى تمد يدها إلى كل ماتحب أخذه وتأخذه لا يقول لى غير (أرجو ألا أكون مزعجاً يا سيادة المهندس)

- (إطلاقا ، تفضل اركب)

ويودع الجميع خاصة لاله .

وحين نخرج من الباب تقول زوجة جزايرى المتجرئة (فرشاد وإذا قابلت فى الشارع أبا غالب اقذف رأسه بأى شىء) فيرد عليها فرشاد (لو قابلت أبا غالب فى الشارع أقترض ساقين على ساقىَّ لأفر منه)

ويضحك الجميع ونخرج .

شارع بختيارى فارغ وبارد الآن تحت ضوء القمر وتهب ريح معتدلة من نهر كارون . جلس بجانى منصور فرجام وفرشاد خلفنا . جلس وسط المقعد وانحنى للأمام فوق رأسه تقريباً بينى وبين منصور

فرجام . عامة هو ولد متحمس إلى حد ما ومستقل ومحب ويسعد فرجام به بالتدريج . ننتظر بضع لحظات حتى يسخن الموتور فأسأله (الحاج أبو غالب هذا لابد أنه روح مشتعلة بينكم ؟) فيقول فرشاد (بل قل أنه حيوان . . أبو الفضل غالب نصفه عربى ونصفه الآخر إيرانى وهو مظهر للعنف والحقد ويلصق نفسه بالإسلام . أبو غالب هو الاسم الذى أطلق عليه بعد الثورة حتى الأخوة أقالوه من وظيفته . كان الدافع وراء سجن كوروش وإعدامه فى أوائل الثورة . وشمر الآن عن ساعده لكى يزيل مريم هانم من عملها ويضعها تحت رحمته . منع سفر هذه المرأة المسكينة . ينفث سمه فى أى وقت يمكنه ذلك . له يد فيما يجرى هنا وهناك وله حكاية)

فيسأله فرجام (وأين هو الآن ، أين يعيش ؟)

(فى الخلف هنا . استولى على المنزل الكبير للدكتور حسين شايان الذى صادروه وهو يقيم فيه الآن . فى الحوادث الأولى للثورة ترك أبو غالب اثنين من أبناء عمومته ومعهما الرشاشات فى هذا المنزل ثم استقر فيه بعد ذلك بالتدريج).

فأسأله (أين مكانه خلفنا ؟)

– (أمام فندق آستوريا إلى الشمال قليلا يوجد منزل وحديقة كبيره . لو سرت ياسيدى المهندس فى شارع الشهيد غفارى أشير إليه)

– (ألا تخاف ؟)

– (حين أراه فقط !) ثم يقول (ولا يضر أن ترى أى منزل كان للسيد شايان الكبير وكيف خربوه . فناء البيت وحديقته وحدهما كان

بمساحة ألف متر) أقود السيارة وأهبط من شارع الشهيد د ستجردى . وقبل أن أسير فى شارع الأربعة والعشرين مترا أدور ببطء وأخرج من شارع الشهيد غفارى ناحية فندق آستوريا وفى منتصف الشارع يشير فرشاد إلى المنزل فى ظلمة الليل ونوره . له باب كبير جدا كباب الجراج ينفتح فيما يبدو على الحديقة . لا نرى شيئا من المبنى بنهاية الحديقة لكننا نسمع من داخل الحديقة ثغاء الغنم وخوار البقر .

(أعى منهما صوت أبو غالب ؟) يضحك فرشاد (حول هذا الرجل الحديقة بكل جمالها ، إلى حظيرة للبهائم ويربى فيها كل أنواع البقر والغنم والدجاج والأوز والبط والديكة الرومى)

فيقول فرجام (لابد أنه يريد أن يكتفى ذاتياً)

ترتفع أصوات قذائف المدافع المضادة للطائرات فوق مدخل فندق آستوريا فاطفىء نور السيارة وألف أمام ساحة انتظار السيارات للفندق وأعود إلى (نيوسايت) . الشوارع صامتة وخالية وأنا وفرجام كلانا منهك وفرشاد وحده يود أن يتحدث ولا يود أن يكون وحيداً أو صامتاً (مع أنى استُدْعيَتُ واستمارة الاستعداد للخدمة العسكرية داخل جيبى ومن المقرر أن أسلم نفسى وسط هذه الجلبة والأحداث يوم الخميس إلى مقر تجنيد محافظة خوزستان إلا أننى لا أحب أن أكون وحيداً أو صامتاً) .

- (إذن أنت المفروض أن تسلم نفسك يوم الخميس ؟)

- (نعم ، الخميس السابعة صباحاً)

فيسأله فرجام (ما هو إحساسك ؟)

- (لاشيء غير أن بطني وأمعائي تنفرك حين أفكر في أكلي ، طبيخ العدس)

- (ألا يزال يقدمونه ؟)

- (نعم لكنهم الآن يقدمون الخمر.)

- (لاتمزح بهذه الأشياء يا صديقي . فقط عِشْ حياتك)

- (على رأى سوزان هبوارد أحب أن أظل حيا ولا أريد أن أصير ميتاً)

- (باركك الله)

أوقف السيارة أمام فناء العنابر حيث إقامة فرجام الذى يفتح الباب فى الوداع يخرج فرشاد أيضاً كأنه يريد أن يجلس بالمقدمة أو لأنه يريد الاستئذان يتصافح مع فرجام ويقبله فرجام ويودعه ويسألنى (ماهو برنامجك غدا ؟) لا يزال يتمسك بالبرنامج والوقت والعمل (المخطط المرتب) .

- (ربما أذهب إلى مستشفى الشهيد بقائى فى شارع كمبلو)

- (فى الصباح أم بعد الظهر ؟)

- (ليس لدى وقت محدد إذا أردت أن تجيء معى فيمكن بعد الظهر) .

- (ماشى ، نذهب سويا)

- (ماشى)

- (ليلة سعيدة)

يصافحني ويغيب داخل صف الشقق المعدنية . ويفرك فرشاد يديه الآن ويريد الاستئذان . يقول يمكنه أن يقطع بقية الطريق ماشيا لأنها ليست طويلة . (هيا اركب أوصلك فى هذا الوقت من الليل)

- (أشكركم يا سيدى المهندس)

لا تزال أصوات قصف المدافع تدوى فى الأطراف ويركب ثانية بجانبى على الكرسى الذى كان يجلس عليه فرجام منذ لحظات . أشعر فى الظلام أن فرشاد لو أطلق شاربه مثل منصور فرجام يمكن أن يعوض أحدهما الآخر . ومنطقة (الطريق القومى ساحة سكنية جديدة إلى حد ما تقترب إلى شارع (نيوسايت) الذى به شركة النفط ولا أعرف هذا المكان جيدا فيرشدنى إليه فرشاد . وبعد أن أقود السيارة من وسط شارع نيوسايت متجها إلى جنوب شارع (زيتون كارمندى) يشير إلى منزل مكون من طابق كبير يشبه بقية المنازل حوله ويقول (هنا)

أقف بالسيارة وأترك عجلة القيادة والموتور شغالين (حسناً فى أمان الله)

- (شكراً ، أأتركك هكذا ؟)

- (لا تهتم)

يتنفس نفساً طويلا ويسألنى (كيف ستسير الأمور فى النهاية ياسيادة المهندس ؟

ـ (لاتقلق كل شيء سوف ينصلح)

– (أنا قلق على أبى وأمى طالما هما قلقان عليّ)

– (لماذا رحلا ؟)

– أبى وأمى ياسيادة المهندس كانا من الطبقة البرجوازية بالأهواز . وبعد الثورة كان عليهما بحد قولهما أن يقررا مغادرة البلاد ولما كان لا يمنعهما شيء رحلا بعد بداية الحرب) .

– (لماذا لم ترحل معهما ؟)

– (ممنوع مغادرة الأولاد من سن السابعة عشر فصاعدا وكنت لا أريد أنا نفسى الهجرة والآن لابد أن أرحل مجبراً إلى هؤلاء)

– (عندك تدريب فى الشهور الأربعة الأولى وبعدها تنتهى الحرب إن شاء الله) يهز رأسه (إن شاء الله . تفضل إلى الداخل)

– (لا ، فى مرة ثانية . الوقت متأخر . اعتن بنفسك)

– (حاضر) ثم يقول (قل للدكتّور أن يهتم بمريم هانم)

– (أى دكتور ؟ الدكتور فرجام أم الدكتور ناصر)

– (الدكتور يار ناصر)

– (لماذا ، هل هناك خطر يهدد مريم شايان ؟)

– (فى ظل هذه الأحوال والأوضاع ومع أبى غالب الحيوان هذا فكل هذه أخطار تهددها)

لا أحب أن أورط نفسى فى حياتهم بأكثر من هذا (حسناً ، فى أمان الله) فيسألنى (ألم تجد ضالتك يا سيدى المهندس ؟) لا يتعجل لدخول الدار (ذكرت لى مـريم هانم إنك شرفت الجنوب للبحث عن ابن لأحد أصدقائك الكبار السن)

- (ضالتى ، آه ، آدريس ، لا حتى الآن ، لم أعثر على أثر له فى الأهواز .

لكن هناك مكانين آخرين لابد أن أذهب إليـهما . ربما نقلوه إلى طهران أو ربما عاد هو إلى عبدان أو إلى مكان آخر)

- (سيدى المهندس حتى تنتهـى هذه الحرب لابد أن نفقد أنفسنا أو أن نصاب بالجنون)

- (سوف تنتهى الحرب)

- (متى ؟)

- (فى وقتها ، إن المستقبل لكم)

- (أى مستقبل ، أى موقع لنا)

(المسألة تتطلب وقتاً . إذا مـات أناس عاش آخرون . إن الثورة والحرب لهـما دورة أيضا مـثل الحياة ولابد مـن لف هذه الدورة حتى تنتهى)

- (حين تنتهى دورتهما أين سوف نكون؟)

- (سوف تكون فى نفس موضعك هذا سليـما ومعافى . وربما تكون بطهران أو فى انجلترا)

- (وربما فى المقابر)

- (لا)

لايحب أن يمشى (مصابيح المنزل مطفأة ، أليس بالمنزل أحد ؟)

- (بلى هم موجدون لكنهم نائمون) .

- (هل معك مفتاح ؟)

- (أجل)

- (مع من تعيش هنا ؟)

- (زوجة خالى عطا ، امرأة عجوز وأختها أيضاً ومعها زوجها وأولادهما بالخارج)

- (وكيف سقطت فى هذا المكان ؟)

- (كما يقع غيرى) ثم يقول (مثل كوروش خامة . . ظل يماطلهم بعد الثورة حتى سقط فى أيديهم)

أوقف موتور السيار ة (قلت إن أبا غالب ومريم هانم وكوروش شايان لهم حكاية) فيقول (كان أبو غالب يعمل أول أمره فى إدارة الأمن ثم عمل فترة فى إدارة النقل بشركة النفط . عين نفسه قبل الثورة ممثلاً للجناح الإسلامى للموظفين . وبعد الثورة أو جد لنفسه مكاناً داخل لجان التحقيق وتصفيته الموظفين لفترة . ولما عرفوا أن مسلكه وتصرفاته عنيفة جداً وحقيرة ومغايرة لسياستهم أقالوه من عمله وطردوه من اللجان أيضاً)

- (أهو الآن عاطل ؟)

- (نعم عاطل بلا عمل . لكنه يمارس بعض الأعـمال . يعيش الآن مع أولاده وأحـفاده داخل المنزل الـكبيـر للسـيد شـايان . يربى الطيور والأبقار ويبيع أيضاً البنزين والسولار) (بارك الله له)

- (وحكايته أنه كان متزوجـاً من إحدى أخوات مريم هانم غير الشقيقات لفترة من ثمانية عشر أو تسعة عشر سنة . كانت هى بروين هانم ابنة الزوجة الأولى للدكتور حسين جـزايرى الكبير قبل أن يتوجه إلى جامعةبيروت ، وزوجته الأولى هذه كـانت تنتسب لقبيلة العامرية التى لا أعلم بالضبط هل كانوا يعيشـون في خوزستان من عهد الحكم العربى لهـا حتى الآن أم بعدها . وخـالى عطا - وزوجته الحـالية هى بدرى هانم جزايرى التى تعـيش هنا - وخالى بيـجن وأمى هم الثلاثة أولاد نفس تلك الزوجـة الأولى . أمـا مريم هانم وفـريدة هانم التى هى موجودة الآن بأمريكا فهما من الزوجة الثانية لجدى . أى إن إنجيلا جزايرى أو الدكتورة كانت أمريكية الأصل كما تعرف طبعا ،

يوقعنى فى الحيرة فأقـول له (اصبر ، لأفهم بمهل . قلت إن أبا الفضل غالب تزوج بروين هانم هذه بنت الدكتور جزايرى الكبير ، ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟)

(مـاتت بروين هانم بعـد زواجهـا منه بخـمس سنوات . قـيل أصيـبت بسرطان فى المخ . نعم أى إنـسان يعيش مع أبـى غالب هذا لابد أن يصاب بسرطان المخ ، كان أبو غالب يؤذيها . لم يكن يدعها تذهب إلى منزل والدها ولم يكن يصحبها للدكتور ليكشف عليها .

لم يكن يتركها تخرج حاسرة الرأس . وفى النهاية تموت بروين هانم . كان هذا من فترة طويلة . بعد ذلك يطلب غالب مريم هانم للزواج ، كانت مريم قد نالت الليسانس حديثاً وقتها ، وكانت مثل أمها ذكية تقلل من الحجاب وذات شخصية مستقلة وتعمل موظفة داخل شركة النفط فترفض تماماً خطبة غالب وتتزوج من كوروش ولما قامت الثورة كان كوروش هو كل شيء فى حزب البعث فى خوزستان . فكان أول ما فعله غالب أن وشى بكوروش فقبضوا عليه وأودعوه السجن . كانت المحاكمات والإعدام الفورى سارية إذ ذاك لكن حجة الإسلام الشوشترى قال إنه من ضمن المساجين السياسيين فكان يتبع حزب البعث ولم يكن داخل الحكومة والدولة . وكان مع كوروش سجين آخر هو السيد (نقشينة) فقال لان من نقلهما إلى طهران حيث يحاكمان بها . فأرسلوا (نقشينة) لكنهم أبقوا كوروش . وفى أحد أسفار حجة الإسلام الشوشترى إلى طهران يلعب غالب لعبته على عجل وفى خلال ثلاثة أيام لاتعرف إلا أنهم استاقوا كوروش وحاكموه أو لم يحاكموه ثم يأتينا خبر فجأة أنهم أعدموا كوروش . كان الوحيد من الموظفين الإيرانيين فى شركة النفط الذى تم إعدامه هو كوروش شايان)

- (لماذا لم يطردوا مريم شايان ؟)

- (لأنها لم تدخل الحزب ولا هذه الأماكن ، فكانت دائماً معتكفة وبسيطة وبعيدة عن هذه الأمور وكانت تعمل على جهاز كمبيوتر بالشركة وكانوا بحاجة إليها ثم أخذوا ينقلونها من وحدة إلى وحدة أخرى حتى صارت الآن كما سمعت بلا عمل محدد . وملفها تحت النظر والتفتيش . ربما يقيلونها)

- (هل يمكن أن تُقَال ! ؟)

- (كان يقال هذا . أخوها بيجن خان لايزال أحد موظفى إدارة التـوظيف والتـجـهيـز وقد حـافظ عليهـا كل هذه السنوات بقـدر ما استطاع)

وأتنفس نفساً طويلاً (حسناً ، يمـكنه أن يبقى عليها ، لابد أنك متعب أيضا)

- (تحت أمرك ياسيدى المهندس)

- (اعتن بنفسك فى هذا الزمان)

- (فى هذا الزمان الأكثر مرارة من السم)

- (ليلتك سعيدة)

(سعيدة)

ويصافحنى ويخـرج من السيارة أظل أنظر إليه وهو يسيـر بتمهل إلى البوابة الحديدية ثم يعود ويهزيده . يبدو أن مفتاح البوابة الحديدية الخـارجيـة ليـس معـه . مثل الحمـام الخفيف الطـيران أو لصّ نصف الليل يصعد على البوابة الحديدية ويصل إلى باب المنزل ولا أعود أنظر إليه .أولاد البرجـوازيين دائماً يعرفون طريقهم . أدير محـرك سيارتى ثانية وأتجه إلى ناحية المدينة .

- ١٢ -

حين أغلق باب السيارة أمام منزل الدكتور ناصر أفكر فى أنه هل عاد إلى منزله أم لم يعد . أدق جرس الباب فيقول عبدى من داخل السماعة الخارجية على الباب أنه لايزال بمنزل مريم هانم وبناء على هذا أتجه إلى منزل مريم . وتقودنى النـنه بوشهرى إلى الداخل . كان كل من بقى من الضيوف منشغلين بمشاهدة التليفزيون وتناول الكعك والقهوة . أما بيجن جزايرى وزوجته وأولادهما فكانوا قد رحلوا . لم يبق غير الدكتور ولاله وأمها . كانت أم لاله (أُفسر هانم) لاتزال فى نفس موضعها جالسة أمام التليفزيون مشغولة بنسج التريكو . يعرض الجهاز فى أحد برامجه بآخر الليل منظراً من مناظر الحرب . جماعة متطوعة فدائية برداء كاكى متسخ وعلى رءوسهم علقت أربطة عليها (لبيك ياخمينى) اتخذت موقعها على تل بعيد وجلست تستمع إلى مواعظ رجل دين شاب وكان أفرادها يهتفون أحيانا بقبضات يضربون بها الهواء . لاتزال (أفسر هانم) ترتدى عباءتها . يذكرنى منظر وجهها وصمتها المؤلم بأختى فرنجيس .

تقول مريم شايان أو جزايرى لى (تفضل ياسيد آريان . هل أنت من أهل القهوة باللبن أم الكاكاو باللبن ؟)

- (أنا من أهل « سويقة درخونكاه » بطهران . .)

فيقول الدكتور ناصر (يا جلال تعال واجلس دقيقة)

وتقول مريم (هل أوصلت صاحبك ؟ هل عاد إلى عنبره ؟)

- (أجل ، لابد أنه ذهب وهو يجلس الآن يـخطط لمشاريعـه) أجلس وأتناول بعض رقائق الشيكولاته .

وتقول مريم (ولد طيب لكنى آمل ألا يبقى هنا وإلا طلّعوا عينيه)

فأرد (لا أظـــن أنه سيبـقى ، لأنه لم يفـتح حتى الآن حـقائب سفره .. كان يبحــث بالأمـس إمكــانية الحجز على طـائرة أوربـا أو أمريكا . مستبعد أنه سيبقى إلا إذا حدثت أحداث فى حياته) أنظر إلى لاله التى هى ذاهلة عنى وعن كلامى . يخرج الدكتور عن صمته ليقول (أنه يريد زوجة . يريد واحدة تحتفظ به هنا)

ويدق جرس الـتليفون كـأنهم من مكان مـايطلبون الدكـتور من المستشفى فيذهب إلى التليفـون . وتأتى النته بوشهرى والصينية عليها أكواب الشاى بيدها متعبة ناعسة تأخذ أكواب الشاى الفارغةمن أمامى لكن عينيهـا معلقتان بأم لالة والتليفزيون .على شـاشته لايزال الجنود يدقون نائحين صدورهم فى ناحية من الصحراء .

تقـول النته (مـاذا تشاهدين يا هانم آخر اللـيل ؟ سوف تزدادين ألماً) تتأوه أم لالة .

(هل هذا هو برنامج آخر الليل ؟)

فـتـقـول مـريم لأخت زوجـهـا (أجل ياهانم ، قـومى واذهبى لشامى . أنت متعبة . رتبت النته مكان نومك)

- (لا ، لا يتعبنى غير صدرى وحلقى)

- (أنت تشـتكين منذ عـدة أيام من صــدرك وحلقك ، لماذا لم تكشفى ؟

دعى الآن الدكتور يكشف عليك كشفاً دقيقاً أو اذهبى إلى المستشفى واعملى فحصاً دقيقاً على نفسك)

- (لماذا أكشف ، ليس عندى مقدرة على ذلك)

فتقول النته بوشهرى (يارب ينضربوا على بطونهم هم وسجائرهم . ألا يتركون صدور الناس وحلوقهم على حالها . يارب يقعوا على خشبة غاسل الموتى وسجائرهم هذه)

- (لا ، ليس بسبب السجائر . شىء ما يؤلم صدرى وحلقى) وتتأوه ثانية فتقول مريم (لابد أن تذهبى ياهانم إلى الطبيب ليفحصك)

وتقول النته بوشهرى والصينية الفارغة بيدها (ليس فيها شىء إن شاء الله ماذا يفهم الأطباء ؟ لا يعطونها غير أقراص مرة (أو أقراص أخرى فى مرة ثانية)

فترد مريم (هس يانته ، تفضلى شكراً) وتنظر صوب الدكتور ناصر عند التليفون . لكن النته ترفع صوتها على أية حال قائلة (هل نعرف أصلاً ما قد حدث لهم من خلل وخبل والله والقرآن المجيد . ربنا ما يحرمنا من الأدوية القديمة . إذا أردت الدواء والعلاج فهو الدواء القديم . الهانم بهذه الليلة تسخن قليلاً من العنبر والسنبل الطيب وتشربه وسوف ترون كيف ستشفى غداً . إذا تحسنت كان بها وإذا لم تتحسن تأخذ فى مساء الغد بضعة مثاقيل من بذر القطن وتذهب إلى الحمام وتحرق معه قليلاً من مسحوق بعر حمارة وتبخر بهما رأسها وحلقها ، فإذا تحسنت فيها وإلا تقف ثلاثة أيام وقت الأصيل بالخلف و . . .)

فتقول مريم (ننه احملى هذه الفناجين والأطباق الكثيرة ، وشكراً)

- (إذا طلبت الدواء والعلاج فهو الدواء القديم . . .) لكنها تتجه إلى المطبخ .

- (ثم اذهبى وغطى وجه آذر . انظرى هل البطانية انشكفت عن وجهها) ثم تقول مريم (يا سيد آريان ، احكِ لنا عن طهران ، ما أخبارها ، ماذا يجرى فيها) وكنت آكل بعض رقائق الشيكولاته وكانت حسنة المذاق (كيف تحبين أن تكون طهران .)

- (لا أدرى ، الجميع ينتظر أن يحدث حادث ، ينتظرون أن تنتهى الحرب ، يتوقعون أن تستقيم الأوضاع ، يتوقعون أن يجلس الشباب فى راحة ، ينتظرون أن يتحرر الأسرى)

تجمع الننه بوشهرى الأطباق لكنها تتلكأ (إلهى ينضربوا على بطونهم . .)

- (ننه ، غطى وجه آذر)

وحين تخرج الننة تنهض أم لاله وترتب عباءتها وتلقى علينا تحية المساء ولابد أن تنهض لاله هى أيضا لكى تعاون أمها . وتطول مكالمة الدكتور ويبدو أنها لن تنتهى الآن . أود أن تنتهى مكالمته لكى تنهى السهرة .

تقول مريم (ما مبلغ تقدمك فى بحثك عن تائهك . لم أتذكر أن أسألك عنه بأول السهرة)

- (لم أصادف نتيجة إيجابية فى بضعة أماكن ذهبت إليها)

- (النتيجة السلبية يمكن أن تتحول على المدى الطويل إلى إيجابية . قد تراها الآن فقط نتيجة بغير فائدة) لا تزال تتمتع بالروح الأمريكية واصطلاحاتها ومعطياتها . تنظر إلىّ . تبدو إلى أكثر هدوءاً الليلة لأول مرة منذ أن قابلتها فى رحلتى هذه فى ممر مبنى شركة النفط وهى تحمل حملاً من الملفات الراكدة . لم يكن كل وجهها وطلعتها وعيناها وفمها وأنفها ملفوفين بحجاب شديد ومحكم ومتشدد . تلك الليلة يبرزها رداؤها الحريرى ذو الأكمام الطويلة وغطاء رأسها الحريرى الذى فى لونها الأبيض كأنها سيدة من السيدات البارزات الزردشيتات البارسيات فى جامعة الكجرات الهندوسية .

تقول (يحدونى الأمل فى أن يعرف صديقك كيف يقوم بعمله مثلك)

- (منصور فرجام ؟)

- (أجل)

- (لديه أفكار ، يعشق التأسيس ، يريد أن يؤسس مؤسسة ونظاماً ، إنه يختلف عنى)

- (أنت ماذا ؟)

- (قولى أنتِ أى عمل أعمله وأنا أعمله)

تضحك (يبدو من عينية ألم ما)

- (يذكرنى بصديق كان معى منذ نحو خمسة وعشرين عاماً كان

يحمل أفكاراً عظيمـة) أريد أن أقول لا أعرف هل لابد أن تكون لديه أفكار ومثـاليات هنا أو أن يكتـفى بأن يكون (حانوتيـا) لكنى أغلق فمى (لا أعرف)

فتقول مريم (كل منا لديه معادلة حيرته ونطلب أشياء بعينها)

أعود وأنظر إليهـا (حين كنت أوصل فرشاد إلى منزله حكى لى عن مسيو أبو الفضل أبو غالب وكوروش)

تطأطىء رأسها كأن مدفعاً رشاشاً أصاب صدرها وبطنها لكنها لا تود أن تخوض فى هذا الموضوع

- (آسف أنك خضت تجارب مرة ومؤلمة)

- (أنا أيضا لا أعلم ماذا يجب أن أفعل)

- (كنت أعرف كـوروش إنه لا يمكن أن يكون مفسـداً أو حتى رجلاً مذنباً)

- (قتلوه بلا أدنى ذنب أو جريرة)

- (لم يكن قتل كروش عدلاً)

- (كان ظلما . كان جريمة وانتقاماً شخصياً)

- (كشأن أمور كثيرة أخرى)

ترفع رأسها إلى صورة ابنها (آرش)

فأقـول (كان فـرشاد قد قـال لى فيـما قـال أنهم منعوا سـفرك للخارج أهذا حقيقى)

- (أجل)

- (كنت أعتقد أن منع السفر للخارج لايحدث إلا للوزراء وقواد الجيش ومديرى النظام السابق ورؤسائه ولا يحدث للنساء وأطفالهن)

- (رأيت أشياء كثيرة تحدث داخل هذه المدينة)

- (هل طلبت استخراج جواز سفر ؟)

- (طلبت مراجعته فقط لأنه كان لدى جواز سفر صحيح لم تنته مدته فأخذوه ولم يعيدوه إلىّ)

- (ماذا قالوا ؟)

- (جارى مراجعته . يبدو أن أحدهم أخذ خطاباً موقعاً من أحد رجال الدين القضاة الثوريين وأرفقه بجواز سفرى وبموجبه أننى زوجة كوروش فليس لى حق مغادرة البلاد)

- (أنت الآن لم تعودى زوجته . وطفلتك كان عمرها أربع أو خمس سنوات حين رحل هو عن الدنيا).

- (لازلت أحسب حتى اليوم زوجة له فى هويتى)

- (هذا ليس عدلاً)

انتهى الدكتور من مكالمته فيضع السماعة ويأتى إلينا (أى شىء ليس عدلاً ؟)

- (أشياء كثيرة . . . تفضل يادكتور سأقول للننه أن تعدلك كوباً

من النسكافيه الطيب أو قهوة باللبن . ألا تميل إلى تناول رقائق الشيكولاته ؟)

(الرقائق لا ، والقهوة بالليل تسهرنى ، الأفضل أن تقلل من تعبكم فقد تأخر بنا الوقت ولابد أنك تعبت الليلة وحل وقت نوم جلال)

- (يمكنها أن تعدلك لبنا بالشيكولاته ساخناً لذيذاً)

- (ماشى ، اللبن بالشيكولاته ليس سيئا ، لكن قليل السكر)

وتنهض مريم لكى تعد مع النته بوشهرى مائدة اللبن بالشيكولاته .

ويسألنى الدكتور (ألم تتعب ؟)

- (لا ، أشعر بالفراغ فقط)

- (عم كنتما تتحدثان فقلت ليس عدلاً ؟)

- (هذه المرأة لأرملة منعوها من مغادرة البلاد حتى لاترى ولدها الذى فارقها من ست سنوات)

- (يمكنك أن تحمل هم النته بوشهرى أيضاً التى فقدت ابناً لها استشهد وآخر تلفت أعصابه بسبب موجات القصف وثالثا أسر فى الحرب ولم تسمع عنه خبراً منذ أربعة أعوام)

وتعود مريم وقد أشعلت سيجارة جديدة (أولاد النته ؟)

- (نعم هى الاخرى) ويشعل الدكتور آخر سجائره

- (كل واحد يعيش فى ألم . الألم والشقاء عام الآن)

- (سوف تستقيم أحوالك ، إن شاء الله سوف تستردين جواز سفرك وسوف تسافرين يوماً وترين آرش .. ثم تذهبين إلى أمريكا)

- (سأرى هذا فى الأحلام)

- (واحد مثل صاحبنا الدكتور فرجام لديه جواز سفر وكارت الإقامة بأمريكا وأتى هنا وأنت التى تودين السفر لترى ابنك لابد من أن تنتظرى . . لكن الأمور سوف تنصلح ، إن شاء تتزوجان وتسافران معاً) تضحك

- (آه . . إنه فى سن ابنى)

- (ياليت جلال هذا كان أهلاً للاختلاط والزواج منك)

تطأطىء مريم رأسها وتنفض رماد سيجارتها فى منفضة السجائر

- (تزوجت مرة ويكفى)

- (س س س يابنية المرأة تريد الرجل طالما بقيت حية والرجل أيضا يريد المرأة طالما بقى حيا . والدك المرحوم هل تتذكرين كم مرة تزوج ؟ دعى فرخنده تعود من زيورخ الأسبوع القادم وأقول لها أن تفعل شيئا ليتم زفاف وعرس .عرس يمكن أن يكون حلاّلاً لكثيرمن المشاكل)

- (يالها من بداية طيبة !)

تصل النته بوشهرى بصينية أكواب اللبن بالشيكولاته (إلهى ينضربوا على بطونهم)

- (لابد أن نجد عريساً ممتازاً للنته أيضاً)

تضحك مريم جزايرى لأول مرة . أجل ،عبد الزهراء زوجها لم يعد ينفعها .

يسافر ويتركها ثلاثة أيام مرة وخمسة أيام أخرى . يسافر إلى بوشهر يبحث عن الشواذ !)

- (آه ، إلهى ينضربوا على بطونهم لأنهم قطّعوا قلبى بحق العباس . .)

ثم يقول الدكتور (زوج مناسب من الشباب أتباع حزب الله ، أجده لك وأعطيك أقراصاً فتصيرين شابة إذا تناولتها)

- (لا أريد)

- (لماذا ؟ هل عريس من حزب الله سيء لك ؟)

- (كلهم فلاحون)

- (تعالى وانظرى يانه إذا تكلمت بالشر فى حقهم سوف يأتون ويقبضون عليك . ولو جاء العراقيون فهذا أمر أسوأ)

- (يروحوا فى داهية . ينضربوا على بطونهم جميعا . قتلوا ابناً لى وأسروا ابنا آخر عند صدام ابن الكلب)

- (الله تعالى هو العليم بأن أولادك ضحوا بأنفسهم)

- (أمان ياربى من طعام ليلى . . لبنه قليل وماؤه كثير)

ويأخذ الدكتور نفساً طويلاً من سيجارته (حقيقى يانه . أولادك هم من ضمن الأولاد الممتازين لهذا البلد)

تحك النّنة بوشهرى رأسها من فوق غطاء رأسها (ابنى محمد هذا . أجل استشهد على الجبهة . لكن ابنى جاسم لا . ذهب أول الحرب إلى خرم شهر ليأتى بدراجته البخارية وجهاز تسجيله . كانت دراجته البخارية جديدة جدا وجهاز تسجيله لم يفتحه . ليس له أى دخل بهذه الحرب . قبضوا عليه فى الطريق . ياناري من هؤلاء الأسرى . إلهى ما يخلصوا من نار جهنم . إلهى يطلّع عزرائيل الجلاد عيونهم التى تشبه لياليهم السوداء . . آه)

تضحك مريم والدكتور . أنظر إلى مريم وهى مستريحة على كرسيها ويغمرها هدوء روحى وجسدى أكبر مما سبق . أتذكر أول مرة رأيتها فيها فى ذاك اليوم فى مكتبة نادى شركة النفط برفقة كوروش زوجها وآرش ابنهما الصغير . لم تكن سافرة حاسرة الرأس فى ذاك الوقت . كانت تجلس تقرأ مجلة (الأوكونوميست) وقد خففت مكياجها وارتدت معطفاً طويلاً رياضيا وبلوزة ذهبية بياقة مستديرة ويبدو شعرها الذهبى القصير تحت غطاء رأس حريرى وتبدو سعيدة . كانت ترى أن ثقافة ايران العالية الشرقية هى البساطة والتخفف فى التحجب والتمسك بالتقاليد . لكن هذا كان منذ خمس عشرة سنة وقبل أولاً الثورة وثانيا إعدام زوجها وثالثاً الحرب .

كنا على وشك النهوض حين خرجت لالة من حجرة نومها ونوم والدتها لتخبرنا بأن حالة أمها ليست على مايرام فهل يتفضل الدكتور أن يلقى عليها نظرة قبل أن يذهب ويقبل الدكتور بانشراح ويرفع حقيبته الصغيرة التى يحملها دائماً كأنها الأصبع السادس فى يده ويسير فى عقب لالة .

ونحن نبقى وحيدين تقول مريم (آخر مرة أتذكر أنى رأيتك فيها كانت فى عام ١٩٧٥ أو ١٩٧٦ وكنت تقريباً قدمت لفترة من عبدان إلى الأهواز وكنت حينا تأتى إلى منزل الدكتور أو تأتى إلى نادى شركة النفط)

- (فى عام ١٩٧٦ بقيت هنا ستة شهور فى إدارة التعليم المركزى للشركة وتعليم المهارة Skills Training تحت رئاسة كوروش وكنا نجهز مشروعات التعليم المهنى) .

- (أجل كان هذا عام ١٩٧٦)

- (كانت سنة طيبة)

- (فى ذلك الوقت أعتقد أننى كنت أراك وبرفقتك سيدة شابة أمريكية كانت أستاذة اللغة الانجليزية فى جامعة جند يشابور . ماذا حدث بعد ذلك ؟)

- (ذهبت إلى شيراز ، ثم إلى أمريكا)

- (كأنما قضيتما فترة سويا ؟)

- (لم يحدث شىء بقينا معاً بضعة أيام قليلة استهلكنافيها جزءاً قصيرا من العمر) .

تنظر إلى أسفل وتبتسم . (يبدو لى أنكما ضيعتما معاً خمسة أو ستة أشهر من عمركما ؟)

- (كانت حياة مختلفة . .) أشعل سيجارة (فى هذا الوقت كان ابنك فى حوالى الثامنة من عمره)

- (آرش الآن فى السادسة عشرة من عـمره ويذهب إلى مدرسة إيتون)

- (أفضل المدارس)

- (آخر عمل قام به والده وهو سبب راحتى أنه ترك آرش هناك فى المدرسة عام ١٩٧٧ ، مع أن جميع نفقاته من رصيد أبيه)

أنظر إليها وهى صامتة .

(لو ظل هنا لكان أفضل إذ كان محظورا عليه الآن مغادرة البلاد وبعد ثلاث سنوات كاملة يمكنه أن يذهب إلى الجبهة)

- (طبعاً لا)

وحين يعود الدكتـور ولاله إلى حجرة الاستقبال لايـبدو الدكتور سعـيداً . أنه قلق بسبب حـالة صدر السيـدة أفسر وكليتـهما وقلبـها ونبضهـا وضغطها . يريد أن يرسلهـا بالغد إلى المستشفـى حتى تقوم بفحـوص دقيقة وشـاملة . يقول سوف يرسل عـبدى لها بضـعة من كبسـولات (أنادين) و (ب - كمبلكس) تتناول أفـسر هانم واحدة منها كل ستة ساعات حتى صبيحة الغد .

- ١٣ -

في الصباح أنهض من نومي بفم يابس ومر وأحبال صوتية متصلبة ٩٨ ٪ وصداع شديد . وأقسم غليظ الأيمان أن أتناول طعاماً خفيفاً في الليل وألا أسمح لي بكثير من (الحرية) قبل النوم . وأثناء حلقي لذقني أجرح وجهي مراراً وحين أدهن وجهي بالكولونيا أشعر بالآلام بوجهي وأقسم أغلظ الإيمان ألا استخدم بعد ذلك موسى الحلاقة (ناسيت ذا التمساح الوحيد) الإيراني . وعليه بدأ يوم عادي وطبيعي .

أبقى منتظراً تليفوناً من فرنجيس ، فيدق الجرس في نحو الثامنة والنصف ، حالها ليس سيئا . أما مطرود فليس بخير كالعادة وذهب لطابور الخبز . تستفسر عن الأوضاع هنا فأقول لم يظهر لي حتى الآن خبر ولا أثر عن يوسف الكنعاني ويحتمل ألا يكون بالأهواز . تطلب مني أن أعدها بحق (الأرواح المطهرة) ألا أذهب إلى عبدان فاطمئنها بأني فعلاً لست مصمماً على الذهاب إلى عبدان .

كان النهار مسوداً منقبضاً وجوّه هو نفس جو تلك الأيام التي تمتلىء بالرماد والتراب والرمل من أيام الأهواز حين تسود السماء تقريباً في بعض الأحيان بسبب هبوب الرياح والعواصف الرملية التي تأتي إلى الأهواز من العراق والجزيرة العربية وتلك المناطق .

في هذا اليوم من الأمور الحسنة أن أزور بالظهر بعد الاتصال تليفونياً منصور فرجام لأول مرة في مركزه المستطاب الجليل المآب

لتعليم الكمبيوتر تحت التأسيس للشركة فى الجنوب حتى تتناول معاً الغذاء ثم نتوجه بعد الأكل إلى (مستشفى الشهيد بقائى) أنه مصمم على زيارة هذا المستشفى الخاص بالجرحى والمعاقين العسكريين لابد أنه يود أن يود أن يحمل معه حين يعود إلى أمريكا بأخبار وذكريات كاملة عن إيران فى أثناء الحرب المفروضة .

مبانى المركز ، إلى الشمال قليلاً من ميدان (الأسود الخمسة) فى شارع (الملا ثانى) شمال فندق الأهواز السابق الذى تحول الآن إلى مستشفى للجرحى والمصابين فى الحرب .

تشمل مبانى المركز وحدتين مستقلتين . على طرفى المركز تقع حديقة كبيرة نوعاً ما بها حوض ونافورة والمصابيح الكهربية . زرعت بأطراف الحديقة أشجار (أم الشعور) أو الصفصاف المجنون والسرو بطريقة هندسية جميلة لكن الورد والزهور معدومة فيها إذ ذاك . لكن وسط الحديقة أو الروضة تبدل إلى أرض جافة وجرداء . وتحت التأسيس مبنيان يتألف الواحد منهما على ثلاث طبقات متشابهة مساحة كل منهما نحو أربعمائة متر مربع وحوائط مبنية من الطوب (المبهمنى) الأبيض الفخم وحجر المرمر الأبيض بالأسفل والأعمدة المزخرفة - ، ويقع المبنيان بشمال الحديقة . اختلطت العقود الهلالية للنوافذ الجميلة وأعمال القيشانى ذى الألوان السبعة بأعلى المبنى ، التى تشبه من بعد منظر الأبنية التقليدية والبديعة الإيرانية ، بالمنظر الطبيعى للصحراء المفتوحة الأطراف .

وأمام البوابة الحديدية للحديقة الكبيرة قامت حجرتان صغيرتان للأمن متشابهتان متلاصقتان جلس فى إحداها حارسان أمنيان .

وبأعلى بابها علقت لافتة قماشية طويلة ثبتت بالمسامير والأحبال تحتها شعار الجمهورية الاسلامية والشعار الجديد للشركة وكلمات (مركز التعليم التكنولوجى) مكتوبة بحبرٍ أسود وبخط النستعليق . ووضعت على جدران الحجرتين ملصقات عليها صور الشهداء الشباب وأسماؤهم وأماكن استشهادهم فضلاً عن ملصقات شعارات مختلفة تقول إحداها (فرضت الحرب على الحسين قائد الشهداء فيجب على هذا أن نلقى نحن أيضاً الشهادة) .

كان حارسا الأمن يتناولان الخبز والحلوى الطحينية وأسأل أحدهما (أين الدكتور فرجام فى هذين البنائين ؟)

- (من هو ؟)

وأعيد ذكر اسمه .

- (هل لك مأمورية ؟) أحدهما من عمال الأمن القدامى له لحية كثيفة وغيرها والثانى شاب صغير نبت شاربة الخفيف ولابد أن الاثنين من العرب .

- (المفروض . .)

- (ما اسمك يا أخ ؟) ينظر إلىّ بمودة ويمضغ خبزه وحلواه فأذكر اسمى له .

- (هل لديك موعد معهم ؟)

- (نعم ، تفضل قل لى أين هو وإلى أى غرفة أتجه وسوف أجده بنفسى) يبدى الاهتمام وينظف يده بسترته ويرفع سماعة

التليفون ويدير قرصه بأربعة أرقام ويحادث رجلا ويعد أن يحوز على إذن ويعد أن يطلب منى أن أدون اسمى فى السجل وأكتب ساعة دخولى يقول (المبنى على يمينك) ثم يقول (المبنى الأيمن هو جامعة الكمبيوتر والمبنى الأيسر جامعة اللغة الانجليزية إن شاء الله . اتجه أولاً يمينك للدور الأول من المبنى وسوف يرشدك الأخ فارسى)

- (قل لى فقط أين هى حجرة السيد فرجام وأنا سأذهب إليها بنفسى)

- (تفضل بالذهاب إلى الدور الأول وسوف يرشدك الأخ فارسى لأن الأخ الدكتور فى اجتماع)

يبدو أن هذا هو الأمر الصادر إليه .

(أجل ، حاضر) وأشق طريقى . وأمام المبنى الأيمن سيارة (نيسان) بيضاء عليها رقم الشركة ووقف سائقها منتظراً فيما يبدو أولئك المجتمعين بمنصور فرجام .

أما داخل المبنى فالغرف والممرات فى الواقع من حيث الطراز المعمارى فخمة وواسعة وفاخرة وينبىء لونها الجديد عن حالتها المتطورة . كل مكان فارغ من الأثاث منه الموبيليا والكراسى ولايوجد غير أجهزة التليفون فى زوايا الغرف فوق الأرض . تلمع الأبواب الضخمة من البروفيل بعقودها الهلالية بألوانها الجديدة . الأسقف مرتفعة والجدران بيضاء مصقولة بحيث يريد أخفت الأصوات فى الفضاء الفارغ كأنك تصيح فى طاق كسرى فى مدينة خسرو وشابور الأول فى خرابات إيوان المدائن وينعكس صدى صوتك .

بالطابق الأول خمس غرف كبيرة ومرحاض خالٍ وفى إحداها أجد الأخ فارسى يصلى بوسطها . ويوجد طاولة أيضاً وضع فوقها ، فضلاً عن التليفون وكتاب صغير وبعض الملفات ، سندويتش بيض وزجاجة بيبسى مفتوحة ، وعلى الحائط خلف الطاولة تابلوه كبير ومتين نصبت عليه لافتة عليها (كلمة الله) وحول هذه اللافتة صور معلقة للمرشدين الدينيين للثورة كما نصبت بدبابيس الضغط عليها صور حجج الله المشاهير الذين يحتلون المناصب المهمة للجمهورية الإسلامية الآن . وعلى الجدار المقابل لايوجد غير صورة معلقة لشهيد شاب فهمت بعد أنه ابن خال فارسى الذى استشهد على جبهة خرم شهر .

وفارسى نفسه شاب صغير ليس صغير السن كثيرا لكن حسن المنظر قوى ونحافة متوسطة ووجه طويل ولحية كثة ومجعدة وعينين جميلتين وهادئتين ووديعيتين أنهى صلاته وآخذ يسلم فأقف حتى يتم صلاته .

ثم أقول (اعذرنى لا أود مضايقتك أثناء الصلاة وتناول الغذاء)

(لا تفضل ياحاج ، بما تأمرنى ؟) ينظر إلى متوجساً .

- (لى ارتباط بالدكتور فرجام .. قال الحارس آتى إليك أولاً .. طبعاً لابد أنك الأخ فارسى)

- (تحت أمرك) ضحكته أيضاً ناعمـة وعريضة ومقبولة . يقول الكارت الذى يعرف به بظاهر سترته إن اسمه (مصطفى فارسى غسال بور)

- (فى أى غرفة أجد الدكتور ؟)

- (فى اجتماع) ويشير إلى أعلى بحركة من طرف رأسه .

- (والاجتماع حتى الآن ؟)

- (إنتهى الآن ، كنت بأعلى ، وهـم على وشك النهوض هل لدي سيادتك عمل إدارى ؟)

(لا) لا أعرف لماذا تذكرنى حـجرته بحـجرة غسل الأموات فى (الإمام عبد الله) .

- (هل شرفت سابقاً شركة النفط ؟)

- (أنا على المعاش الآن)

يجعلنى أنهض ويقول ضاحكاً (لكنك لاتشبه من على المعاش) ويصافحنى بيد عريضة كيد الرياضيين قائلاً (ماشاء الله قامتك ضخمة هل أردت الاستعفاء عن العمل بنفسك ؟)

- (إلى حد ما)

يضحك (أقالوك هم ؟) أنه فاهم وذكى

- (لا ، بل لأسباب صحية)

وأسمع وقع أقـدام فى الممر (كأن الاجتمـاع انفض) وأخرج . أرى من بعد عند سلالم الممـر قامة بيكلرى وطاعتيـان أحدهما طويل أنيق والآخر منبعـج كالبيضة وبشكل غـير مهندم ويتجـه كلاهما إلى غرفة فارسى . ويريانني أيضا ويدهشـان ويقول بيكلرى بعين متحركة بحاثة ونصفـها سذاجة (جناب المهندس آريان ، مـاذا تفعل هنا ؟) ويحمل تحت إبطه بضع ملفات .

ويقول طاعـتيـان بوجه هادىء ونظيف وبارد كـالعادة (أين أنت ياجلال بيه أين أنت هنا ؟)

ـ (المفروض أن أتناول الغـذاء مع الدكتور فرجـام ، لعله فوق) كان الأخ فارسى قد خرج من حجرته إذ ذاك ووقف بجوارنا يستمع . يبدو أنه لايبعد عن عينه ذهاب وإياب وحركة من أى إنسان .

(أجل هو بالأعلى . قال أنا منتظر صديق سيتصل بى لكنى لم أكن أعلم أنه يقصد الرفيق العزيز والقديم لنا)

– (الدور الثالث ، أى حجرة ؟)

– (الحجرة آخر الممر ، ليس هناك أحد غيره ، اذهب وقابله)

– (هل هذا المكان بكـل هذا الاتسـاع والجمـال وخـاصـة هذه الساحـة المفتوحة تصلح لـلدراسة ؟) كان يتردد صـدى صوتنا وقت حديثنا .

(السيد فرجام كان أحد تخطيطه أن نجهز جميع الغرف والممرات بهذا الشكل المسموع المفتوح ، فنفذنا أمره)

ويقول بيكلرى (كتبت أوامره ووقع عليها الحاج وبها مر بحول الله وقوته فى خلال خمسة عشر يوماً سوف نجهز كافة الوسائل والمسائل المكتبية واللوازم والأنظمة والقياسات والكتب والخرائط والرسوم الكروكية وأجهزة رسم الكروت والستائر والمناضد والكراسى وشبكة الأسلاك المعدنية من أجل النظم وتشغيل الموظفين الكتبة والفنيين والناسخين والمعلمين وكل شيء إن شاء الله حتى أول الشهر القادم . الميزانية ولله الحمد ليست مشكلة . سوف ينتهى كل شيء على عيد (النيروز أول السنة الايرانية) بأمر الله . وبعون الأخ فارسى وهمته . الأخ فرجام مستعجل بعض الشيء ويضغط علينا) ينظر إلي طاعتيان ويضحك يقول طاعتيان (لابد أن نفخر فى الواقع أن إنساناً مثل الدكتور هبط علينا . إنه فاهم جداً عمله بل ويعشق ويهتم به بدرجة كبرى) ثم يقول : (اسمع ياجلال بيه بالمناسبة عصر الأمس دونّاً فى اجتماع مشترك المقررات الدراسية وكان الدكتور نورى رئيس قسم العلوم بكلية النفط يبحث عنك ، هل تعرفه ؟)

– (نعم . . كان جارى قبل حرب عبدان)

– (يريد منك أن تتصل به)

– (ألم يقل لك ماذا يريد منى ؟) . أظن أنه سمع أنى أبحث عن إدريس ولديه أخبار تهمنى . كان يعرف مطرود وابنه إدريس (ألم يقل ماذا يريد منى ؟)

(لست واثقًا . . لكن كأنــه يبــحث عن أســتاذ لــدورة إعــداد التقارير الفنية . . للكلية . وكنت فيما يبدو تدرس هذا المقرر لهم . . أعطيك رقم تليفونه لكى تدونه عندك . قــال سوف يدفعون لك أجراً مجزيًا) .

- (لا ، انسَ . أنا أتيت هــنا لمدة أيام قليلة وحــسب ولابد أن أعود سريعًا إلى طهران) .

- (ألا تملّ من زوجتك وأولادك) ونضحك .

- (نعم) .

- (على أية حال سوف أعطى رقم تليفونك لنورى وسوف يتصل بك ، ألست فى منزل الدكتور ناصرى ؟) .

- (انْس ، لن أمكث هنــا ، مع الســلامــة) أريد أن أمــشى إلى السلالم حين يقــول بيكلرى (جناب مهندس آريان وصِّلْ توصــيتنا إلى صديقك العــزيز وسيدنا السيد فــرجام . قل له يتريث قليــلاً . بهمة الشباب والأعزاء الأقوياء مــثلك سوف تدور عجلة هذا البلد وتنصلح أحــوالها . بأمــر الله تعالى . لــكن خطوة خطوة . قل له كل شىء سوف يستقــيم بالتدريج . خطوة خطوة . قل كل شىء سوف ينصلح مادام بيكلرى على قيد الحياة) .

- (على عينى) .

- (أناس مثله ومثلك يجب أن نبحث عنهم بمصباح ونأتى بهم . هل كلامى واضح ؟) .

- (لا !) .

- (ولماذا .. تفضل وتعاون معنا . أنت والدكتور فرجام أسيادنا . نحن نحبكم من البداية . هل تعرف هذا ؟ بحول الله وقوته وبهمة إخوة مثل الأخ فارسى كل شيء سوف يستقيم) .

- (فى حفظ الله) .

فى الطابق الثالث أجد منصور فرجام فى حجرة كبيرة يبدو أنها خصصت فى المستقبل لرئاسة مركز التعليم التكنولوجى . وقف خلف منضدة خشبية وهو يعمل ولايزال مشمر الساعدين . خلف هذه المنضدة البسيطة كرسى عال وكبير متحرك وضخم لا يهتم بالجلوس عليه . على المنضدة تليفون وبضعة أقلام وتل من الأوراق بأحجام مختلفة . وفى حوالى الغرفة أربعة كراسى مختلفة أخرى تظهر للعين يفهم أنها جمعت من أماكن مختلفة ووضعت هناك مؤقتًا . ليس من أثاث سوى هذه الأقلام والمتاع . على الجدران بدلاً من التابلوه والصور والملصقات علقت خرائط وبرامج ومخططات ملونة ورسوم كروكية كثيرة . بلغت من الكثرة والمساحة بحيث أنه هو نفسه صغيراً ووحيدًا وسطها وكان منهمكًا فى عمله إلى حد أنه لم يتنبه إلى أننى واقف على عتبة الباب .

(السلام عليكم يا ريس . ألا تشعر بالجوع ؟) .

يرفع رأسه ويضحك (السلام ، ثم يقول (أتيت فى الوقت المناسب ، إنتهى اجتماعنا الآن ويمكن أن نمشى) .

- (رأيت هؤلاء الحضرات) .

- (لنذهب ، ماذا فعلت ؟ هل لم تذهب حتى الآن إلى مستشفى الشهيد بقائى ؟) .

- (لا ، قلت سوف نذهب سويًا) .

- (ماشى ، لنذهب ونتناول غذاءنا ، ثم نتحرك) .

أشيـر إلى البرامج والخـرائط والرسوم على الجـدار (هل خططت ورسمت كل هذه الخرائط خلال هذه الأيام الخمسة ؟) .

يرمقها (إذا لم تكن جائعًا لقلت اجلس واشرحها لى) .

يضـحك ثانيـة لكنه يشـرح ما عليـهـا على أية حـال بقليل من الحماسـة والحدة . إحداها مشروع ومـؤسسة تدريجية لبـرامج التعليم التكنولوجى للكمبيوتـر فى مراحلها المختلفة وثانيها مشـروع ومؤسسة متدرجة لبرامـج تعليم اللغة الأساسية الأنجليزية واللغة التـخصصية . وثالثاً رسـوم كروكى للتقـسيمـات الإدارية المكونة من شرح واجـبات الكوادر فى القـسم الأكاديمى الذى يـشمل البـحث والتدريس وقـسم الشئون التنفيذية والقسم الفنى . . وينقـسم كل مشروع إلى عدة أقسام ويتبعها بسهام كبيرة ملونة المشروعات الفرعية والخرائط المتعلقة بها .

فأقول له (رأيت وأنا قادم إليـه مطعم يقدم به اللحم المشوى على ناصية ذاك الشارع الذى يتجه ناحـية شارع زيتون كارمندى . فلنذهب ونتناول شيئًا ثم اشرح لى فيه بقيـة مشاريعك ثم نذهب إلى مستشفى بقائى . . كيف حالك مع السادة ؟) .

- (هم طيبـون ، أتوا فى النهاية واسـتمعـوا لى . ظللت أتصل بهم فى اليومين السابقين حتى أتوا فى النهاية ليسمعونى) .

- (وكيف حال الحاج ؟) .

- (ذهب إلى طهران . ووراءه اتصـالات حتى الشهـر القادم . له قدم هنا والقدم الأخرى فى طهران) .

- (ومن هم الموظفون ؟ ليس عندك غير الأخ فارسى ؟) .

- (أرسلوا إلينا اثنين آخرين واتصلت بهما اليوم والمقرر أن يصلا غدًا) .

ويبدأ في إنزال كمية وعقدهما .

(هل هما متخصصان ؟) .

- (لا يا أخى ، إنهما من الأخوة الحاصلين على شهادة ، على الزيرو ، تبع المؤسسات «مؤسسات المستضعفين» أحدهما خدم أوائل الحرب على جبهة عبدان وكان حارسًا ، أخو اسفنديار شلمشنى . والآخر من دهلران معه شهادة واسمه ايرج دهلرانى .. أرجو أن ينقلوا مريم جزايرى التى كانت تعمل على الكمبيوتر من قبل وهى الآن بلا عمل . المفروض أن يأتوا بها إلى هنا لكى تعاونى فى قسم الكمبيوتر . وهناك على مجلسى معلم اللغة بالأهواز ، المفروض أن يستدعوه لقسم اللغة . وتقرر أن يأتوا من السبت بأخت مؤقتة للنسخ وتبدأ فى نسخ المشاريع .. لديهم قلة ممن يكتبون على الآلات الكاتبة) .

فأقول (قل لتلك الأخت الكبيرة أن تأتى بآلة نسخ معها ومنضدة وكرسى أيضًا) .

يلبس سترته ويرفع كتفيه (يعملون وأيديهم عاجزة بعض الشيء ، لكن الأمور سوف تستقيم . تحت الشباب القوى والعزيز علينا أن نصنع هذا البلد) يضحك .

(هل نذهب ؟ .. بحول الله وقوته ؟) .

- (نعم ، لنذهب .. كنت أبحث بالمصباح عن سـيد عزيز مثل جنابك العالى) .

- (ليس من مشكلة No problem) .

- (هل كلامى واضح ؟) .

- (بحـول الله وقوته ، إن شـاء الله حتى نصل لا يكـون شواء اللحم قد انتهى) .

- ١٤ -

ليلة الثلاثاء الدكتور لديه مناوبة فى المستشفى . وبعد العيادة وعشاء سريع يخرج ونحو الثامنة أتصل تليفونيًا بمنصور فرجام لكى يأتى . ليس فى عنبره . بناء على هذا نختم السهرة سريعًا على النحو الذى يتناسب مع الجمهورية الإسلامية . ما يؤنس روحى هى أقراص الكومادين والآدالات التى هى رفيقى خلال السنوات الثلاث الأخيرة . الليلة أتجرع أقراص (آتيفان) المنومة التى هى من إهداء الدكتور مع أقراصى الخاصة . أستمع فترة لأخبار الإذاعة إلى أن يغلب النوم عينى على مهل .

فى الأيام الأخيرة لم يحدث تقدم جديد فى العثور على إدريس فى الجبهة غير أنى أغلقت آخر الأبواب فى الأهواز بحثًا عن إدريس .

من المسلم به أنه ليس بالأهواز وليس فى المستشفيات ومراكز التأهيل الطبى والعيادات ومستشفيات الأهواز . بعد سبعة وعشرين يومًا قضاها فى مستشفى (الشهيد بقائى) لا ندرى إلى أين ذهب . يمكن أن يكون قد عاد إلى عبدان أو أرسل إلى مناطق أخرى فى خوزستان . ربما أرسل إلى طهران . وبناء على هذا أقرر أن أعود إلى طهران يوم السبت خاصة أن فرخنده هانم زوجة الدكتور ناصر وبنته الصغرى عائدتان من الخارج . كما أن الدكتور نورى وقتما كنت أتناول العشاء مع الدكتور بالبارحة اتصل من كلية النفط وكان يريدنى واقترح أن أتجه

بالغد إلى كلية النفط التـابعة لعبدان والكائنة فى شارع كـوت عبد الله بالأهواز يحتاج عدد من الطلاب المختلفين فى الكلية إلى تعلم مقررين لإعداد التقارير الفنية لكى يتخرجـوا (فضلاً عن أشياء أخرى) مقدمين التماسهم ودعاءهم . فهل أنا مستـعد للتعاون وأنفذ بعقد مؤقت دورة مضغوطة لتعليم إعداد التقارير الفنية تستمر ثلاثة أسابيع ؟ كان أول كلامى هو : لا مطلقًا ولكن اكـتفى بالقول أننى مـسافر إلى طهـران السبت القادم وربما يمكن أن نتحدث فى هذا الموضوع فى المستقبل . كانوا يريدون هذه الدورة فى نصف الترم الثانى من أواسط شهر فبراير (١٩٨٤) .

أخلد للنوم وأغـوص فى مياه أسـفل نهر كارون كـالضفـدعة . أحمل على كاهلى السـبورة السوداء والطباشير والممـحاة . سلّم قاضى وحقـيقى وكـشتكار وصبـورى أوراقهم وذهبـوا . أيها السـادة إنتهى الوقت من فضلكـم ساعدونى وعجـلوا بتسليم أوراقكم . الامتـحان الشفوى يعقد فى الليلة الأولى للقبر . من يطاوعه قلبه فى ألا يتعاون الآن ؟ زوجوا الأخت الصغيرة لعزيز زيتـونى ومهرها نسخة من كلام الله المجيد وألف تومان نقـدًا واسطواننا غاز . هل يخطر فى فكره ألا يتـعاون ؟ كـان الأخ الأصغـر للحاج لـواسانى يتـمنى أن يذهب إلى الجبـهة لأنه كان يود أن يحرر القـدس بعد فتح كـربلاء بناء على قول الإمام (الخمينى) . ثم يصل الدور إلى (أمريكا المستعمرة للعالم) لكى يمحـو (جرثومـة الكفر والفـسـاد هذه) من الوجود هل يود أحـد ألا يتعاون معه إذا طلب منه التعاون ؟

لا أفـهم كم كانت الـساعـة حين دق جرس الـتليفـون . لا يرد عبدى فى أى مكان كان أو لم يكن فيه . رأسى كقطعة حجر محروق تتلوى ألمًا فى الفضاء . أقول دعـه يدق الجرس حتى ييأس . لكنه ربما

يكون الدكتـور طرأ له أمر أو ربما تكون فرنجيس تتـصل من طهران . وبدون أن أشعل المصباح أذهب وأرفع سماعة التيلفون .

- (نعم) .

- (السـلام عليكم . أنا مريم جـزايرى . هل سعـادتك السيـد المهندس ؟) .

- (وعليكم السلام) .

- (آمل ألا أكون أزعجتك ، أريد الدكتور) .

- (الدكتور لديه نوبتـجية فى المستشفى ، وعـبدى ليس موجودًا أيضًا) .

- (عـذراً آمل ألا أكون أيقظتـك من النوم) يموج الاضطراب فى صوتها وأنا أشعر به .

- (هل من خدمة أوديها لك ؟) .

- (أصيـبت النه فجأة بآلام فى الصـدر والبطن فقلت ربما يراها الدكتور) .

- (لا أعتقد أن الدكتور سوف يعود حتى الصباح) .

- (حسنًا ، فلا شىء إذن) .

- (هل سبق أن قلقت عليها مثل هذه المرة ؟) .

- (لا ليس بهذه الدرجـة من السوء . أنا خـائفة . تناولت هى بنفسها ماء مسكراً مغليا ولا أدرى بعض الأدوية الإيرانية لكنها لا تزال

تشكو . في العادة حين يأتي زوجها عبد الزهراء يتشاجران فيؤلمها قلبها . أما هـذه الليلة فقـد زادتها الألم وتتلوى من الموجع ، وأخشى أن يكون بها شئ . أنا حائرة) .

أود أن أقول إن الليلة هى ليلة الحيـرة العالمية وآلام القلب . فأرد (يمكننى أن آخذها بالسـيارة إلى المستـشفى إذا لزم الأمر عند الدكـتور وأعود بها) .

- (لا ، لا داعى للإزعاج ، ربمـا تتحسن ، لو حـدث مكروه فسوف أفعل شيئا لها) .

- (اتصلى بى) .

- (ماشى) .

- (أنا على انتظار . . ليس ورائى شئ) .

وبعد ربع ساعة يدق جرس التليفـون ثانية لتقول إن النَنة تحسنت فعلا فأسألها (ألا تريد أن تذهب للدكتور ؟) .

- (تقول إنهـا أحسن الآن . حين يذكـر أمامـها اسم الدكـتور يتحسن حالها . تقول سـوف تكون بخير الآن) ثـم تـتأوه وتسألنى (كيف حالك ؟ هل وجـدت ضالتك ؟) جلست إذ ذاك على كرسى بجوار الـتليفون (لا . . لا أظن أنـه موجود بالأهواز . قـيل لى فى مستشفى الشهيد بقـائى أنه كان عندهم لمدة شهر ونصف . فقد ذراعا وساقا وأصـيب فى ناحية ممن وجهـة . صار معوقا لكـنه رحّل ومعه ثلاثة من المتطوعين ولا تشير ملفاتهم إلى أنهم اتجهوا إلى طهران أوالى أى مكان آخر . وعليه على أن أذهب إلى أماكن أخر بحثاً عنه) .

- (آسف لما حدث له . .) .

- (إنها الحرب . . آلاف حدث لهم مثل هذا) .

- (أمر فظيع خاصة هؤلاء الأولاد والشباب. كأن طاعونا أو وباء حل بأرواح أولاد الناس فتساقطوا كأوراق الشجر وقت الخريف) .

أمدد قدمى بعد أن فقدتا الاحساس . لاتزال قاعة الجلوس مظلمة - وكأنى أتحادث فى الظلام مع إحدى الأرواح (وكيف حالك أنت ؟) .

- (لا ، سيئ ، بعد عمل دام سبعة عشر عاماً ومشقة فى الشركة أرسلوا ملفى للتطهير وقرروا إقالتى) .

- (يعنى الطرد ، النهاية) .

- (أجل) .

- (وهذا لايقل فظاعة . أنك معك بكالوريوس المحاسبة والاقتصاد وتحملين سابقا على الكمبيوتر وهم الآن يقومون بتأسيس مركز لتعليم تكنولوجيا الكمبيوتر فكيف وهم فى مثل هذا الوضع يريدون طردك ؟) .

وتتأوه آهه أخرى (أوه ، لا أحب أن أصدعك فى هذا الوقت من الليل ، لا أدرى هل حكى لك الدكتور أم لا . فى أحد الأيام قبل شهر أو اثنين جاء إلى مكتبى شاب صغير السن ملتح نفس المكتب الذى رأتينى فيه . لم يتبين أحد من هو ومن أين أتى سألنى هل أنت الهانم فلانه ، ثم ألقى نظرة على حجابى وخرج من الباب . وبعد يومين اتصل واحد من إدارة المخالفات والقرارات وقال لابد من

تشريفك فى العاشــرة وقال هنا إدارة مخالفة لبس الحجـاب وغير هذا فتعالى ولابد أن اشتباهاً وقع . فـذهبت . كانت الحجرة التى دخلتها بسيطة وخـالية إلى حـدما وكان هذا الشـاب جالساً علـى مكتب بها ومرتديا زيا شبه عسكرى مثل كثـيرين . سألنى كيف تحافظين سيادتك على ارتداء حـجابك فـقلت بنفس الصورة التى ترانى بهـا الآن . ثم سألنى هل نجحت فى امتحـان الفكر (الثورى) ، فقلت لم يتقرر أن يمتحن فيـه الموظفون القدامى ، قال تفـضلى .. إنتهى كل شئ . أنا أعتـقد أنه هو أبو غـالب الذى يقوم بدسـائس من ورائى ويكذب ولا يكف عن أعمـاله الشيطانية . الخلاصـة ملفك الآن فى اللجنة ولكن ليس هناك أمل) .

أعلق بقولى (هل تريدين أن أكـلم الدكتور فرجـام ليكلم الحاج لواسانى ليطغط عليهم فينقلوك إلى مركز تعليم التكنولوجيا . أن هذا حسن لكليكما .. وأعتقد أنهم يسمعون كلامه) .

- (لا أدرى) .

- (بالصدفـة كنت قد ذهبت اليوم إلى مـبنى المركز التكنولوجى وقابلت هذين الرئيسين طاعتيان وبيكلرى . لابد أنك تعرفينهما ؟ ربما يساعدانك) .

- (أعرفهما جيدا ؟ لا) .

- (أنك تعرفينهما جيدا يا لطيفة المقال) .

- (ماذا يفعلان هناك ؟) .

- (يبحثـان الاحتياجات الكلية لمركـز التعليم التكنولوجى . أى لابد أن يكدسا المبنيين الخاويين باللوازم والوسائل والمعدات . أحدهما

مركز للكمبيوتر (آى بى أم) والآخر يعدونه لتعليم اللغة الاصطلاحية على نظام جامعة ميشيجان . حتى حلول العيد ، خطط لهم الدكتور خطة خمسية . . لكنهما يريدان أن يعدا هذه المعدات حتى العيد) .

- (وماذا بعد ؟) .

- (يبحثون عن واحد متخصص للكمبيوتر ومركز اللغة فاقترحت اسمك على فرجام . لوكان للمؤسسة مخ فلن يخرجوا أمثالك من المتخصصين والمؤمنين) .

- (لمجرد المعلم طاعتيان ، وبيكلرى كلاهما على علم بأمرى . ذهب أخى وتحادث معهما واقترح نقلى إلى مركز تعليم الكمبيوتر) .

- كان هذا قبل حادثة إدارة المخالفات أم بعدها ؟) .

- (بعدها) .

- (فماذا كان رد فعلهما ؟) .

- (سكت كلاهما من الخوف ورجع هذا إلى ذاك ورجع ذاك هذا وراجع الاثنان إدارة التوظيف) .

- (لكنك لم ترتكبى عملا منافيا أو خارجاً . أقول هذا لوجه الله . أنت مثال المرأة المسلمة الواعية وكنت ولا زلت على تجربة وخبرة ، كانت والدتك السيدة الدكتورة جزايرى التى ضحت بالجنسية الأمريكية حباً فى الثقافة الإسلامية والشرق والعمل فى ايران وحضارة إيران . عملت هذا وخدمت هنا وماتت هنا . وأنت من ناحية

الشخصية والثقافة بلا أى خدش . كما أنك متخصصة فى الكمبيوتر .. فماذا يريدون بعد ذلك ؟) .

- (أنا نفسى بدأت روحى تبلغ حلقى. أشعر أننى لا أؤدى عملا إيجابيا. أشعر أن حياتى العملية وصلت إلى طريق مسدود هنا).

- (لا ، بل عودى إلى مواصلة حياتك) .

- (لا أدرى) صوتها الآن كطفل فقد أمه وبقى وحيدا داخل حارة خالية فى ليلة ظلماء ويقول له فجأة أحد (لاتخف !) .

- (أنا عاجزة .. لا أعرف شيئا حقا) .

- (أعرف الموقف صعب) .

- (تناولت أول الليل بضعة أقراص منومة ، لكن نواح النتة ارتفع من داخل المطبخ كأن ألما يعتصر بطنها ومعدتها وأمعاءها) .

- (على أية حال أشيرى على بأى أمر أستطيعه) .

- (طبعا .. لوزادت سوءا فسوف أتصل بك) .

- (ماشى) .

- (شكراً) ثم تسألنى (متى ستعود إلى طهران ؟ صحيح إن الناس لايفعلون شيئا غير الإكثار من الحديث) .

- (ربما الاثنين .. أوبعده بيومين أوثلاثة أول الأسبوع القادم . هل تريدين شيئا ؟) أقوم من فوق الكرسى بجوار التليفون وأرفع السماعة وأتجه إلى الأريكه لأستلقى عليها (.. ماذا يمكننى فعله ؟) .

فتقول (فى طهـران ، ليس من أمر ، لا شأن لى بطهران ، كل أمورى وحياتى هنا فى الأهواز) .

- (كيف فى الأهواز ؟ لا أعرف على أحد فيها) .

- (هل لا تعـرف أحـداً فى إدارة جـوازات الأهـواز يمكنه حل مشكلتى ؟ هل تعلم أنى طلبت مراجعة جواز سفرى فاحتفظوا به) .

- (كنت أعرف واحداً برتبة رائد اسمه تقى زادة فى البلدية هنا) فتسألنى بحماس (فى أى قسم كان يعمل ؟) .

- (فى إدارة المرور وقيادة السيارات) .

- (ألا يزال موجوداً) .

- (لا أعرف . كـان ولداً طيباً ومـخلصا . لكنى لا أعتـقد أن بإمكانه فعل شئ . طبعا إذا كـان لايزال هنا . على أية حال سأبحث عنه من طلوع الصبح) .

- (مرسى . .).

- (بأى اسم على وجه الدقة صدر جواز سفرك ؟).

- (للأسف ليس باسم هويتى، بل باسم شايان . مريم شايان . ولم يذكر فيه اسم جزايرى) .

- (ألايمكنك أن تستخرجى جواز سفرك من طهران ؟ أن الناس بها كثيرون ومتزاحمون ومتداخلون وهم يستخرجون جوازات لهم) .

- (لا . . عـملى واسمـى ورسمى وعنوانى هنـا . كمـا أنهم

أبلغوا اسمى إلى أجهزة الكمـبيوتر لدى الوزارة وأنى لدى جواز سفر . فيفهـمون ويصل الخبر إلى ممثل رئيس الوزراء المستقـر بالمطار فيسوء الأمر أكثر ويطلعون عينى !) .

فأقول غير واع (لا تقلقى ، ينصلح الحال) .

- (لكنك سوف تجد فى البـحث عن صديقك ؟) يبدو أن هذا الموضوع حيوى بالنسبة لها .

- (حاضر ، سوف أبحث عن تقى زاده لو كان هنا) .

- (مرسى ، متشكرة جداً) .

وتتأوه آهه أخرى لكنها لا تحب أن تدع السماعة .

- (كيف حال أخت كوروش ؟ أم لالة ؟) .

- (للأسف حالتها ليست على مايرام من الأصل) .

- (هل ذهبت المستشفى ، كشفوا عليها ؟) .

- (قاموا بعمل أشعة لها وبتحليل الدم والبول ، للأسف لديهم شكوك . قرروا القيام بتحليلات وأشـعة أكثر للرئة والكبد والبنكرياس لكى يروا أسباب مـرضها . كانوا يزمـعون التقاط صور لهـا بالأشعة لكن أجهزتهم فيما يبدو عاطلة) .

- (إن شاء الله لن يحدث مكروه) .

- (ياربى ، آه ، صوت المدافع المضادة للطيران) .

فى هذا الوقت ارتفعت أصوات قـصف المدافع المضادة للطائرات من أكثر من موضع بالمدينة فـأتبين الموقف من النافذة . يأتى من فوق

مدخل الفندق صوت أكثر ارتفاعاً وأرى ضوء اشتعال القذائف المضادة للطائرات مثل ألعاب النار فى شارع المدفعية منذ أربعين سنة . يبدو أن السكوت إنتهى .

- (نعم كأنهم بدأوا) .

- (هل هى غارة جوية ؟) .

- (لا أعتقد، كل ليلة يقومون بهذه المناورات والألعاب الحربية) .

- (لا بد أنهم سيجرون نوبة سكوت الآن) .

- (احتمالاً ، أنت شجاعة ، أعرف بعض النساء بل رجالاً كانوا يصرخون ويرتعدون ويسرعون إلى المخابئ عند أقل من هذا القصف) .

- (هذه هى حياتنا) .

- (لاتخشى شيئاً) . وأخمن أنها سوف تودعنى وتترك السماعة وتبحث عن أسرتها قلقة لكنها تسألنى (هل صحيح مايرددونه من أن الحرب سوف تشتد ثانية ؟ يقولون إن صدام ابن الكلب قال فى لقاء صحفى مع مراسل للإذاعة الفرنسية إن ايران بسبب حشدها مليون جندى فى خوزستان وعلى حدود العراق فلسوف أقصف بالصواريخ والطيران جميع مدن خوزستان) .

- (يخطئ صدام بهذا) .

- (آه ، انطفأ النور وانقطعت الكهرباء) .

- (لا تهتمى) .

- (الأفضل أن أترك السماعة وأروح لأشعل الشمع) .

- (أنا موجود،لو طلبت عونا للنتة بوشهرى أو لغيرها اتصلى بى.

- (حاضر حاضر ، حسناً مع السلامة) .

- (ليلة سعيدة) .

تلك الليلة مع كـافة الأقراص التى يخـترعهـا أحشـو أذنّى أيضا بالقطن حتى يخف وقع قصف المدافع . أستلقى داخل الظلام . أفتح المذياع كـذلك . لايذيع راديو الأهواز ولا طهـران شيـئا عن قـصف المدافع بالأهواز . أغمض عينى وأحاول أن أضع نفسى على مقربة من بلاج المحيط الكبير أو فى شارع ١٦٠٣ سان خوزيه حيث كان لجانيس شقة . على السرير كنا نقرأ معاً لإميلى ديكنسون .

حـيث أفتح عـينى يذيع الراديو على برنـامج السادسـة إلا الربع صبـاحا رسائل الفدائيين على جـبهات الحق فى لقـائه مع الباطل إلى أعزائـهم فى كل مكان . أنهض . بعد مـدة أود أن أتصل بفرنجـيس بطهـران . إلا أن مريم جزايـرى تتصل ثانيـة . أعتـقد أن حادثـة قد وقعت فعلاً .

- (أمل ألا أكون أيقظتك من نومك) .

- (لا ، كنت مستيقظاً ، كنت أسمـتع إلى برامج الإذاعة التى تفيض حماسة) .

- (رأيت أنوارك مـضـاءة . أرى من نافـذتى المطلة على هذه الناحية من الحديقة أنوار الغرف فى الناحية الأخرى . .) .

- (هل حدث شئ ، النتة بوشهرى كيف حالها ؟) .

- (لا لم أتصل بسبب النتة . حالتها أحسن . فقط لا أعرف لماذا لم ينقطع صوت قذائف المدافع المضادة للطائرات طوال ليلة الأمس ؟ أليس عندك خبر ؟) .

- (لا ، الوضع تمام . يذيع راديو طهران برنامج الرياضة القديمة لأسد الله على على إيقاع الدفوف) .

- (الوضع تمام بالنسبة لهم) .

- (هل نمت جيدا ؟) .

- (لا . .) وتتأوه (لم يأت الدكتور أيضاً . . كيف حالك ؟ هل نمت مستغرقاً ؟) .

- (مثل الحجر) .

- (هنيئا لك) ثم تقول (الله راض عنكم أنتم الذين بإمكانكم مغادرة الأهواز) .

- (نعم سأعود إلى طهران) .

- (أوص صاحبك الغريب الدكتور فرجام أن يغادر من هنا إلى شركته الأمريكية) .

- (صاحبى الغريب يفكر فى المغادرة هو نفسه كما أعتقد . لكن على أية حال لديه معادلة جبرية لمصيره القدر) .

- (كلنا لدينا هذه المعادلة ، أليس كذلك ؟) .

- (بلى ، ســــوف أتصل بـذلك الصـــــديق الرائد تـقى زاده لموضوعك) .

- (شكراً ، مع السلامة) .

- (مع السلامة) .

- ١٥ -

لكنى لا أرى صـديقى الغريب حتى لـيلة الجمعـة وقت ضيـافة الدكتـور . كانت فكرة ضيـافته ، للرد على ضـيافة الأسـبوع الماضى لمريم شايان أورجزايرى احتفالا بعيد مـيلاد آذر بنتها لم تكن فكرة سيئة أبداً فى هذه الليالى الميتة التى تعيشها الأهواز فى ظل الحرب . يطلب منى الدكتور أن آتى بالدكتور فرجـام مع كثرة مشاغله · لو أنه نهض عاقداً مـعطفة) . وبناء عليه أذهب فى المساء لا صطحـابه . يجتمع فى الحقيقة فى هذه الضيافة جميع من حضر عيد ميلاد آذر باستثناء اثنين: أم لاله جها نشاهى المحجوزة بالمستشفى ثم فرشاد كيان زاد طبعا الذى سلم نفـسه صبـيحة ذلك الـيوم مجـبراً للرئاسـة المركزية للتـجنيد . وتحسب هذه الضيافة أيضاً وداعاً لى لأن المفروض أن أعودُ إلى طهران عصر السبت .

وفى المساء حين آتى بمنصور فرجام من (نيوسايت) كان لايشعر بكثيـر من السعادة . فأمـور مركز التـعليم التكنولوجى لا تتقدم كـما يرجى أو أنها لا تتحرك من أصله . لم يجهزوا المعدات والوسائل ولا موظفين أكفاء . وإنما موظفان شابان من حزب الله معـهما شـهادات (على الزيور) . أحدهما أخو اسفنديارشلتشئى الذى كان فى السابق من الحرس المقيم فى (دارخوين) و(خطه) جميل . الآخر أيضا أخو محمد رضا دهلرانى ومعه دبلوم اقتـصاد . أسأله عن عقد توظيفه هو

فيقول لم يحدث فيه جديد لأن قرار استخدامه الرسمى لايزال مطروحاً فأرسلوا خطابا إلى إدارة التوظيف وقرر اختياره ووعد بيكلرى وطاعتيان بأن (يسويا) له قراره . المفروض أن يذهب و(يقابل) وكيل التوظيف واسمه الأخ (خوشكذران) فى إدارة التوظيف . ويبدو أن الأخ (خوشكذران) تعهد بتسوية قراره . لكن فرجام حين آتى به إلى منزل الدكتور ناصر ويختلط ببقية الضيوف فى حجرة الضيوف تنبسط بعض أساريره خاصة حين يتبادل الحديث مع لالة ومريم . لا أزال غير مدرك من منهما هى المهمة عنده وفى المستقبل سوف تكون صانعة المصير بالنسبة له .

يضع الدكتور ناصر شريطاً للمطربة القديمة (بانو مرضيه) تغنى فيه :

قدمنا إلى حى المصابين . . فقل أين ذهبت أيها الساقى

وحين يلقى فرجام تحيته إلى لالة يستفسرعن أحوال (صديقنا) فتقول لالة (ذهب وسلم نفسه بتجنيد) .

- (فعلا ذهب إلى مقر التجنيد ؟) .

- (نعم) .

- (لم يتبين موضوع إعفائه ذاك ؟) .

- (وعد طبيب وأحد أصدقاء والده أن يحصلا له فيما بعد على المعافاة ، لكن الآن اشتدت الحرب قال صدام إنه سوف يسوى الأهواز بالأرض وكل قواعدها بالصواريخ) .

- (لاتخافى ، لايمكنه هذا) .

أتت النتة بوشهرى بالشاى وكأنها ميت متحرك وتعيد وضع شريطها الروحى (إلهى ينضربوا على بطونهم . إلهى يأخذهم الخناق فى ساعة . إلهى يقعوا على خشبة غاسل الموتى . إلهى ينصب الرصاص المغلى فى حلوقهم . إلهى يأخذوا سرطان . إلهى ملك الموت نفسه يأخذ روحهم الوسخة لأنهم يخربون بيوت الناس ويشوون أولاد الناس ويجرون حياة الناس إلى التراب والدم . إلهى عزرائيل يصب السم القاتل فى حلوقهم) .

فتقول مريم للننة ٠(ننة ياعزيزتى لاتكثرى من حماسك . جهزى الأرز وضعيه على الموقد) . تحنى النتة رأسها وتحركه ثم تمضى (.. إلهى ما يوعوا بأنفسهم) ويسأل فرجام مريم (كيف حالك ؟) .

- (بخير وما أخبار مركزك المبتدئ لتعليم التكنولوجيا ؟) .

- (بخير كثيراً) .

- (نعم ، بخير ، النتة بخير ، فرشاد بخير ، شعب دزفول بخير ، أهالى عبدان بخير ، سكانه سوزن جرد بخير) .

- (نعم) .

يتحدث بيجن جزايرى فى التليفون حول تغيير بعض العملة الانجليزية ، تضرب زوجة أطفالها وسط الغرفة لكى يسكتوا ولا يقذفوا عرائس آذر .

أسأل مريم (ماهذا ؟ كأن النتة بوشهرى تسوء حالتها بداية من تلك الليلة ؟) .

- (السبت القادم ذكرى ابنها محمد السنوية) .

فيسألها فرجام (ذلك الذى استشهد ؟) .

- (نعم) ، فأقول . ظننت أن عبد الزهراء ضربها) .

فترد مريم .(نعم، بعد الظهر لم نفهم من أعطاه خمراً وأسكره . فجلس خارج المطبخ وهو يبكى ويتلو ورد محمد وجاسم وحسن وحسين) .

فيسأل فرجام (وهل استشهد أولاده هؤلاء جميعاً) .

- (لا ، جاسم أسير حرب وحسن وحسين ذهبا إلى الكويت وكان عبد الزهراء يريد السفر إلى الكويت ولا يستطيع) .

فأسألها (كيف أتى بهذا الخمر وسط هذه المعمعة وشربها ؟) .

- (لا يحضرها بنفسه . رفقاء السوء أحياناً يأتون بها من الميناء ويعطونها له فيشربها) وتتجه إلى بنتها فى ركن الحجرة التى تحاول أن تتخلص من ضرب ولدى خالها لها . لا يزال بيجين يتحدث فى التليفون . زوجته مثل تلك الليلة تشبه كلبة حسن دولة تتعقب الرجال فى الصالون خاصة منصور فرجام .

تسأل مريم فرجام (قرار توظيفك صدر ؟) .

- (لا ، المفروض أن أتوجه إلى إدارة التوظيف) .

- (آه) .

- (أطلقت آهتك كأنهم يريدون أن يشووا الانسان على السيخ) .

- (لا . . لكنهم إن شاء الله يدركـون كيف يشكون فى الصلاة وآداب الطهارة والتيمم والوضوء . .) .

(هل يستفسرون عن هذه الأمور فيما يخصنى ؟) .

- (كما يحب قلبك) .

- (ولا يسألون عن الكمبيوتر ؟) .

- (نعوذ بالله) ولا يضحك أحد .

أنظر إلى لالة التى لاتزال جـالسة منعـزلة على كرسى وضـعت ساقـاً على ساق وأخذت تحـركهما فى عـصبيـة . تدير طرف إحدى ضفيرتيها بنظام حول سبـابتها وهى تنظر إلى فرجام بدون أمها وبدون فرشاد وبدون موسيقى الروك والجول ومايكل جاكسون وليلى والمجنون تبدو الليلة غريبة وتائهة . يسألها فرجام (كيف حال السيدة جها نشاهى ؟) .

(الحمد لله) .

- (هل حددوا مرضها ، على الله ألا يكون شيئا خطيرا)

- (لا نعرف ، هى محجوزة) .

- (ألم تظهر التحليلات والفحوص شيئاً ؟) .

- (المفروض أن تفحص المعدة وفم المعدة والكبد) .

- (هل بإمكانهم هذا هنا ؟) .

- (يقولون بـإمكانهم هذا لكن أجهـزة التصوير عندهـم عاطلة اليوم . علينا أن نصبر . جرحى الحرب والشـهداء كثيرون . المعدات والأدوية قليلة عندهم) .

- (إن شاء الله تمضى الأمور على خير) .

مريم هذه الليلة تشرف إشرافاً كاملا على المطبخ والطعام والسرفيس وتروح وتغدو لكى تأتى بالسوس سالاد أو الخبز . رائحة الشامبو التى تهب فى مجيئها وجلوسها جميلة . ضم العشاء كثيراً من ألوان السلاطة المشكلة والخضراء والدجاج المحشو المعد مطبوخاً والأرز واللحم بالخضار واللبن والخبز والجبن والخضار المطبوخ . وأعد الدكتور بنفسه العصير بدلا من الخمر وقدمه وهو نوع من عصير العنب الذى يقوم فى بعض حانات فرنسا . كنت قد ابتلعت كافة أقراصى العادية وكبسولات الترانكولايزر الموصوف لى لهذا فأنى أشعر بنشاط أكبر . وبينما كان الجميع منشغلين بالطعام والحديث أقول لمريم (بحثت عن ذاك الرائد تقى زاده صاحبنا فى المرور) .

- (ماذا حدث ؟ ، ألايزال هنا ؟) .

- (سمعت بالمصادفة أنه يعمل فى إدارة الجوازات) .

- (والقرآن المجيد ؟) .

- (قالوا أخذ اجازة وذهب إلى طهران ، ربما ماتت أمه أو أحد أقاربه . وحين يعود سوف أتكلم معه بعد أن أعود أنا أيضا) .

- (وهل ستعود إلى الأهواز ؟) .

- (اتفقت مجبرا أن آتى فى النصف الثانى لشهر فبراير لمدة شهر لتدريس دورة مكثفة عن إعداد التقارير الفنية) .

- (ربنا يوفقك) .

ويضع الدكتور شريط موسيقى خالية من الغناء ويدور الحديث على المائدة حول إذا اشتدت الحرب وأراد صدام أن يقصف الأهواز

بالمدافع البعيدة المدى مثل دزفـول وانديمشك فماذا بإمكان مليونين من البشـر متكرسين في الأهواز أن يفـعلوه ؟ فيـقول بيجـن جزايرى لن يقصف صـدام الأهواز لأن بها كثيراً من العـرب وصدام ابن الكلب يريد أن ينصب نفسه زعيماً على الوطن العربى . من ناحية أخرى فإن الدفـاع الجوى بالأهواز قـوى جدا ومـسـتحـيل أن تدع طائرات الميج والتـوبولوف طائراته تدخل المجـال الجـوى للأهواز وهى قـادرة على القيام بالعمليات الحربية ، وقواعد الأهواز جهزت وأمدت بالجد الذى يمكنها الدفاع عن مركز خوزستان وهو مركز اقتصاد البلاد وقلبه ! .

وتأتى النة بوشهرى بطبقى طرشى لتـعطيها لمريم (إلهى ينضربوا على بطونهم . ابن الكلب أيضـاً يضرب كل المناطق حـولنا فيحـولها خـرابة . غاسل المـوت التابع لنا لايـزال حيـا . إلهى ينضـربوا على بطونهم) .

يقول بيجن محتـدا (لكن صدام لوانهزم فلسوف يضرب الأهواز ويسـويها بالأرض مـثلما فـعل بعـبدان أى يخـرب ايران من الناحيـة الاقتصادية) .

فيـقول فرجـام (ايران ليست البلد الذى يمكن لأمثـال صدام أن يسووه بالأرض) فـيقول بيـحن (إيران بلد تفتـقد إلى الأمة المتـحدة والناس فيها يتبعون القوى . لا يظهر داخل ايران شعب محكم وثابت مثل اليابان أو أسبانيا وإلاما ابتليت بمثل هذا اليوم) .

فيقول فرجام (إيران لها شعب عظيم وكل فرد فيها إنسان) .

- (ما هذا الانسان ؟) .

- (الانسان مخلوق شريف خلق ليفكر ويعشق ويؤثر ويضحى مخلوق فاضل) .

فيقول بيجن (الانسان مخلوق فاضل لكن بالألف الممدودة . أنت بنفسك تعمل على الكمبيوتر احسب كم كان برنامج الانسان الروحانى المؤثر الذى عمر ثمانين عاماً كم كان قدرة (فاضلا) . لو حسبته بالحساب العادى هذا الانسان العظيم عاش نحو ثلاثين ألف يوماً وأكل واشتعل ، مضبوط ؟ شرب يوميًا ليترين من الماء أى شرب نحو ستين ألف لتر ولم يرجع منه غير البول . أكل فى اليوم كيلو جراماً من المحاصيل الزراعية وطيراً واحداً فى الأسبوع وخروفا أو اثنين كل شهر ، فكم يقدر هذا ؟ هذه الاطنان من القمح وهذه الأعداد من الدجاج والخراف ألم يحولها هو إلى مواد آلية بالله عليك ؟ وإذا أكل فى اليوم مائة جرام بصل ومثلها زيت وبطاطس وخضار وفاكهة وغيره وغيره فكم مائة ألف طن من كل من هذه المواد أكل وحولها إلى مواد آلية ؟) فيقول الدكتور ناصر (هات من الآخر يابيجن) .

- (أنا أحدثكم بجد . إيران ياسادتى بلد تمتاز بخاصية اليويو . تهبط يوماً وتعلو يوما آخر . يوما تصير ماءً ينزل إلى أسفل) .

لابد أنه يحمل زجاجة ويشرب منها خلسة لأن شدقيه احمرا (ايران تقع تحت قطب مغناطيسى له طرفان . الأول المؤسسات الحاكمة والثانى المؤسسات الدينية . وحين يتوافق هذان الطرفان تكون إيران فى القمة مثلما حدث فى عهد قوروش الاخمينى حين اتحد الدين الذرد شتى والملك . أو فى عهد عباس الكبير الصفوى وآريا

بهلوى وحين ما تقع إحدى هاتين المؤسستين فوق الثانية تحدث الثورة وسفك الدماء والضرب والقصف والحرب وصدام ، وينظر إلى فرجام فيقول فرجام (ايران ليست البلد الذى يمكن لأمثال صدام بالقصف والضرب أن يسووه بالتراب ثار وغضب أظنه الآن يريد أن يقذف وجه بيجن بشئ مثل آنية طبيخ الدجاج وتنقطع الكهرباء على حين فجأة! .

تعم الظلمة سائر المائدة. تخرج أصوات(آه) من أفواه النساء ، يأخذ الأطفال خاصة أطفال جزايرى فى البكاء والعويل. تصمت الموسيقى. أشعل الثقاب ويشعله الدكتور ناصر أيضا (لم يحدث شئ).

فتقول مريم (يوجد مصباح غازى ، ويوجد شمع فى المطبخ . المصباح بجوار التليفون ترتعد وتنهض) .

تقول لالة (آذر بجانبى) .

لايزال أطفال بيجن يبكون فتصرخ أمهم كالمجنونة (انكتموا !) .

ويقول بيجن (هبط اليويو) صوته ضاحك وعصبى .

يشعل الدكتور المصباح الغازى الصغير ويتركه فى ركن القاعة . وآتى أنا بشموع طويلة وأضعها في الشمعدان وأشعلها وأعطى شمعتين لفرجام ليضعهما بوسط مائدة الطعام . يعطى شمعة إلى لالة التى تقول بعينين حزينتين (شكرا) ويضع شمعة أخرى أمام زوجة بيجن التى لايزال طفلاها يبكيان ولا تزال تقول لهما (انكتموا) ثم يقول ناصر لفرجام بنعومة (تحت أمركم) .

فيرد فرجام (العشاء فى نور الشمع !) .

فيقول بيجن (تماماً مثل مطاعم شركتك الشاعرية) .

- (تقريبا نعم) .

احمل إحدى الشموع إلى المطبخ . مريم كأنها تبحث عن الشئ وسط الظلمة وهى تتحسس وتتلمس . جلست النة بوشهرى فى ركن مستندة إلى الجدار محيطة رأسها بذراعيها (تفضلوا هذا نور) .

فتقول (أوه ، مرسى) ثم تقول (أنت ملاك الخلاص) .

- (ملاك يحمل شمعاً من النور) .

- (إلهى ينطربوا على بطونهم . . إلهى بحق العباس يقعوا على خشبة غاسل الموتى . .) .

- (قومى يانه إلى الصالون . انهضى واجلس وسط الظلام وابكى . بالله عليك ادخلى الصالون . .) .

- (عم تبحثين ؟) .

- (كان هنا داخل الدرج بعض الشمع علىّ أن أشعل بعضه وأضعه داخل التواليت والمر من أجل الأطفال) .

- (فكرة طيبة) .

تفتح الدرج كالذى فيه الشموع وتشعل عود ثقاب لتوقد الشموع. يداها ترتعشان تنظر إلى عينى كأنها تريد أن تقول شيئا . لكنها تكتفى بالتأوه وتبدأ فى إيقاد الشموع .

- (تجلس فى ركن بالليل والنهار وتصرخ وتسب وتبكى) .

- (أحب أن تبكى على ضوء الشمع) .

- (إلهى ينضربوا على بطونهم . . إلهى مايوعوا بنفسهم .) .

- (فرجـام يقول العشاء على ضـوء الشمع . بيجن يقـول مثل شركتك الأمريكية) .

- (دع هذا . نحن أفـضل من الشركـة الأمريكيـة كيف يفـهم الأمريكان معنـى الشاعرية ؟) تنشغل بإشعـال الشمع . دعنى أذهب وأتركه داخل التواليت) .

- (التواليت فى ضوء الشمع . .).

- (ليلة أول أمس أخـذت حمـامـاً فى ضوء الشـمع . انهض وتعالى يانئة . اجلس هنا وحدك) .

- (إلهى احرق أكبادهم فهم يحرقون أكباد الناس) .

بدأت المدافع فى القصف مع أننا لانعرف هل حـدثت غارة جوية أو أن القصف لمجرد التكتيك الدفاعى .

ونحن نعود إلى حجرة الطعام نجد الزعيق المحكوم بضوء الشموع لايزال صاخبا . طفلا بيجن يصرخان فيسألهما أبوهما ما ذا يريدان . زوجته تتحس بيـدها الدكتور يشرح فرجام الشبـه بين الكمبيوتر ومخ الانسان إلى لالة ، تأتى أصوات قصف المدافع الوضع عادى !

- ١٦ -

لاتأتى الكهـرباء حتى وقت مـتأخـر من الليل ، لكن حين كنت أوصل فرجام إلى نيوسايت أجد هناك الكهرباء . يطلب منى الدخول لنشرب القهوة . لا أشعر بالنوم لكنى متعب وحائر . أقول دعها إلى ليلة أخرى . يقول فتح حـقائبه وبها بعض الكتب إذا أردت يمكننى أن أختار منها بعضها للتسلية (تعال) أقفل السيارة وندخل .

يأتى الدكـتور فرهنج بخـتى الساكن بالـنصف الثانى من الشـقة ليـسلم علينا ويخـبر مـضـيفى أن الكهـرباء فى هذا الجـزء من المدينة انقطعت أيضـاً وأن قصف المدافع دوى هنا أيضـا .ثم يبلغ فـرجام أن جرس تليـفونه دق أكـثر من مـرة ولدية رسائل له . فقـد اتصلوا من مكتب بيكلرى ليـبلغوا فرجـام أنهم ألغوا اجـتماع الغـد المقرر عـقده السادسة صـباحاً مع الحاج لواسـانى فى الدور الرابع لأن الحاج اضطر إلى العودة سريعاً إلى طهران . أم فـرجام اتصلت من شوشتر وأرادت منه أن يتصل بها ليعـرفها أحواله وسلامته ولابد وحـتماً .أوصت أمه توصيـة خاصـة أن يبلغ فرجـام بألا يستـقر بالأهواز ويعـود فوراً إلى طهران ثم إلى امريكا لأنها سمعت من راديوا العراق أن صدام يريد أن يضرب كل مـدن محـافظات خوزستـان وعيـلام وكردستـان بالقنابل والصواريخ ويسويهـا بالأروض . فيقول فرجـام (صدام يمتلئ بالمواد الآلية وبالألف الممدودة) ونذهب ونجلس .

أكثر من خبير مدهش هنا فى هذه الليلة . اشترى فرجام لنفسه جهاز تليفزيون ممكن نقله حمل حقائبه من ركن الحجرة ووضعهما داخل الكمدينو . ويفتح التليفزيون حين نجلس فيعرض فى إحدى قنواته برنامج إرشاد المتطوعين فى القوات الإسلامية جماعة من الأولاد تتدرب فى أحد أطراف الصحراء على عمليات التعليم والتدريب العسكرى . يفتح فرجام زجاجة بيرة ويجلس مستريحا ويشعل غليونه ثم يسأل (إذن سوف تعود إلى طهران يوم السبت؟) .

- (أجل ياسيدى) ثم أقول . لكن للأسف سوف أعود !) .

- (بالسيارة) .

- (سأترك السيارة فى نزل الدكتور) .

- (ستسافر بالقطار أم بالأتوبيس ؟) .

- (كنت أريد السفر صباحاً مبكرا بالأتوبيس لكن الدكتور رتب حجز تذكرة بالقطار وعليه سأسافر عصر ذاك اليوم فى السادسة . السبت أيضا الذكرى السنوية لابن النتة شهرى . قال الدكتور نذهب ونقرأ عليه الفاتحة) .

- (عصر السبت ؟) .

- (نعم الثانية أو الثالثة - بعد الظهر . هل تحب أن تأتى ؟ تعال إلى مرقد الشهداء فى الأهواز وتفقده . وأقرأ الفاتحة فى مراسم الذكرى السنوية لمحمد الابن الصغير للنتة بوشهرى) .

- (حتما سوف آتى) .

- (رحم الله أرواح شهداء الاسلام . .) ظهرت فى حجرته أشياء أخرى تابلوه مرسوم فيه صورة شهيد شاب سقط فى الصحراء

وجلست بجواره بنت صغيرة تبكي . تهديه أيضا غصنا من الشقائق .
لازال أعاين أثاثه حين يسألني (متى تعود من طهران ؟) .

- (الأسبوع القادم . أو قبله أو بعده بقليل) ثم أسأله (إذن كأنك ستبقى وهيأت أسباب الاستقرار ؟) وأشير إلى جهاز التليفزيون والأشياء الأخرى التي اشتراها .

(نعم ، في الحقيقة) ويتأوه ثم يسألني بدون مقدمات (عرف الشهيد لي يا جلال) .

- (أعرف ماذا ؟) .

- (الشهيد) .

- (كلي آذان صاغية) .

- (حاضر . الشاعر الفردوسي يقول : نستسلم جميعا للموت . . أفضل من أن نسلم بلادنا للعدو) .

- (ماشي ، لكن هذا لا يعرف معنى الشهيد) .

يمد يده ويرفع من فوق مائدته كتابا ضخماً هو معجم انجليزي (وبستر) ويتصفحه حتى يصل إلى الصفحة التي يريدها . الوقت متأخر بالليل ولم يعد بي تحمل رأسي تائه بسبب الأقراص وعصير العنب الذي قدمه الدكتور . يقرأ (الشهيد أولا من يفضل قبول التعب والموت في سبيل إيمانه ووفائه لكنه لا يتخلى عن ذلك الإيمان والوفاء. وثانيا الذي يقتل في سبيل مايؤمن به وهو يتعذب ويتألم أو يكابد ويتعذب لمدة مديدة) .

- (حسناً . أنا لا أستطيع متـابعتك ، النوم يثقل عينى) أطفئ نهاية سيجارتى .

- (لست على الموجة الطويلة للشهادة والشهيد ؟) .

- (هل أنت عليها ؟) .

- (أحاول) .

- (لا تحاول ، كل المعانى تشبه بعضها) .

يبتسم (اجلس قليلا . اشـرب أولا القهوة ثم اذهب هل تشرب النسكافيه ومعه اللبن أو غيره ؟) .

- (هاتها لنشرب) .

يقول حين يأتى بالـقهوة (كل هؤلاء الأطفـال الناشئين يتـركون المدارس والحياة ويذهبون للحرب والجهاد والتطوع لابد أن لديهم معنى ومفهوماً) يعطينى فنجانا .

(شكراً .. لكن اهتم أنت بنفسك) .

- (ماذا تقصد ؟) .

- (أى انتبه ونظم لهم مـركز تكنولوجيا الكمبـيوتر وامكث مدة فى الأهواز واعشق كما كنا فى مـثل سنك وعش حياتك لكن لا تمت شهيدا أوحديداً) .

يضحك عاليا . (اطمئن) .

- (يالطيف المقال إذا ضاف بك الأمـر يمكنك أن تذهب وتتزوج من مريم شايان) يخفض رأسه (أنا ؟) .

- (ثم إذا جمح بك الهوى يمكنك أن تنال أيضا الثواب وتضمها إلى جواز سفرك كزوجة شرعية لك وتعود بها إلى امريكا . ثم يمكنها أن ترى هى ولدها) .

- (أقوم أنا بعمل كل هذا ؟) .

- (من أجل أرملة شايان المحظور سفرها للخارج . عاونها واصحبها تكن قد عشقت ونلت الثواب معاً) .

يبتسم لكنه يحرك رأسه ويظل صامتا . لايزال الأولاد قابعين فى الصحراء وهم يدقون صدورهم نائحين .

- (أنا أتصور أنها تريدك أنت) .

- (أنا ليس لدى الكارت الأخضر وتأشيرة إقامة بأمريكا ولا أى شئ . مع السلامة) .

-(فليذهب إلى الجحيم ياأخى الكارت الأخضر وتأشيرة الإقامة).

- (حسناً تزوج لالة . إنها تنظر إليك) .

يطأطئ برأسه ويطرق صامتاً مدة طويلة . إذا لم أكن معتدلا ومعتزلا فى حياتى لتوجب أن أفهم أشياء كثيرة فى تلك الليلة . حين ينتهى برنامج التليفزيون ينهض ويضع شريطا لأغنية غربية . نتبادل الحديث فترة طويلة ونسمع الموسيقى ثم أقرر أن أختم السهرة .

(حسنا أستودعكم الله) .

يسألنى (ألاتريد كتاباً ؟ هناك) بضعة من الكتب كلها بالانجليزية بركن الحجرة على الأرضية المفروشة بالموكت، مرصوصة عند الحائط .

أغلبهـا كتب عن الكمبيـوتر أو كتب علمية أوروايات خـيال علمى . وبعض القصـص والمسرحيـات . أجلس بدون تحمل وأدور ثم أختـار أقلها ورقا (ربما أستطيع أن أنتهى من قراءة هذا حتى السبت ثم أعيده. فى انتظار جودو ، لنقرأ ونر مايمكن فهمه) .

- (هل هو مسرحية ؟) .

- (هل قرأتها ؟) .

- (حاولت) ويبتسم .

- (حول ماذا تدور ؟) .

- (اقرأها واشرح لى ماتفهمه منها . تريد قهوة أخرى ؟) .

- (لا ، مرسى) .

- (إذن اتصل بى السبت لنتناول الغـذاء معاً ، ثم نذهب لمراسم ذكرى محمد ابن بوشهرى الشهيد) .

- (هل ستذهب بالغد إلى شوشتر ؟) .

- (نعم ، سوف أذهب إلى أمى ، إنها قلقة جداً) .

- (الأمهات دائما حساسات ، خاصة فى هذه الظروف) .

- (أواثق إنك لاتريد فنجاناً آخر) .

- (أجل ، ليلتك سعيدة) .

- (ليلة سعيدة ياجلال) .

حين أعود يكون الوقت متأخرا ولا يأتينى النوم على الفراش رغم أنى متعب . أحاول أن أشرع فى قراءة كتاب (فى انتظار جودو) ولا أستطيع هذا أيضاً . صدق حين قال إنها مسرحية أو تمثيلية . فى طريق مهجور جلس مهرّجان تحت شجرة فى موضع منه ينتظران (جودو) ويثرثران . أود النوم لكن لا أستطيع . أود النوم لكنه لا يأتينى . أفكر فى طهران وفى فرنجيس وفى الرحلة عائدا بعد يومين . حين أسافر تتحرك للأمام نصف حواس قبل السفر بيومين وينتظر النصف الآخر . أنفاس السحر ، بين النوم واليقظة والحيرة ، والصفحة رقم ٢٧ أو ٢٨ من (فى انتظار جودو) ولا زلت أتصفحه . تهب الرياح والعواصف الآن . أترك الكتاب جانبا وأطفى النور ، أنهض وأفتح النافذة . الجو بين النور والظلام وعند أول ضوء الفلق أرى طائر العشق الصغير أو الحمام الاسترالى وذيله الطويل إلى حدما وريشه الأخضر والأصفر والرمادى يقف فوق فرع من شجر الصفصاف المجنون .

يحمل فى منقاره الصغير المقوس المنحنى عوداً يابساً ، كأنه يفكر فى بناء عش تهزه الريح والعاصفة وتهز فرعه وعوده اليابس . يستبد بى العجب لأنى لم أصادف نظيره قط فى بيئة الأهواز . سمعت سابقا أن طير العشق يعيش دائماً مع زوجه وإذا فصل عن أليفه يذبل ويموت . لايبدو أثر لزوجة الآخر . هذا وحيد فريد ولكن بنشاط ووسط الرياح يفكر فى بناء عشه بالعود الذى أتى به بمنقاره ، لايبدو متألماً وحزيناً أو لا يظهر هو نفسه كذلك . ليس فى حال الاحتضار . بناء على هذا أضمن أن أليفه لابد أنه بهذه المناطق . ربما ذهب لجمع القش والأعواد اليابسة ، أو ذهب إلى الجهة أو مثل ابن مطرود إلتحق

بمتطوعي المستضعفين ، أو جرح ويقيم في إحدى المصحات . ربما مات مثل محمد ولد النتة بوشهري شهيداً . أو هو مثل فرشاد قادوه للخدمة العسكرية . أو مثل منصور فرجام ذهب ليخطط مشروعات تعليم تكنولوجيا الكمبيوتر .

أغلق النافذة وأدع الطير في حاله وانتظاره . في البلد الذي يعيش (الحرب المفروضة) مع (القوى العظمى) حتى طيور العشق لابد أن تتعلم وتكتفي ذاتياً .

- ١٧ -

السبت ، آخر أيام هذه الرحلة .

فى مركز تعليم تكنولوجيا الكمبيوتر لم تحدث تطورات تذكر ماعدا أن المراحيض بسائر الأدوار هدمت بأمر الأخ فارسى . أخرجوا المراحيض الافرنجية وكل ما يتعلق بها من سائر دورات المياه ورموابها وتقرر وضع المراحيض البلدية الإيرانية مكانها . حطموا (أوشش) مدخل الدور الثالث التى يغطيها القيشانى الفيروزى المزخرف شغل أصفهان لكى يُجّهز المبنى لإنشاء قاعة دائرية للمركز الكبير لأجهزة الكمبيوتر التى أوصى بها . وقعوا عقد إنشاء القاعة ولكن أعمال الهدم هى القائمة الآن وليس غيرها .

لا تزال الغرف خالية لا أتوقع أن تظهر الأنظمة والمعدات والوسائل الخاصة بالكمبيوتر وحجرات التخطيط والـ (C.P.U) وماكينات التصوير والرسم وحجرة حفظ الديسكات والأشرطة الممغنطة وشاشات العرض والمايكروبروسس وغيرها . لم أتوقع أن تخرج من الباب والحوائط الوسائل التعليمية السمعية والبصرية لتعليم اللغة الانجليزية التى طلبها فرجام من الكتب ومعمل اللغة ومكتبة التسجيلات وأجهزة التسجيل والإذاعة وحجرة الأفلام والمكتبة . بل لم يظهر حتى الآن ما أوصى به من الكراسى والمناضد لفصول الدراسة والسبورات والستائر وسلة المهملات .

حين أمر من أمـام حجرة الأخ فارسى - وهى كـبقية الحـجرات لايبدو علـيها اللون أو الزخـاف الكثيـرة الجمـال - أرى الأخ فارسى والأخ شلمتشى والاخ دهلرانى متحلقين جالسين حول مكتب فارسى . بالقرب من الظهـر يتناولون من وسط المنضدة وفوق إحـدى الصحف طعام الغذاء من آنية . ألقى عليهم السلام فـيدعوننى للغذاء بابتسام . أشكرهم ، بجوارهم بعض الخـبز والبصل ، علِّقَ على الجـدران مزيد من الملصـقات واللافتـات المكتوبة بالفـارسيـة والانجليزية بهـمة الأخ شلمتشى فـيما يبدو . تذكرت قول فرجـام (الأخ شلمتشى له خط جميل). تقول لافتة مكتوبة بالانجليزية (سوف نطأ أمريكا بأقدامنا) . نصب أعلى أبواب الحجـرات اللافتات الخـضراء والسوداء وعليـها (بسم الله الرحـمن الرحيم) . وعلقت فى نهـاية ممر كل دور لافـتة كبيرة سوداء وحمراء عليها (الحرب الحرب حتى النصر) .

يبدو أن الأخ شلمتشى لم يقصر فى أى عمل قام به خلال الأيام العديدة التى أتاها هنـا ، ظهر جهازا تليـفزيون هنا أيضا وضـعا على الرف الوحيـد الخالى من الكتب ويقـول لى بعد ذلك فـرجام أن الأخ فـارسى أخذهمـا بطلوع الروح من إحدى إدارات المخـازن لأن بعض الفصول تحتـاج إلى التليفزيون وكان من ضمن توصـيات منصور شراء اثنى عشر جهازاً .

فى الطابق الثالث لاتزال القاعة الكبيـرة لفرجام خاوية عارية من الأثاث ، منصور عند التليـفون يجادل ويتشاجـر مع أحدهم ربما أحد الإخوة أو ربما مع بيكلرى . أدخل وأتقـدم وأسلم بيدى . يأخذ يدى ويضـغط عليهـا ويشيـر إلى بالجلوس . أجلس وأشعـل سيـجارة . يتحـدث فى التليفون بهـدوء ومودة وبمنطق بسيـط . يبدو فى الوهلة

الأولى أنهما يتحدثان عن الكمبيوتر إذ يشرح فرجام أن الكمبيتور أشبه مايكون بمخ الإنسان . الكمبوتر نموذج أكثر بساطة لمخ الانسان . يزود بالمعلومات - كالمعلومات التى يسجلها مخ الانسان - وعلى أساس هذه المعلومات والبيانات المحفوظة يمكنه أن يجيب على أى سؤال بسرعةوصحة . ثم يبدأ فرجام فى الاستماع . ثم يأخذ فى الشرح . حينا بصبر وتحمل كبير وألم يصمت لكى يسمع .

أجل ، أجل ، أجل ياسيد بيكلرى . . أنافاهم أن الحاج كتب إلى جميع المديرين . أفهم أن برامج تعليم اللغة يجب أن تبدأ من بداية السنة الايرانية (٢١ مارس) . وأفهم أن برامج تعليم الكمبيوتر يجب أن تبدأ بعدها بشهرين بالضبط أوجه عنايتك إلى أنك إذا أردت أن تبدأ برامج اللغة مع بداية العام لابد أن تهيأ جميع الوسائل السمعية والبصرية والكتب وخصوصا الأساتذة فى المبنى المقابل قبل ذلك بشهر. لابد من إعداد المختبر اللغوى . لابد من التوصية على معداته. كل المعدات والوسائل والأجهزة التى كتبت قائمة بها لابد من شرائها . كافة التوصيلات المعدنية لابد من تركيبها . يمكث فترة طويلة ويسمع ويعد : (أنا فاهم أنك كتبت الخطة والبرنامج ووقعت التوصيات من الحاج ولابد من أن يذهب إلى طهران للرئاسة العامة للادارة لكى يعتمدوها ثم تطرح على الإدارة وأغلب هذه الوسائل لابد أن تشترى من اليابان أو الشركات الأمريكية عن طريق وسيط ، لكن من المسلم به يمكنك حتى تطوى هذه المراحل أن تأذن لهم بالشروع فى المقدمات الأخرى . يعنى يمكنك أن تبلغ الأساتذة بأن يأتوا لأقابلهم وأوظفهم ، ترسل إلى المتخصصين لأجرى معهم مقابلة لكى نجهز للغة وللكمبيوتر معاً . لابد أن نفكر فى العمل وننفذ العمل خطوة

خطوة وفق برنامج مـرتب زمنيـا . يمكن على الأقل أن تعد المعـدات الإدارية من مثل الكراسى والمكاتب والستائر وأرفف المحفوظات وأقفال الدواليب . .) يسكت فـترة أطـول ، ثم يبدأ فى الاسـتمـاع (أجل مـوظفـان أو ثـلاثة من الشـبـاب أتوا بـدون أى فكرة عن أى شئ . ملتزمون ومؤمنون وأحدهم خطه جـميل ولكن لابد لى من كادر يقوم بتدريس دورات متـخصصة فى اللغة ودورات تعـليم لغة « الفورتران» والميكروكمـبيوتر أو على الأقل يكونون مـتخصـصين فى هذه الشعب حتى يمكن أن أعلمهم التعليم النهائى . .) وينقطع حديثه ثانية .

ويصـمت يسـتمع هذه المـرة فتـرة أطول . لأنى أعـرف من هو بيكلرى فإنى أضـمن أنه يستفـيض فى ذكر خدماته على مـدى أربعة وعشرين عاما وماقام به من معجزات والأقسام المختلفة التى ترأسها . بحول الـله وقوته كل شئ سـوف يستقـيم فى أوانه . يعـد ويوعد . سمع فرجان هذا الكلام بضع مرات . يحـول الآن بلا تحمل السماعة من هذه الأذن إلى تلك الأذن وينظر إلى ويرفع كـتفيـه . شحب لونه قليلا . وضع وطريقـة تنفسه ليـسا عاديين . يسـمع وهو يقاوم لكن يظهر أن مايسـمعه لايتفق ولايتسق أدنى اتفاق واتسـاق مع مايقوله . تضـاعـفت البـرامـج والخطط والخـرائط والكروكى التى تـرتفع على الجدران . ألصقت على جدار ضخم خلفه ورقة عليها برنامج مجدول لتعليم الكمـبيوتر على المدى الـطويل . وبالجهة اليـمنى علقت أخرى عليهـا برنامج منظم لتعليم اللغـة المرتب حسب دورة مكثـفة لجامـعة ميشيجان ومعه البرنامج اليـومى للمختبر اللغوى وقاعات التدريب عن طريق السمع وفصول القراءة السريعة وقاعات الأفلام والبحوث . بعد هذه الدورة المكثفة فى البرنامج يتوجه المشاركون إلى الفصول القصيرة

الأجل لدراسة اللغة الاصطلاحية مثل الانجليزية التجارية والفنية والعلمية وذلك مبين بالرسم عن طريق مربعات وخطوط متعرجة ثم يدخلون فى النهاية فصول برنامج الكمبيوتر . وعلى حائط آخر رسوم بيانية لعدد الأفراد فى كل قسم وطريقة إنجازهم مهامهم موضحة بالخطوط والسهام والمربعات . بل أن مسودات اللوائح والمقررات وخطة العمل اليومى وسائر دروس الدورات ولوائح الانضباط وشرح مهام المدرسين والموظفين والفنيين كل ذلك معد ومدون . ودورات الكمبيوتر عامة على ثلاث مستويات : الدورة التمهيدية والتشغيل والتخصص وطرح لكل من هذه المراحل برنامج مفصل .

وبينما كان يتصل وصلت إليه رسالة وضعت على طرف مكتبه بين أغراضه ومسودات الخطابات والتوصيات واللوائح التى لم تنسخ وهى كالتالى :

باسمه تعالى

(تلقت أمريكا صفعة من الإسلام : الامام الخمينى)

إلى : الأخ فرجام مركز تعليم اللغة والتكنولوجيا فى ١٩٨٤/٢/٧

السلام عليكم .

الأخ فرجام . إرفاقاً بالمباحثات بين بيكلرى / فارسى / وسيادتكم تفضلو بالأخذ فى عنايتكم قبل أن تبدءوا البرامج الأصلية لتعليم الكمبيوتر ، عقد فصل لتدريس اللغة على مستوى المحاورة لاثنى عشر من الأخوة المعاقين الموظفين الجدد بشركة النفط فى الجنوب

(ست ساعات فى الأسـبوع بينها يوم واحد) . المـقرر أن يبدأ هؤلاء الأخوة المضحون المؤثرون فى المستقـبل القريب العمل فى شركة السلع وإن شاء الله تعـالى من المقرر إيفادهم إلى لندن . ضـمن ذلك سوف يصلكم الأخ الملتـزم رضا كرباسى أحـد معلمى اللغـة - المحنكين فى مديـنـة الاهواز وسـوف يتعـهد بصورة مـؤقتة التدريس بهذا الفصل (ساعـة واحدة) وسـوف يأتى بالكتـاب المقرر مـعه . ورحـمة . . وبركاته . . نلتمس دعاءكم

من ١ . . التوفيق

على سكر آبادى

كان لايزال يتصـارع مع بيكلرى (أجل أعلم أن سيادتك لابد أن تذهب إلى لجنة تخصيص الميـزانية ثم تذهب إلى لجنة تدوين المقررات . . ولكن مـضى أسبوعـان حتى الآن و . .) وكـأن المكالمة انقطعت هذه المرة ولم يكن نصيبه غير خواء اليد .

- (ترك السماعة ؟).

- (مراعٍ جداً للرسميات ، قال أستودعم الله) .

- (ليس سهلاً !) ثم أسأله (أنت كيف حالك ؟ بخير ؟)

- (يجب علينا أن نبحث بالمصباح فى المدينة وفى كل الديار عن أعزاء وأسياد مثلكم) .

- (قم لنذهب ولنتنـاول اللحم المشـوى ولعن الله مـركـز تعليم تكنولوجيا الكمبيـوتر) فى نفس الوقت يطرق الباب انسان ما ، ننظر

فإذا هى الأخت الصغيرة النحيفة بحجابها الإسلامى وعباءتها السوداء تدخل من الباب .

(الأخ الدكتور فرجام ؟

واضح جداً عبوس فرجام وتعجبه (نعم)

(أنا أخت أشرف محمدى موظف النسخ).

- (أوامرك) .

- (أرسلونى من مكتب الأخ بيكلرى).

- (ماطلبك ؟).

- (أنسخ مسوداتك لكننى امتحنت فى النسخ بالفارسية فقط وبطيئة على النسخ باللاتينية) .

يتخلل فرجام بيده شعره الكثيف والمجعد ويتأوه ويقول هامساً (بديع Wonder ful) .

ثم يقول فى هدوء (أخت محمدى ، أنا ممنون جدا لأن سيادتك شرفتنا بالحضور ولديك صدق كبير لكن هنا لايوجد لدينا حتى الآن آلة نسخ بل حتى ليس لدينا مكتب وكرسى لك . فسعادتك تتشرفين بالعودة راضية إلى مكتب السيد بيكلرى وتتفضلين بالقول أن السيد فرجام قال ليس عندنا حتى الآن ماكينة نسخ لكى تنسخ ورقة . .) .

اندهشت البنت السيئة الحظ ونظرت باستغراب (تأمرنى بالعودة ؟ لايزال ساعتان على نهاية الوقت) .

- (هل لديك وسيلة للعودة ؟) .

- (ليس الطريق طويلاً إلى هذا الحد . أتيت ماشية وأعود ماشية) .

- (مع السلامة يامحمدى هانم) .

وتختفى البنت والخجل يعتريها .

- (لماذا شخطت فى البنت ، كنت اتركها تدخل وتجلس فى أحد الاركان) لايضحك (كل تصرفاتهم هنا هكذا بدون فكر . بدون احساس بالتخطيط . عندنا جبل من الأعمال كله تقريباً بالحروف اللاتينية وهذا السيئة الخط تقول إنها لا تعرف غير الفارسية ، وليس عندنا آلة نسخ) .

- (كانت ساعتان باقيتين على نهاية وقت العمل . كان بإمكاننا الاستفادة منها ونجلس جلسة جميلة نتباحث فيها نحن الثلاثة عن الدين والسياسة) .

- (أجل) .

- أو يمكننا أن نجلس ويقرأ كل منا للأخر الكف) .

- (سى سى سى) .

- (هذه الدراسة بالانجليزية للمعاقين كيف يمكن أن تتم ؟) .

- (ماذا أعرف ، هم الذين طلبوها) ؟

- (وما هذه البرامج والدورات داخل مصنع النفط ؟ هل وافقت على ذلك ؟) .

- (لا . . البـرامج التى وافقت عليـها هى التى يجب أن تـبدأ سواء على مـستـوى الدورة الكاملة المدة أو المكثفـة . أما هذه الدورة فهى مؤقتـة لهؤلاء الأولاد . أتى بعضهم وقدموا التـماسهم ولابد أن تعطيهم) .

- (قم ياأخى ولنذهب ونأكل اللحم المشوى) ثـم أقول (تذكر . . أنت أتيت لكى تؤسس لهم مركـزاً لتعليم الكمبيوتـر وليس مكتباً للخـيريات والميـراث . وسـوف يفى هذا المكتب بطلبـهم على المدى الطويل . . بطنى تتلوى من الجـوع) ينهض (متى نذهب إلـى المقابر كما هو مقرر ؟) .

- (نذهب فى الثانية) .

- (هل معك السيارة ؟) .

- (أجل ، لنذهب) .

- (هل من المفروض أن تصحب معك شخصاً آخر ؟) .

- (نذهب إلى منزل الدكتور وهناك سيارته، ونركب جميعاً) .

- (هل تود أن آتى بالسيارة النيسان التابعة للإدارة ؟) .

- (لا ، أعتقـد أننا سوف تكفينا سيـارتان . هل أعطوك سيارة نيسان ؟) .

- (بمجاهدة الأخ فارسى ، لكن باسمى . . هى وسائقها) .

- (إذن لا يجـب أن تقودها لأول مـرة إلى المقابر ، فهـذا فأل سئ) .

بأعلى بوابة الدخول التى تقع فى ركن فناء ترابى صحراوى بآخر الطريق علق تابلوهان قماشيان كبيران كـتب عليهما كلمات كبيرة جداً وبلون الدم (الحرب الحرب حتى النصر) .

وبجوار أحد سلالم بوابة الدخول صُنع مـبنى أشبه بالماكت مبنى بالخشـب نقش على أجزائه المختلفة التى تشـبه عـقود زاويا التـعزية بالمساجد صورتان كبيرتان لونتـا باللون السماوى وبإعداد بسيط لكنهما تثيـران الحزن والألم . إحداها صورة لولـد صغير فى حـدود الرابعة عشر يحمل مدفعه الرشاش وهو يعبر بصدره مستنقعاً . ووراءه النخل الأخضر والسحب البيضاء قد امتزجا فى خلفية زرقاء .

هذه الصـورة الطويلة المذهولة للولد المحارب تقـترب قليـلاً إلى شكل إدريس ابن مطرود . وتابلوه آخر أرضيته صفراء وحمراء جلس أحد الحرس مـتعباً بجـوار جثة ولد شهـيد غرق فى دمائه وقد غـلبته الدهشة والحيرة وكأنه يبكى . وصورة هذا تشبه إدريس فى طفولته .

داخل مقبرة أو (مـقر شهداء) الاهواز تفترق تمامـاً اليوم (أكثر من أى مقبـرة أخرى فى هذه السنوات فى ايران) عن القبور الصـافية والجافة والمكتومـة التقليدية الإيرانية . فتحت السـماء الزرقاء ارتفعت فوق مقبـرة الشهداد أعداد ضخمة من الأعلام الـطويلة بألوان مختلفة وأشكال متنوعـة تهتـزوترفرف فوق المراقـد والقبور . وتـعلق الصور والتابلوهات المختلفة الصغيرة والكبيـرة للشهداء على الأحجار البيضاء والمزاهر البـيضاء المتنوعـة والمصابيح الكهـربائية ذات الحـوامل الطويلة الضخـمة . كل شئ فـيهـا أشبه بعناصـر منظر حى ورامى أكـثر منه بالمقابر . زينت شواهد أغلب القـبور بتابلوهات كبيرة لـصور الشباب المستشهـدين وبعضها بصور حرس الثورة الاسلامـية أو بورود الشقائق

وبعضها بالأشعار المحزنة وبعضها بشعارات الشهادة والحب وبعضها بمزيج من كل هذه الأشياء . ترفرف الأعلام العالية جدا التى تطاول السماء على بعض المقابر كأنها تصل بصوتها من تحت أطباق الثرى إلى الثريا . والأعلام قليل منها علم إيران الوطنى ذو الألوان الثلاثة وأغلبها إما حمراء خالصة أو سوداء خالصة أو خضراء خالصة ووسطها كتب شعار (الله أكبر) أو (لا إله إلا الله) أو (يامهدى) . وتنتشر هنا وهناك المزاهر الكبيرة من السيراميك التى لا تصنعها غير خوزستنان بأوراق شوكية وورود مستديرة أرجوانية التى لا تعمر أكثر من يوم . ولا تزال أشجار الطلح والسروو العرعر على أطراف المقابر خضراء الورق وتعطى تحت أشعة الشمس المنيرة منظراً أفضل للمقابر. كل هذا النور والألوان ورواء المنظر يتناقض بوضوح ومنظر الليلة الأولى حين دخلنا فيها الأهواز وكانت المدينة سوداء وممزقة ومقطوعة الكهرباء وكنا نسلك ركناً لميدان الشهداء بالقرب من الكوبرى المعلق بحثاً عن فندق الفجر .

نتجة صوب قبر الابن الشهيد للنتة بوشهرى ونقف بجانبه ونقرأ الفاتحة . وقف فرجام بجوارى ولايتناسب بقامتة الطويلة ومعطفه الرياضى الأمريكى وسرواله السادة من الجبردين وقميصة الأبيض كالثلج ذى الياقة المستديرة ونظارته السوداء ووجهه الشاب الذى يحمل الطابع الشرقى - الإيطالى المهيب مع منظر الموت والنواح والبكاء . أنا فى الأغلب أتصوره ماشيا فى شارع جرانت سانت بول فى مبنى سوتا ومعه سيارته الفورد ذات اللون الرصاصى وبرفقته بنت شقراء تجلس بجواره . هو الآن واقف بينى وبين الدكتور ناصر ويرى نحيب النتة بوشهرى والنسوة الأخريات حول قبر محمد ابن النتة بوشهرى . وقبر

محمد ليس فـيه الحجر الأبيض الفحم الكبيـر ولا تابلوه فاخر يحمل صورته ولا علم مرتفع شق عنان السماء . قبرة يقترب إلى جدول ماء وبجوار الطريق الأسـفلتى الذى تسير عليه السيـارات . غطى بكليم ووضـعت فى أحد أركـانه بعض الفاكـهـة والحلوى . التفت النسـاء المتحجبات فى الأسرة والصديقـة والمعروفة عند النـة بوشـهرى حول القـبر وأخـذن فى التعـديد على الميت والنواح كمـا هو عادة النـسوة الخوزيات والعربيات فى مراسم البكاء والعزاء ويصيح بعضهن بصوت موزون منغم لكنه يفيض ألماً وترد عليـهن الأخريات بالعويل ويضربن رءوسهن بحيث تختم بضجة وصريخ . ويفعل صنيع هؤلاء بعض من الرجال والـنساء العرب على مقربة منهـم . وتعيد نفس المنظر أسرة (فارس الأهوازى) فى الناحية الأخرى من المقابر ويرتفع صريخ النـة بوشهرى تعدد أثناءه على (محمد) أو محمد وعلى (جاسم) : (إلهى هذا الألم والبـلاء بدل أن ينـصب على ابنى الحـبيب ذى الثـمـانيـة عشرعـاماً اجعله على رأسى ينصب وينزل على جمـجمتى وهذا الدم الذى تدفق من كبده كنت يا إلهى جعلته يتدفق من كأس عينى وينهال وينصب . . آه إننى أموت أمـوت بسبب أنى لم أر عـروستك ياولدى العـزيز ، يا ابنى الجمـيل ياولدى الغـالى ياولدى ياولدى ياولدى. آه ينضربوا على بطونهم، ينضربوا عل قلوبهم، ينضربوا على أكبادهم).

جاءت أسرة فارس الأهوازى بشيخ قارئ للروضة ينشد :

لحظة - أن قطعوا شفته الظامئة ورأسه

رأى قلبه مكانا آخر ، وظل فى مكانه الآخر .

الجرح الذى أصيب جسده به من السيف والسنان .

هو كيّ على قلبه بسبب موت ولده .

وترتفع أصوات البكاء والعويل من النتة بوشهرى ويعاونها الأخريات بالدق على الرءوس. تقف مريم وبدرى هانم ولاله يبكين. أشعر أن شيئاً يحترق فى جانب من عينى فأشيح بوجهى . أما الدكتور فعيناه عصيّتا الدمع لكنهما حزينتان يرى الأطباء فى العادة قبل إنهاء سنة الامتياز من حوادث الموت والدم المتكبد والمناظر المؤسية والآلام والنواح ما يكفيهم طوال أعمارهم . فرجام ينظر بوجه ذاهل وعينين زائغتين لكن دمعه رقيقة انحدرت على جانب أنفه لا أفهم هل ينظر مباشرة إلى القبر والنتة بوشهرى أم إلى النساء اللاتى بصحبتنا اللاتى وقفن فى مقابله بجوار عمود النور الكهربائى . لا أستطيع أن أفهم ماذا يدور فى قلبه وروحه . النساء جميعهن يبكين متشحات العباءات والأحجبة ولا يمكن أن تعرف بدقة أو تفهم آلامهن المخفية تحت عباءاتهم خاصة إذا كن وسط جماعة . لا نعرف سبب بكاء لالة جها نشاهى هل من أجل أمها التى لابد أنها مصابة بالسرطان تبكى أم تبكى على فرشاد أو بسبب حياتها الخاصة أو من أجل محمد ولد النتة بوشهرى أو بسبب يجمع كل هذه الأسباب . ومريم تبكى هى بدورها ولكن لا نعرف من تحت عباءتها هل تبكى محمداً ولد خادمتها الذى ولد فى منزلها وكبر أو بسبب ابنها الذى لا يسمح لها برؤيته أو بسبب زوجها الذى قتل ودفن فى ركن آخر من هذه المقابر أو بسبب حياتها الخاصة أو بسبب يجمع كل هذه الأسباب جميعا .

هذا هو المنظر الذى أحمله فى المساء معى إلى محطة القطار الذى أعود به إلى طهران بدون إدريس .

- ١٨ -

أذهب إلى طهـران وأتنفس لدى فـرنجـيس التى تعـيش وحـدها أنفاساً جديدة وينقضى يومان أو ثلاثة .

فى العشـرين من يناير (١٩٨٤) ليس لطهران حـالة الدفاع عن نفسها وحالة الحـرب وليالى قصف المدافع المضادة للطائرات والأوضاع الاضطرارية الأخرى ولـيست تعانى الضـيق كما تـعانى خوزسـتان . يعـيش سكان طهـران والمحـافظات الوسطى والشـمـاليـة من الوطن الإسلامى حـياتهم ويمضون أيامهـم كأن لاوجود للـحرب . ومع أن الصحف تنشـر كل يوم أخبـاراً عن إرسال (مئـات الجماعـات تهتف لبـيك يا خمـينى) من (المقـاتلين الفدائيين) إلى الجـبهـات ورءوس الأخبار فى الإذاعتين المرئية والمسموعـة تحكى دائماً أن (مدفعية قوات الإسلام تفـسد تحرك العـدو الكافر فى الجبـهات الغربيـة للبلاد) وأن (طيارى القـوات الجوية للجمهـورية الاسلامية شـتتوا تجمعـات العدو البعثى الصهيونى) وترتفع الشعارات والملصقات (الحرب الحرب حتى النصر) على الأبواب والجدران فى كل مقر وزارة وكل إدارة ومدرسة وبنك ومستشفى خاصة مؤسسات الثورة ولكن طهران ليست عملياً فى خضم الحرب . طبـعاً لا يضحك سكان طهران أيضـاً فى حياتهم فى هذه الأيام ضحكاً كثيراً من فرط السـعادة والحبور . إنهم أيضاً كشأن

الجميع ينتظرون شيئا . ينتظرون الأتوبيس داخل صفوف أو ينتظرون فى طوابير الخبز أو ينتظرون جوازات السفر أو ينتظرون عودة أولادهم من جبهات الحرب أو ينتظرون توزيع كوبونات الدجاج أو ينتظرون توزيع كوبونات البنزين إنهم ينتظرون شيئا ما . . . ويشكرون الله . سكان طهران يشكرون الله دائما (يابابا الأمور الأن على مايرام) . إذا انقطعت الكهرباء ساعتين قالوا (يابابا الأمور الان على ما يرام لأنها ساعتان وتنقضى وإذا انقطعت أربع ساعات قالوا (يابابا الأمور الآن على مايرام فالكيروسين موجود) . وإذا لم يكن عندهم كيروسين قالوا (يابابا الأمور الآن على مايرام فالفحم موجود) وإذا رفسهم أحد فى سلسلة ظهرهم قالوا (يابابا الأمور الآن على مايرام فهم لم يضربوك فى مخك) . ولوضربهم أحد فى مخهم قالوا (يابابا الأمور الآن على مايرام فهم لا يضربوك جوه بطنك) . . يشكرون الله وهكذا يقضون الزمان فى البلد الإسلامى .

مطرود العجوز أتيت به بالقوة تقريباً إلى طهران وهو يعيش الآن فى شقتى فوق شقة فرنجيس . لايزال يتنفس وهو ينتظر خبراً عن إدريس التائه . بالنسبة لرجل جنوبى عاش عمراً فى عبدان وفى جو الخليج الفارسى الحار والمعتدل يعد من سوء الحظ أن يعيش الآن فى الطريق القديم لشميران حيث الهواء والجو واقف وثلجى وبارد ويظل قعيد الشقة أو واقفا فى صفوف الخبز والسجائر خاصة وأنه محروق على ابنه المصاب أو المفقود وهو ولده الوحيد فحاله لا يبعث على الأمل كثيرا ولا يسعده أو يفرحه . جئت له ببعض الأخبار من الأهواز ، لكنى لم أجد له إدريس نفسه !

أعود بخطاب من (مستشفى الشهيد بقائى) أحمله إلى مؤسسة الشهداء ومركز شئون المضارين بالحرب والمستشفيات ومراكز الجرحى ومقار المعاقين العسكرين فقد سكنوا نحو ستة آلاف مصاب وجريح فى أحد مراكز التأهيل والتقوية للمصابين العسكريين فى الزعفرانية . ولم أعثر على إدريس فيه . وفى مركز آخر فى نهاية شارع (الحرس) يحجزون حوالى ثلاثة آلاف مريض نفسى عسكرى بعد موجات التفجير والآلام الطويلة على الجبهات أو بعد التحرر من الأسر . ليس له أثرهنا أيضاً . ليس من خبر فى أى مكان يدل على أن إدريس ولد مطرود أرسلوه إلى طهران . لهذا أصمم على أن أتابع البحث فى الجنوب عن إدريس حين أعود إلى الأهواز .

ذات ليلة كنت مدعواً فيها فى منزل بهرام آذرى و(خطيبته) وآخرون معه وكان برنامج الحفل فى منزل بهرام آذرى كالعادة يموج بالسعادة أتصل تليفونيا بمنصور فرجام بالاهواز . فى عنبره ومبسوط ويمارس أعماله . أستفسر منه عن حاله وأيامه فيقول ليس سيئا وهو إذ ذاك يتفرج على تقرير اخبارى مؤثر عن الأولاد المقاتلين على مرتفعات «سومار» . أسأله إذا كان الهوى المحرق للذهاب إلى جبهته القتال ضرب لاقدر الله فى رأسه فيقول ضاحكاً (لا) . قال إنه يحدث له ولكن ليس بشدة . ثم أسأله عن أحواله وعن أحوال برامج المركز المستطاب لتعليم الكمبيوتر . فيقول بخير وسعادة ويخبرنى أن أوضاع هذا المركز المستطاب تتقدم بسرعة السوبر اكسبريس الحلزونى الضخم أسأله هل ظهر شئ من المعدات والوسائل واللوازم فيقول أبلغونى أنه الأخ فارسى اشترى بالفعل اثنتى عشرة سلة مهملات وبعض النتائج والتقاويم التى توضع على المكاتب . وبما أنه تقرر أن يتحول صالون الدور الرابع إلى مسجد فقد اشترى له فرشاً من الصوف الممتاز صناعة

(أراك) بطول ستة أمتار وعرض خمسة وخمسين مهرة (قطعة مدورة من الطين اليابس يضع الشيعي جبهته عليها في الصلاة) وسجاجيد صلاة ، قال تشكل فصل جديد لتعليم الانجليزية بهمة طاعتيان وبيكلرى وبناء عن طلب الحاج لواساني للأخوة المحرومين بإدارة التجارة والتعامل الأجنبي . وضمن ذلك أحضر الأخ فارسي جهازى فيديو بعد صراع وقتال من أجل معامل التعليم المبرّح للإنجليزية . جهاز فيديو (سوني T-7) ! مبارك ! ثم أسأله عن أحوال الأصدقاء والرفاق . فيقول لم يتصل أو ير الأصدقاء والخلان لكنه اتصل تليفونيا بمنزل الدكتور ناصر ويبدو أن زوجته وبنته الصغيرة عادتا من زيورخ أو من المقرر عودتهما . فأقول أعرف هذا الخبر . يقول إن (ميس) مريم جزايرى التي كانت من أحبابنا اتصلت تليفونيا بالإدارة وسألت عن حاله وأحوال المهندس آريان . هل السماعة بيدى ؟ كانت تريدان تعرف متى سيعود السيد المهندس إلى الأهواز هذه النواحي ! يقول صوتها كان به قليل من الـ overtone أو اللهجة العالية الجنسية ربما لديها خيال محرق يتوقع منتظر أن أهتم به ربما يصل إلى حد الزوجة . فأعرفه ضاحكا أنني (جنسي) لكن ليس بهذا الحد . لكني أتذكر أنني وعدت مريم - نصف وعد - أن أقابل الرائد تقى زاده بشأن إصلاح موضوع جواز سفرها . ثم أسأل فرجام عن أحوال أمه فيقول أنها بخير . ثم عن أحوال لالة وفرشاد الصديقين تحت راية واحدة والمحبين لموسيقى الجول وليلى والمجنون . ليس لديه خبر مباشر عنهما لكن مريم جزايرى قالت أن حالة أم لالة ليست بخير وتشكو من سرطان لمقاوى ليس له دواء . أسأله وهل لا تريد الهروب والمجئ إلى طهران في الشمال القليل من الأوكسجين؟ فيقول لم يعجز إلى هذا الحد حتى الآن حتى يشعر بنقص الأوكسجين.

يتصلون بى أكثر من مرة من مكتب كلية النفط فى طهران ووصلنى أكثر من خطاب من الجنوب وقالوا إن عقدى جاهز كما حجزوا لى غرفة بفندق الفجر وأعرف أنه كلام صادق لأن أغلبهم من الرجال الصادقين بكلية نفط عبدان بل أنهم اقترحوا إرسال شيك لى كعربون .. فيما يبدو أن هذا البرنامج لابد أن ينفذ فوق دماغى شئت أو أبيت هذا الشتاء ولابد من الذهاب .

وفى الليلة السابقة لسفرى أجلس لساعات مستيقظاً مع فرنجيس تتجاذب أطراف الحديث الخطر ليس شديداً فى الأهواز . الجميع يذهبون ويأتون منها . الحرب فقط دائرة على المناطق الحدودية وهو تقريباً فى حالة من الركود . ولدى أصدقاء ودودون يمكنهم مساعدتى . والأهواز على أية حال أفضل من طهران المملة العابسة . أحدثها عن منصور فرجام وعن الدكتور ناصر وعن مريم جزايرى . تريد فرنجيس أنه تعرف على وجه الخصوص من تكون مريم هذه من وسط المجموعة. أحكى لها عن مريم .. آه أخشى أن يكون لديك احساس متولد تجاه مارى هانم هذه .. أقبلها وأقول ليس لدى احساس تجاه أحد إلاهى . يوم الاثنين أواخر يناير (٨٤) أعود صباحا من طهران إلى الأهواز بالاتوبيس الخاص بشركة النفط . أحاول فى الطريق أن أقرأ كتاب فرجام (فى انتظار جودو) الذى لم يأت مزاج لقراءته من ليلة أن أخذته حتى الآن . لكن بلاجدوى . لم أكن أستطع قط أن أقرأ المسرحية يبدو أنها تعدم العقدة والقصة أو على الأقل تعدم العقدة والقصة والمعنى عندى أو بها كل ذلك لكننى غير مدرك . رجلان حائران ومتعبان ولا يضحكان ينتظران فى مكان ما واحداً اسمه (جودو) والمفروض أن يأتى لكن كلامه هو الذى يظهر ولا يظهر هو نفسه .

حسناً على أى حـال كثير من الأشيـاء ليس لها عندى هذه الأيام طرح ومعنى مـثل علامات الطريق الجديـدة على الطريق التى وضعت خارج مـدينة رقـم) : (كـربلاء على بعد ١٢٥٠ كـيلو متـر) ثم (كربلاء على بـعد ١٢٤٠ كيلو مـتر) و . . وكربلاء هـذه على بعد (٣٢٥كم) خارج حدود الوطن الإسلامى .

الرحلة الثانية

- ١٩ -

في غروب هادئ بأفق أحمر وأصفر جميل ودافئ يغطي نهر كارون بالأهواز في أوائل شتاء خوزستان . الشمس تهبط فوق النخيل الذي يغطيه التراب ويحف بالنهر في الناحية الأخرى وأنا جالس بجوار النهر في الصالة القديمة لمطعم وقاعة تناول الأكل (الخيام) في اليوم التالي لمجيئي للأهواز وأنا أنتظر الدكتور فرجام والرائد تقي زاده لكي نتناول سويا العشاء . خارج هذا المطعم وبأسفل تتلاحق أمواج النهر الرقيقة والهادرة العريضة في مجراه الواسع بجزائره الصغيرة والكبيرة وبالزحام المروري على الكوبري الأبيض المعلق الألماني الصناعة من عهد رضا شاه بهلوي وعلى صفحة مائة تحمل القوارب الخشبية ذات محركات الـ (زيرتوف) الناس تروح بهم وتغدو . وفي الجزء المخصص للمشاة الضيق من الكوبري يغدو الناس ويروحون في بطئ وترتفع الأعلام الخضراء والسوداء والحمراء والتي تمتلئ بشعارات الذكرى السنوية للثورة الاسلامية على عمدان الكوبري وأبوابه وجسمه. وبالأسفل ، تحت الكوبري ، على حافة النهر ، على طول الحديقة الطويلة ، يتداخل في زحام الجنود الصغار السن وبعض المعوقين وعدد من النسوة المرتديات عباءاتهن والأطفال والمصورون وباعة الآيس كريم . ويذيع أحد مكبرات الصوت صوت تلاوة القرآن من مكان قريب قبل أذان المغرب .

دخلت الأهواز البارحة بالأتوبيس. خصصت لى غرفة (حسنة) في الدور الرابع لفندق الفجر بهمة الأخ (آل هاشم) من موظفى إدارة الكلية ، كنت قد بدأت من صباح اليوم أعمال تدريس دورة مكثفة لإعداد التقارير الفنية باللغة الانجليزية وكنت اتصلت بفرجام وتقى زاده تليفونيا واتفقنا على تناول العشاء معاً . يأتى فرجام بالضبط فى ميعاده بالساعة والدقيقة ويجدنى . تأخذنى الحيرة بسبب ماطرأ عليه من نحافة وضعف فى تلك الأيام العشرة أو الا ثنى عشر التى لم أره فيها. تتردد أنفاسه من بضعة سلالم صعدها . أصافحه وأقبله (هنا المنظر جميل . أنا أحب هذا المكان) .

- (احك لى لأعرف ما أحوالك) .

نجلس .

- (ليست بسوء . . بخير)

- (ماهى أحوال مركز تعليم تكنولوجيا الكمبيوتر ؟)

- (المركز واه ومشلول وواقف . . فى السكرات) ويتأوه . ثم يقول (احك لى أنت وعرفنى أين ذهبت وماذا فعلت ؟) .

- (خير) .

يسألنى (هل كلمت مريم جزايرى ؟ أخوها كان يقول أنها تعبانة جدا).

- (أجل ، كلمتها ، قالت إنها تقضى إجازاتها المتأخرة ، لماذا هى تعبانة ؟).

– (قالوا لهـا تلويحاً بألا تـأتي للشغل ثانيـة . ملفها الـوظيفي تحت التـحقـيق وهي أمـا أن تقال أو تطرد ، قـالت لي أنه منذ ليـال عديدة وواحـد ما يتـصل بها تليـفونيـا ويتحدث عن مـضار الأفـعال المحـرمـة وينهاهـا عن المنكرات ويحـذرها . . و . . و . . ثم يضع السماعة بشدة) .

– (لم أسمع منها شيئاً عن هذا) .

– (المهم أنها تعبانة) .

– (هذه الاتصالات فيهـا يبدو ليست جديدة . لكن طردها من الشركة شئ جديد ألم تتفق على أن تكلمهم أن ينقلوها إلى قسم بقلم الكمبيوتر ؟) .

– (من منهم يسمع الكلام . حين تحـدثهم عن توظيف أو عمل في التدريس له درجة كبيرة للنساء كلهم يديرون وجوههم عنك) .

– (لايهمك . حين يصل صـاحبنا الرائد تقي زاده ربما يمكنه أن يعاونها في استعادة جواز سفرها وأحوالها تمشي) .

– (اتفقت معه أن يأتي هنا ؟) .

– (قال أنا آت ، لكن الأمور هنا يمكن أن تعطل الانسان) .

– (إذن ننتظر) .

– (ننتظر نصف ساعة ، ثم نتناول العشاء) .

أشعل سيجارة وهو لا يشرب السجائر . لايزال تنفسه ولونه غير عاديين .

- (ماذا فعلت بخليونك ؟) .

- (تركته فى الحقيقة) .

يخرج قرصاً أحمر صغيرا من جيب سترته ويضعه تحت لسانه ويسألنى وهو يتأمل الأفق الأحمر والأصفر فى ذاك الطرف من النهر (هل يمكنك أن تفعل لها شيئا) .

- (لنر أولا ماذا يمكن أن يفعله تقى زاده) ؟

- (هل أنت على معرفة وثيقة به أم سيأخذ رشوة) ؟

- (لا ، أنه انسان طيب . من قديم الأيام ، أعرفه من أيام شارع شابور وشارع وسويقة قوام الدولة فى طهران . إنه يفعل فعلا ما يمكن فعله . أيضاً يرقص ببطنه فى الحفلات رقصاً بديعاً) .

يضحك .

(فلنر ماذا يمكنه أن يعمله لها .. إذا كان بإمكانى فعل شئ لها قل لى عنه) أنظر إلى عينيه (أنا قلت لك أى أمر يمكنك أن تقوم به من أجلها) .

- (إلا هذا الموضوع) .

أهز رأسى كأن به كابوساً اسمه الزواج بالإكراه .

يسألنى (ماذا تعرف عن لالة جها نشاهي؟ كيف حال أمها ؟) .

- (هى على ماهى عليه . قالت مريم إن حالتها ليست بخير . ماهذا القرص الذى وضعته تحت لسانك ؟) .

- (نيترولينجوال) .

- (نيترولينجوال ؟ النيترولينجوال يأخذه من يشكون من أمراض القلب وحين يتعبهم القلب يضعونه تحت ألسنتهم ، أليس كذلك ؟)

- (لا تهتم) .

- (هل قمت بعملية جراحية فى القلب ؟) .

- (لا ، لم يحدث هذا ، وليس من مشكلة الآن) .

أعرف أنه يكذب . يأتى الجرسون ويريد أن يعطينا قائمة الطعام. أقول نحن ننتظر صديقا آخر ونصبر إذا لم يكن فى هذا مشكلة . يقترح أن يأتى لنا بمشروب أو بيبسى أو بيرة ، فنشكره ويعود إلى حيث أتى .

أقول لفرجسام (اسمع .. لو كان فيه شئ فى قلبك فأفضل الأماكن لك هو أمريكا)

لا يتفوه بشئ .

- (.. لا تبق خارج الأهواز ، فى الجمهورية الاسلامية ، فى هذه الحالة من الحرب فى مركز التعليم التكنولوجى .. مبناه مكون من أربعة طوابق لها نحو خمسين درجة سلم فكم مرة سوف تصعدها وتنزل فى اليوم الواحد) .

ولا يتحدث أيضا .

- (أصابك الضعف الشديد ، هل تقوم بعمل رجيم ؟) .

- (لا) لا يستطيع . فى أيامه الأولى لم يكن يأكل كثيرا مثل المدققين فى تناول الأكل .

- (حتماً أمور المركز لا تتقدم بشكل طيب !) .

- (أوصوا بجزء من اللوازم والمناضد والكراسى والأرفف ليشتروه من السوق وخلعوا بعض الستائر من مكان ما وأتوا بها) .

- (وماذا عن المعدات والأجهزة هل أحضروا شيئاً ؟) .

- (كتبوا الرسائل والخطابات والمفروض أن يحملها لواسانى إلى طهران لأخذ الموافقة عليها من الإدارة . كل الأوراق واستمارات التوصية ضيعها شلتمشئ حين كانت خلفه على درجتة البخارية) .

- (ضيعها ؟) .

- (نعم لسوء الحظ . كان ذهب لتلاوة القرآن فى ذكرى ابن عمته الذى استشهد من قبل وترك دراجته خارج المسجد ، المهم إنها ضاعت وكان الحاج لواسانى قد ذهب إلى طهران) .

- (وماذا ستفعلون الآن ؟) .

- (المفروض أن نبدأ من جديد وتنسخها الإدارة المركزية وتعيد التوقيع عليها وهذه المرة سوف يسافر بها فارس بنفسه) .

- (بالتوفيق إن شاء الله . ماهذه الكتب ؟) .

كان بجوار يده كتابان صغيرا الحجم بجلد أبيض . يحمل الكتابين ويضعهما بشئ من الاعتداد والعظمة . أولهما (الرؤية الإسلامية) والآخر (الأيدلوجية الإسلامية) .

- (هل تجرى وراء انشغال القلب ؟) .

- (المقرر أن أؤدى امتحاناً حتى أتسلم الوظيفة . امتحان تحريرى وامتحان شفوى) أنظر مباشرة فى عينيه (هل تهزل ؟) .

- (لا) .

- (ألم يكن من المقرر أن يجروا لك امتحاناً شفويا شكليا وينهوا الموضوع ؟) .

- (تغير صاحبنا الذى قرر هذا . وأنا لا أرى ضرراً من أن أؤدى الامتحان . لازلت أذكر كثيرا من العلوم الدينية والشرعية . وأحفظ بعض الأشياء منها . المهم أن هذا هموم أيضاً) .

أنظر إلى عينيه . أتى الجرسون بزجاجات البيرة ويفتحها ويصب فى كأسينا بعضاً من السائل الأصفر ويعلوه الزبد الأبيض المعروف فيما يشبه البيرة ثم يترك الزجاجات ويذهب . أريد أن أقول له (أهلا بك فى الجمهورية الإسلامية) لكنى أخاف أن يغضبه قولى هذا .

يقول (كان الدكتور يقول إن البيرة مفيدة للكلية) .

- (اسمع . ليتك أتيت بغليونك الأمريكى وحشوته وجلست على راحتك وفكرت قليلا . فكرت بشئ من الواقعية والمنطقية يامنصور . نحن الآن فى عام ١٣٦٢ هـ . ش الموافق ١٩٨٤ ميلادى تحت ظل الجمهورية الاسلامية فى ايران ، فى حال من الحرب تمضى عليها ثلاث سنوات ونصف . فى قلب خوزستان ، فى الأهواز ، فى المدينة التى لاتبعد كثيرا عن حدود العراق وجبهات الحرب . مطارها مقفول . الطائرات العراقية تقوم بمناورات كل ليلة كأن شارع شانزليزيه

بالمدينة مخصص لمناوراتها . صدام عنده صواريخ مداها نحو أربعمائة كيلو متر وربما أكبر وإلى الآن يقصف المدن التى تبعد أكثر فى داخل الأراضى الايرانية من الأهواز . ويمكنهم أى يحموا وطيس المعركة بما معهم من أولئك الكلاب ويضربوا المدن مرة ثانية وأعتقد أنهم سيقصفونها . عشت وسط كل هذه الأحداث . حين تقع مدينة تحت حصار العدو أو حتى تصبح محل هجومه أو تشتبك معه فى حرب فعلية ، يفر الناس من كل ناحية مثل النمل والجراد . فى هذا الوقت لا تجد فجأة طائرة أو قطاراً أو أتوبيساً أو سيارة ولا أى وسيلة نقل . وتصبح المستشفيات مرة واحدة مثل السوق المزدحم تمتلئ بالجرحى والموتى والمصابين . وبلاشك فهى الآن بنفس هذه الصفة . إذا حدث لك مشكلة فى القلب وأنت لوحدك فماذا يكون حالك ؟ هنا شئ وهناك داخل المستشفيات السوبر المجهزة فى شركتك (سانت بول مينى سونا) شئ آخر . اجعل هذا داخل غليونك وخذ نفسا) . أقول له الجملة الأخيرة بالانجليزية وهى مثل أمريكى والمفروض أنه يجعله يضحك لكن منصور لا يضحك،لا يقول غير (أعرف. . لكن أنت نفسك الذى تعرف جيدا هذه المعمعات لماذا لا يأتيك النوم ؟) .

أرجع برأسى إلى الوراء وأضحك (أنا أتيت هنا بعقد عن طريق الفاكس لمدة خمسة أسابيع بصورة مؤقتة ثم أعود إلى طهران . أنا حديثا مواطن مقيم بإيران ولست مقيما بأمريكا . أعطى درساً وآخذ فلوساً وينتهى بعدها كل شئ . أيضا هنا فرصة لأبحث عن ابن أخينا صاحبنا) .

- (إذن هناك واحد يحتاج إليك لذلك أتيت هنا . يستفيدون من وجودك هنا) .

- (الكل يستفيد من الكل) .

- (ربما) .

- (لكن أحداً هنا لايحتاج إليك حاجة ملحة وماسة وأنت بنفسك تحتاج إلى انسان آخر أكثر من حاجته إليك) .

يخفض رأسه (كل واحد يحتاج إلى واحد وشئ آخر) أعتقد أنه يقول هذه الجملة لأنه . إذا لم تستطع مساعدة نفسك فلن يمكنك أن تساعد قط غيرك ومن يحبونك يحبون سلامتك وحياتك).

- (كل شئ ليس مطلقاً على الدوام بمثل هذه الصورة) .

- (على كل حال اهتم جدا بنفسك) .

يرفع رأسه ويرمقنى ويسألنى . ما هو برنامجك ؟ بعد خمسة أسابيع هنا ؟) .

- (فى آخر أيام العيد سأذهب إلى أثينا . . أوائل إبريل) .

- (مع من ؟) يرمقنى بنظره .

أضحك (صديق من أيام دقيانوس) .

- (كم يوما ستقضيها فى أثينا ؟) .

- (بضعة أيام تتفرج فيها على متاحفها) .

- (جميلة جدا لا تصف لى الليل فـيها) وينظر إلى نهر كارون ومنظر الشاطئ الآخر للنهر .

- (وماذا عن ابن مطرود ؟) .

(سأبحث عنه . لكـن إذا لم أجده فلن أنتحـر . أو اذا وجدته وكان يريد بشدة أن يبـقى ليموت شهيـدا حديداً أتركه ليموت شـهيدا حديداً) .

- (جلال !)

- (صدقنى) .

- (لا أصدقك . أنت هنـا حالياً بينمـا بإمكانك أن تذهب إلى أى مكان تريده ، السنة الماضية كنت فى باريس) .

- (انتهت فلوسى) .

- (الكلام مستحيل معك) .

- ٢٠ -

إذا لم يكن مرتديا زيه البـوليسى ما أمكن لى أن أتعـرف عليه . مـضى أكثـر من اثنتى عـشرة سنة ولـم أره . الرائد كمـال تقى زاده تهرانى - بوجـهه وجسـمه الذى نحل وشعـره الأبيض وشاربه الكث الرمادى الداكن وزيه الرسمى . ليس علـيه من العظمة والزينة والرواء والبـهاء الذى كـان للضـباط الكبـار فى القوات المـسلحة والعـسكرية للجيش الشـاهنشا هى بل كان متعـبا غير رائق الشكل نحـل زيه يشبه أكثر الضابط المكلف بحمل توابيت الموتى بعد أن عاد من حمل تابوت آخـر مـدنى مـغـمور بـعد هـجوم الاسـكندر المقـدونى على مـدينة «بارساجاد» القديمة لكن ، حسناً ، ففى أيامنا هذه فى ايران كل واحد يعود بعد حملة تابوت واحد آخر .

نتـصـافح ويقبل أحـدنا الآخـر وأعـرفـه على منصـور فرجـام فيتصـافحان ونجلس . ويطمئن كل منا على سلامـة الآخر وأحواله . هو الآن مسـتقـر بالأهواز له منزل فى (كيـان بارس) . يعيش مـعه أطفاله هنا وبما أنه كـان دائماً ضابطاً نقيا وبسـيطا ومستقيـما فلا يزال مستمراً فى عمله وتمر حياته بشكل بسيط .

- (كمـال أريد الليلة أن تنظم حفلة حـتى تزول هموم الدكـتور فرجام صـاحبنا حتى إذا عاد إلى شـركته بأمريكا حـمل ذكريات هذه الحفلة مـعه ، لابد أن تتصل بى ويأتى الأولاد ولابد أن تقوم بـرقصة هز البطن . . ما رأيك ؟) .

- (أقول جاء نقبك على شونة !) .

- (إذن ليس فى خوزستان خط ولا سعادة ولافرح ؟) .

- (يافرحته كانت أخذها الغراب وطار ؟) .

- (ألا يمكن أن نقبض على هذا الغراب ونأخـذ الفرحة منه ولو لدقيقة واحدة ؟) - (مع الأحوال الموجـودة هنا ، الغراب وجد ثقبا ودخل فيه وعاش ، وابحث عنه فى الثقب) .

- (لا يفلت الغراب من يد واحد مثلك - أنت دائماً جاهز) .

- (أنا لا أعرف - بحق - قبر والدى وأرواح جدى وأسلافى - غيـر أن أضحك) ويضـحك ثلاثتنا ضحكا عـالياً . أنادى الجـرسون فيأتينا بالبيرة ونشرب ونظل ندردش سـاعتين مرة بجد وأخرى بهزل . وأثناء الحديث أسـأله عن أحوال إدارة الجوازات فيعـرفنى أن الحكومة أخيرا أصدرت قراراً بأن على أى واحد يريد جواز سفر أن يدفع رسماً يسـاوى خمسـمائة دولار ، الـشخص الوحـيـد الذى لم يملأ طلب استـخراج جـواز سفـر ولم يرسله ولم يقف فى صف الجـوازات من الساعة الرابعة صباحاً هو الشاعر (حافظ الشيرازى) الذى يحتمل أنه ممنوع من المغـادرة احتـمالا كـبيـرا . لايتناول فرجـام تلك الليلة من الطعام إلا قليـلاً . أعتـقد أن قلبه يؤلمه . وحين نخـرج بعد العـشاء ونهـبط السلالم ونتـمشى على شط النهـر يودعنا فرجـام . أتمشى أنا وتقى زاده ونحن نتـحـدث فى الحـديقـة على شـاطئ النهـر أو تحت الكوبرى فترة ثم نصعد سلالم فندق الفجر ونشرب القهوة فى غرفتى . ونقص ذكريات حياتنا الخصوصية وماضينا وأيام (سويقة قوام الدولة) فى طهران لنصف ساعة أخرى .

وفى نهاية الليل أفـاتحه بموضوع جـواز سفر مـريم جزايرى التى كانت من أصدقـائنا وزملائنا فى العمل . كان يعـرف كوروش شايان ولايزال يذكره . يعدنى أن يحقق فى الأمر ويرى ما هى الحكاية . إذا كان حكم سرى قد صدر ضدها فإن ملفها لابد أن يكون قد صُنفَ ، ومع هذا فلسوف يتابـع موضوعها . أسألـه عن أبى الفضل غالب ، أجده يعـرفه جيدا . يقـول أنه خطير ومع أنه طرد من الإدارة رسمـيا لكنه يتـردد على الإدارات وله تدخل ونفوذ فـيها . قـال لايزال لديه حارس شخصى وتحت تصرفه سيارة (نيسان) بسائقها وحارسها .

وفى وقت بآخر الليل ينهض ليودعنى ويقـبلنى ثانية ويعدنى بأن يتابع ما يمكن فـعله من أجل جواز سفر مريم جـزايرى ويأخذ بيانات عنها .

- (حسناً ، إذن اتصل بى تليفونيا) .

- (ماشى،سوف أتصل بك فى مساء الغد، هل ستكون هنا؟) .

- (أجل ، ولابد أن أكون هنا) .

- (إذن أستودعك الله) .

أشايعه حتى نهاية الممر أمام المصعد .

يقول (يبدو غريباً قليلا ، لكنه ولد ممتاز) .

- (قام ناهضاً من أمريكا وأتى ليعمل لدى هؤلاء ؟).

- (هذا ما يبدو) .

- (قلت لى إن أمه هنا فى خوزستان ؟) .

- (نعم ، أمه هنا . . لكن شيئاً ما داخل صدره جَرّه إلى هنا . . أنا إلى الآن لا أفهم ما هو .) » .

ـ (أليس عاشقاً ؟)

- (ما أعرفه أنه ليس مجنوناً)

ـ (إذا لم يكن مجنوناً فلسوف يجننونه هنا)

ينفتح المصعد

ـ (حسناً ، ربنا معك)

- (مع السلامة ياكمال)

- ٢١ -

حين يعمل الانسان ويدر عليه عمله مكافأة ومجزية (ويصل إليه مبلغ محترم) يمضي الوقت كالبرق ولا تفهم كيف انقضت الأيام ، يمضى يومان أو ثلاثة على نفس الوتيرة . الدورة المكثفة لإعداد التقارير الفنية بالإنجليزية فى كلية نفط عبدان الكائنة حالياً فى شارع (كوت عبد الله) بالأهواز المعقودة لثمانية طلاب بالسنة النهائية تستغرق يومياً ثلاث ساعات متوالية ، وأبقى بضع ساعات أخرى وأصحح واجبات الطلبة وتمريناتهم أو أدرس منفرداً لبعض من الطلاب المتباطئين في فهم بعض الأجزاء مثل كتابة الجمل وكتابة الفقرات وغيرها الكلية - أى ما بقى من كلية نفط عبدان بعد الحرب وتخلية المدنية . . . تلملم نفسها حاليا فى كوت عبد الله فى أطراف الأهواز وفى هذه النقطة البعيدة عن الأهواز تخطو بصورة بدوية وصحراوية بعد بداية الحرب عام (١٩٨١) وبداية ضرب القنابل واطلاق النار ليل نهار على عبدان وقعت عبدان تحت حصار القوات العراقية لمدة عام كامل ومع أن السكان والطلاب والأساتذة وسائر الموظفين اضطروا إلى مغادرة المدينة ، انهمكت مجموعة من الأولاد بهمة رئيس ممتاز لهم فى العمل وبعد مدة تجمعوا في (كتشساران) وعادوا وحملوا قدراً من أثاث الكلية ومعداتها ونقلوه عن طريق البحر إلي ميناء (ماهشهر) ومنه إلى كتشساران وفى ١٩٨٣ نقلوا كل شئ إلى الأهواز . إن كلية النفط لها تاريخ وقصة لوحدها .

الفائـدة الأخرى التى هيـأها لى عملى بالكليـة أنى وكلت بعض طلابى الذين لهم اتصال بـ (الجهاد الجـامعـى) و (مؤسسة الشهداء) و (متطوعو المستضعفين) فى البحث عن إدريس . كنت أرافقهم فى البحث بعد الظهر فى الأغلب وكنا نجـد بداية خيوط ووثائق إيجابية . اتضح أن إدريس بعد أن قـضى واحداً وعشـرين يوماً فى (مستـشفى الشهـيد بقائي) أتجـه إلي أند يمشك برفقة بضع وحـدات من القوات الجديدة المسمـاة (لبيك ياخمينى) أو أنهم حملوه مـعهم . ونقرر أن يجد الطلبة مكانه الدقيق ونسافر يوم الجمعة إلى أند يمشك .

عصر الثلاثاء أتصـل بمنصور فرجام تليفونياً لـكى أعلمه الأخبار الجديـدة لإدريس . يفرح ويقـول إنه يريد أن يصحـبنى إلى إنديمشك ودزفـول لكى يتفـرج على الأمـاكن المضروبـة بالصواريخ (مـوشك بالفارسية تعنى صاروخ وفأر)

(إذن أدهن جسمك بدهن الفار)

- (سمعت أنهم لم يقذفوهما بالصواريخ منذ فترة بعيدة)

- (نعم لكن دزفـول من المدن التى حين تعـود لابن الكلب هذا شهيته لضربها أو حين يفرط فى شرب الويسكى يسقط عليها صواريخ يبلغ طول الواحد منها تسعة أمتار ويزن طنين)

ويصـمت فـتـرة طويلة ثم يقـول (عـلي أى حـال إذا ذهبت وسمحت لى فسأصحبك)

- (أنا حتما ذاهب ، ما خطتك لمساء اليوم ؟)

- (لاشئ)

ـ (تأتى إنت إلى أم آتى أنا إليك ؟)

– (تعال أنت . . نجلس ونسمع موسـيقى عذبة ، وجدت بقاع الحقيقية بعض أشـرطة لموسيقى موزار ، إنها فى غـــاية الروعـــة) – (موزار ؟)

ـ (نعم موزار . وجدت بعضاً من سوناتاته الممتازة على كنسرت البيـانو ومعى أيضاً « زفاف فـيجارو » و (الناى الساحـر) له ، تعال نجلس ونسمع ونتحدث)

– (من الآن فقط بدأ قلبى يتدلل)

ـ (أو إذا كان قلبك يعشق الموسيـقى القديمة فلدى أغانى شاملو من شعر حافظ الشيرازى ومولانا الرومى) ـ(لا ، يكفى موزار ، إذا كنت تعتقد أنه مناسب لى)

يضحك (مناسب لك)

((وماذا عن العشاء ؟)

– (نتناول العشــاء هنا في المطعم أو نخرج أو يمكـننا شراء بعض الشطائر وتأتى بها هنا)

– (بإمكانى شراء بعض الشطائر وآتى لها)

ـ (عظيم)

ـ(لكن أمسك موزار حتى آتى)

ـ (هل ستأتى فى الحال ؟)

ـ (آخذ حماماً وأتصل مرة بالتلـيفون بفرنجيس فى طهران . آتى فى السابعة والنصف هل سندوتشات المخ والبيض مناسبة ؟)

ـ (ممتـازة) ثم يسألنـى (هل الدكتـور ناصـر لم يعد بعـد من طهران ؟)

ـ (لا نعم لم يعد ، لكنه سيعود الأربعاء أو الخميس)

– (ما أخبار صاحبنا الرائد تقى زاده ؟)

– (اتصل بى بالتليفون . حين أراك سوف أحكى لك بالتفصيل . ما حـدث وأكده هو أن مـريم شايان مـا دامت الأرملة المفسـدة فى الأرض للمعـدوم كوروش شايان فيـحرم خروجـها . هذا هو الحكم الذى بلغ وكتب على ملفها . أما جواز سفرها السابق فقد أبطلوه)

ـ (ألم يجـد الرائد حـلاً لهـا ؟ كـيف يمكـن عن طريق الحلول الإدارية تسوية هذه المشكلة ؟)

ـ (لم لا . . قال ملوّحـاً أنه يجب أن تتزوج ثانية وتعـيد ملء طلب وترسله وتسـافر بصحـبة زوجهـا الشرعى الجـديد . أو بعد أن تتزوج يمكـنها كأي طالب لجـواز السفـر أن تملأ الطلب وترسله وحين تنتهى مراحله يمكنها مغادرة البلاد بموافقة كتابية ورسمية من زوجها)

ـ (هذه المرأة كم من الشدائد يجب أن تتحملها الآن ؟)

ـ (هذا من سلسلة السـعادة فـى زماننا . أمـها كـانت دكتـورة أمريكية مشهورة فى الشـرق الأوسط وابنها يدرس وحيداً في إنجلترا . وهى لا تنتظر غـير الجواز . وحـتى آخر الشـتاء لابد أن تسـتخـرجه

وتذهب إلي لندن بالخطوط الجـوية البريطانيـة . هذه أول إنسانه وذاك زائرنا مطرود هو الآخر إنسان الذى أصيب ابنه وفُـقد وسقط هو نفسه عاجزا فى مدينة الغربة وينتظر الموت) .

- (كل إنسان له نصيبه)

- (نعم كل إنسـان له نصيب . نصـيبنا الليلة سندوتـشات مخ وبيض وأحيانا بيرة) .

- (تعال ، ربما تجـد أشياء أخـرى . هنا الدكتور فـرهنج بختى الذى له كرامات داخل الثلاجة)

- (كلامك هذا تمام)

- (أو لو تدهورت الحـــالة يمكن أن أذهب وأتضـرع إلـي النتة بوشهرى فقد قلت لى أنهم يأتون بالكرامات لزوجها عبد الزهراء)

- (ولو تدهورت الحالة أنا نفسي سأتضرع إلى أم عبد الزهراء)

يضحك كلانا ويقول (إن شاء لن تتدهور الحالة إلي ها إذا الحد !)

حين أصل عنبره كنت لاأزال أضحك . مـلأ صوت أذان المغرب جَوّ «نيوسايت» من أحد المبكرات . وحين أفتح نصف الباب البروفيلى تضرب وجهى أصوات العمليات مـن صنع موزار وليس رديئة كثيراً . هو نفسه يلبس قميصاً قصير الكمين وبياقة مفتوحة حريرية ذهبية اللون بزخارف صغيـرة يجعله فى شكل ضوء القمر والظريف ويبـدو بعينيه الثابتين الزيتونيـتين فى إطار نظارة معدنية شفافـة (بلاتينية المعدن) في حالة تفوق التصور ولا تتواءم مع البيئة المحيطة به لم تتغير كثيرا غرفته

عن وضعها الذى كانت به من أسبوعين . هى كوخ صغير داخل عنبر به كتب عديدة فى صناديق بيضاء صغيرة وصور مرسومة وأعمال فنية زخرفية وأزهار وزهرية وحالة حية وبديعة ذات ثقافة منطوية على نفسها تتواءم مع شخصية ساكنه الموجود به . وضع فوق التليفزيون الصغير القابل للنقل زهرية صغيرة من الكريستال بها غصن ورد الشقائق . يغير غصن الورد فى كل بضعة أيام - لا أعلم من أين يأتى به - ولكن الزهرية الكريستال وغصن الشقائق من العناصر الثابتة فى غرفته من هذا الوقت فصاعداً نجلس وبينما تملأ موسيقى (الناى الساحر) لموزار جو الغرفة الصغيرة وأنا أدخن سيجارتى وهو يدخن دخانه المعطر آمفورا فى غليونه نأخذ فى استعراض ومقارنة ما تحقق وما لم يتحقق فى أعمالنا فى الأهواز والنتيجة ليست سيئة كثيراً . لم يصله قرار أوامر استخدامه حتى الآن لأن عليه أن يؤدى حتي يوظف اختباراً أيدلوجيا . تحت الأباجورة بجوار سريره كتابا (الرؤية الأسلامية) و(الأيدلوجية الإسلامية) . لم يتقاض حتى الآن بعد شهر ونصف تقريباً راتباً أو أجراً تحت الحساب . ومع أنه لم تجهز حتى هذه اللحظة الأنظمة والمعدات واللوازم الفنية بل المستلزمات الإدارية للمركز ولا يفعل الأخوة غير لصق الشعارات على الأبواب والجدران لكنه لا يزال بخير ومتفائلاً وإيجابياً ، ومع أنه يخفى غضبا واستياءاً داخله لكنه يجيد فى كتمانه .

يقسم بالسكين إلى قطعات صغيرة السندوتشات الخمسة المخ والدجاج والبيض ويضعها فى طبق على المائدة وبجواره مناديل (كلينكس) الحديثة الظهور وآتى أنا على هذه الشطائر حتى آخر الليل جميعها ولم يأكل منها إلا قليلاً فقط يتناول بأظفره الأقل منها . وبعد

أن يأتى الدكتور بختى ويأتى معه بزجاجة الكرامات يتحدثان فى الأغلب عن اشتداد الحرب القريب الحدوث وأنه كما تذكر إذاعة أسرائيل وألمانيا - إيران قد حشدت نصف مليون جندي فى الأهواز وما حولها وتريد فى القريب العاجل أن تقوم بهجوم شامل على العراق وتنهى الحرب المفروضة التى دامت أربعين شهراً . قال أحد الزعماء الدينيين لإيران فى صلاة الجمعة إن إيران مستعدة لأن تنزل آخر ضربة على العدو العاجز الذي يحتضر . تقول إذاعة أسرائيل إذا بقى العراق ضعيفاً ولم يلق التعزيزات من الغرب وإذا انتصرت إيران فلسوف تهدد موجة الجهاد الإسلامى لا الشرق الأوسط وحده بل العالم الغربى كله ، خضع الغرب أيضاً فى بيروت مع أن الآلاف من المجاهدين الشيعة والسنة فقدوا أرواحهم . أتباع الجهاد الأسلامى حتى فى الكويت فجروا السفارة الأمريكية وقتلوا المئات وقامت القوات الأسلامية لقمع أغلب مسلمى فلسطين بذبح مئات فى معسكرى (صابرا) (وشاتيلا) أنظر إلي النافذة السوداء كأن موزار نفسه يلمس هذا الوضع من خلفها .

ـ ٢٢ ـ

أو مرة أرى فيـها الدكتور في هذه الرحلة كـانت فى الخميس من نفس هذا الأسـبوع عادت فـرخنده هانم وابنتهـا الصغـيرة من زيورخ وتهران حين يتصل الدكتور بى :

- (سمعت أنك عدت وحشـروك فى فندق آستوريا أو الفجر) حالته طيبة وصوته ضاحك

- (وماذا أفعل ؟)

- (تعال ، عـاوزك . فرخنده وبرى الصغـيرة يريدان رؤيتك ، تعال لنراك)

- (علي عينى) واتفقنا على اللقاء نحو السابعة .

- (ماذا فعلت مع يوسف الضال ؟ هل ظهر ؟)

ـ (يوسف التـائه يمكن أن يـكون فى أنديمشك . سـوف أذهب إليها يوم الجمعة فرجام يود أن يذهب معى أيضاً)

- (كيف أحوال الدكتور فرجام)

- (فرجام لا يزال هنا أنه يرسب بالتدريج)

- (إذا كان لا يزال بـاقياً إذن فـلابد أن يرسب ويعجـز . هاته لنجتـمع حول بعـضنا فى ذكرى الليلة التى أتى فـيها مـن أمريكا إلى

الأهواز . قل له يأتى فقد جئت بشريطى تسجيل رائعين من شعر حافظ الشيرازى)

- (حاضر ، أتصل به الآن)

- (إذن أراك يوم الخميس)

حين أصل منزل الدكتور أجد من الضيوف فقط مريم جزايرى وابنتها الصغيرة آزر . أرى مريم لأول مرة فى هذه الرحلة مع أنى حادثتها بالتليفون أكثر من مرة وكنت أطلعها تباعاً بنتائج كلامى مع الرائد تقى زاده . لكنها الليلة محبطة . فهى الآن بلا عمل وقعيدة البيت وعليها أن تعجل بإخلاء منزل الشركة . وليس من جديد ،عن جواز سفرها حتى تذهب وترى ابنها . كأن أبا غالب يشدد من ركل حياتها بقدمه . حين ندخل ونسلم أراها جالسة صامتة على كرسى وتدخن . وبعد أن نجلس جميعا وتذهب فرخنده هانم لتأتى بالشاى تقول مريم لى (تبدو متعبا)

- (. . إنه العمل)

تتأوه (الآن وأنت على المعاش وحلقك يؤلمك وتريد أن تكون حراً يأتون بك للعمل وأنا التى بصحة جيدة وأريد العمل والحياة يطردوننى)

فأقول تلقائيا (ألم تسمعى أن مع الثورة يهبط العالى ويعلو الهابط ؟)

(الأوضاع تتأرجح ما بين العلو والانخفاض)

- (كيف حال آزر ، لم أرها)

- (بخير هى بداخل تلك الحجرة تلعب مع برى بنت الدكتور . وكيف أحوال عملك في تدريس إعداد التقريرات الفنية)

- (مُنَشّط)

- (كيف تقـوم بالتدريس وحلقك يؤلمك . الصيـاح أليس مؤلماً لك ؟)

- (الفعل ليس كبيراً وليس عادياً فى الأغلب أعمل معهم بشكل انفرادى ، لكن الأمر مؤلم بالنسبة لرفيقى الدكتور فرجام)

- (أجل ، سمعت أن إدريس بدأ يظهر ، كأنك قررت الذهاب غداً إلى دزفول وانديمشك . .)

(ممكن أن يكون هناك . . لابد من أن نبحث ، كـيف أحوالك أنت ؟)

- (بليدة)

ينظر إلى ناصر ويقول (حـافظ يوجهنا في الأحوال المضطربة . هذا المثنوى لحافظ غنوة بطريقة جميلة جداً وهو يصف حالكم أيضاً)

تأتى فرخنده هانم بصينية الشاى (ما هو وصف حالهما ؟)

أيها الأعزاء اعرفوا قدر بعضكم البعض : ابحثوا عن مرادكم إذا كـان بمقدوركم قـولوا أيها الرفـاق ما سـوف يجرى : إن الرفـيق بلا أخوان هو صاحب الغـرباء فتقول فرخنـده (أي والله . صارت الدنيا محزنة ويجب أن نساعد بعضنا بعضاً حتى يبلغ كل منا ما يتمناه)

أحك قفاى ولا أقول شيئا لا أزال غير فاهم ماذا يعنون بكلامهما والإم يقدمان

- (كيف أحوال أختك فى طهران ؟)

- (بخير)

وتسألنى مريم (وما أحوال وضعك داخل الفندق ؟)

- (سيئة)

- (ألا تتناول طعامك داخل مطعم الفندق ؟)

- (الأفطار فقط) ثم أقول (خمنى ماذا أراه من شباك حجرتى فى الدور الر ابع ؟)

- (نهر الذكريات كارون)

- (نعم هذا وكذلك أرى منظر بيت وحديقة والدكوروش وحياة ومعيشة أبى غالب العزيز عندكم)

- (وأى منظر هذا !)

- (هو نفسه لا يعيش فيه . النساء التى تزوج بهن حديثاً هن اللاتى يعشن فيه . يذهب أحياناً إليهن فى الليل كأنه متزوج بائنتين . بنى للنساء والأطفال ثلاث غرف صغيرة فى ناحية من الحديقة حيث يعيشون . أما المبنى الأصلي فهو مقفول وعلى قفله الشمع المختوم . وفي ناحية من الحديقة مكانٌ للدجاج حوالى أربعين دجاجة وفى ناحية أخرى حظيرة فيها ستة من البقر والخراف وحمل واحد . وفى ناحية سيارة نقل كبيرة جدا مخصصة للبنزين أو السولار . أظن أنه يبيع البنزين والسولار المُهرّبين . أربعة من طير البط وثلاثة من الإوز . ديكان روميان يسيران تحت ظلال شجر الصفصاف حتى فى أحد زوايا الفناء يعيش طيران من الطاووس . نظرت فى كل شبر ولم أجد الجمل)

تضحك مريم (كان يمكنه أن يأتى بقطيع من الجمال ويربيه حتى يكتمل متحف أجداده)

- (هو نفسه ليس ضخـما وسميناً وله لحية كـثة وشارب ضخم مستطيل ؟)

(نعم ، هو نفسه المنكوب)

- (أحيـاناً أراه فى الصباح يحـمل معـه إبريقا خاصـاً إلى أحد الأماكن لكى . .)

- (إنه حيـوان . . جســمى يرتعد بشدة حـين يأتى ذكره . هل تعرف ماذا أرسل إلى فى رسالته ؟)

أنظر إليها وهى مطرقة

فيقول الدكتور ناصر (لا تهتمى بثرثرته)

تتأوه مريم جـزايرى وتقول كأنها تحادث نفسـها (قال إذا أرادت مريم وابنتها أن يستعيـدا منزل أبيهما وإذا أرادت مريم الموافقة على أن ترى ابنها الآخر فلابد أن نتصالح)

- (وكيف يكون هذا ؟)

تحنى رأسها ولا تقول شيئا . فـيقول الدكتور ناصر (إنه يهزل ، لا تهتمى به)

يعلو صوت جـرس باب الفناء ويدخل بعد قليل بيـجن جزايرى وزوجته وطـفلاهما والحمـد الله ليس معه أخو زوجـته . يأتون بلالة وفرشاد وأيضا . فرشاد حليق الرأس وبلبسه العسكرى يبدو أنه يقضى

إجازة ليلة الجـمعة . ويبـدأ بيجن بسرعة في الانـهماك في ألعابهـما المعروفة العادية . أي يشرع بيجن في الحديث عن المال والعملة المهربة وتبادل أفلام الفيديو مع طاعيتـان وتبدأ زوجته أيضاً في تبادل النظرات الجريئة مع الرجـال . وينشغل فرشاد ولاله بسـرعة أيضاً في لعبـهما العادي فيسمعان في أحد الأركان شريط كاسسيت . لكن لالة الليلة أكثر إطراقا ونحافة وشحوباً من السابق كأنها تقاسي بسبب مرض أمها .

ويصل منصور فرجام أيضا ويتجمع شملنا وحين يسلم على لالة يلاحظ باهتمام ونحافة لالة وتعبها (كيف حال والدتك يالاله هانم ؟

يعلو صوت مـايكل جاكـسون من كاسـيت فرشاد داخل جـهاز التسجيل وهو يتغنى بكلمات معناها خرج الموتى من قبورهم في سواد الليل وهاجموا الأحياء .

تتأوه لاله وتحرك رأسها (أمي ليست بخير)

كأن فرجام يخشى أن يسألها . هل شخّص الأطباء مرضها أم لا فترد لاله بـنفسها (للأسف شخـصوا مرضهـا يمكن أن يكون سرطان لمفاوى)

– (أوه ، هذا يمكن أمراً مهماً لكن الأطباء يمكنهم السيطرة عليه شهوراً وسنوات هل هم واثقون من التشخيص ؟)

– (للأسف نعم . الدكـتـور ناصـر نفـسه كـان حـاضـراً أثناء التحليـلات . الدواء الذي تريده أمي غير موجـود هنا . قيل أنهم لا يستوردونه . تورم طحالها وتورم بـعْض من غددها اللمفاوية وساءت حالتها)

(هل هم واثقون أنها حـالة سيئة ؟ بعض الأوقـات تظهر نتائج الاختبارات التى لا يفحصها الكمبيوتر خاطئة بنسبة ٢٠٪)

تحلق الدمع داخل عينى لالة .

فـيـقول فـرجـام (هذا النوع من المرض يمكنهم الـتحكم فـيـه والأحتفاظ بالمريض فترات طويلة ثم يقول مـبتسما (سمعت أن الشاه السابق كان عنده هذا المرض مـدة سبعة عشر عامـاً فتقول لالة (لأنه كان شاه إيران . .) تمط شفتيها وتهز رأسها بمرارة

- (تذرعى بالأمل)

- (هل يوجد أمل عند أحد هنا ؟)

تأتي مريم وتجلس بجوار لالة وتقول (ماذا يابنية أنت تبكين غير مراعية)

- (ماذا أفـعل . اتصلت خالتى شـيرين اليوم مـن لندن وقالت هل تحبين أن أرسل الدواء اليك . قلت كيف قالت يمكن بالحيلة)

- (لابد أنهم يعطونها دواءً مشابهاً)

- (قالـت هل الجو عندكم تحـسن والشوارع هادئة نظيـفة وبـها أشجار الكرز والتفاح الجميلة المبهـجة . قلت نعم هنا أماكن مبهجة . كـثيـرة جداً . ومـعك فلوس لكن لا يمكنك شـراء دواء لأمك ، لا يمكنك الحصول عليه . أمك تموت بالسرطان اللـمفاوى ولا يسمحون لك بأن تسـافرى لعلاجـها بالخـارج لأن أخاها كان يومـا مفـسداً فى الأرض . قالت عمك إيرج أرسل من أفـريكا من لوس انجلوس لعيد

ميلاد (فريد) في لندن برقية حـمراء اللون وزهر الأركيدا وأحضروهما وسلموها لشقته . قلت تماماً مثل هذا)

فتـقول مـريم (من يرى هموم الناس يهـون عليه همـه . قومي وساعديني أنا وفرخنده هانم لكي نرتب المائدة)

- (ماشي)

حين تذهب يسأل فرجام فرشاد (ما أخبار القاعدة ؟)

- (لاشئ نحن نتلقي التعليم المبتدئ ونقرأ عند كل صباح الشعر الباكي الثوري لكربلاء . كل هذا الجيش أتى عاشقاً لرؤية الحسين)

- (وماذا تفعلون في المساء)

- (في الليل حـين تزأر الطائرات نذهب تحت البطـاطين نحكي النكات ونضحك)

يضحك فرجام لكنه يقول (الدفاع عن البلاد أمر لازم)

ينظر فرشاد إلى السقف

أساله (أليس من خـبر أو همس حول تشـديد الحرب أو الصلح المحتمل ؟)

- (يدور الهمس عن هجوم كبير إيراني وتحول الهمس إلى إعلان)

- (أحقاً ؟)

- (هذا مـا نسمـعه تقـرر أن تبـدأ إيران هجومـها الشـامل من بنجوين وقـصر شيرين حـتى جزر مجنون والبصـرة وفي النهاية على بغداد نفسها)

- (جميل جـداً) إذن العراق تبدأ هجومـها على المدن ومناطق الخليج الفارسى)

فيقول بيجن (وتفتح أفواه مُعداتها)

ويتساءل فرشاد (هل يمكن أن تثبت العراق في مواجهة إيران ؟)

- (أعطوا العراق قـوات جوية أكثر تطورا وصدام عـميل وهم جهزوه ويجهزونه . .)

فيقطع بيجن كلامه (يجهزونه)

(. . لم يسمحـوا له بأن يتجاوز في أعماله الـشيطانية لكن إذا رأوا أن موقف صدام فى خطر سوف يسمحون له)

- (من ؟)

- (كلهم . . أمريكا ، روسيـا ، فرنسا والبلاد العربيـة التابعة لأمريكا)

فيتقـدم الدكتـور ناصر بصينـية المشروبات (لعـن الله صدام ، ادخلوا إلى الحياة والعـشق والسعادة) ثم يقول (فرشـاد خان أنا فداء رأسك القرعاء . حين ينتهى مايكل جاكـسون ضع للدكتور شـريط « ساقى نامـه» من شعـر حافظ الذى تركتـه فوق جهـاز التسـجيل) يضحك الجميع .

فيقول الدكتور (تفضل يا دكتور . تفضل ياجلال . هذا لك)

فيقول فرجام (أنتم تقولون إن التقليديين أذلاء فى الأرض)

- (هنا فقط التقليديون الأذلون هم الذين يبقون ياسيدى الدكتور)

- (ويتحملون)

- (يبقون بأسفل حفـرة ترابية ويجذبون ظهر الزمان إلى الأرض لكنهم يبقون) .

- (يبقون في تراب التقليد) .

- (أجل ، هذه هي أسطورة مجتمعنا ، تفضل يادكتور) .

لبس هذه الليلة سروالا قطنيـا رماديا وقميـصا أبيض ورباط عنق فخم رمـادياً فاتحاً بحـيث تضفي عليـه عامة وهو وسط حـجرة تمتلئ بالعتائق والأثاث الايراني والديكور والصـور القديمة حالة من التناقض ، لكن بما أنه هو الدكتور ويعـقد عنقه برباط فخم فلن تبدو الليلة سـيئة خاصـة حين يتحدثون عن الأمـور بهذه الطريقـة من حوارهم فيـقول فرجام (الشراب لذيذ) .

- (أفسنطين وعصير العنب ؟ أو يبقون في حضرة ترابية ؟) .

(كلاهما) ويضحكان (وخصوصـاً أنهم يبقون في حفرة ترابية ويسحبون بقرة الزمان والحظ من قرنيها) .

ينظر إليه الدكتور بإعجاب الزمان هو الزمان يادكتور لكن الحظ شئ آخر) ويعود ويـنظر إلي (الزمان الشقي أو السعـيد هو لكل الناس .. أما الحظ فبعضهم يناله وبعضهم لا يناله ..) .

فيخفض فرجام رأسه (نعم، بعضهم يناله وبعضهم لا يناله) .

- (أولئك الذين ينالون الحظ عليهم أن يساعدوا أولئك الذين لـ ينالوه بفـضل ثم يعيـد النظر إلى . أنا حـتي الآن لا أفهم مـقصـوده فيقول فرجام (شكراً) ويرفع كأسه إلى فيه .

وأشرب أنا أيضاً من العصير الذى لا أعرف من أى شئ خلطوه . وأبقى صامتاً في أغلب الوقت حسبما يقتضيه الألم الذي بحلقى وأسمع كلامهم والموسيقى .

ويكثر فرجام من النظر إلى لالة التى لاتزال عيناها محمرتين وباكيتين ولاتريد النهوض ومساعدة فرخندة مع مريم وتشارك النساء فى كلامهم وأعمال المطبخ مع أن مريم نفسها ليست فى حال من السعادة والاستقامة بل إن آخر نكات بيجن حول حماقات .. لا تجعلها تضحك .

والعشاء مكون من الأرز المخلوط بالنقل وقطع اللحم والطيور ونوعين من السلاطة والكوارع والبطاطس المسلوقة والخضار . ويجعل شريط الموسيقى الإيرانية وشعر حافظ الأحوال فى ليلة حزينة قابلة أكثر للتحمل .

- ٢٣ -

حين ذهب بقية الضيوف ينظر إلى الدكتور .

(ألست متعباً ؟ اجلس أريد أن أحدثك حديثا جاداً) .

- (أنا متعب) .

- (جلال أريد أن أحدثك عن العشق والسعادة والزمان والحياة) أنظر إليه من فوق نظارتى .

يضحك (اجلس) .

فرخندة هانم وحدها مشغولة فى المطبخ ، حينا تأتي وتذهب . لم يكثر الدكتور من الأكل ، لا أظن ذلك ، بناء عليه فلا يمكن أن يكون فى وضعه الطبيعى . يعلم أني متعب .

وهو نفسه متعب ، ولكن ليس بهذا الحد الذي يجعله يصمت ، أظن أنه يريد أن يحدثنى عن رحلتي بعد العيد إلى أوربا .

فأقول له (هل ستأتى) ؟

- (إلى أين ؟)

- (أثينا) .

- (لا يابابا ، أنا أمامى فرحى كثيرة ، ربما يمكن أن أقضى أسبوعاً فى زيورخ عند الأولاد بعد الانتهاء من أمور ومشاغل العيد).

أشعل سيجارة وأسمع أشعار مثنوى حافظ حين يقول فجأة (جلال ماهى خطة حياتك بعد العثور على ابن مطرود ؟) .

- (تسألني عن خطتى بعد العثور على ابن مطرود ما هى ؟) .

- (فعلا) .

- (لا شئ) .

- (أليس من خطة أو هدف لك ؟).

- (نفس اللف والدوران هنا وهناك والتردد على فرنجيس) .

- (قارب بلا قائد فوق الموج . . يتلكأ فوق الجزر والمد ؟) .

أضحك (أنا أتكلأ وأتسكع من سنين وليس من جديد) .

- . لوحدك وبلا هدف ! هذا ليس حسناً لك ياجلال) .

أتنفس نفساً من السيجارة . فرخندة لاتزال إذ ذاك فى المطبخ . أفكر في أن أفصح له أني أريد بعد العيد أنه أقضي مدة فى أثينا وهناك أفكر أن أرتبط بواحدة هى (جانيس جاس) التى ينفتح باب قلبها على حنياً حين يزيد حالها فسادا ولكنى أصمت . لأنى أشعر أن الدكتور كأنه يريد أن يقترح على موضوعا ويخبرنى الغراب أنه شئ غير مستحب .

(الوحدة ليست أمراً مستحباً ياجلال خاصة إذا كانت بدون سعادة : اسمع وانظر ماذا قال أبو أجدادنا) ويشير إلى شعر لحافظ :

أيها الرفاق اعرفوا قدر بعضكم بعضا ،اطلبوا مرادكم إذا كان بمقدوركم (كان أبو أجدادنا زمانه سعيداً . .) .

(لا نعرف . حتما كان زمانهم فيه النجاد والوهاد . كان عندهم أسطورة المسجد والحانة وشيخ المجوس والشاه شجاع . كان لديهم المر والحلو وليـال سوداء كنت أنا وفـرخندة نتـحدث الليلة مع مـريم . . اسمع مـريم أمرأة شابة ومتـعلمة والتى انحصـرت في هذه الدنيا بين ثقافتين وحياتها الآن في خطر . .) .

الآن فقط أفهم ماذا يرمى إليه ؟

(كيف أن حياتها فى خطر ؟)

(أشيـاء موجودة ليسـت ظاهرة لكنها تؤلمها . نفس العـميل أو العملاء أولاد الكلب الذين قتلوا زوجها نفس العميل أو العملاء الذين تآمروا حتي أقالوها من عملها ، نفس العميل أو العملاء الذين منعوها من السفر . هم الذين يريدون أن يعذبوها الآن حتي يجبروها على أن تلقى بنفسها على قدمي أبى غالب . هم يقفون منتظرين . اسمع هذه المرأة شابة وجـميلة ومتعـلمة تحتاج إلي رجل يظلـلها بظله هذا الظل الذى تتمتع به كل زوجة) .

– (أجل . .) .

ثم يسألنى بعد هينهة (مارأيك ؟)

– · منصور فرجام . .) أحك رأسى .

– (الدكتور فرجام ؟)

– (أنه يحتاج إلي إنسانه تضبطه وتربطه) .

– (الدكتور فرجام لا ، أنه أكثر شبابا من مريم ، لا يتناسبان . كما أنه متوقع على نفسه كثيرا) .

- . من أجل نفس هذا الغـرض إذ لابد أن يخرجـوه من داخل نفسه) .

وحين تأتى فرخندة هـانم بالشـاى ورقـائق الشيكولاته تقـول (الدكتور فرجام أصغر من مريم بخمس عشرة سنة) .

- (وأنت أيضاً . . هذه مـؤامرة ، عن إذنكم) لكنى لا أنهض واقفاً .

- (ليس من مؤامرة ، إنه أمر خيِّر وجدير بالقضاء) .

يقول الدكـتور (وأنا أعتقد أن الـدكتور فرجام عـينه وروحه فى لالة) .

- (لالة جها نشاهى ؟).

- (أجل يتناسب مع سنها يرمـقها بنظره من الحين للآخـر كأنه يغوص خلسة فى عالم ما) .

وتقول فرخندة هانم (يبدو لى ولداً طيباً) .

ويتأوه الدكـتور ويمد يده إلى (جلال أتشرب الشـاىَ أم أعد لك كأساً خـفيفاً ، أعلم أنه لا يحب أن تشرب ولكن الحال يفـترق فالآن أوكازيون . قليل من خمر الأقسنطـين يفتح شرايين القلب ، فى صحة الخضر المبارك الخطا) .

- (هاجمنى النوم) .

- (اشرب يارجل!) .

- (كان عندنـا هذا الأردواس الذى كان يقول (كل مـاهو عند الحادى هو عند الزمان) .

يضحك (أتذكر أول سنة رأيتك فيها هنا ؟ متي كانت ؟ سنة ٦٢ أو ١٩٦٣ لا أذكر . كنت في «مسجد سليمان » الحالية . وأتيت هنا في شتاء ما وكان عندك برنامج . قلت تعال وتزوج بنت الدكتور بجمان إنها مثل باقة الورد) ويأخذ فى النهوض تدريجا ليعد أمر الخير أفسنطين له وللمخضر المبارك الخطا .

- (نعم ، أتذكر ، عيناها زرقاوان) .

- (فى تلك الليلة قلت يكفي الزواج مرة واحدة . ثم تذكر أن البنت ذهبت إلى طهران وماذا حدث لها ؟) .

- (أصيبت بالجنون ، فماذا كنت أفعل أنا العاثر الخظ ؟) .

- (الآن تعال اسمع كلامى اسمع كلامي وكلام فرخندة . مريم طبعا عندها ولد وبنت ولكنها لاتزال شابة وعاقلة . بمجرد أن تتزوج يمكنها أن تتقدم بطلب جواز سفر وكذلك تبدأ حياتها من جديد وكذلك زوجها يكون من نصيبه زوجة جميلة وشابة ولديها احساس ومتعلمة وعندها تجارب مفيدة . فى ايران الآن المرأة المستغربة سلعة بلاثمن وسعر . لابد لها أن تتزوج ، لكن بانسان يناسبها . فماذا تفعل هده المسكينة وسط هذه المعمعة ؟ هل تتركها وسط عالم المزايدات ؟) .

أشعل سيجارة جديدة وأضع علبة السجائر والولاعة فى جيبى ولا أشرب كأسى .

- (إنها انجذبت إليك . وأنت نفسك كما أعتقد معجب بها) .

أنظر إليه .

– (يمكنك أن تعقد عليها فى السر ، ويحضر العقد بعض منا) .

أنهض (أنا ماشٍ) .

مضحك . أين ؟ لماذا غضبت مرة واحدة) .

– (لابد من أن أذهب مع فرجام فى الصباح الباكر إلى دزفول وأخشى أن تروح علىّ نومة) .

– (لم تجب علىّ) .

– (هذا كثير على رأسى) .

– (الدخان يتصاعد من الخندق) وينظر إلى .

– . النوم غلبني يادكتور) .

– (فكر فيما قلته لك ، ساعدها ، فكر بنحو إيجابى ، دعها تخرج من هذا الموقف الخانق دعها تصعد عالياً منه لبعض الأوكسجين . طبعاً هذا اقتراح) .

– (حاضر) .

حين أعود إلى الفندق كانت الساعة الحادية عشرة ونصف . لكن قبل أن أخذ دُشًّا أتصل بفرجام فيجيبنى بسرعة .

– (أنت استأذنت وسط الزحمة والضوضاء ولم أستطع أن أتحدث معك . هل أنت واثق أنك تريد أن تأتي معي غدا إلى دزفول ؟)

– (مائة فى المائة) ثم يسألنى (هل ستأتى إلي ؟) .

- (أجل . سوف آتى إليك لتركب معى . واحد من الطلبة سيأتى معنا ، أفى هذا مشكلة ؟) .

- (لا ، أفضل) .

- (هل الساعة السابعة مبكرة جداً ؟)

- (السابعة معقوله ، كيف حالك ؟ صوتك متعب) .

- (جميع من فيها خالدون يتعبون) .

- (عمن تتحدث ؟) .

- (جنون ، لو حكيت لك لن تصدقنى . يبحثون عن زوج لمريم جزايرى . هل تريد أن تملأ استمارة دعوة Application ؟)

يضحك (استمارتي ليس فيها خبرات سابقة) .

- (أنت متواضع) .

- (إن من يرعاك يذوب ضعفا . استمارات الدعوة للباقين باطلة) .

- (كأنك أفرطت في شرب خمر الأفسنطين . ليلتك سعيدة) .

- (ماشى . ليلتك سعيدة ونوماً هادئاً) ولايزال يضحك .

- (إخ) وأضع السماعة .

- ٢٤ -

حين أنزل فى الصبـاح أجد على رضـا نوبنحتى ينتظرنى جـالساً على أحـد كراسـي الصالون أمـام الفندق . يقـول أتى مـعه إحـدى سيارات (نيـسان) الكلية لأمر خـير لأنه يمكن أن نتحرك بـها أفضل وتسهل المهمة مع المؤسـسات . فكرة طيبة ، وأشكره . الوقت لايزال مبكراً علي الإفطار فى مطعم الفندق . نركب ونأتى نحـو (نيوسايت) بحثا عن منصور فرجام .

الصبـاح شمس وصـاف ولاتزال الأهوار مسـتلقيـة وسط طست الجمعة الناعسة . يذيع الراديو بعد موجز الأخبار نشيد (من أجل فتح كربلاء إلى الجبهة ذاهبون) ويشحـن الشعب للأسبوع القادم ، أسبوع (١٢ من شهر بهمن) (الموافق الثـانى من فبراير ٨٤) الذي هو بداية الأيام العشـرة (للفجر) وسادس عام عـلى انتصار الثورة الإسـلامية ويعدهم لاحتفالات ذكرى الثورة أترك عل رضا داخل السيارة أمام فناء العنابر وأذهب إلى منصور ، أنادى عليه يفتح الباب مع أول جرس . مرتد ثيـابه ومتأنق ومسـتعد لكنه يقـول (ادخل لحظات فوالدتى على التليفُون نتـواسى ونتشجع) ويشير بيده إلى للدخـول وقبل أن أتفوه بشئ يعود ويجلس على سـرير ويرفع السماعة ويستـمر فى مكالمته . أجلس على الكرسى . بجوار سريره وأمدد رجلى إلى حدود مايسمح به عرض حـجرة (١٣ ب) بالعنبر . حـجرته كعـهدها دائما نظيـفة وتبرق : كـمبيوتره الشـخصى متصل بمـقبس التليفزيون . وكـلاهما

مفتوحان لكنهـما لا يظهر أن شيئا على شاشتيهـما . يبدو أن تليفون والدته قبل مجيئى شغله عن الاستفادة منهمـا . وورود الشقائق داخل اناثها الكريسـتال نضرة وغضة فـوق التليفزيون وزاحتـية اللون . نمت زهور (حسـن يوسف) فى أصيـصاتهـا ورفع سوقهـا بخيط مـعلق بالنافذة الصغيرة .

يسمع مرة ويتـحدث أخرى (حاضـر يا أمى حاضر . . لا ، لا تقلقى . . نعم ، حسنا أنا أتوجه في كل صـباح إلى الإدارة وأظل بها إلى وقت مـتأخـر . وطبعـاً لا يمكنك الاتصـال بى على خط الإدارة . . . البارحة ؟ كنت في منزل أحد أصـدقائى . . أعرف . . قال لى الدكتور بختى . ذهبت إلى منزل الدكتور ناصر . . نعم ، السيد آريان الذى حكيت لك عنه معى الآن هنا . أنا بخير ، وأحوالى على مايرام أيضاً . حاضر ، سوف آتـى إليك بعد أسبوع ، نعم نعم . ليس من خبر هنا . الآلاف المؤلفة يعيشون هنا بأمان . لا ، ليس هنا أى خطر . . ماشى ، مع السلامة . اليـوم ربما أذهب مع صديقى خارج المدينة لنتـفسح . لا اليـوم لا . ماشى . على عـينى . مع السلامـة ، مع السلامة ، يترك السماعة ويتأوه (أمى !) .

فأقول (الأول قل لى لأعرف لماذا كل شئ هنا نظيف ؟).

– (ليمكن تحمل كل شئ) .

– . إنها تبـرق . أنا الذى أسكن في الفندق وكل يوم يقـومون بالخدمة والنظافة لكن حجرتي لا يبدو عليها مثل هذه النظافة) .

– (أجل ، كل شئ هنا يلمع ويبرق ، المركـز يبرق وأنا أبرق ، وغيره وغيره) .

- (تلمع من النظافة أنت أيضا) .

يقول مبتسما (حين تكون نظيفا يمكنك أن تفكر تفكيرا نظيفا) .

- (هل أنت مستعد ؟) .

- (أنا جاهز) .

أنهض ويرتدى هو معطفه الزيتونى الذى جاء به من أمريكا ويحمل معه أيضا ترموسه وكاميرته ويقول (تحت أمرك) .

ثم يسألنى (إذن تريد اليوم أن تذهب لتأتى بيوسف التائه ؟) .

- (ربما آتي به وربما يستمر تائها) .

- (ألم تقل أنهم قالوا لك أنه كان فى أنديمشك أو دزفول ؟) .

(قالوا كان فى أنديمشك أو دزفول . وسنرى الآن هل هو هناك أمر غير ذلك) وحين نخرج أنظر إلي وجهه فى نور الصباح المضئ . يبدو أكثر نحافة من المعهود ربما يشعر بالإرهاق (لماذا تلهث يامنصور ، هل أنت بخير ؟) .

- (لاشئ ، لنذهب) لونه يبدو أكثر شحوباً من المعهود كأنه يعاني من خفقان القلب أوضيق النفس) .

أعيد سؤاله (هل أفطرت ؟ بيننا وبين أنديمشك ودزفول ساعتان من السفر) .

- (هيا نذهب ، إنك تتحدث الآن مثل " الأمهات " .

- (ما الذى تحمله داخل الترموس ؟)

فيقول مبتسما (ليس غير القهوة باللبن ،ساخننة. هل تريد ؟) .

- (لا حاليا) .

نأتي ونركب .، يصافح على رضـا ويتلقاه بالبشاشـة والفرح ، أدير محـرك السيارة وأتحرك على عـجل من نيوسايت ومنطقـة شركة النفط وشمال نقطة المرور داخل الشارع ، ثم نتـجه شمالا من وسـط (دشت حشك) . يحدثنى عن التقدم أو فى الحقيقة عن التخلف فى إنجار المركز . لا يمكنه ألا يتحدث عن المركز . المعادلة الصعبة العجيبة للمركز أن علامات الاستفهام تزيد مع الوقت بدون أن تجد إجابات . تزيد علامات الاستفهام على البرامج التى يعدها للمـركز ولا يسانده ويحميه غـير لواسانى الذى يقيم دائما في طهران . عـلى عدم اهتمام قطع الشطرنج الوسطى مثل بـيكلرى وطاعيتان اللذين لا يشـرفان أبداً فى مكتبيهما (لديهـم مؤتمر) أو (اجتمـاع تدوين مقـررات) أو (اجتماع الميـزانية) . على قلة التجربة وشلل الحركة التـي يتمتع بها الأخوة الذين على الزيرو) مثل فارسى وسـذاجة ويله الأخ شلمتشئ . لا يعرف شيئا عن المعدات والوسـائل ، وما شغلوه فقط هو فصل أو اثنان لتعليم الانجليزية فى زمن قليل .

وحين نترك (عبد الخان) ونتجه إلى (شوش) يبدو الطريق أكثر رداءة . لم يحدث أن قدت السيارة من فترات فى هذا الجزء من طريق الجنوب فى وضح النهـار . أصـيبت نواحي الاهواز بسـبب الحـرب باصابات مباشرة . هجرت المصانع والمزارع وصارت خرابا . تشيع فى كل مكان المنازل والأكواخ المتروكة الخاليـة . تصادفك آثار الحرب أكثر

وضوحا من (عبد الخان) فشمالا : تظهر الصحراء الجميلة دميمة الشكل ، جريمة بمنظر حطام السيارات المحترقة هنا وهناك والبرصى والبهناء الذى أصاب المناطق العامرة فتحولت إلى خراب بقصف الصواريخ والقنابل .

على رضا نائم على الكرسى الخلفى . يحكي فرجام عن همومه حول المعدات الحيوية لتعليم الكمبيوتر فى الكلية والمدرسة الفنية الصناعية بل وفى الدورت المتوسطة التى يتلقاها الموظفون الإداريون والماليون .

- (اسمع هل وقعوا الأمر التنفيذى أوعقد توظيفك ؟)

- (فى طريقة إلى الإمضاء) .

- (هل تتابعه ؟ إذا لم تتابعه ولم يتضح موضوع عقدك وتغير فجأة لواساني فإن حقك يتولاه الكرام الكاتبون) .

- (قال بيكلرى الأمور ماشية ووجودك يامنصور هنا فى حكم الكيمياء ، أنا لم أمت ولا تقلق مادمت أنا حيا) .

- (لا فائدة من الكيمياء والليمياء) يعمل لمدة شهر وكسور (ألم يعطوك شيئا تحت الحساب ؟) .

- (لا ، حتي الآن ، وليس يلزمنى شئ ، لاتكن متشائماً) .

(اسمع) أستدير لألقى نصف نظرة على الكرسى الخلفى فأجد نويختى لايزال نائماً .

(لا تدعهم يتلاعبون بك غداحين يتصل بك بيكلرى ويقول لك يامنصور ياعـزيزى اتصل بى لواسانى ونريد منك تنفـيذ برنامج الاثنى عشر دارسـا من الأخوة موظفى شركـة السلع قل له كيف هذا ؟ لابد أن نضع ياعزيزى النقاط على الحروف .

قل له أنا لايهمنى أنا أكـون كيميـاء أو ليمياء قـال إذا لم يتضح موضوع توظيـفى حتي آخر الاسبـوع أى يوم الأربعاء وإذا لم يصلنى قرار توظيفى المعتمد فأنا أسف ياعزيزى وعن إذنك وشغلوا أنتم مركز الكمبيوتر . ياعزيزى أن العلم بالنسبة لك ليس حاجة ماسة وإذا أردت أن تبـقى الآن فى إيران تصـّـرف بكل دقـة ووضـوح وإيجابيـة حـتى يقدروك ويعرفوا قيمتك) .

- (قال إن الأمـور ماشـية . قـال إن إدارة شركة النفـط كانت محكومة بالبيروقراطيـة من أول الأمر . . يمكن أن تتأخر لكنها لاتقف جامدة . ولاتزال علي نفس الوتيرة) .

ثم يحك قفـاه ويبتـسم (المهم أنهم كانوا فيـما مـضى لايساوى عندهم شيئا توظيف متخصص فى الكمبيوتر) .

- (تبارك الله) .

- (طبعـاً ، يعني موضوع التـوظيف الذى تنبهنى إليه مـوضوع غير ملح . قال لي أن الأمـور بالشركة تسير مرة متباطـئة ومرة سريعة لكنها لاتقف . وقال إذا لم يمـش عقدك سوف يعطونني شهـرياً مبلغًا على الحساب من صندوق الزمالة حتى ينتـهى العقد أو الأمر التنفيذي لتوظيفك)

فأقول له (كل هذه الوعود والعهود والتعهدات والقرارات تلفيق المؤسسة الآن بحاجة إليك وتستفيد منك ويستفيدون من كل واحد.

لواساني يمكنه أن يضغط عليهم. هم يتصرفون معك بالخداع والكلام المعسول والنفاق لكنهم يتصرفون مع غيرك بالسباب والإكراه. وأنت لابد أن تضغط عليهم وتثبت من الآن وضعك. هذا مهم ولازم. إذا سمعوا كلامك في توظيفك فسوف يسمعون كلام في إعداد المعدات واللوازم للمركز).

ــ (لا يا سيدي، أنا الآن لست بحاجة ملحة للفلوس وسوف تمشى الأمور).

ــ (لابد أن تأخذ حقك وإلا تخيلوا أنك ساذج وركبوا عليك).

ــ (أنا أتيت هنا لكى أعمل ولم آت للمشاحنات والصراعات).

وأعود وأنظر إليه يلتقط بكاميرته الكبيرة صوراً للصحراء والسهل وآثار الحرب. وحين يراني أنظر اليه يلتقط لي وأنا أسوق السيارة بضع صور: (ها، أنا خلّدتك بصوري وأنت خلف عجلة القيادة في الكيلو متر المائة وعشرة وسط طريق شوش).

نام على رضا نومة هينه.

ــ (بل خلدني بفنجان من القهوة باللبن، وعلى رضا أيضا النائم).

ــ (نعم على عينى) ويصب القهوة من داخل الترموس (لاتهتم بأمري فكر فقط اليوم في إدريس التائه).

ـــ (إدريس سوف يظهر. . مـن اسمهم إدريس هنا كثيـرون كما يحب قلبك).

عنوان اسكان الجـرحى يبدو أنه يقع في (حـضرت سجـاد) على أربعة أو خمـسة كيلو مترات بين انديمشك دزفول. يعـرفه على رضا. حين ألف من تقاطع طريق انديمشك في اتجاه دزفول أيقظه فيتبين على الفور موقـعه ويقول (سيدى ادخل من عند مـحطة البنزين ثم سأقول لك من أين يجب أن نلف) لايزال نائمـاً. لكني غيـر قلق لأنه يعرف هذه النواحي حـتى وهو نائم. أدخل من عنـد محطة البنـزين وأعبـر طريقا متسعاً يكون في العادة في صباح أيام الجمعة خالياً ساكنا، لكن حالته مـختلفة الآن. فهنا وهناك ينام الناس وسط الصحـراء والفضاء ملتحفين بالألحـفة أو البطاطين أو بداخل السيارات أو داخل الخـيمات وقد بدءوا في الاستيقاظ. يشـرح على رضا أنهم يخرجون من بيوتهم داخل المدينة وينامون في العراء خوفاً من الصواريخ الليلية لصدام.

مقر (حـضرت سجاد) قـاعدة كبيـرة نسبيا عـسكرية وهي محل سكني ألفي جـريح من أهالي شادجـان والبستـان والحويزة وعـبدان. أترك السـيارة بالقـرب من مدخل المقـر. يدخل بعض إظهـار هوياتنا واثباتات شـخصيتنا. يرشـدنا الإخوة بترحاب واعتـزاز بل إن أحدهم يعرض علينا أن يوصلنا بسيارة نقل تويوتا فخمة بيضاء وإن كان التراب والطين يعلوها إلى مكان إدارة الاسكان ونقبل عرضه.

نعبر ساحة واسعة مفـتوحة. أغلب الأماكن ساكنة وخالية إلا في أحد الجوانب زى مـا يقرب من ستة عشر مـتطوعاً صغير السن كـثيرا يقومـون بقيادة شاب بالغ الطول وملتح بتليـين أجسامهم. يصـيحون

أثناء حركاتهم (حسين) أو (شهيبا !). وبأعلى باب مبنى ضخم ويبدو أنه مكان الاجتماعات أو محل النوم علقت مصابيح وأعلام وملصقات كثيرة، ويذاع من مكبرات الصوت (الأناشيد الثورية).

لاتقفى يا أمي دونى فقد نفذ صبري

فأنا ذاهب الى الجبهة

إني لا أهدأ لحظة إلى أن يرسلونى إلى الجبهة

فأنا ذاهب إلى الجبهة

ونتجه من الساحة إلى مبنى الاسكان

ومبنى الإسكان فى الواقع مكان جميل وكبير ويشمل بلوكين مجهزين بحجرات لها نفس الشكل والوضع وتنقسم كل حجرة إلى أربع وحدات كلها نظيفة ولامعة. وخارج كل وحدة صنبور ماء تجمعت حوله النسوة. وأمام الحجرات فضلاً عن الأثاث الاضافي والامتعة احتشد الصبية والأطفال وأيضا الدجاج والديوك وحينا الماشية. أغلب الناس عرب أو مولدون من العرب والعجم من القرى والمدن الصغيرة الحدودية. رأيت أمثالهم في بهمن شير وأحمد آباد وأطراف عبدان وتلك النواحي. أشم رائحة عالم مطرود وإدريس ويبدأ قلبى اليأس والرجاء، وأرى فرجام أيضا يبتلع هذا المنظر بعينين جائعتين وكأنه وضع قدمه على كوكب بدا له مهماً أو حيويا أو أنه وصل إلى مركز تسجيل كمبيوتري سجّل فيها قبل ذلك تلك المناظر ثم عاد لكي يسترجعها على شاشة الكمبيوتر.

فى مكتب الاسكان ثم في مكاتب الجيش التي تضم وسائل تسجيل وتوثيق جيدة تذكر بضعة من الموظفين إدريس ابن مطرود. ساعدنا الأخ المسئول نحو الساعة بعد تقليب القوائم يتضح أن الأخ إدريس آل مطرود كان في الواقع من ضمن قوائم الجرحى بمقر حضرت سجاد فى الفترة من ٢٢/ ١٠/ ١٩٨٢ حتى ٢٦/٩/١٩٨٣ ثم انتقل بناء على (طلبه الشخصي) إلى مقر (سيد الشهداء) لأهالي أصفهان الواقع في بهمنشير التابعة لعبدان. بل أنه يظهر من ملفه وصورة كاملة أنه أصيب في قدمه ويده فيما يبدو وأن عنقه محاط بالجبس ورباط قطني ويقف في الصورة أمام سلم مسجد المقر. إنه هو إدريس الملعون. يشير بأصابعه بعلامة النصر. مرحى! قد نجحت! أرى فرجام صورته فتعمه الفرحة ويمد يديه إلى ويعانقني ثم نشرع بدون تفكير في تقبيل الاخوة. إلا أن الأخ المسئول في المكتب في ذاك اليوم يولينا قدراً أكبر من العناية. فيتصل تليفونيا بمقر (سيد الشهداء) لأهالي اصفهان في بهمنشير ونعرف إن إدريس لايزال هناك في الواقع من ضمن المقيمين بالتكية الكبيرة أو الحسينية الخاصة بأهالى اصفهان حالته على ما يرام. يقول إن الأخ إدريس مع أنه معاق إلا أنه يقوم بعمله في مطبخ مقر المتطوعين. ملتزم بأداء الصلاة وهو (فى صف عاشقي الحسين).

آخذ صورته حتى أحتفظ بها تذكاراً منه لأني لم أره. لا أتذكر أنني كنت بهذه السعادة الغامرة من وقت عدم حصولي على أي مستند أو وثيقة أو أثر له حتى هذا اليوم، نقف جميعاً أمام سلالم مكتب المقر ونلتقط لنا صورة جماعية.

متأهبون للعـودة إلى الأهواز حين يحك الأخ المسئول فى المكتب لحيته ويسأل فرجام (كيف ستعودون يا سيدى الدكتور إلى الأهواز ؟)

- (لدينا سيارة نيسان تابعة لكلية النفط) .

- (هل أنتم ثلاثة ركاب ؟) .

- (نعم ، نحن ثلاثة) .

(أقول .. كنت أتمنى ، إذا لم تكن هنـاك مشكلة ، ويمكنكم أن تؤدوا إلينا خدمة أن تصحـبوا معكم راكبين إلى الأهواز .. ليس لدينا سيارة عائدة إلى الأهواز هذه الليلة ومعنا أحد الأخوة الذى يتعين عليه أن يعود بأخ آخر إلى مستشفى الشهيد بقائى بالأهواز) .

فينظر إلى فرجام (ليس من مشكلة بالقطع) .

وأقول (ليس من مشكلة .. الكرسى الخلفى تحت أمركم) .

فيقول الأخ (أقول إن أحد الأخـوة لابد أن يسلم المستشفى الليلة جثة أخ شهيد وهو نفسه سيذهب إلى الجبهة . يمكنكم أن تتفضلوا بأن تأتوا بالسيارة هنا أمام المصحة حتى نركبهما معكم ..) .

- (جثة ؟) . أتبادل النظر مع فرجام .

- (أخ سيسلم الجثة إلى المستشفى) .

- (يجلسان على الكرسى الخلفى ؟) .

- (أجل يا سيدى سيركبان . الأخ الشهيد كانت رجلاه قد بُترتا . صغيـر السن ، كلاهما سيجـلسان على الكرسى الخلفى . ليس لدينا هنا ثلاجة . وهو سيذهب معه ، وله من الله الثواب) .

- (والله ، على عـينى . أى خدمـة يمكن أن . تقوم بهـا على عينى) أنا مذهول ولكن فرجام فاض به الحماس .

فيقول الأخ المسئول (أجركم على الله !) .

- (هل الأوراق والمستندات اللازمة لتسليمـه جاهزة ومرتبة حتى لا يوقفونا وسط الطريق ؟) .

- (نعم يا سيدى المهندس . الأوراق والمسـتندات وكل ما يخصه جاهزة . بطاقته الشـخصية . بطاقته العسكرية . شهـادة استشهاده . استمارة نقله . الأخ زميله فى الحـرب من الحرس الثورى . هو نفسه الذى أتى بكافة أوراقه وشـهاداته . بل إن الأخ الشهيد نفسـه كان قد كتب وصيته بالصدفة . وهى مع الجثة أيضًا !) ويبتسم .

- (طبعًا) .

الأمر يبـدو غير عـادىٍ قليلاً عن أمور أخرى ، لـكننا نقبل وأنا أقبل هذا أكـثر بسبـب الاهتمام والشـوق والحماس والإحـساس الذى يغمر فرجام الآن . تثير القـضية أيضًا على رضا الذى هو دائمًا جاهز لحل وجزم هذه المسائل فأقول (نجلس نحن فى الأمام والأخ والجثة فى الخلف . منصور فرجام يظل باقـيًا مع الأخ المسئول عن المكتب وأعود أنا وعلى رضا بالسيارة من بوابة المدخل وأدخلها حتى هنا .

الجميع يقف منتظراً خلف المكتب أمام سلالم البوابة التى كتب عليها (مصحة سيد الشهداء) . حمل سبعة من الأخوة المرتدين لباساً شبه عسكرى محفة عليها ما يشبه البطانية الملفوفة المستطيلة الشكل تقريبًا ووضعوها على الأرض . عقد على البطانية شريط أخضر وآخر أسود وعلق فيها غصن من زهر الشقائق . ووقف أخ آخر يلبس بوتًا ويحمل حقيبة ومجرد من الأسلحة وغطاء الرأس بجوار ما يشبه البطانية الملفوفة المتأهبة للرحيل . كما وقف صبى دون العشرين نحيف القوام ضامر القد مغبّر الملبس ومعه أخوة فى نفس سنه وعمره . واقترب فرجام من هؤلاء الصبية ليشاهدهم يودعون رفيقهم بضرب الصدور الرتيب وإيقاعات النواح . كأنه نفسه كان يدق صدره بيده دقًا خفيفًا . أنظر إليه وأراه وقد غلبه البكاء منظر الوداع محزن مؤسٍ . يقبلنا الأخ المسئول بسرعة ويأمرنا بالركوب فنجمع كل شىء وندخل السيارة ونستعد للتحرك . الجثة الصغيرة الملفوفة بالبطانية ومعهما الأخ المرافق والحقائب وما يتبعها فى الخلف ونحن الثلاثة فى الأمام . كان لا يزال أكثر الأخوان ينوحون ويضربون صدورهم . وبما أننا كنا على مشارف الظهيرة أمر الأخ المسئول بوضع إناء به الأرز باللحم المفروم والخبز بداخل السيارة حتى لا نضطر إلى التوقف وسط الطريق من أجل تناول الغذاء . يصيح الأخوة مصلّين داعين وينثرون الزهور ويلصقون بواجهة السيارة الملصقات المكتوبة عليها (لبيك يادم الشهداء) ومعها صورة الإمام الخمينى بينما نتقدم بالسيارة فى الطريق .

وفى نحو الحادية عشرة والنصف نقترب إلى مفترق طريق أنديمشك والأهواز . لا أزال أتولى القيادة وعلى رضا بجوارى ومنصور بجوار النافذة .

الأخ المقاتل صامت فى الأغلب حزين متألم بسبب موت صديقه ورفيق كفاحه وعلى رضا لا يكثر من الكلام ثم يدير رأسه ناحية الجثة المطوية داخل البطانية للشهيد ويغمض عينيه أو بالأحرى يبكى وهو مغمض العينين . وبعد مدة يغلبه النوم . أعطانى أوراق الجثة وشهاداتها ووصيتها فوضعتها قريبًا منى على صندوق لوازم السيارة الأمامى لآتى بها وقت الحاجة . الأخ المقاتل من قرية (وحدت آباد) التابعة إلى سوزن جرد ، قتل أبوه وأمه فى الهجوم الجوى على سوزن جرد . وهو من بين أفراد المتطوعين بالجيش الآن . شارك فترة فى عمليات الأهواز ثم فى عمليات تحرير خرم شهر ، أصيب بشظية من قنبلة فى وسطه وبطنه ثم شفى منها وهو متجه الآن إلى خرم شهر إلى قدر الله ومشيئته .

اليوم مشمس مضىء وكأغلب أوقات الظهيرة فى غرب خوزستان خالط التراب الهواء ويتناثر عليه بكثرة الرمل والغبار والتراب الآتى من العراق ومن الجنوب ، يشعل فرجام غليونه لكنه مصاب بالهم والصمت وحين نعبر مفترق الطرق ونتجه إلى شوش يطفىء غليونه ويدعه جانبًا .

إلى الجنوب ببضعة كيلومترات ، ترقد صامتة آثار شوش وكنت أتيت فيما مضى مع بضعة من طلاب الثانوية الصناعية بالأهواز لرحلة نطوف فيها على هذه الآثار . كانت الشمس الزاهية للربيع تتلألأ من خلف القبة المثلثة الشكل للنبى دانيال بدوائرها وأشكالها الكثيرة الأضلاع البيضاء وتغمر المدينة الصغيرة بأشعتها البهية وكان الأولاد يلتقطون الصور بآلات تصويرهم للمعالم الأثرية والأبنية القديمة بينما يثرثرون ويمزح بعضهم مع الآخر ، وكان قد استحضروا الأستاذ جيرشمان (أستاذ الآثار) الذى كان يتحدث معهم بالفارسية الركيكة

بينمـا يطرح الأولاد عليه الأسـئلة . . اليوم تصـمت فى حزن القـبة وأغلب بقع هذا الرسول الكبـير من رسل بنى إسرائيل الذى كـان قد التجأ بإيران القديمة تصمت حـزينة من جراء هجوم صدام . . والنهار الأسود المغبر يخفى ويمحو طريق شوش فى طيات ظلامه .

أقول مخاطبًا فرجام : (أنت غصت فى الفكر يا منصور بك ؟) .

- (نعم ، كلهم تقريبًا شباب وصبية) .

- (نعم يا أخى) .

- (لماذا ؟ . .) .

- (نعم يا سيدى) .

- (انظر لما قطعت قدماه فجسده بقدر جسد طفل فى الواقع) .

- (لكن أعمالهم ليست أعمال طفولية) .

- (أعمالهم أسطورية . . لكن لماذا ؟) .

(نعم صرت فدائك) .

- (ألا يذكـرونـك بطفـولتك وضـــربك للصــدر داخل الـتكايا وبالاستشهاد وبعاشوراء ؟) .

- (سيـدى كيف نتناول هذا الأرز باللحم المفـروم والخبـز الرقيق حتى نجدد الذكريات جيداً ؟) .

لا يضـحك ويقول (لا ، مـرسى) . على رضا ليس به شـهيـة للطعام . لهذا أقفل الباب على موضوع الأرز باللحم المفروم . . أرفع الوصية وأعطيها لعلى رضا (اقرأ لنرى ما كتب فيها) .

يأخذ الوصية ويستدير ليلقى نظرة على الكرسى الخلفى . الكرسى الخلفى هذا كأنه غير موجود فالأخ الجندى نائم وجسد الشهيد نائم نومه الأبدى . يفتح على رضا المظروف المفتوح وبداخله الوصية ويقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم . حياة ووصية أصغر عبد الله) ينظر فرجام من الزجاج إلى الخارج إلى نقطة بعيدة وغير معلومة . صوت على ليس مرتفعًا كثيراً ، لكن كلماته مسموعة ويبث حضور المتوفى كاتب هذه الكلمات الأحاسيس والمشاعر الجياشة فى الهواء داخل السيارة . هى من نوع الوصايا التى تطبع فى أغلب المجلات والجرائد أو أنها استلهمت فيها . وأصل هذه الوصية سوف تنشره فيما بعد مجلة «الشهيد» :

بسم رب العاشقين والشهداء

لكِ يا أمى ، هذه المرة لك ومعها سلامى الحار بدرجة حرارة نار الطلقاتَ والقنابل والهواء الحار الرطب لمدينة خونين شهر أو المدينة الدامية . لك . . أنا فقدت من سنوات سابقة حضنك الدافىء وأتمنى أن أنال الشهادة يومًا بأسرع ما يمكن على الجبهة حتى أصل إلى حضنك فى الجنة .

أمى العزيزة : أنا وأنت غزالان وحشيان فى وادى العشق نلنا فى ظلمات الفراق أنوار تعرف أحدنا بالآخر . ومع أننا وحيدان وحائران وعطشان للعشق بينما تضرب الآلام وحرقة الفراق التى كالنار وانفجار طلقات المدافع والكتيوشا أمواتنا وأحياءنا من الأمام والخلف لكنى أنا وأنت نعرف حالتنا ولغتنا وأنا على أمل ومدرك بحق السيد إمام الزمان المهدى (عجل الله فرجه) أن انتظارى هذا سوف ينتهى وسوف أصل إلى مرادى .

أمي – لم تكوني قط على الجبهة ولا تعلمين كيف يثير جو الجبهة القلوب . إن جوها لهو أفضل من جو المدن وشقائها أحسن من جو شوارعها . إن الآخرين لا يشعرون بلطف جوها وجماله . لأن آلام العشق لا يحس بها إلا المخلصون في عشقهم الذين فارقوا تابوت الجسم الذي يعدم العشق .

أمي – إنك لم تسافري عاشقة خلال عمرك القصير والصعب والطاهر إلى المزار والمسجد ذي الأركان الستة لقبر الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء . لا تعرفين كم لشوق الزيارة والشهادة من جذبات . كهذا المكان . فالتحصينات لها عندي نفس تلك الجذبة وحالات العشق اللطيفة . التحصينات هي محراب العبادة ولطف الزيارة وزاوية عشق الشهادة جميعًا . . في مثل الدفء والحلاوة في حضنك الرحيم . حين تصل صيحة بلوغ العاشق إلى المعشوق إلى الأسماع يقترن بها صوت ملائكة الله (يا أيتها النفس المطمئنة . .) أي حين يتلطخ جدار التحصينات بالدم ويغمره الدم المتدفق من الشرايين المقطوعة فإن هذا الدم هو دم الجنة ، ودم العشق ودم يزيل الآلام والمذلة ويبشري لمستقبل هانيء وحياة سعيدة .

أمي – تتغنى لي البلابل لكن بتكبير الشهادة فقط . الشقائق حمراء لكنها تذكرني وحسب بدماء أخوتي الشهداء ، النجوم والشمس والقمر نورانية ولكن بنور جمال سيد الشهداء وفي النهاية ألقي حضنك الجميل في الجنة .

أنا لا أحب هذا الحياة وهذه الدنيا الفانية وأحب أن أهب حياتي وعمري للأحباء حتى أذوق الطعم الحقيقي للعشق . . أحب أن أكون عديم الوفاء لهذه الدنيا التي كانت عديمة الوفاء لي .

وبناء على هذا يا أمى فهـذه لك وهذه الوصية أكتبـها في ذكراك على أمل أن تصلك على عجل.

حياتى ووصيتى

ولدت أنا أصغر عبد الله الابن السابع لشكر الله بقرية بيشاب من توابع سادة . كان والدى يعمل فى فلاحة أرض صغيرة بتعب عظيم . ودعت أمى الدار الفانية فى سـن الخامسة والعشريـن وكنت فى الثالثة من عمرى إذ ذاك وهى تحمل حملهـا الثامن وفى السنة التالية وأنا فى الرابعة من عمرى وكانت السنوات الأخيرة لعهد الطاغوت وظلم الشاه فى انقضـاء عمّ منطقتنا الجفاف والـشقاء العظيم أثناء قحط صـحرائى سيء حتى أن مـاء الشرب نضب ولهذا لجـأنا إلى الهجرة فـقدمنا إلى ساوة . عـمل أبى فترة بائعًـا جائلاً ثم فتح دكـانًا لبيع الفاكـهة بأول طريق قم بجانب المسجد . لم يكن محل بيع أبى الـفاكهة واسعًا وكنا جميعًا ننام فى حجرة خلفه . . هذا جانب من فترة طفولتى .

وفى عـهد أوج الثـورة الإسـلاميـة التى صادفـت مرة تعليـمى الابتدائى مع أنى كنت أعيش فى سنين طفـولتى إلا أنى جاهدت مثل بقية أخوتى فى صالح الثورة . وبعد نجاح الثورة إلتحق جميعنا بجيش العشرين مليون متطوع فى (مـسجد ولى) . كنت أنا وأخان أكبر منى وهما مسـعود ومحمود نذهب إلى المدرسـة . كنت من سن الـسادسة مثلهمـا عضواً فى الجماعـة الإسلامية بالمدرسـة التى صارت بعد ذلك جماعة المتطوعين .

فى البدايـة . فى البداية دخل الجـيش أخواى الأكبـران محـمد ومصطفى وكان من العـاشقين المخلصين لسيد الشهداء بإرشـاد ومحبة

روحية للشهيد محمد مهدى رحمت الطالب بمسجد ولى ثم لقيا الشهادة فى كردستان ويفصل بينهما خمسة شهور . ولما حدثت حادثتا الاستشهاد لأسرتنا المستضعفة وبينهما خمسة شهور بكى أبى كثيراً لكنه شكر الله وقال سوف نقضى بقية عمرنا فى العزاء والعبادة ومن هذا الوقت اشتعلت فينا روح الشهادة وعشق الشهادة .

وبعد بداية الحرب المفروضة حرب الحق ضد الباطل فى تاريخ ١٩٨٠/٩/٢١ بهجوم صدام اليزيدى الكافر على بلدنا الإسلامى توجه أخى الثالث أبو الفضل الذى كان حديث الزواج وكانت امرأته قد ماتت وهى تضع حملها . كان أبو الفضل يقول على الدوام إن سيد الشهداء قد عرفنا الواجب المنوط بنا . كان يقول إن الإمام أحيانا ونفث فينا روحًا وحياة مستقبلية . ليتنا نذهب جميعًا إلى كربلاء ونشاهد الإمام الحسين ونقاتل صدام اليزيدى وريجان وروسيا خاصة وأن كل مكان بإيران هى كربلاء وكل يوم هو عاشوراء ظل أبو الفضل ثمانية شهور على الجبهة ويشارك فى العمليات العادية والمتطورة . رجع إلى منزلنا ثلاث مرات خلال هذه الشهور الثمانية ورأى طفله . كان يقول إن العراقيين أتوا حتى مفترق طريق الحميدية لأن ريجان يساعدهم . حين كان يريد العودة إلى الجبهة كان أبى وقد صار أبا شهيد وتملك دكانًا كبيراً ويحتاج إلى أبى الفضل . يسأله (هل تريد العودة ؟) فكان أبو الفضل يقول (سوف أبقى على الجبهة حتى نهاية الحرب) . ثم جاء خبر استشهاد أبى الفضل إلينا فى عصر أحد الأيام . لم يقل والدى غير «إنى لأفتخر بأن لدى مثل هذا الولد . . إلهى كانت لدى أمانة وضحيت بأبنائى هؤلاء فى سبيلك فأقبل الأمانة ياربى» .

وحين أتوا بجثة أبى الفضل لم يعد أبى يبكى . وإنما رفع يديه إلى السماء وحمد الله . قال رب إن راضٍ بما رضيت ، أنت الذى أعطيت وأنت الذى أخذت . وقام هو بنفسه بغسل ودفن جثة أبى الفضل الذى احترق الجزء العلوى منه وتفحم وبترت ساقاه . هذا عن استشهاد أخوتى الثلاثة الكبار .

كان والدى رجلاً : كان يقول لى ولمسعود ومحمود تعلموا الدرس . وبعد قتل أبى الفضل أخذ محمود ومسعود الأكبر سنًا منى ودخلا مع المتطوعين بالمدرسة يتحدثان عن الذهاب إلى الجبهة ويتجادلان من منهما سوف يلقى الشهادة قبل الآخر . وذات ليلة حين عاد أبى إلى المنزل من عمله وجلس وأجلس ولد أبى الفضل على ركبتيه أخذ يستمع إلى جدالهما كان مسعود يقول : أنا الذى سوف أنال الشهادة أولاً . فكان محمود يرد عليه : بل أنا . الذى سوف أنالها قبلك ، فقال مسعود : لا أنا الذى سأموت شهيدًا قبلك . فقال أبى لا تتجادلا ، اذهبا إلى الجبهة لو كان لديكما هذا القدر من الرغبة إليها وسوف نعرف من سيستشهد منكما قبل الآخر . لكن الله لم يرد أن يعرف والدى المسكين من سوف يلقى الشهادة قبل الآخر من ولديه اللذين اتجها إلى الجبهة بعد أن تعلما النظرية الثورية والإسعاف والقيادة جبهة حرب الحق ضد الباطل لأن والدى نفسه لقى مصرعه فى حادثة سيارة كانت تنقل الخيار وآتية من طريق شهريار - ساوه وانقلبت به . وكان هذا فى يونيو عام ١٩٨٢ . وكان هذا الشهر دمويًا . وكان أخى مسعود هو الذى استشهد فى البداية فى عمليات تحرير خرم شهر الناجحة فى آخر المحاولات الفاشلة لجنود صدام الكافر ، استشهد فى شادجان ثم تلاه محمود فى شلمتشة وكان كلاهما على الخطوط الأولى للجبهة . هذا عن استشهاد مسعود ومحمود .

بعد هذه الأحداث صار معلومًا طريقى وخطى فى الحياة بقول الإمام وسيد الشهداء . صرت إذ ذاك يتيمًا وارتبطت بالمتطوعين فى الجيش ومع أنى كنت بنهاية المرحلة الثانوية إلا أنى سلكت طريق السائرين إلى كربلاء فى الصيف ضمن المتطوعين فى الفرقة الثالثة من جيش (أبا عبد الله) .

وبعد خمسة وعشرين يومًا فى الأهواز أتينا إلى خرم شهر واشتبكنا فى قتال مع جنود صدام الكافر مدة ثلاثة شهور ولا يفصلنا عنهم غير مائتى متر . ثم اشتركنا فى عمليات تطهير جزيرة مينو وفى ١٠/ ١٢/ ١٩٨٢ وأنا وسط انهمار الرصاص والطين والزلق فى منطقة النخيل بجزيرة مينو وكنت أفتح الطريق لعبور أربعة من المقاتلين الجرحى إلى مؤخرة الجبهة ، أعانتنى السعادة وقدمت ساقى الاثنتين على أثر سيرى على لغم فداءً للثورة والإسلام .

وحين كانوا ينقلوننى من محل إصابتى إلى مؤخرة الجبهة ويحملنى أخوان من الحرس على محفة سقطت فجأة قنبلة تزن مائة وعشرين رطلاً أمامنا بمترين . هذا اليوم من أعجب ذكرياتى . رأى أحد الأخين القنبلة وصرخ بصوت عال (يا مهدى) وبأمر الله ساعدتنا الإمدادات الغيبية وسقطت القنبلة أماماً لكنها لم تنفجر . غاصت فى الطين . هذا عن يوم إصابتى .

وبعد قضاء شهر فى مستشفى الشهيد بقائى بالأهواز وشهرين فى مصحة جيش الإسلام فى انديمشك تقدمت ثانية بطلب العودة إلى جبهة خرم شهر . لكن بسبب ضعف جسمى وحاجتى لعملية بالكلية نقلونى إلى طهران فعملت هذه العملية فى مستشفى (سعادت آباد) .

وبعد ذلك بسبب أنى كنت أود أن أكون على الجبهة أو فى مؤخرتها نقلونى أولاً إلى (مكة) فى قافلة الفدائيين ثم إلى هنا فى دزفول . الآن مع أننى على غير ما يرام لكنى على أمل أن أزور سريعًا بعد انتصار المقاتلين الإسلاميين قبر الحسين فى كربلاء وأنال إذ ذاك فى الجنة لقاء إخوتى وجميع شهداء الإسلام وأمى الحبيبة وأبى المكادح والمسكين . ألتمس منكم الدعاء .

غير هذه القطرة من دمى لم يكن لدى متاع

فكتبت بها وصيتى فأنا الآن من جماعة العاشقين

أصغر عبد الله

فى حدود الرابعة نصل أمام مستشفى الشهيد بقائى بالأهواز . نساعد الأخ المقاتل فى تسليم جثمان رفيقه إلى الثلاجة ، يودعنا ليرحل إلى جيشه وحين أوصل فرجام إلى نيوسايت كان الوقت قبل الغروب بقليل . يبدو لى منهكًا حزينًا . لا يريد أن يأتى معى لنذهب إلى الطبيب . يودعنا ويوصلنى على رضا إلى الفندق ثم يعود بالسيارة إلى كوت عبد الله .

هذا أيضًا عن يوم ذهابنا إلى أنديمشك .

- ٢٦ -

الدكتور وزوجته فرخندة ليسا موجودين بالمنزل فى المساء ولا يرد على تليفـون مريم جزايرى ، أدق الجرس ثلاث مـرات حتى ترفع فى النهاية السماعة .

(آلو : السلام عليكم أنا جلال آريان) .

- (أوه ، السلام عليكم) إنها هى نفسها .

- (لماذا تخشين الرد على بالتليفون ؟) .

- (لدى حكاية) .

- (لديك حكاية ؟) .

تتنفس براحة (ماذا أقول .. يا للعـجب . أنا سعيدة لأنى أسمع صوتك . كيف حالك ؟) .

- (كنت وحيـداً ، اتصلت فلم أجد الدكـتور وزوجتـه .. قال عبدى ذهبا إلى منزل أخت فرخنده هانم ، ألم تذهبى أيضًا ؟) .

- (لا ، آذر تعـبـانة ، أصيـبت بالأنفـلونزا .. هل ذهبت إلى أنديمشك دزفول ، هل وجدت قريبك التائه ؟) .

(عرفت أنه الآن فى عبدان) .

- (آه ، عبدان) .

- (كل هذه الفترة ونحن نقلب الأهواز كلها رأسًا على عقب بحثًا عنه ، لكنه عاد إلى عبدان وأقام في أحد المقرات . أتيت الآن بعنوانه المضبوط وقلت إنهم يراعونه هناك) .

- (وتريد الآن الذهاب إلى عبدان ؟) .

- (ليس الليلة ولا غداً) .

- (آه ، لا تذهب الآن إلى عبدان ، أصدرت الإذاعة العراقية بيانًا مفزعاً قالت أنهم يريدون ضرب كل مكان) .

- (من هذه التهديدات كثير . حسنًا ، إنها الحرب . كيف حال الننة بوشهرى والآخرين ؟) .

- (يجننونني . فعبد الزهراء هذا كان قد عاد في غروب اليوم سكير ومخموراً ولا أعرف من الذى أعطاه هذا السم والآن هو والننة بوشهرى يتخانقان خلف المطابخ ولا أعرف ماذا أفعل معهما) .

- (اتركيه ، هذا العجوز الأخرق) .

- (هل أترك هذا المسكين يشرب الخمر ؛ ثم يشتبكان في زعيق وخناق ، ويطلّعان عيني ؟ يكفيني هذا المجرم المجنون أبو غالب) .

- (أغلب الطاعنين العرب يشربون كالأرامنة الكبار السن ولا يأبه بهم أحد . وقد فقد ابنًا له في الحرب وذهب ابن آخر ضحية موجة الانفجارات إذ اختل عقله وأسر العراقيون ابنه الثالث) .

- (يجب أن يفتخر بأنه قدم شهيداً وجريحًا وأسيراً لوطنه ولا ينتحر) .

- (تزول الأسرار والعقول في ذكرى العشاق) .

- (هل استلهمت الليلة شعر حافظ ؟) .

- (لا ، للأسف ، لكن حين يقول حافظ : ألا يا أيها الساقى أدر كأسًا وناولها فماذا يمكن أن نفعله نحن العاجزون ؟) .

- (هل تريد أن أرى عبد الزهراء جاء معه بشيء أم لم يأت به) ونضحك .

- (لا ، اتركيه حتى ليلة يرافقنى فيها رفيق سفرى المسحور برسالة الاستشهاد منصور فرجام) .

ثم نضحك وتقول مريم (إنه طفل معصوم هذا الدكتور لا يجب أن يتناول الكاربوهيدرات ؟) .

(إنه يتناول كل شيء وفوقها الكربوهيدرات . إلا ما يؤلم بطنه) .

- (كيف أحواله بالضبط ؟ سمعت البارحة من لسانه هو أنه قال إنه لا يجب أن يكثر من الملح والكاربوهيدرات) .

أتنفس نفسًا عميقًا (لا أعلم . . معه أقراص يضعها في فمه بين الحين والآخر ويحتمل أنه يشتكى من مرض بالقلب ويحاول أن يكتمه . ربما يكون لمرضه أسباب نفسية . لأنه يهيج في كل وقت ويصير عصبيًا ، أو يحمل تعبًا يؤلمه . اليوم حينما كنا نزور مقر إسكان المصابين التعساء لمنطقة خوزستان داخل طريق دزفول رأيته يبتلع أقراص النيتروجوال مع إنه كان في حالة عادية في الظاهر لكن حالته غير عادية في الواقع . وصباح اليوم حين كان يركب السيارة لتتحرك

بها شعرت أنه يعانى من ضـيق النفس . ولكنه على كل حال يتحدث ويضحك . أمـه وحدها هى التى تظهـر أثناء نومه بالليل وتـتصل به تليفونيًا وإذا لم تستطع أن تتصل به شـخصيًا توصى من يرفع السماعة بدله وتستحلفـه أن يقنعه بترك الوظيفـة والعودة إلى أمريكا . فى أول الأمر كـان هو نفسـه يريد العودة ، لكنه غـير رأيه مـرة واحدة ويريد البقـاء وتشغيل المركز) تتـأوه وتقول (أعتقـد أن هناك سببًا لبـقائه وأنا أعرف هذا السبب) .

- (ما هو ؟ هل هو أمر خيّر ؟) .

- (هو خير وهو شـر ، قلت إنى أعتقد . ربما أكـون مخطئة . امرأة مجربة وكبيرة مـثلى وأم أيضًا تدرك هذه الأشياء وتفهم ما لا يمكن للباقى فهمه أو الإحساس به) .

تأتى من الخارج أصوات عـجيبة وغريبـة ، ليست المدافع المضادة للطائرات . ولم تنقطع الكهرباء أيضًا . إنها أصوات الجلبة والهتافات التى تشبـه النواح لجماعات من المـتطوعين والحرس يهتفـون وينشدون بمناسبة الأيام العشرة (للفجر) واستمرار الكفاح والحرب ، الحرب حتى النصـر ويقـولون ويرددون المـوت لأمـريكا ، الموت لروسـيـا والموت للمنافـقين وصدام . تغيـر مريم الموضوع وتسـأل (متى سـترحل إلى طهران ؟) .

- (الدورة المكثف تنتهى فى الخامس من مـارس ٨٤ وأعود بعده بيوم أو يومين) .

- أى لا يزال شهر وثلاثة أيام . . هنيئًا لك) .

- (ولو أنت رحلت قبلى ؟) .

- (أنا ، لا ، أنا أرحل قبلك حين يقوم عيسى بن مريم روح الله بمعجزة وحين تهبط السماء على الأرض) .

- (فى إيران تحدث المعجزات دائمًا وتهبط السماء على الأرض) .

- (وتحدث المصائب) .

- (مضبوط) .

- (ومن أين تعرف أن أمورى ستنصلح ؟) .

- (هناك أشياء وإشارات . يخامرنى شعور بأن حياتك سوف تستقيم وأنت تهتمين بالسفر) .

- (أما حياتك فليس بها حيوان مثل أبى غالب ألقى ظلاله عليها . ولا تقف أمام منزلك سيارة نقل بسبب أو بدون سبب . لا يدق تليفونك بالليل أو فى منتصف الليل وتسمع منه السباب والشتم والتهديد) .

- (هل تقابلين مثل هذه النعم هنا ؟) .

- (نقابلها هنا) .

ونصمت فترة .

(هذه المرأة المجربة كيف قضت وقتها فى هذه الليلة ؟) .

- (صدق أو لا تصدق كما تريد ، هذه المرأة المجربة ذات الاثنين والأربعين عامًا الإيرانية التى درست دراسات عليا فى الاقتصاد كانت تقص الليلة داخل منزلها قصة الخالة صرصارة لبنتها اليتيمة بنت السنوات الست والمريضة) فأضحك (جميل) .

(آذر بلغت درجة حـرارتها ٣٩ وأخذ حلقهـا يؤلمها ، قلت أغنى لها وأهدهدها لكى تنام مثل عهد طفولتها الماضى ، فغنيت لها وقلت ربما غلبها النوم) .

وتلى فترة صمت ثانية ، ثم أفشى لها بالقرار الذى ظل يموج فى مخى سائر الليل والنهار بالأمس :

- (ربما يأتى وقت تصحـو فيه المجربة ذات الدراسـات العليا فى الاقتصاد مثل الخالة صرصارة) .

- (لا أفهم) .

- (أليست القصة تقول إن الصرصارة السوداء الجميلة صحت فى صباح أحد الأيام وارتدت عباءتها وغطاء رأسها . .) .

- (هل لبست الشلقة أم السروال ؟) .

- (أنت وسط السوق) .

- (أى سوق ؟) .

بعد فترة صمت وتجميع لجرأتى أقول (سوق السفر . لقد واجهت فى هذه البلاد ما يكفيك من تجريب الحظ . وليلة الأمس كان الدكتور وفرخندة هانم يتحدثان بأحاديث عنك . كانا يقترحان بشأنك اقتراحات) .

تتأوه ثم تقول (نعم ، لكن السيد فار أين هو ؟) .

- (السيد فار ربما يجد الجرأة فى النهاية ويبحث عنها) .

ثم تبقى فترة صامتة وأسمع صـوت أنفاسها ، ثم تسألنى مازحة (لو صرت أنا زوجته فبماذا يضربنى ؟) .

- (بجواز سفر معه على وجه الاحتمال) .

(بجواز سفره ؟ هذا . . هذا الأمر ألن يسبب لك مشاكل وعواقب وخيمة . هل تودّ هذا في الحقيقة) .

- (أجل ، أوده) .

- (لا أعرف ماذا أقول لك) .

- (قولي ماشي) .

- (ماشي) ويرتعش صوتها .

- (نفكر في ذلك ونتحدث مع الدكتور وزوجته لنرى كيف يمكن التصرف بشكل صحيح وواقعي وكيف يمكن تسوية مشكلتك) .

- (لا أعرف ماذا أقول في الواقع . . انعقد لساني) .

- (يمكن أن تقولي ليلتك سعيدة) .

- (ليلتك سعيدة وأشكرك) .

- (مع السلامة) .

بالخارج ، صوت سيارة إسعاف يهدر وسط الليل ويتردد صداه . ربما تكون سيارة مرسيدس تابعة للشرطة أو سيارة إطفاء النار ، أو سيارة حرس الشرف أو قنبلة زنة ١٢٠ رطلاً . صوت كأنه يأتي من وسط الزجاجات أو من خلال الستائر ثم يختفي كأنه عواء مخيف لذئب ضال ينوح في الصحراء المظلمة ثم يموت بعد ذلك .

- ٢٧ -

يومًا ما لابد أنه آت فى مستقبل ليس ببعيد كثيراً سوف يبحث أحد كتّاب التاريخ - ولهُ لحية التيس - فى كلية العلم والأدب بطهران - والذى لن يعيش تيارات الأوضاع الحالية - حرب إيران والعراق فى السنوات الأولى للجمهورية الإسلامية . سوف يحاول عن طريق شرح وتحليل الكمبيوتر للمعلومات والعوامل والمتغيرات أن يفهم ماذا كان السبب وراء هجوم صدام حسين على مدن إيران فى أسبوع الاحتفال بالذكرى السادسة للثورة الإسلامية مما حدا بإيران إلى الرد بالمثل ، سوف يحاول أن يفهم لماذا وصلت الحرب المفروضة والدموية التى استمرت أربع سنوات إلى أفظع مشاهدها . بلاشك لن يفهم وسوف يحرك لحيته التى كلحية التيس مرة أخرى .

فى صباح السبت ٣١ يناير فى حدود السادسة والنصف حين كنت أعبر بالسيارة طريق كوت عبد الله أذيع من صوت آمريكا وبصوت (مموش بوشتيان) المذيع الفارسى اللغة أول خبر عن تهديد (الرئيس صدام حسين) وفحواه إخطار بتخلية عشر مدن بإيران . وبعد أن تعلن هذه الإذاعة المذكورة التى تمثل صوت النظاّم العراقى هذه الأيام أن الرئيس ريجان راجع المستشفى العسكرى فى .... اليوم لفحوص طبية على كليته ومسالكه البولية ولما وجد فى بوله دمًا قال إن إخطار صدام لن يتأخر تنفيذه عن أسبوع ، كما أنه مطلق بدون شروط ،

ويخطر سكان الأهواز وعبدان وأنديمشك ودزفول وخرم آباد وعيلام ومسجد سليمان ورام هرمز وبهبهان وكرمانشاه أن يتركوا بأقصى سرعة هذه المدن لأن هذه المدن سوف تقع بعد الموعد المحدد موضع الهجوم الهوائى والصاروخى . أترك صوت أمريكا وأسمع صوت إيران يعتبر هذه التهديدات (آخر المساعى الفاشلة لصدام البعثى الصهيونى الذى يحتضر) بتأييد (الاستعمار العالمى وخاصة مصالح أمريكا وروسيا وفرنسا والشيوخ الرجعيين فى المنطقة) ويعلن أن الإجابة على (العدو الكافر) سوف تأتى فى جبهات الحرب . يبدو أن الهجوم الأرضى المتسع من جانب إيران بصدد التشكل وأن النظام العراقى رأى هذا العام أن طريق الدفاع الوحيد فى مقابل الجمهورية الإسلامية شأن سمات هذه الحرب المدمرة هو الهجوم البربرى على المدن والمناطق السكنية الإيرانية . هذه أول مرة يعلن فيه تحذير بهذا الشكل الواسع وأول مرة على وجه الخصوص يجعل مدينة الأهواز موضع التهديد المباشر . على أية حال هذه الظاهرة هى دراسة المؤرخ الذى بلحية التيس فى المستقبل .

فى رأسى يدور تفكير آخر وأريد أن أفاتح به شخصًا آخر أيضًا خلاف الدكتور ناصر وزوجته .

فى الكلية أدرس مقرراتى فى جو وحالة عصبية جديدة شاعا بين الطلاب . حنجرتى وصوتى صارا فى أسوأ حالاتهما مما سبق . أنهى عملى فى نحو الحادية عشرة . أتصل أولاً بالدكتور ناصر فى مستشفى جندى شابور وأتبادل معه كلامًا موجزًا ونتفق على تناول العشاء معًا ، ثم أدق جرس تليفون فرجام فى مركز تعليم الكمبيوتر .

- (سلام ، هل اتصلت بى لكى تفرحنى ؟) .

- (نعم ، ألست مبتسًا ؟) .

يضحك . أعتقد أنه انزعج من خطر تهديدات صدام بالضرورة .

يقول (أنا من الساعة السابعة حتى الآن أروح وأجيء داخل هذه الغرفة الخالية وأنتظر) .

- (تنتظر جودو ؟ أم تنتظر صواريخ صدام ؟) .

- (أنتظر السادة الذين ينبغى تشريفهم من أجل الاجتماع . لم يأتوا حتى الآن والساعة الآن الحادية عشرة والثلث) .

- (أى جلسة ؟) .

- (اجتماع القرار الحاسم لكى نعرف كيف نحلّ مشاكل المعدات واللوازم وكل أوجه النقص وكيف تريد إدارة الخدمات من الوقت لكى تبدأ عملها ، وكم يتطلب إعداد الموظفين من الوقت ومن أين يمكن توظيفهم) .

- (لماذا لم يأتوا ؟) .

- (فيما يبدو أن الحاج لواسانى لم يأت من طهران . وطاعتيان وبيكلرى لا يمكنهما أخذ القرار بدون الحاج) .

- (هل أنت بمفردك ؟) .

- (فارسي ذهب بالسيارة من أجل شراء الكراسى والأرفف . الأخ شلمتشئى تحت منشغل فى الرتق والفتق لأمور إعداد الإخطارات والتنبيهات وصورة الحجاب لطلاب فصول المجاهدة . . أتى ناسخ ، وناسخ لمدة نصف يوم) .

- (ناسخ لنصف يوم كيف يكون هذا ؟) .

- (هو هكذا . . يعمل أصـلاً فى إدارة بيكلرى لكنهم قرروا أن يأتى هنا ساعتين يوميًا ليبدأ فى نسخ جبل من البرامج والمشروعات . .) .

- (على ماكـينة النسخ ، إن شاء الله ! المهم مـا هى أحوالك ؟ هل سمعت الأخبار ؟) .

- (أية أخبار ؟) .

- (صدام وقصفه لمدن إيران) .

- (دعه يا بابـا . نحن نعرف أنفسـنا . هل انتهيت مـن عملك اليوم ؟) .

- (نعم ، كنت ذاهبًا للغذاء ثم قلت أراك ربما نتناول الغذاء معًا) .

- (اليوم لا . . ربما نتقابل بالمساء) .

- (ماشى ، تعـالى ، هناك أخبـار طيبـة . أنا والدكتـور ومريم سوف نقوم ببرنامج أسَرى) .

- (وضح لى مرادك قليلاً) .

- (إنسان مـقحوط أو إنسان فَـسْل فاشل ظهر ويريد أن يسـاعد مريم ويسترد جواز سفرها باعتبارها زوجة له) .

- (من هو ؟ هل تعرفه ؟) .

- (لا ، لكن يجوز أن يكون إنسانًا قريبًا منك) .

يصدر صفيراً طويلاً (هي ، هي ، هي ! أنا سعيد حقًا لسماعي هذا الكلام) .

- (ليس كما تظن ، سوف أحكي لك الليلة حين أراك) .

(ماشي ، سوف أتصل بك بالمساء وبعد ذلك آتي لأراك ، هل أنت وقتها ستكون بالفندق ؟) .

- (نعم ، تعال نشرب القهوة ونتحدث ثم نذهب إلى منزل الدكتور) .

- (ماشي ، سوف آتي لآخذك) .

- (طيب مع السلامة ، لا تقلق بشأن المركز) .

- (ماشي) .

- ٢٨ -

حين يأتى أكــون قد انتـهـيت لتوى من تصــحـيح أوراق كتــابة الفقرات وأخذت حمامًـا . يجلس فوق الكرسى الوحيد بجوار المائدة المستطيلة القصيرة الأرجل التى فى ركن الغرفة ويمدّد قدميه .

- (يظهر عــليك التعب يا منصــور ؟ أو أنك شحبــت من هموم الأيام ؟) .

- (أنا مثل الحصان) ولا يضحك .

- (ألا تريد أن تعود إلى أمريكا ؟) .

- (سوف نعود فى النهاية) . فضلاً على تعبه وشحوبه كأن ضيق النفس عاوده أو قلبه يؤلمه أو الأمرين معًا .

أقترح (هذه القهوة باللبن فى صــحة أحدنا لن تضر . وهنا أيضًا نسكافيه ولبن . والغلاية الكهربائية وبها الماء جاهزة . أديرها . تناول قهوتك حتى أنتهى من ارتداء ملابسى) .

- (لو كان عندك نبيذ ، فلن يضرنى) .

- (هنا طلبك أيضًا) .

- (احك لى عن موضوع مريم جزايرى وعنك) .

- (انتظر حتى أرتدى ملابسى وأجلس معك مثل الناس) .

أخرج بعد ربع ساعة من الحمام مرتديًا ملابسى نظيفًا براقًا وكان

قد وضع الماء ليغلى وقدماه على المنضدة وقد رفع بعض أوراق طلاب الكلية من فوق طرف المنضدة ليقرأ ما كتبوه بالإنجليزية من فقرات .

(ها ، إنها مكتوبة بطريقة سليمة ، ماذا ، هل يكتبون ذكرياتهم ؟) آتى وأجلس وأنشغل بصب القهوة واللبن (إنه تمرين على كتابة الفقرات بالإنجليزية . طلبت منهم فى هذه التمرينات أن يدونوا ذكرياتهم أو ذكريات معارفهم بشأن بداية الحرب) .

- (بعضها ممتاز ، تنبض بالحياة) .

- (أجل ، ممتازة) .

- (طلبت منهم أن يكتبوا فقرة واحدة ؟) .

- (نعم ، الفقرة القياسية أى أقل من أربعمائة كلمة) .

- (أنهم مجيدون ، أغلبهم أتقن كل أصول الفقرة القياسية ، كيف استطعت فى هذه الفترة القصيرة أن تعلمهم الكتابة بهذا التميز ؟) .

- (طلاب كلية النفط ممتازون دائمًا ، أغلبهم من سكان خوزستان) لا أعرف كم من هذه الأوراق قرأه . أمضى هو نفسه دورة خاصة للقراءة السريعة بأمريكا ويريد أن يطبقها أيضًا فى المركز ، يقرأ نحو ثمانمائة كلمة فى الدقيقة لكى يفهم الموضوع . يقرأ الآن بصوت عال الفقرة التى يمسكها مع ضيق النفس الذى يعانيه .

«اليوم الأول لشهر مِهر أو ٩/٢١ هو اليوم التقليدى لبداية السنة الدراسية فى كل عام عند الإيرانيين ، لكن أول شهر مهر عام ١٩٨٠ كان بداية الهجوم الوحشى لجيش صدام حسين العراقى على إيران . كانت الحرب للمدن الجنوبية والجنوبية الغربية مثل عبدان هى بداية

كابوس قاتل ودموى ومدمر . بدأت حياة عبدان منذ الصباح الباكر بأصوات مخيفة ومرعبة لم يكن سكان هذه المدينة الجميلة والصناعية قد ألفوها من قبل . حين صحوت كان النظام مختلاً فى الأماكن النائية عن المدينة الجامعية كأحمد آباد وبواردة الشمالية وكان الناس مذهولين ومضطربين هائمين على وجوههم فى كل اتجاه راكنين إلى الفرار . وظهرت على حين بغتة مروحية ضخمة عراقية فى السماء أخذت تقصف وتذهب . لم تدع القنابل الهاون أمانًا للناس . كانت المدافع الطويلة المدى تهز الجزيرة بانفجارات مهولة حين كانت تقصف من (الفاو) . وكانت طائرات الميج السوداء الروسية الصنع تشق قلب السماء بزمجرتها وتمطر الأرض بوابل نارها . ارتفع الدخان الغليظ والأسود إلى عنان السماء . اشتعلت الحرائق فى كل مكان فى مصفاة البترول ومع أن الكلية كانت فى عطلة إلا أن عدداً من الطلاب كانوا متواجدين استشهد فى نفس ذلك اليوم أمام المدينة الجامعية (حقيقى) و (مرادى) . وفى صالة مبنى مركز إدارة التربية والتعليم لمحافظة عبدان القائم أمام الكلية حطمت الطائرات العراقية سائر المبنى واستشهد أربعة وثلاثون من المديرين والمسئولين عن المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية بالمدينة وكانوا مجتمعين لبحث المسائل المتعلقة بافتتاح الدراسة أو بأمور المدارس . كانت المدينة بأجمعها تتلوى على نفسها فى التهاب وذهول وصدمة . أخذ الزجاج يتحطم وبدأت المبانى تنهار . وفى اللحظات التى كانت الانفجارات صامتة بها كان يسود السكون والصمت المشوب بالهلع والذهول . سكون وصمت كان سريعًا ما يمزقه صوت الانفجارات والرصاص والصواريخ . كانت أسياخ الحديد تختلط بحجارة المبانى وتشد النسوة والأطفال الإيرانيين إلى الأرض والدم وتقتلهم وتحرق الأشجار . كانت المدينة الآمنة والجميلة تشتعل

فى كل ناحية بها . . امتلأ سائر جو المدينة والحياة وجمال الخريفى لها برائحة الدخان ورائحة ما يحترق ورائحة الدم والكبريت والفوسفور ورائحة غاز المصفاة العظيمة وهى تحترق وصوت صفارات الإنذار وضجة سيارات الإسعاف وأصوات الانفجارات والقصف المتوالى لمدافع العراقيين - كان هذا أول أيام مهر عام ١٩٨٠ فى مدينة عبدان . .

- (هذه الفقرة بليغة) .

- (اشْرب قهوتك يا منصور بيه) .

ثم يقرأ :

كان القمر الفضى وجمال بدر التمام فى سمائه الصافية الزرقاء التى تغص بنجوم منتصف الليل بمدينة دزفول يلقى بأشعته والناس نائمين فى بيوتهم حين تشق فجأة قلب تلك الليلة صواريخ أرض أرض الروسية من قواعد الجيش العراقى تحت قيادة صدام حسين المجنون الحيوان وتهيل المنازل على رءوس الأبرياء العزل . أهب من نومى وأبلغ بين الظلمة والنور نهاية الشارع . فى المسافة الفاصلة بين حارة (أنديشة) و (الشهيد قاسمى) تحولت المنازل والمحلات إلى ركام داخل حفرة من جهنم . كان هذا نتيجة فعل وعوارض تعفن لعقول استولت علينا فى هذه الليلة المظلمة . أخذت أتبين الموقف أفضل كلما اقتربت . كان التراب والرماد لايزالان منتشرين فى الهواء . انتشال الناس من كل حدب وصوب وكان المسعفون يبذلون جهودهم . غطى التراب سائر أسفلت الشارع . امتزجت رائحة البارود بالدخان والتراب . كان الصراخ والبكاء والعويل تشق قلب الظلام . أنفذ من وسط زحام الناس وأتجه إلى مكان الانفجار يخرجون الجثث متفسخة أو مقطعة أو ممزقة

إربًا إربًا . تمضى الليلة المشئومة والمميتة متباطئة متلكئة . لا يعمل غير الفؤوس والأزاميل فى التنقيب والبحث . ترتعش الأيدى . تجف الحلوق . الأصوات مكتومة ولا تمتلىء بغير الله أكبر ولا إله إلا الله . تمتلىء أيضًا باللعنات والسباب والصياح . تأتى جماعة وتقف وتهتف . لكن ليس للهتاف الآن محل من الإعراب . الآن لحظة حقيقة مرة وألم واحتراق . أتى الإخوان بالمصابيح والكشافات وأخذوا يعملون فى أضوائها . بدا كل شيء وسط الخرائب :دراجة تعرجت داخل الأنقاض . سيارة تحطمت وغاصت مقدمتها فى التراب . فراش تمزق . يد انفصلت عن جسدها وأخذ الدم يتدفق منها فى ناحية . امرأة وصغارها سقطوا فى ركن ولا يبحث عنهم أحد . نصف جسد رجل أخرجوه وراح نصفه الآخر . عجوز تصرخ وتلتمس أن يستخرجوا جثة ابنها وعروسته من وسط الأنقاض ولم يظهر منهما غير ساقيهما . بضع من الدجاجات والديكة تقرقر فى ناحية مذعورة . تمضى الليلة المشئومة والمميتة متباطئة متلكئة وتبدأ تباشير الصباح متمهلة فتنكشف بمرور الوقت أجساد ممزقة أكثر فى موضع آخر من حارة الشهيد قاسمى يبدو منظر مرعب آخر . أربع أسر تجمعت تحت أنقاض كثيرة ودفنوا جميعًا أحياء . ظل المسعفون حتى ظهور نور الصباح يضربون بفؤوسهم ومعاولهم تلاً من الأنقاض تراكم فى مكان بيت كان يعج بأهيله . . حين جعل أول أشعة الشمس هذه الليلة المضطربة تولى وجهها لانقضاء ولفت هالة كبرى من الهم والألم والحزن المدينة نفهم أن نقطتين آخريين من المدينة فى نفس ذاك الموقع وقعتا موقع إصابة هذه الصواريخ التى بلغ طول الواحد منها تسعة أمتار وزنته طنين بحيث لم يسبق فى تاريخ فظائع الوحوش الصانعة للحروب فى

التاريخ مثلما حدث هنا من حيث الهجوم بالأسلحة الضخمة الفتاكة على النساء والصغار فى أماكن غير عسكرية فى قلب الليل البهيم .

- (قهوتك بردت) .

أتمكن من صرفه عن القراءة بجهد فى النهاية بعد فقرتين وفنجانى قهوة . لونه الليلة شاحب ويخرج علبة أقراصه مرة ويضع أحدها تحت لسانه . ننهض بعد ربع ساعة آخر لأن الدكتور وفرخنده هانم ينتظراننا الساعة السادسة . تناسى متاعبه وإرهاقه . مع أنى سرعان ما أفهم أن اجتماعه ذاك لم يتم أصلاً فى ذلك اليوم بوجود طاعيتان وبيكلرى وزاد على ذلك أنه تشاجر مع بيكلرى فى التليفون وقال بيكلرى الجلف (ورائى آلاف الأعمال والواجبات والصداع) وصفق السماعة .

فى تلك الليلة فى منزل الدكتور، مع أن فرخنده هانم والدكتور نفسه أخذا على عاتقيهما أن يقيما مراسم (العقد) العرفى لمريم ولى حتى تستطيع مريم أن تسترد جواز سفرها ووافقته من حيث المبدأ وفرجام كان يشترك أيضًا فى المناقشة ، إلا أننى أشعر طوال هذه المدة بأن المركز كان شغله الشاغل . استرعى انتباه الدكتور شيئًا فشيئًا آلام تنفسه وقلبه ، وقبل العشاء ببضع لحظات أتى الدكتور بناء عن طلبى بسماعته وجهاز قياس ضغط الدم حتى يفحصه مبدئيًا ويقبل فرجام محرجًا مكرهًا . ويتضح بعجل فى النهاية أنه يعانى فى الواقع من متاعب ويعترف هو نفسه بحد قوله فى نهاية الأمر .

– (حسنًا إذن كشفت على وضع طلبتنا ؟) .

فيسأله الدكتور (لم تفحص نفسك قبل ذلك فى أمريكا ؟) .

– (نعم ، لكن لم يكن ثمة مشكلة . فـقط حجم القلب أضخم من الوضع الطبيعى) .

(ألم تُصب بتصلب الشرايين وذبحة صدرية من قبل ؟) .

– (لم أصب بذلك) .

– (وعلى أية حال يـبدو صوت تنفـسك غير طبـيعى . كـما أن ضغطك سبعـة عشر على ثمانية . احتـمال أن يكون تعب فى عضلة القلب . لكن الحـالة لن تتضح جيـداً إلا برسم القلب . هل تريد أن تذهب الآن لكى تعمل رسم قلب فيرتاح فكرنا جميعًا ؟) .

– (لا يا بابا ، ننتظر حتى الغد) .

– (إذن لابد من القيام بهذا الأمر بالغـد . يمكن أن تأتى المستشفى . به الدكتور محـمدى طبيب ممتاز . وفى مستشـفى شركة النفط زميلنا الدكتور دولت شاهى وهو بالفعل أفضل رسام قلب فى هذه المنطقة) .

يرفع فرجام كتـفيه قائلاً (نتحدث الآن عن الأمـور الطبية . عن جلال . هل ربما يتيح الظرف لأن تفتحوا عقدة عن أمورنا المعقدة ؟) .

يضحك الدكتور ويقول (لم لا . . لا يضـرك قليل من نبيذ شيراز . نبيذ شيراز دائمًا يفتح شرايين القلب . لن يضر شرب بعضه فى صحتنا) .

فيقول فرجام ضاحكًا (عفارم) ويصفق صفقة خفيفة .

ينهض الدكتور ويجمع سماعته وجهاز قياس الضغط (لكن لا تنس يا دكتـور أن تشرفنا من طلعـة نهار الغد فى المسـتشفى عند الدكـتور دولت شاهى . أنا سأتصل به تليفونيًا) .

– (حاضر) .

– (غداً فى أول النهار) .

– (على عينى) .

وحين ينشغل الدكتور بالأمر الخيّر لفتح العقد عن الأمر المعقد أضطر إلى محادثة فرجام وإلى توضيح خلاصة أخبار الأمر الخيِّر الجارى بينى وبين مردم الذى كان الدكتور وشركاؤه يتعهدون أمره : موضوع مراسم العقد وكتابة العقد السرى العرفى واستخراج جواز سفر يضم الزوجة لكى تسافر به مريم . يحك فرجام رأسه ويقول (انتظر حتى أفهم . أنت تريد أن تتزوجها لكى تستطيع هى التوجه إلى بريطانيا ؟) .

- (نعم هو ذا) .

- (هل يعنى هذا شيئًا ؟) .

- (الثورة) .

يضحك (انظر ، لست مكلفًا بتعهدات وغيره وذلك وتلك ؟) .

- (نعم) .

- (وماهى المميزات الجانبية ؟) يقول السؤال بالإنجليزية (فى ليالى الحرب الفظيعة والمقبضة) .

أذكره بأن الحائط له فأر أمريكى الجنسية وللفأر أيضًا أذنان .

- (المميزات الجانبية على أية حال ليست سيئة) .

- (ماشى) .

- (هل تريد أن تكسبها ؟) .

- (أنا أكسب المميزات الجانبية من أماكن أخرى) .

وتدخل إذ ذاك جماعة النساء والدكتور آتين من المطبخ .

- ٢٩ -

حين أنزله أمام عنبره بآخر الليل وأودعه لاتيين أن أمه قدمت من شوشتر وجلست تنتظره خلف شقته . فهمت هذا الموضوع في اليوم التالى . قدمت أمه الطاعنة من شوشتر بقلق محض وقت الغروب ووصلت إلى نيوسايت ، ولما لم تجد ابنها فرجام ولا رفيق سكنه الدكتور بختى جلست تنتظر نحو خمس ساعات خلف شقتهما وسط البرودة . ليلة سيئة مؤلمة من ليالى الحرب النفسية . لم يظهر حتى الآن أخبار تهديدات صدام وتشديد الحرب . صارت محطات البنزين وشركات نقل الركاب ومحطات ركوب المسافرين فى صخب وثورة وألقى الناس فى حركة وجيشان وغليان . لكن حين آتى إلى الفندق أجد غرفتى كأنها محراب مسجد الشيخ فضل الله منذ أربعين سنة خلت ساكنة صامتة فآخذ حمامًا ثم أتصل بفرنجيس فى طهران وبعد فترة من السؤال عن الأحوال والصحة وتطمينها من أن ليس فى الأهواز قصف ولا ضرب أهمهم لها بموجز الأخبار عن احتمال حدوث عقد صامت وسرى تقريبًا لى على مريم جزايرى تعرف الآن مريم لأننا تحدثنا عنها فى آخر مرة ذهبت فيها إلى طهران تتأوه وتتوجع ولكنها تقول بنغمة لكناء لكنها سعيدة أنها تحب أن تجىء إلى الأهواز فى أقرب فرصة وتحضر مراسم العقد مهما كان وضعها . فأجيبها أن هذا الزواج ليس بمفهومه ومعاييره المعروفة إنه اتفاق وتسوية لحل مشكلة نحن الاثنان نتفهمها . ولكن على أية حال يجب بعد

العقد أن نترك الأوضاع والأحوال المستقبلية تجرى فى مجراها الطبيعى فترة حتى نرى كيف ستصير . لو استقام كل شيء سوف تعجل بالسفر إلى طهران حتى ترحل إلى الخارج . وإذا لم تستقم الأمور سوف نأتى معًا . ترضى فرنجيس إلى حد ما لكنه يعيد السؤال عن وقت العقد فأرد إنه بعد يومين أو ثلاثة على وجه الاحتمال لكن بدون احتفالات ومراسم . سلّمنا كل ما يتصل بسير الأمور والبطاقات الشخصية وكل شيء للدكتور وامرأته . فهما يعرفان مكتب لتسجيل الزيجات والمتفق عليه أن يسويا هذا الموضوع ربما يوم الأربعاء بعد الظهر .

- (لكن المفروض أن تعود إلى طهران يوم الأربعاء . ألم تقل إنهم يتركونك آخر الأسبوع للعودة إلى طهران كل أسبوعين ؟) .

- (نعم المفروض أن آتى بالقطار وسوف آتى لكن بعد العقد) .

- (آه . .) .

- (هل كلامى هذا لا تفهمين منه أن هذا العقد شكلى ؟) .

- (جلال ، هذا غير مقبول ، ولايحدث أصلاً) .

- (وهل قلت أنه مقبول أو أنه يحدث ؟) .

- (ولماذا لا تأتى بها إلى طهران ؟) .

- (ليست مستعدة الآن . سوف يتغير وضعها إلى الأحسن بإذن الله) .

- (على الله . . كيف الأوضاع عندك يا جلال ؟ هل عندكم قنابل وأشياء من هذا القبيل ؟) .

- (لا . لم يضربوا الأهواز حتى الآن . ولن يضربوها) .

- (ورفيق سفرك هذا ؟ هل لم يعد إلى أمريكا حتى الآن ؟) .

- (لا ، لم يزل هنا . إنه متعب قليلاً . وأنا خائف عليه) .

- (هل هو داخل المجموعة ؟ يعنى يعرف موضوعك وموضوع مريم هانم ؟) .

- (نعم ، هو والدكتور وزوجته وأخو مريم وليس غيرهم وأنت كذلك) .

- (أنا لست من بين الشلة) .

- (على كل لا يفترق أن تكوني من الشلة أو غير ذلك . هذا ليس زواجًا) .

- (إذن فما هو ؟ تعقدان وتأخذان قسيمة الزواج وكفى ؟) .

- (إنسانة ما تكافح لتعيش وأنت تساعدينها وترفعينها من محنتها) .

- (إنك تأخذ كل الأمور بهزل) .

- (اسمعي . ورائي بعض التقريرات والتمرينات على كتابة الفقرات خاصة بالطلاب ولابد من تصحيحها قبل النوم إذا لم تنقطع الكهرباء) .

تتأوه (حسنًا جدًا . ضعني على الأقل في الصورة أولاً بأول) .

- (ماشي سأقدم لك ريبورتاجًا) .

- (جلال ؟) .

- (نعم يا عزيزتي) .

- (أنا سعيدة من أجلك ومن أجلها معًا . أرجو أن يهيىء الله خيراً لك ولها) .

(ليلتك سعيدة) .

وتسألنى أسئلة يسيرة عن إدريس فأرد عليها أنه فى عبدان حاليًا والمفروض أن أستخرج تصريحًا باصطحابه من مركز المتطوعين بالأهواز . ثم أضع السماعة .

أنتهى من تصحيح الأوراق وأتناول الأقراص قبل منامى . ونحو منتصف الليل بسماع الأنباء أطفىء المصباح والراديو ونفسى .

لكنى حين كنت أحلق ذقنى فى السادسة صباحًا يدق الجرس فأجيب ونصف وجهى مملوء بالصابون . تقول السيدة التى تقدم نفسها بأنها والدة الدكتور فرجام (هل أنت السيد المهندس آريان ؟) .

- (نعم ، أهلاً وسهلاً . . منصور بيه حالته طيبة ؟) .

- (لا ! الدكتور من الليلة السابقة حتى الآن وهو يعانى من ضيق النفس . ومنذ ساعة بدأ فى القيء والاستفراغ. وأنا الآن فى شقته) .

- (هل يستطيع أن يكلمنى ؟) .

- (لا ، لا يريد الكلام . أنا الآن أحدثك من حجرة الدكتور جاره . أطال الله عمره . اتصلنا لطلب الإسعاف من الطوارىء . فرد مركز الطوارىء بأن موظفى شركة النفط عليهم أن يطلبوا سيارة الإسعاف من مستشفى الشهيد بهشتى التابع لشركة النفط . فرد هذا المستشفى أنه لا يقبل إلا الموظفين الرسميين لشركة النفط . حالته الآن سيئة . فأعطانى الدكتور بختى رقم تليفونك وقال إنك تعرف بعض الأطباء) .

- (حسنًا جدًا ، لا تقولى شيئًا آخر ، أنا سوف آتى الآن وأرتب لنقله إلى المستشفى . سأكون عندكم خلال عشر دقائق) .

- (ربنا يطول عمرك) .

أضع السماعة .

فى خلال سبع دقائق أكون أمام عنبره ، وقبل تحركى أتصل بالدكتور ناصر وأبلغه خلاصة لما حدث وأقول له أن يرسل سيارة إسعاف إلى شقة منصور .

فى الغرفة أرى فرجام فوق سريره فى ألم ومشقة ووجهه مشتعلاً . لكنه يرد على السلام ويذهل قليلاً . عجوز نحيفة فى نحو الستين بشعرها الأبيض ووجهها القمحى والمريح تجلس بعباءة منقوشة بصور الزهور وحين أدخل ترتب عباءتها حول رأسها ووجهها ولا ترد سلامى لأنها تصعد سلم الجنون .

يسألنى فرجام (ماذا تفعل هنا ؟ أليس وراءك تدريس ؟) .

فأرد (ولم لا ، عندى تدريس الساعة الثامنة . لكن الأفضل أن أنقلك أولاً إلى المستشفى لكى تقوم بفحص . اتصلت والدتك بى وهى قلقة) .

- (لا يا بابا ليس ضروريًا . رأيت منامًا مزعجًا . ليس الأمر مهمًا) .

- (على أية حال لا يضرك أن تعمل فحصًا ولو لكى يطمئن الجميع) .

وتصل سيارة الإسعاف الآن خارج العنبر وتقف وينبّه سائقها بآلة التنبيه .

(هل أتت وبها طاقم الإسعاف ؟) .

- (لا أعلم ، ربما هى تابعة لمستشفى جندى شابور أو ربما من مستشفى شركة النفط) .

- (حالتى تتحسن) .

- (ألا تريد أن تأتى عصر الغد عندنا لأمر خير ؟ إذن فاذهب وافحص حتى نطمئن جميعًا ونستريح) .

- (آه ، حسنًا) .

حين يرتدى ملابسه يدق جرس التليفون باتصال الدكتور ناصر يستفسر عن الأحوال والأوضاع ، وحين أقول له إن سيارة إسعاف أتت فيقول إنها من قسم الطوارىء بمستشفى جندى شابور ويريد أن يتجه فوراً إلى هناك .

لم تبلغ الساعة السابعة والنصف حتى يتم حجز فرجام فى الـ (سى سى يو) أى العناية المركزة للقلب فى عيادة المستشفى الغرفة رقم واحد ويرعاه الدكتور المناوب بقسم القلب . هذا يسكّن الخواطر خاصة لوالدته التى ترى ابنها تحت رعاية الدكتور ومحاطًا بالأجهزة الدقيقة . والطبيب المناوب رجل نحيف دقيق الجسم بشارب ضخم منتظم وعينين خضراوين تلمعان . حين ينتهى من الفحص المبدئى ويخرج يقول لحسن الحظ أن رسم القلب لا يظهر أزمة قلبية أو كارثة ، وصل فى الوقت المناسب إلى المستشفى . لكن يوجد تعب لاشك فيه

يمكن أن يكون متعلقًا بالماضى أو مولودًا به سوف تتضح أبعاده بعد رسم القلب وأشعة الرئتين والأشعة التليفزيونية وفحص الدم وغيره . يمكن أن يحجزوه يومين أو أكثر . أدخل بعد لحظات العيادة وأرى فرجام تحت قناع الأوكسجين وموصولاً بجهاز رسم القلب والشاشة الكاشفة . لكنه يفيق أقول له (سوف أعود عصراً لأراك) . يرفع حاجبيه ويسألنى من تحت القناع (هل لديك ارتباطات ؟) .

- (اليوم لا) .

فيقول (اعتن بأمى من فضلك) .

- (على عينى) .

- (أيضًا اتصل بالمركز تليفونيًا) .

- (لعن الله المركز . . لكن حسنًا حسنًا على عينى . أنا ماشى . ربنا معاك) .

- (كله على الله) .

السيدة فرجام جالسة وراء الباب المقفول للعناية المركزة للقلب ولا تريد أن تغادره إلى أى مكان ولا يجب صرفها . أتركها لحالها مؤقتًا وقبل ذهابى إلى الكلية أتصل بمريم وضمن حكايتى لها عما حدث أطلب منها إذا استطاعت أن تأتى إلى قسم القلب بمستشفى جندى شابور وتبحث عن أم فرجام خلف باب العيادة وتطمئنها . أريد أن تحاول بقدر المستطاع أن تصحبها إلى منزلها أو إلى منزل الدكتور ناصر عند فرخندة هانم . وتتكلم بعض الأحاديث المتفرقة ثم أتوجه إلى الكلية .

- ٣٠ -

حين أعود إلى المستشفى فى الثالثة والنصف (وكان من المقرر أن يأتى بعد ذلك الدكتور وزوجته ومريم جزايرى) أجد منصور داخل العناية المركزة للقلب وأمه بالخارج بعباءة صلاتها المنقوشة بالورد نفسها جالسة فى زاوية مقفولة بالممر ، تتعرف علىّ .

- (السلام عليكم يا فرجام هانم . . كيف حال الدكتور ؟) .

فوق تعبها وجوعها كأنها فى حالة من الشرود والسكرات تقول (لم يتحسن حاله . جاء طبيبان أو ثلاثة وذهبوا ورأوه) .

- (ليس هناك ما يسوء يا هانم) .

- (أتى أيضًا اثنان من الإخوة الشباب الملتحين من الشركة لرؤيته وأتت سيدتان قالتا أنهما من أصدقاء منصور وأصدقائك . كانتا طيبتين جدًا وهوانم فعلاً . أظهرتا لطفهما وحبهما وأصرتا على الذهاب إلى منزلهما لكن لا يطاوعنى قلبى أن أتركه هنا لوحده . قالتا سوف تعودان لا أدرى ما الذى سيحدث ؟) .

فأقول (لن يحدث شىء ، وأنت لابد أن تذهبى وتستريحى فى النهاية يجب أن تأكلى شيئًا . لابد أن تصلى . لا يجب أن تسهرى الليل هنا) .

- (لن أذهب . . هذا الكلام لن يمشى علىّ . اتركنى أطمئن على أن ابنى سوف تتحسن حالته) .

– (سوف تتحسن حالته . قال الدكتور فى الصباح إنهم سيحجزونه هنا يومين أو ثلاثة . وأنا داخل الآن إليه لأطمئن على حالته . ثم تشرفين أنت بالعودة إلى المنزل . يجب أن تستريحى أيضًا) .

– (ماشى ، ماشى ، ماشى) .

– (حين أراه الآن لن أقول له إنك انتظرت هنا النهار بأكمله وكنت قلقة عليه . لأن هذا ليس حسنًا له ، خاصة أنه أوصانى أن آخذك من هنا وأن أهتم بك) .

– (قل له ألا يقلق علىّ وقل له أنا لست تعبانة من أجله) .

صدقت . لأن فرجام لم تتحسن حالته كثيراً فهو لايزال داخل العناية المركزة للقلب تحت القناع والأجهزة متيقظًا مع أن ضيق التنفس والضغط عنده لايزال فيما يبدو فى حالة صعبة . كان الطبيب الذى كشف عليه فى الصباح موجوداً معه ويؤكد أن المشكلة الوحيدة التى استطاعوا معرفتها حتى الآن بالأدلة والأجهزة هى أن حجم قلبه أكبر من الحجم الطبيعى بحيث يختل عمل القلب والرئتين بسبب العوامل والإثارات المختلفة . لابد له من الراحة والدواء .

فانظر إلى فرجام (سمعت إذن . . ؟) .

فلا يقول غير (خذ والدتى معك) . كان الوحيد من بين ستة مرضى فى العناية المركزة للقلب وهو الشاب بينما البقية شيوخ وطاعنون وفى حال متأخرة .

– (ماشى ، أعدك أن آخذها بالقوة إن لزم الأمر إلى منزل الدكتور أو عند مريم وابنتها) .

(مرسى) .

- (قالت أقول لك ألا تقلق بشأنى وأنا لست تعبانة بسببك) .

لم أره يبتسم أو لم يبتسم لكنه أشاح بوجهه . أخذت يده وضغطت عليها وودعته .

فأدار رأسه وسأل (ما أخبار موضوعك أنت ومريم ؟) .

- (ليس اليوم) .

- (ماذا فعلت بشأن إدريس ؟) .

- (إدريس لايزال فى عبدان . اتصلت تليفونيًا بعبدان . ولابد أن أذهب يومًا وأرجع به) .

- (لا تذهب بدونى . هل تعدنى ؟) .

فأقول (ماشى . لكن استرح وأرح نفسك) ألقى عليه نظرة أخرى قبل مغادرتى الغرفة ، ويبدو لى الآن صغير السن كالطفل وغريبًا . إنه مثل سنوات خلت وقت أن كان أخى يوسف حين كان يقاوم الموت وهو مصاب بروماتيزم القلب فى مستشفى (شميران) .

أتحدث داخل ممر المستشفى مع السيدة فرجام لكى أسترضيها بأن تأتى إلى منزل الدكتور ناصر وزوجته وأقسم لها أنهما صديقان مشتركان لى ولمنصور حين تظهر من الناحية الأخرى للممر زوجة الدكتور ومريم جزايرى . نسلّم جميعًا وتبدأ المرأتان فى الترحيب بالسيدة فرجام ودعوتها للمقام بالمنزل فتقول السيدة فرجام فى آخر ذريعة لها أنها لا تستطيع أن تذهب معهما لأن حقيبة يدها فى غرفة ابنها .

فاقترح أن نذهب جميعًا وتأتى هى بحقيبة يدها . لا تريد أن تفارق ابنها لحظة واحدة . وبناء على ذلك آخذ أنا المفتاح لكى أذهب وأحضر حقيبتها وآتى أيضًا لمنصور ببيجامة وبعض الأمتعة اللازمة له .

وحين نخرج من الباب الكبير لقسم القلب نرى لالة جهان شاهى قادمة بسرعة من نهاية الممر ويبدو على وجهها أو ما ظهر من وجهها من تحت العباءة الإسلامية والعقدة المعقودة تحت ذقنها الفزع والاضطراب . طريقة سيرها كأن لآخر عدّاء فى سباق ماراثون طهران - فلسطين . أظن فى البداية أنها آتية لزيارة فرجام . لكنى أفهم بعد إلقاء السلام عليها أنها تبحث عن الطبيب الصيدلى .

(هل من خدمة أؤديها لك ؟) .

تتأوه آهة غيظ (مرسى . إلا إذا كان معك بعض كبسولات إف يانرومايسين وأقراص من RX ترودى فيلين !) .

- (هل تريدينها من أجل والدتك ؟) .

- (قال الأطباء أن هذا الدواء لا بد أنه موجود بالصيدلية لأنهم أوصوا بتوفيرها لكنهم الآن يقولون إنه ليس موجودًا عندهم لأن أغلب الأدوية تخص دواء جرحى الحرب . ماذا تفعلون أنتم هنا ؟) .

- (أتيت لزيارة صاحبنا الدكتور فرجام . من المحتمل أنه مصاب بأزمة قلبية خفيفة) .

- (أزمة ؟ وهو فى سن الشباب ؟) .

- (ربما لا تكون أزمة . يقولون إن قلبه حجمه كبير . وهذه مسألة ليست جديدة) .

- عجيب . أتى هنا بهذه الحالة من أمريكا . . والآن يصاب بالأزمة) .

- (إنه يحب هذه البلاد) .

هذه أول مرة أتمعن فى النظر إليها فى نور النهار . قوامها نحيف ووجهها دقيق الملامح حسن التقاطيع وعيناها بلون القهوة مسحوبتان . نظارتها لا تخفى جمال عينيها أنفها دقيق وفمها صغير لكن شفتيها ممتلئتان . أشعر أنى رأيتها أو رأيت صورتها فى وقت ما ليس بعيداً كثيراً بدون اللبس الإسلامى بل بثوب استحمام فى مكان ما على رمال شاطىء البحر .

أسألها (هل تريدين أن تلقى عليه نظرة ؟) .

- (أنا بالفعل لابد للأسف من الذهاب على عجلة حتى أجد الطبيب الصيدلى . إذا لم يصل هذا الدواء لأمى فى خلال أيام قليلة سوف تسوء حالة طحالها ومعدتها كثيراً) .

- (لا تقلقى ، سوف تجدينه . مريم هانم وزوجة الدكتور ناصر واقفتان أمام قسم القلب . ربما تساعدك مريم هانم فهى تعرف جيداً أغلب العاملين بالشركة) .

- (ماشى) .

- (مع السلامة) .

تذهب وأتوجه للسيارة وأقودها إلى (نيوسايت) وعنبر منصور فرجام .

لاتزال غـرفتـه تتـمـتع بالجو الـنظيف الفـخم وتنبىء عن نفس شخـصيته . جـهاز الكمبـيوتر الخاص به وآلة النسخ فـوق المنضدة . الكتب والرسـوم . زهرية زهر حسن يوسف بجـانب الشـباك . ورد الشقائـق فوق التليفزيون . بل حـالة الاضطراب على سريره الذى لم يرتب لا تخدش شخصية الغرفة .

أتناول حقيبة يد والدته من جانب من الغـرفة وأضعها فوق السرير . ثم أبدأ فى جمع حاجياته التى يمكن أن يحـتاجها فى الأيام الثلاثة الآتية له بالمستشفى . أول مـا أضع فى الحقيبة الخاصة به الـكيمونو اليابانى الأسود والجميل الذى كان بداخل أول درج فى الكومـيدينو الصغير . وبأسفل الكوميدينو بآخر درجه صـورة مبروزة صغيرة لبنت ترتدى ثوب استحمام وتجلس على مكان من شاطىء البـحر وتبتسم إلى آلة التصوير . وضع هذه الصورة بجانب سريره فى أول الأيام ثم رفعها . أضع هذه الصورة له ربما يحتاجها . آخذ له جوربًا وشورتًا إضافيًا . ثم آخذ له رواية جمال زاده (دار المجانـين) التى كان يقرأها قبل دخوله المستـشفى وكانت بجـانب سريره . وكتب هو نفسه بقلم حبر أحمر فوق عنوان الرواية (أهلاً بك فى . .) نسختان من المجلة الجديدة لـ Computer Wored أو عالم الكمـبيوتر آخذ إحداها له . يـظهر من تحت بيجامـته مفكرة أحملها وأنظر فيها . ربما يحتاجها أيضًا . أفتحها وألقى نظرة عليها . كتب فيها بخط التعليق الجميل الدقيق المتأنق . يبدو أنه أخذ يدون من أول يوم أتى فيه إلى إيران خواطره من حين لآخر . إنها متفرقات من خواطره الخاصة . فى الـبداية خاطرات مرة ويائسة ، لكنها فـيما بعد وبالتـدريج كأنـها تكتـسب لونًا جـديدًا وقـوة أخرى . آخـذ المفكرة وأجلس دقائق وأشعل سيجارة .

حسنًا ، إيران . عدت إلى إيران . تذهب إلى الأهواز . بالقرب من أمك فى شوشتر ولكن ليس عند أمك . من الذى قال (لا يمكن العودة إطلاقًا إلى الماضى) ؟ أنت قد عدت . لكن ليس إلى نفس المنزل ولا إلى نفس الحارة . ولكن إلى الحالة الفكرية للأيام الماضية .

لو بقيت ستة أشهر هنا حتى يدخل دم جديد فى نظامك وتوقظ ذاتك من هذا الكابوس المتغلب وتعلو بنفسك ، فهذا أمر طيب . ربما تجرى مرة أخرى حياة طبيعة من نوع آخر ، ربما .

من الذى سوف يمكنه أن يزيل الكوابيس المخزونة ؟ أما أن تستوعبها وتتعايش معها وإما أن . .

غروب بارد ، وحيدًا ، فى حجرة بالفندق . هل تعتقد . .

ليلة دق فيها الموت على نافذة الشباب ، ليلة فتح العشق فيها أبواب دار القلب ، ليلة أقفل فيها باب القبر على عقد زواجنا ، ليلة لاقينا فيها الله . كيف نجيب نحن على الحياة ؟

تأتى من رحم مظلم إلى منزل مظلم . أبوك المذهول يحتضر ويموت لأنه لا يعرف أن يقوم بعمل إلا هذا العمل . تغذيك أمك التى تغذى صغارها لأنها لا تعرف أن تقوم بعمل إلا هذا العمل . أخوك العبوس يضربك ، لأنه لا يعرف أن يقوم بعمل إلا هذا العمل . فى المنزل الذى تعيش به ومات فيه العشق ولم تولد فيه المعاملة الإنسانية الرقيقة ماذا ستفعل فيه ؟ أشد اللحظات روحانية هى البكاء بحرقة فى ذكرى وفاة سيدنا على الأصغر ذى السنة الواحدة . هل لابد من ترك المنزل أو الإنسان بالعشق إلى المنزل وإذا تركت المنزل نهائيًا هل يمكنك أن تعود إليه ثانية بروح كاملة تامة ؟

على أرض جديدة . . تشعر أنك طفل وحيد وتائه لأنك صرت مبرمجًا فى مركز وجودك بسرعة تفوق سرعة الضوء ، ثم ألقوا بك فى الفلك المجرِّى للألعاب حيث تتداخل وتتناقض البرامج الموضوعة الجديدة والهدف هو الوصول إليك وقتلك . أنت فى العالم الجديد الذى يمزقه إربًا ثم يأكله العالم القديم أو العكس .

تمد يدك للعشق والعشق يلمس أصابعك .

فى البداية كل شىء بسيط وكامل وتام الروح . لا توجد فكرة غير أنها تحبك وأنت تحبها . . س س س . ثم تصمت .

حسنًا ، المركز ، أتيت إلى مركز التعليم التكنولوجى . فى مركز إيران وهو عمارة كان من المقرر أن تكون متحفًا لثقافة عظمة إيران القديمة ثم أخذوها وجعلوها قسمًا لمركز تعليم الموظفين وتدريبهم . مبنى جميل ، به معدات قليلة لابد أن تتوفر بالتدريج . يريدون برنامجًا خططته أنت لهم . أساسه الفكرى أمر ضرورى . مركز التدريب والتعليم العملى لتكنولوجيا الكمبيوتر واللغات الأجنبية مفيد لإيران الحالية تحت كل ظرف . إن مركز تعليم الكمبيوتر وتوفير المعدات والتوسع فى مجال الاستفادة من الكمبيوتر أمر حيوى بالنسبة لإيران .

العمل . . فى مبنى خاوٍ . . فى مدينة تقبض عليها الحرب . . على الخط الأول للحرب . . هو نفسه بداية صراع مثل الحياة نفسها .

أنت منهوك القوى لكنك سعيد . اليوم عملت لمدة ١٦ ساعة وكان لك تركيز ذهنى ! هذا نفسه علاقة طيبة . يجب أن تلملم شتات نفسك وأن تركز مخك بسلاسة ومهارة وفى العمل وحدة وتعطيه برنامجًا جديدًا .

احتفظ بأنفاسك حبيسة بصدرك . ترى أثناء ليلة مختلطة وضيافة جماعة من الأضداد وجهًا له نفس (عينيها) . هذا غير ممكن .

تزور اليوم أحد مراكز رعـاية الجرحى والمصابين فى الحرب الألم ، الدم ، الجروح ، بتر الأعضـاء ، القذارة ، التفسخ ، الشلل ، الورم ، قُفطان الحرب ، الانهـزام ، واحد بلا ساق ، وآخر مبـتور الساقين ، وثالث بدون ذراع ورابع مـبتـور الذراعين ، وخـامس فقـد عينيـه ، ووجوه تشوهت ملامحها ، نزيف داخلى ، أنين ، ضجة .. لابد أن تكثر من المجىء إلى هناك .

المركز ، المـركز ، المركز .. إذا استطعنا الو- ول إلـى المبادىء والأهداف الأساسـية ، ولا ننحرف عنها ، نجحنا . لو استطعنا إتمام المركز ببرامجه المطلوبة وخطط الدراسة والدورات المختلفة به حتى أول الدراسة القـادمة فهـذا أمر طيب . إذا شـغّلنا مركزًا للتـعليم يناسب الشـعب الإيرانى ويتطابق مع المعايـير الكبـيرة للعـالم الحالى وعـملنا بنكران الذات فقد قمنا بعمل شـاهق . إذا استطعنا ألا نرفع الشعارات ونعمل بواقعية وصدق فقد حققنا معجزة القرآن .

يحدونى الأمل .

حقائق أخرى : البلاد فى مخلب الحرب ومشتبكة مع مشاكل ما بعد الثـورة . الجمهورية الإسـلامية تمتلك حكم البـلاد . الحرب هى العلة والمعلول لأعداء الحكومة الإسلامـية امتزج هذان الاثنان بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر . هزيمة إيـران فى الحرب هى هزيمة الجمهورية الإسلامية . وعليه على إيران أن تهب روحها ونهب أرواحنا . إن انتصار إيران فى الحرب أمر مصـيرى بالنسبة للعالم لأن جمـيع المنطقة سوف

تخضع للواء الجمهورية الإسلامية . وعليه فلسوف يحارب العدو بكل ضراوة وسوف يضحى الشعب الإيرانى بدمه . إيران بلد عظيم وشعب لا يفنى ولا يحب التهاون فى أى أمر يخص إيران .

نرى أولئك حينا فى النهار فى الشوارع وفى كل ليلة فى التليفزيون . لبسوا ثياب الحرب المتسخة المتربة . عقدوا جبينهم بالأشرطة الحمراء بلون الدم أو الخضراء الإسلامية . يهتفون بقبضات مكورة فى الهواء بالطريق إلى كربلاء والموت لأمريكا ولبيك يا خمينى أو جلسوا يدقون صدورهم بنواح معتدل تذيعه مكبرات الصوت . يطالبون بالحرب والاستشهاد . من صبية فى سن الثالثة عشر أو الرابعة عشر حتى شيوخ بيض الشعر فى سن الثمانين . لن يقع الصبية أسرى مطلقًا ولن يعود الشيوخ قط . ليسوا فى حالة من التأنق والرواء والبهاء ولا الجمال ولا حتى فى حالة من النظام والترتيب . لا يعلم غير الله ماذا يدور فى رءوسهم وماذا يريدون ومن أى حياة ماضية هم آتون وما الذى ألقى بهم فى طريقهم هذا لكن الظاهر هو أنهم (عاشقون) عاشقون للشهادة والتضحية بالروح أغلبهم لم يتدرب أكثر من أسبوعين بالتدريب العسكرى ، لو كانوا تدربوا فى الواقع هم متأهبون للحرب والاستشهاد بدون أن يكونوا جنوداً . هم ظواهر تناقض إيران فى هذا العصر . إن إنسانًا واحداً يديره مخه المخطط ثم يدخر حياته فى بنك الاستشهاد على أمل أن . . أى أمل ؟ أنا لا أدرى .

فى أى مكان خلاف إيران تحدث مثل هذه المعجزة ؟ ابنة سيدة دكتورة أمريكية ولدت فى إيران وترعرعت ولها دراسات فى الجامعة الأمريكية وتعمل بالأهواز وهى شيعية مؤمنة وتؤمن بثورة إيران . أتحدث مع مريم جزايرى حول رسالة الاستشهاد . ترى مريم أن

الشهداء ثلاثة : شهـداء النوع الأول أو (شهداء الإرادة والعمل) الذين يناضلون بسـبب هدف وإيمان ، يكابدون ويموتون ، مـثل القـديس استيفان أو الإمام الحسين وأغلب شهداء إيران حاليًا . أول شهداء هذا النوع الأول فى التـاريخ هو القديـس استيفـان الذى رجمـه اليهـود المتعصبـون لكنه كان يدعو الله أن يعفو عن قاتليـه بينما هو يرجمونه والنوع الثانى هم (شهداء الإرادة ولكن بـلا عمل) مثل يوحنا الرسول وكـثيـر من الشهـداء الذين لم يكونوا محاربين لكـنهم قتلوا بسـبب عقائدهم وإرادتهم . وفى إيران اليوم عدد كبير منهم . والنوع الثالث للشهداء هم (من لا إرادة لهم ولا عـمل) استشهدوا فقط فى معمعة الأحداث . أول نموذج مثبت لهم فى التاريخ (الأبرياء المقدسون) وهم الأولاد الذكور (من سـن العامين فأقل) فـى مدينة بيت لحم مسقط رأس السيد المسيح يبيد حكمه ، أو مثل الأطفال الذين يقتلوا فى إيران فى الهجوم على المدن . .» .

أقفل المفكرة وأتركها فى مكانها وأنهض واقفًا .

- ٣١ -

فى الغروب الضيق ، فى ممر مستشفى جندى شابور أثناء الزحام والضجة وقت الزيارة أجد أم منصور فرجام على سلالم قسم القلب بجانب فرخندة هانم ومريم جزايرى ، وقد حملت فى يدى بقجة حاجيات سفرها وبالأخرى الحقيبة السامسونايت لابنها فرجام . أبحث عليهن كالمهرج الذى أخرجوه من قفص القرود . جلست الثلاث فى ركن بجوار السلم وأخذن يتكلمن فى همس .

- (هل عندنا ضيافة ؟) .

- (أجل ، قبلت السيدة فرجام أن تأتى وتستريح) تقول هذا مريم ضاحكة وتقول فرخندة (إنها سيدة فاضلة وابنها فى الواقع شاب إيرانى فاضل ولا نظير له . . إنهم يفتخرون بنا حين نكون فى خدمتهم) .

فأقول (عال . .) أعطيها حقيبة سفرها لكنها لاتزال غير مستعدة للتحرك .

- (ربما تنام هذه الليلة فى نفس الحجرة التى نام فيها الدكتور فرجام فى الليلة الأولى حين قدم فى رحلته هذه إلى الأهواز) .

فتقول زوجة الدكتور (طبعًا) .

فتقول العجوز (ربنا يجزيكم عنا أجر الدنيا والآخرة) .

- (وأنت أيضًا) .

وتقول مريم (ربما من الأفضل أن نذهب ونودع أم لالة) .

- (أوه ، أجل . . ثم نذهب بعدها إلى المنزل ونباشر أمورنا) .

فتقول (ثم نعود هنا . . لمدة ثلاث دقائق أخرى) وتنظر إلى .

- (ماشى) .

وتقول العجوز (أزعجتكم كثيراً) .

- (أوه ، ما هذا الكلام ، أى إزعاج ؟) .

أدخل العناية المركزة للقلب بالحقيبة الدبلوماسية لمنصور فرجام وأضعها فى هدوء فوق الكمدينو الصغير بجانب سريره . عيناه مغمضتان وتنفسه وأصوات صدره هادئة . لا أزعجه وأوصى الممرضة أن تهتم بحقيبته وحين يستيقظ تبلغه بأن أمه ذهبت إلى منزل الدكتور ناصر . وحين أدلف خارجًا أجد الأم قد تسمرت أمام باب العناية المركزة وتنظر بعينين منهكتين ومتألمتين .

أخاطبها (لنذهب يا سيدتى . إنه نائم ومستريح . ومعه الأطباء والممرضات إن شاء الله سوف ينام فى هدوء حتى الصباح وسوف يستيقظ فى الغد وهو فى حالة طيبة وجيدة) .

تتأوه وحسب (فى النهاية سوف يقتله) .

- (ما الذى سيقتله ؟) .

- (هذا الذى فى صدره) .

أظن أنها تقصد القلب الكبير الحجم الذى بصدر ابنها فأقول (سيدتى من الذى يعرف أى شىء يقتل الإنسان . . يحق لك أن تفخرى بأن لك مثل هذا الابن) أكاد أجرها حتى نهاية الممر .

وترفع رأسها وترمقنى بنظرة .

فأقول (فى مثل هذا الظرف والحال يفر أغلب الناس من المدن والبلاد أو يقبعون داخل المدن فزعين من الحرب ولا يفكرون فى العمل ولا يعملون إلا ابنك الذى رزقك الله به . فكرى فى هذه النقطة) .

تهز رأسها مرات :

- (إنه رجل عظيم يعتبر عمله هنا واجبًا ، يفهم عمله كواجب كبير وطنى ، يعتبره أمراً خطيراً فى صالح الجيل القادم للشعب الإيرانى ويعمل من أجله ليل نهار وإذا لم ير عمله يتقدم ويتحسن يغضب) .

ثم تهز العجوز رأسها ثانية يعنى أنها لا تستطيع الكلام إلا إذا كان الأمر خطيراً وتقول (ليته لم يخط بقدميه إيران) .

- (لا تقولى هذا الكلام يا سيدتى) .

- (إن ابنى مطلوب فى أمريكا وكان يعيش مستقراً هانئًا . ليته لم يترك كل شىء ويأت إلى هنا) .

- (يا سيدة فرجام . . ألم يحدث له حادث فى الماضى فى أمريكا أو هنا ؟ حادث نفسى آلمه وأتعبه ؟) .

- (ولم لا ، نفس حادثة خطيبته) .

- (أى حادثة ؟) .

- (ألم يذكرها لك ؟) .

أهز رأسى .

- (كان لابنى خطيبة ، بنت أمريكية مثل باقة ورد . كم كانا يحب أحدهما الآخر ، كانا عاشقين . أرسل لى صورتها وهى معى . كان المفروض أن يتزوجا أواخر شهر يونيو الماضى بعد أن تنهى دراستها) .

أنظر إلى عينى العجوز الحزينتين الذاهلتين (حسنًا . .) .

- (وقبل تخرجها بأسبوع واحد تقتل فى حادثة تصادم سيارة كانت تجرى بسرعة) .

- (تقتل ؟) .

- (دُمى قلب ابنى . . قَلّ أن تألم فى حياته وطفولته من قبل) .

- (أمر لا يصدق) .

- (ثم قام وترك كل شيء هناك وأتى هنا . . وسط الحرب ويمكن أن يقتل نفسه) .

وأتنفس نفسًا طويلاً . إذن هذا هو الأمر . . (إنه بخير الآن ، ومعه جانب إيجابى يا سيدتى . عمله هنا عال ومطلوب ومقدس لو تركوه يعمل . . فكرى فى هذه الناحية) .

لا تزال عينا العجوز بلا دموع ولكن حزينتان متألمتان . لا تستمع إلى كلامى كأن تلك البنت فعلت بموتها عملاً ظالمًا وغير منصف فى حق العجوز وابنها .

- ٣٢ -

جلسنا بآخر الليل داخل الحجرة الخاصة بالدكتور ، أنا بجانب الشباك والدكتور على كرسى بجوار أرفف أمتعته القديمة وقدماه بلا حذائين على طقطوقة .

نامت النساء ، أم فرجام بداخل حجرة الضيوف بآخر الطرقة ، أعطاها الدكتور قبل النوم قرصًا مهدئًا وكوب لبن ساخن . كان المطر ينقر على ظهر الشباك ورغم أن الشبابيك والنوافذ كانت مقفلة والأستار منسدلة فإن صوته العبوس السمج كان مسموعًا .

يكسر الدكتور الصمت ويقول (حسنًا) إذن سوف يعطونك أجازة الاثنين من الأسبوع القادم لتذهب إلى عبدان وترجع بابن مطرود) .

- (إن شاء الله) .

- (لو كانت الإجازة فى هذا الأسبوع لكان أفضل ، ويمكنك أن ترجع به آخر هذا الأسبوع إلى طهران) .

- (إن شاء الله) .

- (والمفروض أن نقيم فى نفس هذا الأربعاء بعد الظهر مراسم زواجك من مريم) .

- (إن شاء الله) .

- (وتكتب عقد الزواج ومبارك عليك يا صاحبى) .

- (إن شاء الله) .

- (لماذا طلع عليك مرة واحدة وِردْ إن شاء الله هذه الليلة ؟ خيبة لو تريد التراجع) .

- (قل إن شاء الله لكل أمر) .

(. . حين يقول واحد إن شاء الله فيعنى إن الموضوع لن يمشى) .

لا أضحك ويقول (انظر يا جلال لا تقل إن شاء الله عمّالاً على بطال) .

إذا كنت تود أن تسوى أمور هذه المرأة المسكينة فلا تقل النهاردا . . بكرة . أعرف أنك عينك الأولى فى الجنة والأخرى فى النار وأنت متضايق من هذا الموضوع . لكن إما أن تتمم الموضوع وتتركه يمشى أو أن تقول لا من أصله) .

- (إن شاء الله) أشعل سيجارة أخرى .

فيقول (ألا تزال تفكر فى أمر منصور فرجام ، ها ؟) .

- (هذا السيئ الحظ) .

- (سوء الحظ يتبع سيء الحظ . حين كانت أمه جالسة هنا الليلة وتقص علينا ما حدث له وتبكي كانت تحكى مأساة متطورة . يدخلان السينما معًا ، يغنيان فى السيارة ويضحكان وإذا بحياتهما تنفجر . عاشقة فى أوج سعادتها وهنائها تقتل فى مكان ما ولا تعرف قط معني ألم أو غم أو تعب فى الحياة ، ويبقى العاشق الآخر ويكابد الآلام . ويمكن للإنسان أن يتصور كيف هى حياته هنا . عليه أن يعبر بحرًا من الشقاء والتعاسة حتى صدره وهو يكافح ويناضل للعبور) .

ينظر إلى عـينى (هل تتذكـر إنك قلت له فى ليلة ضـيافـتك إن البعض ينال الحظ والبعض لا يناله) .

– (الطيبون أغلبهم لا ينالون الحظ) .

– (ولو وصلوا إلى مبنى سونا الشركة الأمريكية) .

– (أو غاصوا إلى قاع المحيط . . يقول الشاعر :

قـال الحكـيم كل من هبـط حظه .. لن يبـحث عنه الزمـان بأى شكل

اذهب واجلس بجوار البحر فربما .. تقع بيدك يومًا دُرّة ليس لهـا مثيل

فذهبت وغصت فى البحر ولم أجد دُرّةً .. الذنب ذنب حظى لا ذنب البـحر

– (ولكنه . . ولد ممتاز . كان بأمريكا . . عاش حادثة تعيسة . أتى هنا وانشغل فكرة فترة فى هموم الوطن . يريد أن يجدد أموره . لا يقيم لمشاعره وزنًا . . ويأخذ بسهـولة قرارًا . يعمل منفردًا وشاعرًا بالمسئولـية لكن بطهر وإخلاص . أعـتقد أنه فى النهاية سـوف يتقدم ويبدأ من جديد ويرتفع أمره) .

– (وكم يمكن أن يرتفع أمره وهو داخل العناية المركزة للقلب ؟) .

– (سوف يمر . . هنا لا يرسب ، سوف يصعد إلى عنان السماء) .

– (هل سيمر بقلب حجمه أكبر من الحجم الطبيعى ؟) .

– (دخل العناية المركزة لـلقلب أناس عاشوا ثلاثين عـامًا . هذه الأزمة القلبية يمكن ألا تشكل خطورة) .

– (وما سبب كبر حجم قلبه ؟) .

- (يمكن أن يتضخم القلب بسبب الدهون أو يمكن قد ولد به . هل كان فى أسرته فيما سبق أزمة قلبية وتصلب شرايين ؟) .

- (أمه سليمة الجسم صحيحة قالت إن أخاه الأكبر أصيب بالسرطان ومات ويبدو أنه هو الذى كان عنيفًا مع منصور الأصغر منه . أصيب أبوه بالسكتة المخية ، ولم يحدث لغيرهما شيء . هل يوجد الآن خطر كبير عليه ؟) .

- (لا ، يمكن ألا يضره هذا القلب سنوات طويلة ويعيش به حياة طبيعية . لا أعتقد أن قلبه يسبب له مشكلة . أنا فحصت قلبه . وأنا فحصت حتى الآن . مليون قلب ولم يبد لى أن بقلبه شيئًا ما . فقط عليه ألا تثار أعصابه وألا يتعب وأن يهتم بطعامه وأن يعود لأمريكا وإذا لم يذهب إلى أمريكا فيحتمل أن تحدث له أخطار) .

- (لا يزال يفكر فى أن يشغل المركز الملعون لأهالى الأهواز . أثرت على معنوياته أيضًا الأوضاع الموجودة حاليًا بإيران) ولا أبوح بكلمة عن مفكرة خواطره السابقة .

- (يجب أن يعود لأمريكا) .

- (أى خطر يمكن أن يتراءى له الآن ؟ قلت إن قلبه سليم ولم يظهر رسم القلب شيئًا) .

ينظر الدكتور خلال النافذة إلى الظلام والمطر السمج (عندنا دكتور متخصص وجراح قلب تعلم بأمريكا اسمه نكارنده . مسكله صوفى قليلاً . يضرب مثالاً طريفًا لعمل القلب . يقول إن نظام القلب والشريان التاجى والأورطى لآدم أبى البشر مثل عربة جياد

يسوقها اثنا عشر جواداً أسطوريًا فى مسابقة الحياة لو أن جواداً وسطها سقط وكبا يتقدم بالعربة الأحد عشر جوادًا الآخرون لكن الجواد العاجز يظل وسطهم . هذا الجانب الأسطورى هو تمثيل الدكتور . يمكن أن يبدو وجيب القلب عاديًا ويمكن لرسام القلب ألا يظهر شيئًا ولكن لا يعنى هذا خلو القلب من المرض . لابد من عمل أشعة على الشرايين لكى نعلم تمامًا كيف وضع القلب وأوردته وشرايينه) .

(أى كم من الجياد سقط ؟) .

- (من يعلم يا جلال ، إنها الحياة) .

- (يبدو أن أحد الجياد سقط فيه وهو فى أمريكا) .

(ربما . . كان واضحًا من الليلة الأولى التى آتى فيها أن ألمًا أو آلامًا كائنة فى قاع قلبه) .

- (وعدد آخر من الجياد فى طريقهم إلى السقوط والعجز فى المركز المستطاب التكنولوجى أو سقطوا فعلاً) .

(أعتقد أن جياده قوية . . المشكلة الأصلية عنده مشكلة روحية ونفسية . نحن جميعًا نتحرك بجياد ميتة فى القلب وجيف مخزونة فى أمخاخنا . يقول أرسطو إن عمل القلب متصل بعمل المخ . شىء روحى كبير كان يؤلم الدكتور فرجام ولايزال . كان من نفس الليلة الأولى التى أتى فيها هنا نشعر بأنه يعانى شيئًا وحتى اليوم لم نكن نعلم كنه هذا الألم بدقة . والآن فهمناه) .

- (العشق) .

– (العشق أو فقدان العشق . إن الإنسان يحتاج إلى العشق والملاطفة والاهتمام . وأعتقد أنه عاش طفولة مؤلمة وتفيض بالجروح . من الذى يدرى أن عشقًا قصير الأجل أو عدم اهتمام قليل الشأن كم يجلب من المتاعب للحياة والأحياء ويشكل الأحياء والحياة أو يحطمهم . وبهذه المناسبة ويمثل هذا الظرف تدخل الآن حياة مريم جزايرى) .

أصمت وأقول (ومن هذا المكان ومثل هذه الحالة أقول لك الآن أدام الله عزك وليلتك سعيدة) .

يضحك (هل أنت واثق من أنك لا تحب أن تدعو اثنين أو ثلاثة لعصر الأربعاء ؟) .

– (أنا واثق وأعلم أنها واثقة) .

– إذن هيىء أمورك لها) .

– (من يدرى . .) وأنهض .

– (فكر بطريقة إيجابية) .

– (يا الله) .

بعد يومين أى فى الأربعاء ، على أية حال ، يخرج فرجام من العناية المركزة للقلب ويغادر المستشفى وتتحسن حالته ويستطيع حضور مراسم زواجنا القصيرة .

وبعد الظهر بنحو ساعة وقبل رحلتى إلى طهران التى ستدوم ثلاثة أيام ، يعد الدكتور وزوجته فرخندة هانم ضيافة خاصة لمجموعة لتناول الشاى والجاتوه . امتلأ جانب من منضدة حجرة الطعام بالشاى

والمشروبات والكعك والحلوى على أنها طعام العصر الخفيف . ووضع على الجانب الآخر من المنضدة لافتة حريرية مشجرة فاخرة عليها آيات من القرآن الكريم ومرآة وزهرية بها ورد الشقائق . وبوسط المنضدة وضعوا زهرية طويلة من الكريستال . وأعدوا كذلك أغصان الزهور الزرقاء والبيضاء والورود الحمراء . لم يتعد الضيوف ، خلافى ومريم جزايرى ، السيدة عطا جزايرى ولالة جهانشاهى والدكتور فرجام والسيد العاقد والسيد الموثق المعروف لهما ولا أحد بعد أولئك . بعد تناول الشاى والجاتوه . يتباحث فى البداية الدكتور مع موثق العقود فترة بهمس وتؤدة . ثم الدكتور والموثق مع مريم ثم يتحدثان معى على مهل . ثم الموثق والدكتور وعاقد العقد يتحدثون معًا بتريث . المراسم بسيطة وواضحة وأنتظر حتى تنقضى جميع الأحاديث والقرارات والاتفاقات وتتقرر مدة ليست طويلة جدًا ولكن تشبه إلى حد ما الانتظار فى عيادة الأسنان حتى يصلك الدور فيحدد الطبيب السنَّ ويخلعها . وفى النهاية يخطب العاقد خطبة عقد النكاح الدائم ، ويردون عليه بالإيجاب وتحلَّى الأفواه ويسجل موثق العقود كل شىء فى دفتره ويدرجها فى بطاقتينا الشخصية .

ويتقرر أن تتسلم مريم أصل العقد والوثائق غدًا مختومة وعليها طوابع التمغة من مكتب التوثيق وتسلم الرائد تقى زاده المسودّة الجديدة لبطاقتها الشخصية مع بقية الشهادات .

الرحلة الثالثة

- ٣٣ -

قلب الشتاءوفى بَحْبُوحة تصعيد (حرب المدن) عام ١٩٨٤ وأعود من طهـران إلى الأهواز بسـيارة (رنج روفـر) إنجليـزية وسائق عـربى أهوازى اسمه ضـياء الله والذى وضعته إدارة السفـر لتوصيلى . طرق لرستان وخوزستان مزدحمة والناس فى خرم آباد وبل دختر وانديمشك والأهواز فى حـالة من الحركـة والعجلـة وترى أمام مـحطات البنزين صـفوفـًا من السـيارات تصل كـيلومـترًا . هنـا وهناك تغطى الطرق بالمركبات وعربات النقل العسكرية التى تفيض بالقوات النشطة المتوفرة والأسلحة الثقيلة والخفيفة . يقـترب موعد انتهاء تهديد صدام بضرب المدن . وأعلن رئيس الجمهـورية الآن أن صدام لو جن جنونه وقصف مرة أخرى المدن السكنيـة الإيرانية فـسـوف ترد عليه بالمثل (القـوات الإسلامية) وتمطر بوابل نيرانها المدن الحدودية العـراقية . تعبير (المقابلة بالمثل) تعبـير جديد فى الحرب المفـروضة التى استمرت أربـعين شهرًا وتضفى أبعادًا جديدة على كابوس الحرب وتدق أجراسًا جديدة .

وحين نتجه جنوبًا من ميدان أنديمشك الخارجى فى ضيق الغروب نحو طريق الأهواز أُجلس بـالمقعد الخلفى للسـيارة ضيـاء الله بعد أن ظهر عليه التعب والنعاس والفتـور والخمود وأتولى القيادة بقية الطريق . شغلت فـرنجيس منذ أربع وعشـرين ساعة فى طهران خـلايا مخى ،

ورجعت وأنا فى جيبى رسالة أعطاها لى مطرود مختومة ومصدقة بإمضاء مدير (مؤسسة شئون المصابين) فى طهران كُتبت إلى فضيلة حجة الإسلام دهدشتى فى عبدان جاء فيها بعد البسملة والسلام عليكم والتحية إلى الأرواح الطاهرة لشهداء الإسلام وتمنى (استمرار الجهاد ضد الكفر) تطلب النظر بالرحمة ولعلة اعتلال صحة الأخ المقاتل إدريس آل مطرود أن يسمح لهذا الأخ المجاهد بأن يعود من المدينة المقاومة التى احتضنت الشهداء عبدان إلى طهران لأبيه الذى يعانى شدة المرض والألم وفى النهاية تقدر بعظيم الثناء والإجلال الكبير كل أنواع المساعدة المبذولة لنقل إدريس للأخ جلال آريان . يمكننى بهذه الرسالة أن أخرج بإدريس فى النهاية من عبدان وأعود به إلى أبيه مطرود فى طهران فى الرحلة التالية التي سأقوم بها بعد انتهاء الدورة المكثفة لإعداد التقارير فى أوائل شهر مارس القادم .

وحين ندخل أطراف الأهواز من تقاطع نقطة الحراسة بطرق الأهواز تكون فى نحو الثامنة مساءً . المدينة فى سكون وصمت وأعبر الكوبرى الثالث على ضوء المصباح الخلفى وأتقدم دائرًا من نيوسايت أو فى الحقيقة من خلف منطقة العنابر محل سكنى فرجام إلى حزم كوشك وأسير داخل الأجزاء السكنية والقديمة للمدينة . الظلمة والسكون يعم كل مكان . لا أتوقع أن يصدر أحد أى ضجة داخل الشارع بسبب الخوف المسيطر على الجميع أو أن يسمع أحد أى جلبة . يلفنا السكون لكنه له صوت أعلى من الضجة وأنا أشعر به قاسيًا وشديدًا يسرى فى البدن سريان السرطان الذى ينهش من تحت الجلد . وحين أُدور من تحت الكوبرى الأسود يأتى من خلفى صوت سيارة إسعاف ثم يرتد بعد أن يخز جسدى . وحين أقف بالسيارة أمام فندق

آستوريا . الفجر وسط الظلمة والنور الباهت والشاحب الضعيف الآتي من مصباح كيروسيني صغير وأوقظ ضياء الله الذى ينظر إلى مندهشًا مذهولاً فأقول له (استيقظ يا ضياء الله ونوره وصلنا) يضحك وأوقع له على الأوراق بالوصول وأتركه يمضى بعد أن أهبه بقشيشًا .

أخرج بعد حمام ليس دافئًا كثيراً وعلى ضوء الشمع (!) وقبل أن يغلق المطعم أبوابه أوصى أن يرسلوا لى طعامًا بالأعلى . ثم أجلس على السرير والمنشفة حول عنقى وأنظف ما حول أذنى وداخلهما حين يدق جرس التليفون (آلو ؟) .

(سلام ، أيها الصديق القديم ، حتى عدت ؟) إنها مريم .

نتبادل السلام والتحية ونقول إن الأوضاع استقامت وأخذت البطاقة الشخصية الجديدة والوثائق والشهادات وسلمتها للرائد تقى زادة .

- (كل شىء ماشى فى طريقه ؟) .

- (أعتقد أن كل شىء ماش بدون مشكلة . ليس غير آذر التى تفترق عنى بسبب بطاقة والدها فقال ربما يثيرون مشكلة) .

أسألها (منذ متى والمدينة مظلمة ؟) .

- (من الغروب حتى الآن يقولون إن الطائرات الروسية الاستكشافية للعراق تحوم . . تأتى كل ليلة ونهار وتلتقط الصور من ارتفاع كبير ولهذا يطفئون أنوار المدينة ليلاً . كيف حال فرنجيس هانم ؟ حين كنت أحادثها ليلة أول أمس كانت كأنها أصيبت بالبرد) .

(هى أحسن حالاً . لكن مطرود حالته تسوء . إذا لم أرجع فى المرة القادمة بإدريس له فعلى حياته السلام) .

– (إن شاء اللـه سوف تجده وترجـع به إليه . مـتى ستعـود إلى طهران ؟) .

– (بعد نهاية الدورة . . أوائل مـارس القادم) ثم أزيد (إن شاء الله إما أن تكونى غادرت البلاد حتى ذاك الوقت . . أو نسافر طهران معًا) .

– (إذا لم تمت) .

– (أنت ستسافرين بالسلامة) .

– (من أين أنت واثق بهذه الدرجة ؟) .

– (اطمئنى . كيف حال الأصدقاء والأولاد ؟) .

– (كلهم بخيـر . أتى فرجام عصر الأمس إلى الـدكتور وشكره لرعايته لأمه . اتصلت بى فرخندة فذهبت لرؤيته) .

– (هل سافرت أمه ؟) .

– (أجل ، وكأنه يعيش وحيداً) .

– (وكيف حالته ؟) .

– (أصابه الضعف لكن حالته الصحية مستقرة . لكن هناك خبراً سـيئًـا . سرقـوا كل ماله ومـا ليس له . لابد أنه ظن أنه يعـيش فى نيوسايت فى أمريكا . كان قد ترك باب شقته مفتوحًا وذهب خارجها وفى نهـاية الليـل حين عـاد وجـدهم سـرقـوا كل شىء إلا المنضـدة والكرسى والسـرير أملاك الشـركة . أخـذوا حقـائبه وآلات تصـويره وكمبيوتره الشخصى وآلة النسخ والتليفزيون حتى كتبه . .) .

- (هل سرقـوا حقيبـته الشخصـية ؟ فيـها جواز سفـره والعملة الصعبة والفلوس التى يعيش بها) .

- (لا . . كان يحملها معه فيما يبدو . . وحقيبته لا تزال معه) .

- (سأتصل به الآن . إذن سلمت كافة الوثائق واستمارات تقرير الحالة وانتهى موضوع التقديم ؟) .

- (نعم ، طلبوا صورة لجواز سفرك وكانت عندى فأعطيتها له . كذلك حوالة بنكية بمبلغ ألفى تومان . والصور والأوراق وكل شىء . قال تقى زاده أنه لن يضع تاريخًا لاستمارة تقرير الحـالة . قال سوف يسوى الموضوع بنفسه) .

(إذن يمكنك البدء فى جمع الأثاث استعداداً للسفر . هل فكرت فى أثاث المنزل وبقية الأمور ؟) .

- (المنزل الذى استأجرته شركة النفط لدينا وقت للإقامة فيه حتى ٢١ مارس ثم نتـركه . سوف يحضـر الدكتور سـمساراً يعرفـه لشراء الأثاث فى أوانه . سوف أعطيه كل شىء لنقله . وهناك قدر كبير من الحاجيات والأثاث الخفيف والثقيل سوف أتركه للننة بوشهرى) .

يطرق الباب أحدهم فأترك السمـاعة على السرير وأفتح الباب . أتى الجرسون بصينية الطعام وتركها فوق المنضدة . أوقع له شاكراً على الفاتورة ويذهب وأرفع سماعة التليفون .

- (تفضلى العشاء) .

- (مرسى ، ماذا أحضروا لك ؟) .

- (نعل حذاء يسمـونه هنا فيليه استـيك . لكن ليس من مشكلة لأنهم جاءوا بالخمر والشمبانيا فيمكن تعويض الفيليه) .

تضحك (نعم ، هنـيئًا . . لن أزعـجك . كان الدكتـور منصور يقول إنك تريد التـوجه إلى عبدان يوم الاثنين أو الثـلاثاء . وقال إنه يريد أن يصحبك) .

- (نعم ، يريد أن يصحبنى) .

- (أليس هذا خطرًا عليكما ؟ صدام قال إنه يريد أن يقصف كل المدن من بداية ١١ فبراير ٨٤ ؟) .

(طبعًـا خطر . . ليست عـبدان شـاطىء ماليـبو فى كـاليفـورنيا وبسبب ذلك سأحاول أن أصرفه عن صحبى) .

- (بالله كيف يتصرف ؟) .

- (إنه يبحث عن الإثارة والحـماسة لكى ينسى أشيـاء . وعبدان مطلوبة لكى تثيره) .

- (أعلم . . لكنه سيتعب ، قال الدكتور يجب ألا يتعب نفسـه) .

- (ماذا يمكن عـمله ؟ هل يمكن أن نقول للحُـمَّى انقطعى ؟ أو للفأر لا تأتِ ؟) .

- (لا ، لا يمكن ، ليت الأمور لم تكن بهذه الحالة) .

- (إنه يذكـرنى بولد كان مـثاليًـا وكنت أعـرفه فى طهـران منذ سنوات خلت . كان ويليام فولكنر هذا يريد أن يعـيش حياة الطبقات المعدمة الإيرانيـة . فذهب إلى قرية كنجكاور ، ثم إلى عزبة واسـتقر بها وحيدًا وأخذ يؤلف . .) .

– (ثم ماذا حدث ، عشاؤك برد) .

– (هو الآن فى عالم الخيال والوهم) .

– (عشاؤك أم ويليام فولكنر إيران ؟ !) .

– (ويليام فولكنر إيران) .

– (الدكتور فرجام لا يذهب إلى عالم الخيال والسرحان . إنه شاب ذكى ومتخصص فى الكمبيوتر لكنه يزيد شيئًا فى الحساسية ويريد العودة إلى أمريكا) .

– (قال هل يريد العودة إلى أمريكا ؟) .

– (كان يقول هذا للالة بالبارحة) .

– (بارك الله ، هل لم يقترح شيئًا بخصوص لالة ؟) .

– (أظن أن فحوى كلامه كان يدور حول هذا الاقتراح . . يا فرحتى مصباحنا الكيروسينى يذهب الآن إلى عالم الخيال) .

(حسنًا ، مع السلامة ، سوف أتصل غدًا بالرائد تقى زاده) .

– (ماشى ، مع السلامة ، وأشكرك على كل شىء) .

– (ربما أستطيع أن أحقن صاحبنا منصور فرجام بقليل من الشعور البسيط أيضًا) .

– (لا تترك عشاءك يذهب إلى عالم الخيال البارد ، مع السلامة) .

– (ليلة سعيدة) .

- ٣٤ -

جنون بَحْتٌ ، لكنه يأتى معى إلى عبـدان ! هذا السفر لشخص مضى عليه فقط ستة أيام من تعب بالقلب والرئتين وثلاث ليال قضاها فى العناية المركـزة للقلب هو طيران هابط حر بالـسروال الداخلى من السفينة الفـضائية «إقبال» لكنه يريد المجـيء وأعجز عن إثنائه ويأتى . لأسباب أولها طبقًا هربه من الانشغال بسوء حال المركز وجموده الذى يشغل فـكره ثم إن مسألة تدفـق سيل الأولاد إلى جنوب إيران حـاليًا وإصابتهم بالشـهادة أو الجروح تجذبه . قدمت سفـرى يومين وجعلته السبت بدل الاثنين لأن الاثنين يـوم إجازة ذكرى الثورة كـما أن إنذار صدام سـوف ينتهى فى منتصف لـيلة الاثنين وعبدان أيضًـا من ضمن قائمة صدام وآمل أن يستطيع ابن الكلب هذا أن يقرأ النتيجة والتقويم .

نتجه هذه المرة جنوبًا لسـيارة نيسان باترول WD - 4 وقد سارت آلاف المرات هذه السنوات من خـوزستان مـتجهـة للجنوب . وتحمل السيارة علامـة شركة النفط وكلبة النفط وليس فيها غـبرى وفرحام . الطريق الوحيـدة والمهجوره لمدار خـوين كأنها بأجـوج ومأجوج غـير الموجـودين معنا فـضلاً عن خـطاب شئون المضارين بالحـرب إلى (دهدشتـى) أوراق للسمـاح بالدخول إلى عـبدان ، عبـدان هذه التى أخليت تمامًا من السكان وموظفى النفط والمصفاة وصارت منطقة حربية بحيث أن شاطىء نهر دجلة الذى نقع العراق على شاطئه الآخر يعد الخط المتقدم للجبهة فى الواقع .

الجو يخالطه السواد والبياض حين نعبر نقطة حراسة (خضرية) وينقضى نصف ساعة وتشرق الشمس ونصل إلى دارخوين . وخارج الطريق الأصلى تقع مقبرة وترفرف المئات بل الآلاف من الرايات الصغيرة جداً الصافية الاخضرار أو الاحمرار أو الاصفرار أو الاسوداد على القبور .

فيقول فرجام (مقبرة بهذه الضخامة لقرية بهذه الضآلة غير مقبولة عقليًا . هل تتوقف دقيقة لنقرأ الفاتحة . يبدو أنها محل دفن الشهداء الآتين من الجبهة) .

أتوقف بالسيارة إلى الجنوب قليلاً من المقابر بحيث لم أصل إلى بوابتها التى يشبه أعلاها قبة مزينة . وتخرج من السيارة ويلتقط فرجام بآلة تصوير قديمة وعجيبة بيده عدداً من الصور . هنا الرايات والأعلام وشواهد القبور ليست كمقبرة (مقر الشهداء) التابعة للأهواز تبرق وتلمع بل هى فى الواقع مقابر بسيطة وترابية وبدائية كأنها هى الأيدى العارية والصامتة للشهداء تخرج من قلب التراب وتصرخ فى صمت ومن خلفنا من داخل القاعدة تأتى أصوات النواح . الصبح صاف وتهب النسائم العليلة الباردة الصباحية فى صحراء ستروت وتتلألأ شمس خوزستان من مكبرات الصوت بمقر المقاتلين المتطوعين تنشر جماعة وهى تدق صدورها :

صوب ديار العاشقين .

صوب ديار العاشقين .

نتوجه إلى الله ، نتوجه إلى الله .

من أجل موالاة عشقه .

من أجل موالاة عشقه .

نذهب إلى كربلاء ، نذهب إلى كربلاء .

لا يزال فرجام يلتقط متريثاً متمهلاً صورة تقرقر بطنى فأقول (اركب ولنسرع هناك مقهى «صلواتى» نتناول فيه شيئًا ونصلى «الصلوات» ثم نجاهد فى السير لعبدان حتى لا تلحقنا الصواريخ وطائرات الميج) .

نصل كوبرى «بهمن شير» فى الثامنة والنصف وهناك أول محطة الوصول . لا يضرب طائر بجناحه ، ولا يتحرك غير بضع سيارات عسكرية وتتبع المؤسسات الثورية هنا وهناك . نقف أمام نقطة الحراسة وأخرج . ويخرج كذلك صبى فى الثامنة عشر يرتدى زيه العسكرى ويحمل رشاشه (الكلاشنكوف) وأريه الرسائل وأشرح له مطلبى يظهر من طريقة نظره إلى الأوراق أنه لا يقرأ ولا يكتب .

(ومن هذا الأخ ؟) لسانه به لكنة وإن كان كلامه يفهم فى النهاية .

- (هذا الأخ موظف بشركة النفط ، أتى مصاحبًا لى وسنعود من هذا الطريق عصراً إن شاء الله) .

- (إن شاء الله) .

يتقدم متجسسًا مدققًا إلى مقدمة السيارة ومؤخرتها كأنه يدقق ويتفحص .

- (هل السيارة ملكك يا أخى ؟) .

- (بل ملك كلية النفط بالأهواز) أشير له إلى علامة الكلية .

- (تفضلا) .

أود الاستفسار منه على محل إقامة الحاج دهدشتي وأظن كأنه لم يسمعني . أشكره وأواصل السير . كان إسكان المتطوعين لحسينية الأصفهانيين فى السنة الأولى من الحرب فى المحطة رقم ١٢ . ثم انتقلوا إلى مسجد صاحب الزمان بجانب الأستاد . ثم انتقلوا كذلك إلى مبنى مسلح ومحصن تحت الأرض بجواره . أنا أعرف المكان والطريق وأسير نحو مصفاة النفط أو ما بقى من المصفاة المخربة بالخط الأمامى للجبهة . تتقدم من أطراف أحمد آباد وشمال بواردة نحو الاستاد . عروس مدن خوزستان خاوية وخربة وصامتة وساكنة وهى فى الواقع فانية هالكة . نسمع أصوات ضرب النار المتفرق من ناحية الساحل الجنوبى لدجلة وخسرو آباد . المدينة كأنها عروس جردوها من ملابسها فى منتصف ليلة زفافها وحلقوا شعرها واستخرجوا عينيها من حدقيتهما وسلخوا جلد وجهها وجسدها وتركوها وسط الدخان والتراب والضباب تنهشها الكلاب الضارية . . دمر حوالى نصف منازل العمال والدكاكين والأبنية وأحيانًا يشاهد كل من التراب والأنقاض فى مكان بمساحة ملعب كرة القدم . لم تبق فى أى مكان شجرة أو خضرة أو روضة سالمة . بواجهة مخبز أو محل تجزئة لمواد تموينية الباب مفتوح لكن ليس من أثر لسكان إلا من يتبعون الجيش أو مؤسساته تنتشر فى الأغلب ناقلات البترول المحترقة والمبقعة والسوداء فيفول فرجام (هَيّ . . لم أكن أعرف أنك شديد العاطفة) .

- (أنا ، لا) وأزيل الدموع من حول عـينى (لابد أن السبب هو دخان البارود) .

- (نعم ، أو أرواح الصواريخ) .

- (تأتى وتروح) .

- (لو كنت أعـيش هنا وأرى المكان بهـذا الشكل لغـلبنى البكاء مثل القرد السنجابى) .

- (لابد أن ندخل الحسينية بجوار الاستاد ، فلنذهب إليها) .

- (حسنًا ، غيّر الموضوع) ثم يسألنى (حين تراه ستتعرف عليه ؟) .

- (الآن أبوه نفســه لن يتعرف عليــه إذا رآه . فقد ذراعه وسـاقه وسمعــت أن جانبًا من وجهــه يحتاج إلى عمليــة تجميل جزئيـة حتى يصبح فى شكل إيلين ديلون) لا يضـحك . وأتجه إلى ظهر الخط رقم واحد وقبل أن أتجه إلى الاستاد أدور حــول فناء بواردة الشمالية وكلية النفط بعبدان .

(عمـره عشرون عـامًا وبضعــة شهور . يبلغ الأطـفال البلوغ ثم يرحلون ســريعًا خــاصــة حين يسعــدهم الحظ ويبــدأون فى السقــوط مشلولين أو بعــقد الأذرع والسيــقان) يأتى صوت انفــجار قنبلة والذى أعرفه جيداً .

(وأتيت الآن لترجع بواحد منهم) .

- (ولو بقينا نحن أحباء) ثم أقول (لقد بدأوا بتفجير القنابل) .

ينظر إلى فترة ويقول (ألست أنت نفسك ملك الحظ) .

- (بل أنت ملك الحسان وملك الحظ . هذا هو برج كلية النفط . إنى لأعجب من أنه لايزال موجوداً حتى الآن . كانت الكلية هنا) . أدور حول الشوارع التى أعرفها فأراها خربة ومهجورة . وأتجه من بواردة الشمالية نحو شمال الاستاذ . يسألنى (ماذا تفعل ؟ هل ستلف ثانية) ويقترب إلينا أكثر صوت انفجار قنبلة أخرى وتهز الأرض تحتنا .

فأقول له (غَنِّ لنا أغنية يا منصور بيه) .

لا يزال ينظر إلى مبتسمًا (أنا أعجب بك شيئًا فشيئًا . أنت بذاتك إنسان طاهر وطيب) .

- (لو أنى الآن وجدت زجاجة نبيذ عليها صورة كلب لأظهرت لك مبلغ طهرى وطيبتى) .

فلا يضحك (هل سترجع إلى الوراء ؟) .

- (نعم هذه أصوات جاءت إلينا ولا أحب سماعها . هناك الاستاد وتلك كأنها قاعدة المتطوعين فى حسينية الأصفهانيين . لنذهب أولاً لنجد ابن مطرود ونركبه معنا) ونسمع صوتًا آخر يقترب منا أكثر .

- (ما هذا الصوت الذى يزيد ؟ هل هو مدفع طويل المدى ؟) .

(إنها قذائف مدافع الهاون مدافع طويلة المدى قوية جدًا الأفضل أن نترجل ونسرع إلى التحصن هنا أو هناك وإلا دخلنا الليلة إحصاء أخبار الساعة السابعة والنصف) .

أوقف السيارة بعد دقائق أمام باب مبنى محصن محكم ونجيل النظر بسرعة فى المكان حولنا بكل المنطقة خاوية وخربة ومهجورة .

بضع من السيارات مركونة في الأطراف لكن لا يحرسها حارس أو جندي . ويذيع أحد مكبرات الصوت نشيد نواح كربلاء :

قلبي الضيق هذا - به عقد

كأن لديه ميلاً - إلى كربلاء .

ويسألني فرجام (هل هذا مسجد ؟) .

- (قاعدة الإخوة المتطوعين ، محصنة) .

- (جميلة) .

- (مثل القمر ، لندخلها ، كأن الأخ إدريس ينوح وهو يضرب صدره معهم) .

- (كان ولداً مسلمًا في الواقع) .

- (بل ولد عربي إيراني من طبقة العمال والفلاحين كان يتجول في شوارع بريم لبيع سجائر الونستون) .

- (وجعلته الثورة الإسلامية مجاهداً) .

وأعود إلى النظر إليه .

نخرج من السيارة ولا أرهق نفسي بغلق الأبواب . أمامنا شيكارات الرمل فأدور في الشارع حتى أكتشف المدخل المستتر . لم أكن أعرف جيداً هذه المنطقة . وأبعد قليلاً يقع مبنى صغير لابد أنه كان مبنى عيادة أو ورشة كبيرة وبما أنه يقع في حماية المبنى المسلح العظيم مكان جلوس المتفرجين للاستاد ويقل احتمال إصابته بالمدافع الخماسية القصف من الجنوب ففي بقي سليمًا . على سقفه ، ثم

مضاد للطيارات ومقاتل يرتدى لباسه العسكرى ويغطي رأسه بالعقال الفلسطينى وظهره ناحيتنا ويسير على السقف . ويتضح هنا أكثر صوت النواح ودق الصدور من مكبر صوت داخل المقر وجماعة إما أنها تدق صدورها فى الحقيقة وإما إن الصوت مسجل . وفى النهاية أعثر على مدخل صغير مرصوص أمامه نحو ثلاث آلاف شيكارة تراب . كان فرجام لا يزال يلتقط الصور وهو أمام السيارة حين يهز الشارع صوت انفجار رهيب جداً . وحين أرجع وأنظر إليه أراه سقط على التراب وآلة التصوير بيده ، فأسرع نحوه وأخشى أن يكون أصيب . لكنه لا يزال سليمًا ومعافى فأقول (انهض لندخل يا دكتور ماذا حدث ؟)

(لا شيء ، انزلقت قدمى) ويبدأ فى النهوض (اتجهت حواسى إلى آلة التصوير فمشيت على يدى وقدمى . آلة التصوير ملك الدكتور بختى) .

أساعده لينهض ويقف ، كمه مشمر ويبرق جرح أبيض ومستطيل الشكل بطول ثمانية سنتيمترات فوق ساعده الأيسر ويغطيه جلد ظاهر اللون بارق .

أقول له (الأفضل أن نغادر هذا المكان فهؤلاء الكلاب اشتد حماسهم للضرب ويمكن أن يقتربوا منا أكثر) .

- (ماشى) .

- (ما هذا الجرح الذى بيدك ؟) .

- (تذكار حادثة) .

- (أى حادثة ؟) يهز رأسه .

توجد حجرة مظلمة على مسافة قصيرة جداً خلف منحدر الدخول للمبنى جلس على الأرض ثلاثة من الأخوة بالزى الأخضر والكاكى والزيتونى عزلاً من السلاح وسطهم آنية صغيرة ومعها بعض الخبز الرقيق وبجوارهم تليفون . أحدهم فى حدود الثامنة والعشرين له قوام كبير القوة وقدّ رياضى بلحية كثة . والآخران فى نحو السادسة عشر ولا يظهر فى وجهيهما غير عيون خائفة وفمّان مملوءان بالخبز والأرز المخلوط ويدقق فرجام النظر فى منظر الحجرة المحصنة والأفراد القابعين بها ويقول (أعطاكم الله العافية يا إخوة) . لاتزال رسالة الحاج دهدشتى بيدى ، فأقدم نفسى إليهم وأقدم فرجام : (آمل أن تتذكروا أخًا مصابًا فدائيًا هنا اسمه إدريس آل مطرود انتقل من مقر أنديمشك) يسألون عن أحوالنا وهم جالسون ولا يريدون أن يفحصوا أوراقنا . حين أذكر موضوع الرسالة ينظف الأخ الأكبر يده ثم يصافحنى (السلام عليكم مرحبًا بكما . ألتمس منكما الدعاء) . ويرتفع صوت انفجار آخر داخل الشارع لكن الإخوة يستمرون فى الأكل كأن صوتًا لم يأت أصلاً أو أن الغرفة لم تهتز أو أن بعض التراب لم ينصب فوق طعامهم .

فيقول الأخ النحيف ذو النظارة السوداء (أجل ، إدريس هو نفسه موجود هنا) .

– (هل هو بخير) أتنفس نفس الراحة من صميم قلبى .

– (نعم ، إنه فى صحة جيدة) .

أعود وأنظر إلى فرجام وهو يتمعن فى التفرج على الأخ النحيف ذى النظارة السوداء .

ثم ينظر إلى ويحنى رأسه مبتسمًا (بعد شهرين أخيراً !) .

يبتسم بعطف لنا الأخ صاحب اللحية الكثة والذى نعرف بعد أن اسمه الحاج أفضلى (فعلاً ، تفضلا الغذاء) أمسك رسالة الأخ آية الله دهدشتى من طهران من مؤسسة شئون المضارين بالحرب بيد ورسالة الأخ المسئول فى مقر سيد الشهداء من أنديمشك فى اليد الأخرى ، أقول (لدى رسالة للحاج دهدشتى توضح كل شىء) وأشرح له قصة مرض عامل قديم عندى وأنه متجه إلى الموت واسمه مطرود ويسكن بطهران ويتمنى رؤية ولده .

فيقول صاحب النظارة السوداء (إنه هناك فى المسجد خلف المطبخ) .

ويقول ذو اللحية (انتظرا دقيقة) . ويرتفع صوت انفجار آخر من نهاية الشارع أو من خلف الاستاد أعتقد أنه يريد أن يقول لنذهب جميعًا داخل الحصن تحت الأرض . لكنه يلعق أصابعه ويتناول التليفون من جانب الأخ النحيف ذى النظارة السوداء . ويتحدث فترة مع أخ اسمه (الحاج محمد أغا) ثم ينتظر كأن الحاج محمد يتحدث مع شخص آخر لكى يتحقق من موضوع فى مكان آخر .

ويقول الأخ الصغير الثانى (تفضلا بسم الله) ويشير إلى الطعام . أشكره أنا وفرجام ولا يضيرنى أن آكل وأنا جائع أيضًا ولكن لو رفعت يدى بلقمة واحدة فينهار قعر الآنية وأنا أريد أن أقابل إدريس الملعون أولاً . فأقول للصبى (أيمكنك أن ترشدنى إليه ؟ كان يعيش فى منزلى لمدة ثمانى سنوات ، فهلّم معى وأجرك على الله) .

ويعيد الصبي النظر إلى الأخ الملتحي والذي لا يزال منشغلاً بالتليفون ثم يترك السماعة ويقول (تفضلا ، ادخلا) ويشير بهزة من رأسه .

(هل يمكننا أن نأخذه معنا ؟) .

- (وقع بأسفل هذه الورقة واكتب اسمك وعنوانك بالأهواز وطهران . .) .

ثم يقول (أكبر . . ارشد الأخ وسلمه إدريس) .

ويبقيان فرجام في نفس الغرفة ونتقدم أنا وأكبر .

نعبر فناءً صغيراً يقع بطرفه مبنى مسلح أكبر أمامه نفق له مدخل واسع . نهبط السلالم وكلما تقدمنا ظهر من النفق صوت نواح الضرب على الصدور أعلى وأشد رنينًا . أخذ قلبي الملعون في الدق بشدة في الواقع كأني ذاهب لأقابل «زازا جابور» .

بداخل النفق بضع غرف أو صندرات تشمل المطبخ والسلاحليك والمخزن وتكمل مشهد العاشقين رائحة الأرز المسلوق والبصل .

وأمام باب المسجد يقول لي أكبر (انتظر أنت هنا وأنا سآتي به) ويذهب أتقدم خلفه وأنظر . يأتي من خلفي صوت انفجار مهول وتهتز الأرض والجدران بصورها والمعلقات عليها . أتقدم نحو المطبخ من داخل الباب الذي دخل منه أكبر وأنظر إلى حجرة مفتوحة هي المسجد ومكان تناول الطعام . فوق أرضية الحجرة تحلق نحو عشرين مقاتلاً يجلسون متوركين أغلبهم شباب وأصحاء وجهاز تسجيل بجوارهم فوق كرسي يبث النواح بينما يذاع أيضًا صوت دق الصدور

مصاحبًا النواح المحزن . جلس رجل أمام الجمع وهو يدق صدره بأكثر إحكامًا ويقودهم في الدق على الصدور . أتصفح وجوه المقاتلين واحدًا واحدًا ويدق قلبي بشدة . أغلبهم في سن الثامنة عشر وواحد أو اثنان في سن الرابعة عشر وبضعة آخرون في العشرين وصاعداً ، لكن الجالس على ركبة واحدة أمام الجميع على الأرض وجعل عصاه أمامه وبدا في ناحية من وجهه جروح قديمة ، يدق صدره بيد واحدة متابعًا اللحن (يا حسين !) . شيء يحرق طرف عيني ، لا أدري هنا هل أنا أبكي وسط رائحة الأرز المسلوق والبصل المقشور ونواح (كربلاء أيتها الحرم وبلاط دم الحسين الوابل) أو أني أضحك من السعادة . إنه هو . . يضرب بيد واحدة بكل هذه الحرقة والذوبان من صميم قلبه وينشد النواح كأنه أخاه هو استشهد اليوم صباحًا أمام مصفاة النفط الواقعة أمام (ميدان ألفي) .

يقول أكبر شيئًا إلى هذا المقدم ثم يذهب في طلب إدريس .

- ٣٥ -

يدكــون المنطقـــة الآن بالمدافع الطويلة المدى ويــطلب منا الحــاج أفضلى أن نجلس مدة بجانب الجدار ونصبر قليلا. نجلس بجانب المدار الدكتــور منصور فــرجام وإدريس آل مطرود وأنا ثــلاث فولات داخل قشرة واحد . يأمر الحاج أفضلى كذلك لكل واحد منا بطبق من الأرز الخالى من السمن والبصل والكمبوت . طعام ليس سيئا بل هو أفضل من بعض الأصناف التى تقــدم ضمن طعــام الغذاء فى فندق آسـتوريا الفــجر . ثم يذهب الأخــوان الثلاثــة للصلاة بأســفلٍ . إدريس يريد بدوره أن يذهب معهم لكنى أستبــقيه وأقول له (صلِّ هنا) . بعد أن وجدته لأ أود أن يفــارقنى لحظة . الساعــة هى الثانيــة عشــرة حسب التــوقيت المحلى لعــبدان . حين كــان أولاد بواردة يأتون من مدرســة الرازى لتنــاول الغذاء كان أولاد بريم يعــودون إلى منازلهم من مدرسة (بارس) الدوليــة بسيــارات أهاليــهم وكان أولاد مــدرسة الفــردوس بأحمد آباد يرجعون إلى منازلهم سائرين بخفة . وكنت أنى أنا بسيارة البيوك صــناعة إيران من التــعليم الفنــى للمصفاة إلى صــالة (انكس) فى نادى النفط لتناول الغــذاء . وكــان إدريس هذا يأتى إلى والده فى (٢٦٩) ومعــه حقيــبته الأمــريكية الصنع وبضــعة صناديق ورقتــة بها سجائر (الونستون) و (كنت) ومذيــاعه الترانزستور من طريق خرم مشهــر . وكان عمال فــترة الظهيــرة يذهبون إلى منازلهم فى كفيــشة بالأتوبيس أو الدراجــات . كانوا يملأون أتوبيــسات الشــركة مــن أمام المصنع المركزى ويتوجهون إلى الخط رقم واحد حتى المحطة رقم ١٢ .

كانت فصول الكلية تقف الدراسة بها من الثانية عشرة حتى الواحدة ويتجه الطلاب إلى صالة تناول الطعام فى المدينة الجامعية.

راح إدريس فى النوم بجانب الجدار فى ناحية واضعاً رأسه على ساقه الخشبية الصناعية . وفرجام يتناول بيده الطعام لقمة لقمة كأن طبقه هذا هو آخر طبق أرز وبصل فى الجمهورية الإسلامية . لم تسكت أصوات المدافع كما أنها لم تبتعد .

أترك طبقى على الأرض (أخى فرجام هل يمكن أن تضرب الجرس وتأمر الـ Room Service لكى يرسلوا لنا قائمة الحلوى والجاتوهات ؟)

- (صلّ على النبى وآله جميعاً يا أخ آريان)

- (يمكنك أن تأمرهم بأن يأتوا بقائمة مشروب العرق الحلو والخمر)

- (يمكننا أن نتفضل وننزل بالأسفل ونجلس وسط الجماعة ونقوم معهم بدق الصدور وننوح نواح كربلاء) .

- (ليس غير أيس كريم الموز والأناناس ومعهما الشيكولاته ، ثم القهوة والكونياك) .

- (نعم ، نضع على جهاز التسجيل شريط « جئت بالفلوس فهناك اللحم المفروم والخضار » أيضا) .

يعود الصبى النحيف صاحب النظارة السوداء أولاً ويدخل بحركات هادئة ويجلس وراء التليفون ، لا يعبأ بنا أو ربما لا يرانا .

ينظر فرجام إليه (كم مضى عليك هنا يا أخى ؟)

- (أربعة شهور ياحاج ، أنا هنا منذ أربعة أشهر) ويرفع رأسه وينظر مرسلاً نظراته فوق رءوسنا .

(وكيف الأحوال ؟)

- (بخير ، الحمد لله ، أفضل من الأمس) .

- (هل حدثت لك إصابات ؟)

(نعم) ويضحك ضحكة تغمر كل وجهه . يقترب فى شكله قليلاً إلى (جواد كاظمى) أحد طلبتى بمدرسة الأهواز التجارية والصناعية والذى صار فيما بعد رئيساً للشئون المالية . لكن هذا ينقصه اللحية والشارب ولم ينبت غير شعر ناعم صغير أسفل أذنيه (شظية من قنبلة على جبهة سومار) .

- (كم بلغت درجة إصابتك ؟)

لا يزال يضحك وينظر إلى نقطة أعلى من رءوسنا

- (عين يا حاج ضاعت تماماً والأخرى أرى بها تسعين فى المائة . لا أرى بها غير النور) .

(وأنت هنا منذ أربعة شهور ؟)

- (أنا تقدمت بطلب . . الرد على التليفون ليس عملاً ومشكلة . . أذهب إلى المدرسة الثانوية)

- (وأين هى ؟)

- (فى إسلام شهر - بالقرب من سادة ، هل كنت هناك ؟)

- (لا ، للأسف . بأى فرقة أنت ؟)

- (فى الرابعة نظرى ، لو ظـللت بها لمدة شهـرين إن شاء الله أستطيع أن أدخل الجامعة بلا دخول امتحان المسابقة) .

- (باركك الله) ثم يسأله (كيف أصبت فى عينيك ؟)

- (كنت ضمن المتطوعين فى عمليات تحرير مدينة خرم شهر)

ينظر فرجـام بدهشة إلى الصبى . لايزال الصـبى يضحك، لكنه الأن ينظر ناحيته مباشرة فى الأغلب .)

(ياحاج أتاحوا لنا الفرصة - نحن كنا فى « حف »)

- (أنتم كنتم فى أى شىء ؟ »

- (« حف » يعنى حـفلة ، لهذا أرسـلونا إلى هنا) اتسع فمـه الآن حتى وصل تحت آذنيه . لأنه قهر الدنـيا واستطاع أن يعمل حفلة أرسلوه من سوسار إلى مكان طيب مثل عبدان .

بلغ الوقت الثانية بعد الظهر ولم تهدأ تماماً الجلبة والأصوات حتى الآن وإذا بصبى آخر اسمه عباس ويعرف أدريس جيداً يأتى إلينا . كـان إدريـس لابساً بيجـامته ويلبـس صـندلاً من البلاسـتيك مـن نـوع (أوتافكو). فنوقظه ونسـاعده على ارتداء معطفه وسـرواله وارتداء

حذائه وتركيب قدمه الصناعية . وأذهب أنا وعباس لكى نأتى من فوق بحقيبة حاجياته وعصيّه وكرسيه المتحرك الألمانى الممتاز الذى أعطوه له وهو فى مؤسسة الشهيد فى أنديمشك . ويشرح عباس أنه من النوع الممتاز الذى يمكن طيه وأقوم أنا بطيه وأضعه وأحمله باحتراس وأضعه فى شنطة السيارة . وحين أقفل باب شنطة السيارة أرى فرجام وإدريس يتأبط أحدهما الآخر ويأتيان عارجين .

- (أم تأت به على عجل يا منصور بيه ؟)

- (قال الأخ أفضلى يمكننا الآن أن نرحل . وودعه الجميع)

- (لاتزال الأصوات تدوى بالقرب)

- (قال إذا اتجهنا بسرعة إلى الشمال سننجو من الخطر)

إدريس الآن يرانى أفضل فى نور النهار فينظر إلى ويرمقنى قائلاً (حال .. حال أبى كيف هو يا سيادة المهندس ؟)

- (ليس بأفضل منى ولا منك .. اصعد)

- (يرى بعينيه جيداً) .

- (لا ، انقفلت عيناه من طول انتظاره لك .. وبناءً على ذلك تعال واركب حتى نرحل بسرعة . اركب وراء منصور بيه)

يرفع منصور آلة التصوير قائلاً (ألا تريدا أن تأخذا صورة ؟ ذكرى ؟)

- (لا ، أريد التحرك بأقصى سرعة) ويأتى صوت الانفجار هذه المرة من مكان ما من داخل المصفاة .

- (خذا صورة معا ، اليوم ، حتى تصيرا خالدين)

- (حسناً جدا)

أتحرك إلى الناحية الأخرى وأضع يدى حول عنق إدريس الذى وقف إذ ذاك مستخدما قدمه الصناعية والطاقم الكامل (التقط لنا صورة يا منصور بيه - اجعلنا خالدين) يفتح منصور الغطاء الجلدى لآلة تصوير ويخرجها

فيقول إدريس (كتبت أنا كذلك وصيتى) ويخرج ورقة مطوية من جيبه ويرفعها لكى تلتقطها آلة التصوير .

يضبط منصور آلته (جاهزان ؟) كليك ، ويلتقط لنا صوة .

لا يزال إدريس رافعاً وصيته فى الهواء معتزاً . . قيتش قيتش - كليك . صورة أبدية أخرى . إدريس وأنا وعبدان .

أراه فى ضوء الشمس . خلال هذه السنوات الثلاث كبر سنه عشرين سنة على الأقل وزاد تحطماً وضعفاً . ليس بوجهه لحية غير شارب خفيف متشابك الشعيرات مع بضع شعرات بأسفل ذقنه بحيث يشبه رجال القرى الصحراوية فى جنوب إيران . شفتاه اللتان كانتا ممتلتين وحمراوين وبيضاوين من أعلى صارتا الآن ذابلتين هزيلتين متسختين . حتى أماكن من وجهه لم تتبقع بسبب الجروح والحروق امتلأت بالدمامل وحبِّ الشباب . وحين يضحك باستغراق ومائلاً برأسه كالعادة كانت أسنانه الصفراء ولثته التى انكمشت واصفرت تبدوان . لايزال يحتفظ بوصيته مرفوعة فى الهواء .

- (ضعها فى جيبك يا إدريس)

يطوى الورقة ويضعها بجيب معطفه .

- (اركب لنذهب يا بطل)

- لكننا لا نستطيع أن نرحل الآن يا سيادة المهندس)

فأنظر إليه ثانية (لماذا لا نستطيع الرحيل الآن ؟)

- (نحن فى انتظار عباس) ويقترب إلينا هذه المرة صوت انفجار شديد آخر وتتبعه أصوات انفجارات أخرى . لابد أن المدفعية الإيرانية ترد جيداً على العراقيين .

- (ومن هو عباس هو الآخر ؟)

- (الذى قال أنه يريد أن يتوجه إلى الأهوار)

- (لا أعتقد أننا سنوصل شخصاً آخر يا إدريس بيه . إن وراءه مسئولية وليس معنا تصريح لتوصيله) نركبه بأى شكل كان ونجلسه على الكرسى الخلفى . (سيادة المهندس ، قال عباس أنه يرد أن يأتى ليرى كوبرى بهمن شير ، نعم ،

- (لا يا عزيزى . . اركب يا منصور لنتحرك . كأن تتابع القصف اللعين سوف يبدأ ثانية . . . من المستحسن أن نكتب نحن وصيتنا) .

يعدل إدريس نفسه على الكرسى الخلفى (كتب عباس اسمه وعنوانه بالقلم الحبر على ساقيه فإذا استشهد أو فقد ذراعاً (أو ساقاً . .)

- (مدّد ساقيك واركن على شىء) ثم أسأل فرجام (هل ودعت الجماعة ؟)

- (نعم ، قبلتهم واحتضنتهم وكل شيء . يمكننا التحرك)

- (إذن اركب أنت ، وأنا سأعود إليهم الآن)

أعود بالسيارة ثانية وأودع الحاج أفضلي والأولاد (هل سيأتي معنا أحد آخر يا حاج ؟)

- (لا ، تفضلوا أنتم ، مع السلامة)

- (لدينا متسع في السيارة)

- (لا ، تفضلوا ، في أمان الله والحسين) ويأتي ويعانقني ويقبل أحدنا الآخر . ثم أفعل ذلك مع البقية . وحين نخرج لايزال الأولاد يلوحون لنا بأيديهم . وحين تتحرك مسرعين لا يزالون يلوحون إلينا .

أقود السيارة سريعاً خلف المصفاة وأتجه إلى المحطة رقم واحد . لاتزال الانفجارات شديدة وتأتي من ورائنا . يتلو إدريس قوله تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)

- (نعم اقرأ يا إدريس)

- (يريد عباس أن يأتي معنا يا سيادة المهندس . الأفضل أن ننتظر عباس)

يدير منصور رأسه وينظر إليه (هل أخذ تصريحاً منهم لكي يأتي معنا ؟)

- (لا)

- (إذن كيف يريد أن يأتى معنا ؟)

(يريد أن يأتى ويرى الكوبرى . .)

(عـزيزى إدريس ، اسكت بحق جـدك) اجذب نحـوى عصـا القيـادة وألف داخل طريق مـفتوح جـانب الكوبرى كأنه طريـق بآخر الزمان منبسط بلا حوافٍ ويمتلىء بالدخان والضباب والتراب .

- (الأفضل أن ننتظر عباس يا سيادة المهندس)

- (منصور بيه خطط له برنامجاً)

فـيـقول منـصـور (إدريس ، ليس لدى المهندس غـير تصـريح بنقلك . موقع عليه من طهران والأهواز . ولو كان مع عباس تصريح بالانتقال لكان المهندس مسئولاً عن نقله . ولو كان الأمر هكذا . . .)

- (الأفضل أن ننتظر . ربما أعطوه التصريح)

- (الآن وصلنا إلى الكوبرى وسوف نغادر عبدان . لديك فرصة لالتقاط صورة يا منصور بيه)

- (هل تظن أنه سوف يرى السيد ؟)

- (من ، أى سيد ؟)

- (لا أعرف)

- (صلّ على النبى يا إدريس ثم اصمت)

- (اللهم صل على محمد وآل محمد)

وحين نصل إلى الشـاطئ القريب لـنا لنهر دجلة تكون أصـوات الانفجارات وهزات الأرض قد خمدت تقريبا .

يقول إدريس (كنت أتمنى رؤيته)

- (انتظر حـتـى أرجع بك إلى طهـران ربما تراه عـلى شـاشـة التليفزيون) أنـا الآن أشعر بشعور أفـضل يريد أدريس أن يتكلم ثانية حين أسبـقه (حسناً حـسناً . الآن نحن نتجه إلـى مدينة الأهواز التى تربى الشهداء) .

فيقول إدريس بصوت قوى (صلوا على محمد وآله بصوت عالٍ)

فينظر إليّ منصور وأنظر إليه ونصليّ مبتسمين معه .

فيقول إدريس (صلوا عليه صـلاة ثانية وبصوت أعلى بحق إمام الزمان ونائبه)

فنصلى ضاحكين ، إما إدريس فيبدو جاداً وعبوساً

- (صلوا عليه صلاة ثالثة وبصوت أعلى بحق شهداء الإسلام)

نصلى ونختم للمـرة الثالثة ويسأله فـرجام (هل كتبت وصـيتك بنفسك يا إدريس بيه ؟)

- (نعم ، عباس سـاعدنى فيها . وسـاعدنا نحن الاثنان الحاج أفـضلى . كـتب ذلك الآخـر من أجلنا نحـن الثـلاثة . قلنا لابد أن نكتب وصايانا . . بما أن الإنسان منا سريع الطيران والرحيل) .

- (باركك الله)

- (كان عباس يقول أنه رأى السيد بنفسه) يخرج عن جدّه وعبوسه .

- (هنيئا له)

- (أنا أود أن أعود يوما وأراه هو نفسه)

فيقول فرجام (إدريس توجد بعض الأشياء يراها البعض ولايراها الآخرون)

- (فلننتظرهم ، عباس يريد أن يأتى)

ظل إدريس يقول عباس عباس حتى مسافة خمسة أو ستة كيلومترات من هذه الناحية من الكوبرى ، ثم يتمدد على الكرسى الخلفى ويغلبه النوم .

فى ما بقى من الأصيل نسير على طريق ترابى وتهب علينا الرياح والرمال وتضرب زجاج السيارة . خلفنا كل شىء كأنه احترق بدخان البارود والبنزين ولا نرى على أى حافة للطريق أثراً للمنازل والمزارع والحياة . لكن لا نسمع أصوات تفجيرات . هنا وهناك ترى صفوفا من السيارات المحترقة أو عمدان النور قد مالت أو سقطت أو جيف الحيوانات النافعة .

يدير منصور رأسه وينظر إلى إدريس وهو نائم . ينظر إلى وصيته الملفوفة وقد خرجت من جيب معطفه وهى فى طريقها إلى السقوط . يأخذها ويريها إلى باعتزار . أنا لا أبتسم ولكنى أقول (أقرأها يامنصور ومتعنا) .

- (ألم تقرأها أنت ؟)

يبدأ منصور في القراءة صامتاً ، ثم يحلو له بعد ذلك أن يقرأها بصوت عال . ربما ذكرته بوصية الشهيد أصغر عبد الله التى قرأها يوم أنه كأن على طريق أنديمشك المتجه إلى الأهواز . كلمات الوصية وجملاتها سمعتها ألف مرة هنا وهناك لكنها الآن تؤثر في القلب . كلمات وتعبيرات طاهرة مثل أولئك الرجال الذين يستخدمونهم وتعلو مكانتهم واحترامهم أو تهبط . لكن حين تسمعها من فم أو قلم إنسان تحية يفترق الأمر . يمكن أن تضحكك أو أن تبكيك . يقرأ فرجام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وهبنى سعادة الالتحاق بقافلة الحسين الدموية على جبهات وطننا العزيز في الغرب والجنوب واتجه صوب جنة السعادة كالعاشقين . ألهى ، إن عبدك الحقير لا يملك أكثر من روحه الرخيصة لعرضها وتقديمها إليك شكراً على كافة عطاياك ونعمك هذه وقد مدّ خرقته المهترئة لجنابك وقد أحنى رأسه وعمه الخجل فلعله يليق عندك بفيض الشهادة وتصل بعطر دمائه إلى مشام عاشقه .

إلهى ، أنا أنتظر فى كل لحظة أن تحطم ملائكتك باب سجن (جسمى) هذا وأنتظر شظايا الحديد الطلقات النارية حتى يقودوا (روحى) من هذا العالم الأرضى ويذيقونى العسل والشهد الشهى للعشق والشهادة .

إلهى ، لا أحب أن يكون موتى بلا فائدة ، بل أحب أن تكون شهادتى مساعدة لانتصار الإسلام والأمة الإسلامية واقرار حكومة العدل فى كل أنحاء البسيطة بزعامة الامام المهدى (عجل الله فرجه) ومحطمة للعلاقة القذرة للقوى العظمة الواهية المزيفة أمريكا وروسيا

وعميلها المتجه إلى الزوال صدام اليزيدى الكافر والأجراء المنافقين لهم بالداخل والشيوعيين والقوميين والليبراليين والديمقراطيين و . .

أبى العزيز ، آمل أن تكون بفضل الله على أحسن حال وعلى خير انتصار وألا يكون غيابى عنك سببا فى ألمك ، وإلى اللقاء فى الجنة .

إدريس آل مطرود

رقم البطاقة الشخصية ٢٦٣ صادرة من عبدان

لاتدمع عينا منصور فرجام و كاتب الوصية نفسه أو مابقى منه حيا فى نوم عميق على الكرسى الخلفى للسيارة نيسان WD - 4

نصل الأهواز فى الغروب الضيق . أصل بادريس وفق ماقررنا وحسمنا من قبل إلى منزل الدكتور ناصر مؤقتا وأنقل بعون من عبدى وفرجام كرسيه وساقه الصناعية وحقيبته ووصيته وأسباب حياته فى أحد الغرف المجاورة لغرفة عبدى بآخر الحديقة . يبدو عليه التعب الشديد والجوع فنقرر أن يتناول شيئا ويتمدد فترة . لكن الدكتور يريد أن يستبقينى أنا والدكتور فرجام لنستريح ونقص عليه ماحدث ونتناول شيئا ونزيل التعب الذى حل بنا. أنا شخصياً متعب جائع ولايضيرنى حمام محترم ولكن على أية حال أن أعيد السيارة إلى الكلية فى كوت عبد الله . لكن الدكتور لا يسمع كلامى هذا فلابد من أن نتجمع الليلة ويقبل منصور الدعوة لأنه أكثر نشاطاً واجتماعية منى ويُفشل طلبى .

وبناء على هذا أستدعى بالتليفون سائقاً ليأخذ السيارة ونمرح هذه الليلة على شرف عودة إدريس من جبهة (أعزائى اعرفوا قدر بعضكم

البعض ﴾ . زوجة الدكتور كانت قد أعدت السمك الشبوط المقلى مع الأرز المخلوط بالخضروات . وطبعاً دعيت مريم للقدوم فأتت معها بطعام أعدته بنفسها من التفاح فضلاً عن الآيس كريم المخلوط بالشيكولاته وعلبة ورق مناديل كلينكس (الحديثة الظهور) التى تقول أنها وقفت (ساعة ونصف ساعة فى طابور الجمعية التعاونية) للحصول عليها . تغيبت عن جمعنا الدائم لالة التى صممت فيما يبدو على قضاء الليل عند أمها بالمستشفى . فرشاد هو الآخر فى الجندية . وبيجن جزايرى ومعه زوجته وولداه سافروا فارين هاربين بالسيارة الكاديلاك الإيرانية لبيكلرى . وعليه فليس غيرنا والبطل إدريس . أنبه وأشير إلى أن البطل يذهب لأداء الصلاة أيضاً فى الساعة السابعة ثم يخلد إلى النوم بعدها .

فى حدود الحادية عشرة أستودعم الله أنا وفرجام . الشارع خال وصامت فأقترح عليه أن يأتى حتى سيارتى أمام الفندق حتى أوصله . يريد أن يتمشى قليلاً لأول مرة لايبذل عجلة كبيرة للعودة إلى العنبر ١٣ - ب حيث تخلو شقته فيه من الأثاث والفراش . كأن كل شيء هنا إنتهى بالنسبة له . يقبلنى ويودعنى . منتصف الليل ، تمددت بعد حمام دافيء على السرير بين الملاءات البيضاء والجديدة أستمع إلى الموسيقى على محطة فى الموجة القصيرة وأخذ النوم يقترب منى بهدوء وتمهل . حسناً . . أشعر أن كل شيء إنتهى . وإنتهت مأموريتى أيضا . النهاية ، فنيتو . هذا أمر طيب . بل أننى لا أشعر بعدم الارتياح والعبث بسبب أن سيدة اسمها مريم جزايرى هى زوجتى على الورق وموجودة بمكان ما . يوجد أيضاً أشياء أكثر عجباً وغرابة فى هذه الأوضاع المتوترة بكل مالها من أبعاد وتعقيدات وفى ظل حرب

بهذه الضـراوة . سعيـد لأن أمورها استـقامت وفى طريقهـا للخروج وللذهاب لكى تتنفس الأوكـسجين . الدورة المكثـفة لإعداد التـقارير الغنية سـوف تنتهى هى الأخرى يوم ٩ مـارس وأذهب إلى طهران . وربما تتهـيأ الأوضاع وأذهب إلى أثينا . للأوكـسجين . جانيس كـما كان مقرراً ربما تأتى ونقضى معاً أسبوعين لنتنفس الأوكسجين . عيشى أيضاً قليلاً أيتـها الروح المتعبة . ألم تـكن مريم تروى عن رب المسيح والانجيل و (العـهد القديم) تلك اللـيلة أن لكل شيء وقتاً ؟ وقـتاً للحياة ووقـتاً للموت ووقتـاً للحرب ووقتاً للصلح ووقـتاً للقدوم إلى كوت عبـد الله . ووقتاً لمغادرة كوت عـبد الله ووقتاً لاشتـغال جلال أريان شغل الحـمير . ووقتـاً لعشق المذكور وسـعادته . وقتـاً للكفاح والجـهـاد بحـثـاً عن ابن مطـرود المصـاب فى جـبـهات صـراع الحق للباطل . وقتا للكفاح والجـهاد بحثا عن جانيس والأمل الأبيض على السريـر . أنا لـم أمـتلىء بالنـور والإيمـان . أنا من أهل التـراب والشرو . . ومجال جهادى على جبهات أخرى مثلا على السرير . . . ووراء الأستار .

- ٣٦ -

مضى أكثر من يوم وأنا هادئ بلا جديد تقريباً : أنتظر انتهاء الدورة المكثفة لإعداد التقارير . وإدريس ينتظر العودة معى إلى طهران . ومريم التى أقيلت من عملها الآن تنتظر تجهيز جواز سفرها وجواز سفر آذر لكى يغادر البلاد . . لالة جهان شاهى تنتظر تحسن حالة أمها أو دواءً ناجعاً لها فى المستشفى الحكومى جند يشابور وتنتظر وضوح تكليف فرشاد للسفر إلى الجبهة . . ومنصور فرجام ينتظر انتظام أوضاع مركز التعليم تكنولوجيا الكمبيوتر .

فى المركز تقريبا لم يتحرك أى شيء حتى الآن طبق المخطط له . . لم تصل بعد أجهزة الكمبيوتر والمعدات واللوازم ، ولم يجهز الكادر المتخصص حتى اليوم بل لم تجهز اللوازم المتواضعة الإدارية من مثل المكاتب والكراسى وأرفف الحفظ والستائر وأجهزة التكييف . جاءوا فقط بآلة تصوير قديمة من مكان ما ووضعوها فى غرفة بأسفل بجوار دورة المياه الصغيرة يعمل عليها أخ لشلمتشيء لكنه يريد هو الآخر ترك العمل فترة والذهاب إلى الجبهة . . شغّلوا فصلين لتدريس الإنجليزية أحدهما للأخوة المصابين والأخرى للأخوة المديرين ويعارض فرجام تشغيلهما أصلاً ومبدأ فى الشقة الخاوية والمسروقة ليس له غيرحقيبة يده التى يحملها معه ذهاباً وإياباً وينام وهى فى حضنه . اشترى جهاز تسجيل صغيراً لأن يحمله معه أينما ذهب وأحياناً حين تكون معاً بالليل نسمع منه بعض تسجيلات لأشعار حافظ التى

اشتـراها . على الأقل لايزال يحتـفظ بجواز سفـره وشهادات سـفره وبمبلغ من العملة الأجنبيـة فى قعر حقيبـته .. خوفاً من أن يأتى دود العلق الأهوازيون على سائر مابداخلها .

نتمشـى يوما أنا وفرجام ونمر أمام الحـديقة الوطنية متـجهين إلى مستشفى جندى شابور حين نرى لالة على مـقربة من المستشفى واقفة مع (مسعود عدالت فر) وزوجته بجوار سيارة (بليزر) بيضاء فاخرة والثلاثة يتـحدثون كأنهم يـتجادلون . الهـواء بارد والسماء بهـا ملبدة بالغيوم وتتهيأ للمطر. سحنة لالة كطفلة ماتت أمها وتاهت عن منزلها وضربهـا أحد الناس . حين يراهـا فرجام يقف أمـامهـا بلا اختـيار ويسلم عليهـا ويسأل عن أحوالها وأحـوال أمها . يبدو أنهـما غادرتا المستشفى ولم يكن به أخبار طيبـة جدا . شكل مسعود يشبه النصابين كعهـده ويلوح عليه النضارة والوقاحـة معاً . نفس عينيـه المخنثين ، ونفس وجهه الأبيض وجه الطفل الجميـل وشعره القصير المزين الحليق وقميصه الحريرى صناعـة هونج كونج الرخيص وسرواله من الجابردين الضيق عند الـقدمين ومعطفـه الأمريكى الأصفـر وسجـائر المارلبورو والولاعة الذهبية والخاتم البـرلنت في يد بيضاء ظريفة لم تعمل أبداً ، ولون وشكل الشباب المخنث الذين أكلوا جيـدا وشربوا جيدا ولاطوا جيـداً . امرأته هى الأخـرى تنظر إلى كل رجل إلا إلى أبى مسـعود النصاب .

يسأل فرجام لالة (كيف أحوال أمك)

تهز لالة رأسها .

فيـقول مسعـود (لابد من إرسالها للخـارج .. لايعرف هؤلاء كيف يقومون بعلاجها ومداواتها .

فيسأل فرجام (هل يمكننا أن نرتب سفرها للخارج ؟)

ولايزال ينظر إلى لالة .

فيقول مسعود (يابابا هذه السيدة كانت زوجة المهندس جهان شاهى رئيس مصنع ألمونيوم خوزستان المُصَادَر وكانت بنت عبد المحمد خان شايان . . كانت أنضر وأرق من ورقة بنجر) .

لايزال فرجام ينظر إلى لالة (هل لديها جواز سفر ؟)

تهز لالة رأسها .

فيقول مسعود (هذا عليّ ، هذا ليس شكله . . يمكن أن أستخرجه لها فى ثمانى وأربعين ساعة)

- (والتأشيرة ؟)

- (وتأشيرة النمسا عليّ أنا أيضاً . . آخذها فى أربع وعشرين ساعة . أختها شيرين هانم فى النمسا . تدرس هناك . تساعدها . فقط لابد من سفر هذه المرأة المسكينة) .

تسقط الدموع من عينى لالة . الأمر الذى يلازم هذه الأيام تنفسها الأنفاس . مات أبوها منذ سبعة أشهر وأمها الآن تعانى من السرطان اللمفاوى وتورم طحالها . فأسأل مسعود النصاب (إذن فما هى المشكلة ؟)

- (المشكلة ياسيادة المهندس حدود ستة آلاف دولار وثمانية آلاف تومان ثمن تذكرة الطيران) .

فيقول فرجام وهو لايزال ينظر إلى دموع لالة (يمكن ألا تكون هذه مشكلة) .

- (ليست التوماتات مشكلة بل المشكلة هى الدولارات . المرحوم المهندس جهان شاهى كان له ولايزال دين فى عنقى . هؤلاء صادروا أمواله . لكن خادمه أنا لم يمت . هل أنامت ؟ أنا يمكن أن أبيع سيارتى الآن وأسوى هذا المبلغ التافه . . لكن الدولارات صعبة المنال) .

- (يمكن ألا تكون الدولارات مشكلة)

- (وكيف والمبلغ سبعة آلاف دولار ؟)

- (هل لديك هذا المبلغ سيادتك ؟)

- (وماذا تعنى السبعة آلاف دولار ؟)

- (بأى صورة ؟)

- (فى صورة شيكات سياحية)

أنظر فى هذه اللحظة فى عينى مسعود النصّاب وكأنهما مخالب بحرى أطبقت على فم فرجام . لم أكن رأيته قط قبل حفل ميلاد آذر فى منزل مريم حين أتى بسخافاته ونكاته المزرية تلك ليلتها . والآن كلما تمعنت فى النظر إليه ورأيت طريقة كلامه قبل رضائى وراحتى .

فأقول لمنصور فرجام (منصور بيه يبدو أنها ستمطر كما أن لالة هانم متعبة) فينظر فرجام مرة إلى السماء ومرة إلى لالة .

(الأفضل فعلاً أن نذهب ، وبعد ذلك ننتهز فرصة ونجلس ونبحث الأمر) .

- (ماشى) ولايزال ينظر إلى لالة .

أتى من أمريكا ومعه نحو عشرة آلاف دولار . وغيرّ حوالى ثلاثة آلاف منها فى هذه المدة بسهولة فى البنك الوطنى بسعر الحكومة إلى تومانات وأنفقها . يتوجه مسعود مخاطباً فرجام (السيارة موجودة ياسيدى الدكتور . تفضل أنا فى خدمتك . يمكن أن نجلس ونتكلم فى منزل الفقير).

فتقول زوجته (مسعود ، الأولاد ، ينتظرونا فى منزل ماما) لا ينظر إليها مسعود بل يقول (فيما بعد) ويستمر فى خطابه لمنصور مشيراً إلى سياسته (السيارة موجودة . يمكن أن نذهب ونجلس ونخطط . كان المرحوم جهان شاهى قد ترك عندى نصف مليون تومان وهى حالياً فى حراسة شركة النفط . يمكن أن آخذ منهم شيك ضمان والدولار الآن باثنين وأربعين تومان . كم يمكنك أن تعطينى فى مقابل شيك آخذه من شركة النفط وأعطيه لك) .

أجذب كم فرجام فيلمس يدى بودّ ويسأله (وجواز السفر ؟)

- (الجواز جاهز) ويتقدم نحونا ويقول فى أذنى وأذنى فرجام تقريبا (هل تريان هذا السيد الجالس بداخل السيارة ؟ أنه السيد أحمدى مدير شركة « تعمير » بالأهواز . له معارف وأحد نشاطاته أنه يستخرج جواز السفر وتأشيره الخروج فى خلال أربع وعشرين ساعة . إذا كان عندك جواز سفر وتريد أن تضم إليه مرافقا يمكنه أن يخلص جواز سفرك فى نصف يوم) .

أنظر إليه ، رجل سمين وبلحية بيضاء كلحية الأساتذة الجامعيين ويلبس معطفاً رياضياً إنجليزياً ويجلس داخل البليزر ويتصفح جريدة (كيهان) .

(أم صديقى فرهاد أفضلى كانت تحتاج إلى عملية فورية فى القلب . قالوا يجب أن تكتب إلى لجنة المجلس العالى الطبى بوزارة الصحة فتنظر فى طلبها ويخصص لها البنك الوطنى مقداراً من العملة الأجنبية . وكل هذا يستغرق شهرين أو ثلاثة . أحمدى خلّص كل هذا فى يومين ثلاثة . أى شىء تريده يعمله) .

ينظر فرجام إلىَّ ثم إلى لالة . يأخذ المطر تدريجياً فى القطر . لالة صامتة وأنا أريد العودة إلى الفندق.

يقول مسعود النصاب (أخو صديقى كان له جواز سفر وإقامة فى لندن . قتل أخوه هنا فى حادثة تصادم . أحمدى أخذ نفس الجواز وغير صورته ووضع عليها صورة أخيه وسافر به وهو الآن يشرب الويسكى فى ليوربول)

فتقول لالة . (لا أريد شيئا غير قانونى يتم)

فيقول مسعود النصاب (لن يتم شىء غير قانونى . يصدر جواز السفر لأول مرة من نفس المحافظة مختوماً بالخاتم الأخضر . وهذا كل مايريدون . فقط يريدون نحو ألف دولار لتأشيره النمسا الطبية وتذكرة الذهاب والإياب) ترتب لالة حجابها وتمسح عينيها بظهر يدها .

فيقول فرجام (بإمكاننا أن نذهب ونجلس ونتحدث . يمكن أن نذهب إلى منزل فى نيوسايت .) ثم يخاطبنى (جلال ؟ !)

-- (لا ، أنا لا ، لابد من العودة إلى الكلية ، لدينا اجتماع ، وأنت من الأفضل أن think it over أى تفكر بمهل) .

فيقول مسعود النصاب الذى يفهم الانجليزية (لايلزم التفكير ياسيادة المهندس إنه أمر خير . فى الأمر الخير لامجال للاستخارة . إذا كان سيادته يريد البقاء فى إيران فلماذا لايستفيد من ماله ؟ ثم إن يساعد هذه المرأة المسكينة المظلومة والمريضة مساعدة إنسانية . جزاؤه على الله . حتما له حساب هنا وحين يغادر فى أى وقت يكون حسابه زاد وكبر) .

لا أعرف بوجه الدقة كيف سيتم هذا التغيير والتحويل فى العملة . ولا يقول فرجام قط ماذا حدث بالدقة وبالفعل . أعرف أن مسعود النصاب قال تلك الليلة (فعلاً ، لو رأيت أن جواز السفر على وشك الصدور وأن الشيك المعتبر قد أعدوه فسوف آتى من الغد) . ويبدو أنه سوى الموضوع .

أسأله بعد ليلتين هل أتى مسعود وأخذ الدولارات ؟ فيقول نعم . يقول إنه وقّع شيكات السياحة وسلمها له . أسأله : هل أخذت الشيك الذى تضمنه شركة النفط ؟ فيقول لا . هذا الموضوع لم يتم لكنه أخذ شيكا على الحساب الجارى لمسعود له تاريخ استحقاق . أو بدون تاريخ حين أسأله ومتى يتم استحقاقه ؟ يقول بنحوعابر فى مارس . لاله ضمنته أيضاً .

لكن جواز سفر أم لاله لايصدر فى الموعد المضروب له لأن أحمد ذا اللحية الأستاذية فجأة (سافر إلى طهران) ومسعود النصاب أيضاً كما تقول لاله لايرد تليفونه ولا هو نفسه يظهر .

- ٣٧ -

تموت أم لالة فى ليلة باردة ومتـوترة ليوم ١١ فبراير ويتم تشـييع الجنازة والدفن فى نفـس اليوم وبمـا أنه يوم عطلة أرافق مـريم وأتصل تليـفونيـا بفـرجام ويأتى . سـمعت أن المرضـى المصابين بالسـرطان اللمفـاوى فى أول إصابتـه يمكنهم أن يظلوا أحيـاء فى بعض الحالات باستخدام الدواء وبنظام معين للطعام حتى بضعة أعوام . موت السيدة جـهان شـاهى بنت السـيـد شايان رجـل الصناعة وصـاحب مـصنع والميليارديـر فى الأهواز بسـبب نقص الدواء والمال اللازم للدواء حدث بصورة مؤلمة . على أية حـال فتشييع جناز ة هـذه السيدة الراحلة من المستـشفى وحملهـا إلى المغسلة وصلاة الميـت ومراسم الدفن والنواح وضرب الرءوس والصدور من قبل النساء وما يتبع ذلك يمكن أن يكون التكرار اليومى لمشـهد واحد من المشـاهد اليوميـة لهذا الأوان . رأيت وسمـعت فى هذه السنوات فى المقابر وفى حـضورى التكفين والدفن للأموات والشـهداء ومن الصراخ والعويل وضـرب الرءوس والصدور وتعديـد مآثر الموتى بالقـدر الذى لا يجعلنى أهتم أو أعـجب . لكن بكاء لاله الشابة ونثـر تراب القبر علـى رأسها واحتـراقها وانصـهارها وذوبانها له ألم مختلف . لم تستطع مريم وبدرى هانم جزايرى والسنة بوشهرى أن يمنعوها من ذلك . أخذت تهيل التراب على رأسها وعلى رأس حياتها. أنظر إليها وأنظر أيضا إلى منصور فرجام .

لايستطيع فرجام أن يرفع عينيه عنها وتفيض عيناه بالدموع . أمر آخر يضفى لوناً أشد مرارة على الحادثة المؤسفه لدفن السيدة جهان شاهى وهو طريقة دفع تكاليف التكفين والدفن لميت مات فى المغسلة بالمستشفى . حين خرجت جثة المتوفاة من المستشفى ووضعت أمام باب المغسلة على الأرض حتى يأتى دورها تتعطل فترة طويلة . المتوفون بعد السيدة جهان شاهى يحملونهم إلى المغسلة وتبقى هى وحدها. أعطت لاله فى آخر ساعات الأمس فيما يبدو وكل المبلغ المطلوب لهذا القرد مسعود عدالت فر أخى زوجة بيجن جزايرى لكى يدفع التكاليف وبعدها (يحاسبها) ، لكن مسعود النصاب يختفى بعد حمل الجثة من مستشفى جندى شابور عن طريق سيارة الاسعاف الحكومية الخاصة بالمتوفيات . ثم يظهر بعد ذلك أنه ابن الكلب ومعه أخوه الأكبر فرا بما معهما من المال . تبقى جثة السيدة جهان شاهى ومعها ابنتها الوحيدة النائحة الباكية نحو ساعتين أمام مغسلة النساء على الأرض حتى تتضح مسألة دفع الرسوم والتكاليف . ولا أفهم ماحدث إلا حين تأتى مريم فى النهاية وتقص الحكاية على وعلى الدكتور ناصر وفرجام وكنا نجلس متجاورين . ستمائة تومان تكاليف غسل الميت والكفن وألف وستمائة تومان ثمن القبر وأجرة حافرى القبر يجب أن تدفع أولاً . يطلب الموظفون سندات دفع هذه المبالغ قبل حمل الميت إلى المغسلة . ينظر كل منا إلى الآخر فيخرج الدكتور ناصر محفظة نقوده بلا تأخير من جيبه وينظر إلى ما بداخلها ويعطينى لكى أدفع المصاريف وإذا تطلب الأمر أن أدفع زيادة عليه أدفعه إلى وقت لاحق . ويبقى هو وزوجته لدى لاله . يأتى فرجام معى ويريد أن يدفع المبلغ كله لكنه يخشى أن يصدم هذا كبرياء لاله المسكينة بشدة ولهذا

نرضى أن ندفع مال الدكتور . مهما كان الأمر فهو الشيخ والأصل القديم لهذه المدينة ولا يجب أن يتطاول أحد على الأصول والمراجع .

تقام مراسم قراءة القرآن في مسجد صاحب الزمان وأذهب أنا وفرجام وحدنا لقراءة الفاتحة . يود أن نختلى فى ناحية بعيدة . يتناول جزء (عَمَّ) ويقرأ الفاتحة ، لايتناول الشاى ولا الحلوى ولا حتى يدخن سيجارة . يجلس صامتاً مطأطىء الرأس عاقداً يديه .

النساء بالجزء العلوى من المسجد . صراخ ونحيب لاله من بين مئات النسوة والأطفال الذين يبكون وحتى من وسط الصوت المدوى لقارىء الروضة المكبر بمكبر الصوت وصدى المكبر يسمع فى صحن المسجد وهو يفيض ألماً .

- ٣٨ -

فى اليوم التالى بعد الظهر أذهب لمقابلة فرجام فى المركز وكان يدور فى الحجرة الخالية المعدومة الستائر والأثاث وهو يدخن . لم أره قبل هذا يدخن السجائر . لأنه ألقى بغليونه مقلوباً على وجهه فى ناحية من مكتبه . الشىء الوحيد الذى زاد اليوم على حجرته هو البوستر الكبير (سوف نطأ بأقدامنا أمريكا) فى مواجهة الجدار الذى يحمل الرسوم والخطط والبرامج والخرائط . حين يرانى يتقدم ويسلم على ويصافحنى .

- (إذن أخيرا تم كل شىء . .) وأشير إلى البوستر الجديد .

- (آخر آثار القلم العنبرى للأخ شلمتشئى) يجلس لحظات على مكتبة ويستند عليه وأجلس أنا فى طرف مكتبة (انظر . أنا أمعائى الدقيقة تأكل أمعائى الغليظة . فقم لنذهب ونتناول شيئا ونتكلم . لاتقل أنا منتظر تليفوناً من بيكلرى أو اجتماعاً مع لواسانى).

(لا ، لست منتظراً أحداً العمل الإدارى الذى قمت به هو لقاء).

- (لتوظيف موظفين جدد ؟)

- (لا ، أديت بنفسى امتحاناً تحريرياً فى الأيدلوجية الثورية ثم لقاء بعده .).

- (إن شاء الله رفضوك ؟)

- (نعم ولامعاً . قالوا سوف نعرفك فيما بعد) يبدو أنه لايمزح .

- (الدكتور منصور فرجام بكل هذه الهيئة والغليون والماضى يذهب ليمتحن فى الغسل والتيمم ؟)

- (لم يخلُ الامتحان من اللطف)

- (إمام الزمان ! انهض لنذهب قبل أن ينفجر دماغى) .

ينهض ويلبس معطفه (هل كنت تعلم أن الرجل بعد غسل الجنابة يستحب له الوضوء أما المرأة بعد غسل الجنابة فالوضوء عليها واجب ؟) .

- (اسألنى أنا عن الآداب قبل غُسل الجنابة)

يرفس الحائط برجله

أنظر إليه (كفرت فى النهاية . . ربما الآن عاد عقلك قليلا داخل الـ (سى بى يو ومركز ذاكرتك)

يبتسم لكنه يهز رأسه .

لا أحد داخل حجرة شلمتشئ وفارسى بالدور الأسفل . فنتجه إلى مكان إعداد المشاريب . نراهما الاثنين عند كريم رحمانى وحسن عرب زاده المسئولين عن هذا المكان جالسين والجميع يتناولون الغذاء . يشعر فرجام بالخجل لأنه فاجأهم وهم يتناولون طعامهم . لايقول لهم (نحن خارجان يا سادة) ثم يسأل (هل أرسلتم تلكسات شركة السلع وطهران ؟)

لايستطيع شلمتشئى الإجابة الذى يبدو أنه كلف بهذه المأمورية بسبب أن فمه مملوء بالطعام . يقول فارسى (سيادتك داخل الجاراج ياسيادة الدكتور يغسلونها بالماء . ومجرد أن تجهز سنذهب بها إلى الإدارة المركزية) .

- (المفروض أنكما ذهبتما بالأمس ! التلكس عاجل ياسادة . لإدارة الخدمات لأرسال الستائر والأرفف والمكاتب التى لم تصلنا حتى اليوم)

- (لا ، ليست الإدارة . . هل من فيها شغالون ؟ أن كميلى زاده رئيسهم ذهب إلى أنديمشك . مسكين . كل أسرته ماتت . يجب أن نقول ياسيادة الدكتور للحاج لواسانى ليخصص لنا ميزانية مستقلة) .

فيقول فرجام (قلنا له هذا عشر مرات . . . عن إذنكم)

وبداخل السيارة أجلس بجواره (أسمع ، اليوم صباحاً تحدثت مع صديقى أمير روحانى فى طهران ويعمل داخل مركز الكمبيوتر التابع لشركة الطيران الوطنية وحجزنا لمريم وآذر ليوم ٤ مارس . قال سيتصل بى الليلة أو ليلة غد ويبلغنى تأكيد حجزهما) .

- (حسناً ، حسناً) ثم يسألنى (هل جواز سفر آذر جاهز ؟)

- (نعم ، اتصلت بى اليوم مريم وقالت إن تقى زاده اتصل بها وقال أنه سوى مشكلتها وأضاف آذر إلى جواز سفر مريم)

- (عال)

- (نعم ، سيذهبان أولاً إلى استانبول ثم يأخذان تأشيرة بريطانيا من هناك . اسمع . دعنى أقول لأمير روحانى الليلة أو ليلة الغد حين يتصل بى تليفونيا أن يحجز لك أيضاً مكاناً لك ولمرافق لك . مارأيته هنا يكفيك . لعل من الأفضل أن تتحمل لاله وتصحبها معك وتعطيها الحرية ، رأيت كم هى تعانى).

يدير وجهه وينظر إلى كأننى عقدت قدميه وسحبته لأسفل إلى داخل مستنقع الواقع .

(لماذا ، هل قالت لاله شيئا ، هل أرسلت رسالة ؟)

- (لا . . لكنها الآن ليس لها أحد . الشخص الوحيد الذى بقى من أسرتها ومتصل بها هو مريم والتى فى طريقها للهجرة وفرشاد الذى ذهب لتأدية الخدمة العسكرية وللحرب لمدة عامين . وأنت الآن تعانى . صحيح أنك تخدم هنا لسبب وعلة مقدسة لكنك أتممت مهمتك هنا . عرفتهم البرامج والمناهج ولايبقى غير التنفيذ . إذا كان يريدون التنفيذ فعليهم أن يجهزوا هم المعدات والأجهزة والأثاث ويشغلوا البرامج . . وهذا أمر سيطول . وربما يستغرق طوال فترة الحرب . فلماذا تبقى وحدك داخل غرفة خاوية وتعانى ؟ حين يمكنك إنقاذ إنسان ولا تتحمل أنت نفسك كبير عناء فلماذا لاتقوم بهذا ؟)

ينظر إلى يديه (ليس من جواب لكل شىء دائماً)

(أنا الآن وهنا لاأرى جواباً . لأى شىء . . أنظر إلى الواقع . الآن حرب بلدان يأكل أحدهما الآخر . الآن لأى سبب أو علة . العراق تقوم بقصف المدن وذبح النساء والأطفال الأبرياء فى ايران

فى نصف الليل وهم نائمون . ولايستبعد أن تتورط إيران فى النهاية فى هذا النوع من العنف . على أية حال لم تكن هنا فى بداية هذه الحرب ولا فى بداية الثورة التى انتهت بهذه الحرب . ليست الحرب حربك إذن فلماذا تؤذى نفسك أكثر مما قدرة لك القدر ؟)

وصلنا إلى مطعم كباب قريب من ميدان الأسود الأربعة لكن بابه كأغلب المحلات اليوم مغلق .

يقول (يمكن أن نعود للعنبر . . هناك مقدار من كرامات الدكتور بختى داخل الثلاجة . كما بقيت بعض أقراص Speed - ball أيضا ، تأخذها وننسى أنفسنا وهمومنا) .

- (وماذا عن الغذاء؟)

- (الغذاء يمكن أن نتناوله هنا فى مطعم العنبر)

- (أنا قلت لك ماعندى)

نتناول الغذاء فى (مطعم) بانسيون العنابر . والواقع أنى أتناول طعاماً خفيفا على عجل وهو لا يأكل غير السلاطة . المطعم كشأن باقى أماكن الأهواز تقريبا خال . لايوجد غير اثنين أو ثلاثة من الأساتذة . وهم أناس عقدوا المعدات والوسائل ومكتبة الكلية تحت أشد الهجوم الأرضى والجوى العراقى على عبدان بمهل وتحمل ثم أخرجوها عن طريق القوارب ذات المحركات بشق النفس وأحيوا الكلية . أنهم لايخشون تهديدات صدام والدكتور بختى الشيرازى يجلس على مائدتنا أيضا ويكلمنا عن ضرب المدن بالقنابل والصواريخ نفس الكلام الذى يدور فى الأماكن الأخرى .

الهجوم البرى العظيم الايرانى على داخل أرض العراق غيّر وضع الحرب واستولت ايران على جزء من أراضى خور الخويزة وعلى جزر مجنون تقريبا ، ورداً على ذلك يستفيد العراقيون من القوات الجوية والصواريخ البعيدة المدى ويقصفون المدن البعيدة المعدومة الدفاع . وشعب الأهواز أو من بقى منهم يتوقعون الهجوم الجوى على المدينة خاصة أثناء الليل .

بعد الغذاء والشاى والحديث والكلام وحوالى الثالثة نعود إلى شقة فرجام ، يضع شريطاً جديداً مدته ٩٠ دقيقة لموسيقى الجول بداخل جهاز تسجيله الصغير . يقول إن فرشاد سجل له هذا الشريط وأرسله له . ليس سيئا . يحوى أوركسترا الجول وتغنى فيه بدايات شعر ليلى والمجنون للشاعر النظامى ، نجلس ونمدّد أقدامنا . هو صامت وواجم ويأخذ كل منا ربع قرص من Speed - ball ويخلطه بمربى الكوكا والزبيب المهدى له من أحد جيرانه . يقول أنه اشترى هذه الأقراص فى أخر أيامه فى أمريكا وكان يعيش عليها فترة .

أنظر إلى القرص المشقوق الصغير (هل لا يضر القلب والمخ ؟)

- (أنه شيء لايسبب غير الضرر . تجرعه)

وقبل أن يتخدر مخى أستخدم تليفون العنبر وأطلب رقم منزل أمير روحانى فى طهران أكد حجز مكانى مريم وآذر وبمجرد أن يشتريا التذكرة سيظهر اسمهما على الكمبيوتر وينتهى الأمر . وأطلب من أمير أن يحجز بأى شكل يكون مكانين للدكتور فرجام ومرافق له مع أن سفرهما ليس متعجلاً . فيقول أمير أنه سيسوى هذا الأمر . جلس فرجام بجانبى زائغ النظر لكنه ينظر إلى نظرة بعيدة وطويلة ولايقول

شيئا . ثم أتصل بمريم وأزجي لها بالأخبار الطيبة عن تأكيد حجز تذكريتهما فتسعد . ثم تتكلم فترة ونضع السماعة .

أقول له (تعال . . مريم كانت تقول إن لاآله عندها فى البيت . تقول إنها جالسة تقرض أظافرها وتلف خصلة شعرها حول سبابتهما) .

- (هل قلت إن لديها جواز سفر ؟)

- (نعم ، المسكينة كان لديها جواز سفر ، جاهزة للرحيل . لكن يظهر أنها لم تكن تريد أن تسافر بسبب أمها أو لم تكن تستطيع ترك ايران . لم تسافر . كل أخوالها وخالاتها سافروا إلى الخارج إلا أمها التى لم تسافر وقد ماتت الآن . ومريم فى طريقها للسفر وبيجن جزايرى لما سمع أن صدام هدد بضرب الأهواز انبرى واقفاً وأخذ امرأته وولديه هارباً إلى كتشساران ويقيم فى دار ضيافة الشركة أو منزل ، لا أدرى ، ابن خالته البعيد القرابة لامرأته اللعوب) .

ينظر إلى صامتاً

(أعرف أنك لاتريد الخلطة بهم ، وأنا لم أكن أحب أن أختلط بمريم ، ولكن فى هذا الوضع غير المطمئن فإن بعض الأمور تتم مرة واحدة مثل السرطان فى المخ . فالجرحى والمصابون والشهداء فى طرف والجنون الصامت فى طرف آخر) .

لايزال ينظر إلى . يدير رأسه يمنة ويسرة مع اللحن الموزون المنتظم لشعر نظامى الجميل كأنه تغيير مناسب . ربما هو تغيير أقراص الاسبيد بول . لا أعرف هل حواسه متجهة إلى الشعر أم إلى كلامى .

والشعـر يتعلق بمنظر خـلاصته أن أبا المجنون اقـتاده إلى الكعـبة وأخبرة أن يمد يده ليمسك (حلقة الكعبة) ويدعو الله أن ينسيه عشق ليلى وينجـيه منه . الموسـيقى تؤدى بالكمـان الشجى الحـزين ويبكى المجنون . ثم يضحك وما أن يتعلق بحلقة الكعبة ويضحك يدعو الله أن يزيده عشـقاً لهـا . يزيد عشقـه لها ولو لزم الأمـر أن يموت حتى تعيش ليلى وتبقى أو شىء من هذا القبيل . أسأل مازحاً فرجام (هل أوضح لك ما أقول ؟)

- (كلمنى بأسلوب أكثر سهولة) .

- (لا يقل عدد المرضى بالأمراض النفسية أو من أصيبوا بالجنون عن عدد القتلى والجرحى . وقد اختل عقل من هم أقوى من لاله)

يشـرب من كـأسـه وينظر إلـى فتـرة طويـلة . هذا ليس له إلا مـعنيين . اشـرب ياجلال بـيه . أمـا أنك خـائف من قـصف المدينة بالقنابل والصواريخ حتى أنك تهذى من آثار الاسـبيد بول أو أن حياة هذه الفتاة فعلاً فى خطر)

أهز رأسى إلى أسفل مرات مجيبًا بالإثبات

ـ (أى معنى منهما ؟)

- (أنا لا أخشى شيئا) وينظر كل منا إلى الآخر نظرة طويلة

- (كانت حـياة مريم فى هذه السـنوات الخمس فى قبـضة أبى غالب . كانت فريسة قدر مشـئوم . لكن مريم فى طريقها للهجرة . حياة لالة أيضاً بسـبب وحدتها كانت مشئومه ومـقبضة . وربما تحدث أشياء أخرى) .

ينظر إليّ . صورة الصبي الشهيد وسط منطقة النخيل بعبدان المعلقة خلف رأسه على الجدار تبدو أكثر سعادة وأملاً من وجهه

وفي هذا الوقت يدخل علينا الدكتور بختي ثانية مثل (شارلي شابلن) ومعه زجاجة لا أدري ماذا تكون ويجلس ويقضي ساعة يتحدث عن الحرب والنظام ويلقي النكات والطرائف وحماقات فلان والناس التي تفر هاربة .

أظلم الجو حين نهض الدكتور بختي وانقطعت الكهرباء أيضا وأشعلنا المصباح الكيروسيني الايراني المصنوع للرحلات وعلكه فرجام . حالة فرجام لم تكن تسر ويغالبه النعاس أظن أنه لابد تناول ربع أو نصف القرص المخدر خلسة في الحمام بأعلى وربما أشياء أخرى . أنا نفسي متعب وأقترح أن نخرج لتناول العشاء . يقول أنه الليلة لها ومرح كثيرا ويريد ، إذا قدر ، أن ينهض لينام حتى يستيقظ مبكرا ويمارس مسئولياته . وعليه نختم الليلة .

حين أريد الاستئذان يبدو تائهاً سكراناً . هذا أمر جديد . لم أره حتى الآن حين كان يشرب شيئا أو يتجرع شيئا بهذا القدر من التوهان والتفرق سواء في وجود الكهرباء أو في غير وجودها . أساعده على النهوض وأجعله يتمدد بأي شكل على سريره . أشد حالات فرجام ضيقا في أشد حالات الأهواز ضيقا . أرتدي أنا أيضا معطفي وأسد (سستته) .

- (حسناً أنا ذاهب يا أستاذ هل يستطيع أن نخلع حذاءك أو أتصل بالأخ شلمتشي ليأتي لك ؟)

- (لا ، أستطيع . أتركه بأعلى يعد الشعارات واللافتات ويروي الإسلام بالدم) .

(إذن أراك فى الصباح إذا بقينا أحياء)

- (أنا الذى سأبقى حيا . ألم تسمعه يقول أن الأخيار هم الذين يموتون أولاً)

أمكث وأنظر إليه فترة .

(أين مريم ؟ يا جلال بيه ؟ امرأتك الممتازة والجميلة والشجاعة . .)

فأقول (هل تصدق أو لاتريد ألا تصدق . . زوجتى الممتازة والجميلة والشجاعة ذهبت الليلة لتحضر حفل زفاف).

- (زفاف ؟)

- (زفاف واحد من أسرة أخت زوجة الدكتور ناصر . دعوها . كانت تقول الآن فى التليفون أنها ربما تذهب . أول الأسبوع كانت تحضر تلاوة القرآن والروضة والآن تحضر زفافاً . ألم تكن تعرف أن الموت والزفاف مختلطان هنا ؟) أرفع مفاتيحى من فوق المائدة .

- (ألم يدعوك ؟)

- (ولم لا ، لكنى لا أتحمل حفل زفافهم فى صالات اجتماعات فندق آستوريا الفجر . .حسناً ، مساء الخير ، منصور بيه . تذكر . اتصلت لكى يحجزوا لك مكانين فى رحلة مريم . أمر طيب أنك طرت وأتيت الوطن لينفتح قلبك ولكن الأطيب أنك رأيت أن تطير عائداً إلى مينى سونا بأمريكا) .

- (ليلتك سعيدة ياجلال هل يمكن أن تسوق بنفسك ؟)

- (لا ، ربما تسنح لى الفرصة وأصطدم بداخل العنبر).

يضحك (مع السلامة) ثم يسألنى بلا مقدمات (هل عشقت حتى الآن ؟ !)

أبقى فترة وأتكىء على إطار الباب

(أعشقت أم لم أعشق ؟)

- (فى زمان مضى)

(شعور فظيع .. أليس كذلك ؟)

- (على)

- (القلب والكبد وفم المعدة كلها يضرب بعضها بعضا)

- (هل أنت عاشق حتى الآن ؟) أو لعلى أسأل (هل عشقت ثانية) .

- (من يدرى .. ما أن تعشق مرة حتى ينتهى أمرك ، مثل عشق هؤلاء الصبية فى الجبهة)

- (ليلتك سعيدة)

- (يا الله)

أخرج وأقود السيارة وأتجه بها إلى المدينة . أغلب الشوارع صامت أو تعيش فى صمت أو فى ذهول . ربما أطلقوا صفارات الإنذار . أخذ الراديو . ليس من خبر . واحد يعظ ويبشر قلوب الأخوة والأخوات المؤمنين بلذائذ الجنة وبالجمال والجلال والمتع فى الاخرة وجنة أرم وحوض الكوثر وحور الجنة .

- ٣٩ -

المصابيح خارج الفندق مطفأة والمصابيح داخله فى وضع التخفى وأكثر النوافذ مظلمة . لكن الصالة الأمامية للاستقبال مزدحمة ومضاءة وتأتى من الناحية اليمنى أصوات همهمة احتفال وأصوات الأطباق والملاعق والشوك . على سائر الدرجات الملتوية الذاهبة لأعلى والدرجات النازلة لأسفل من السلم المتجه إلى المطعم يزدحم كل مافيه بالأطفال والضيوف المختلفين .

آخذ مفاتيحى وأضغط على جرس المصعد فينفتح أحدهما الخالى بسرعة فأزلف بداخله ويصعد بى حين أغلق بابه بدون ضوضاء . ممر الطابق الرابع كأنه دهليز ثلاجة مستشفى الشهيد بقائى خال وبارد ومظلم . فقط بأعلى برواز كل باب وبأعلى الرقم المكتوب باللاتينية الضخمة علقت لافتة صغيرة سوداء عليها (بسم الله الرحمن الرحيم) حديثا على الأبواب ، حتى أنها تشع ضوءاً خافتاً وسط الظلام .

الغرف ليس بها كهرباء وأنا عاجز عن البحث عن الشمع الملعون ولا أزيح الستائر . وإنما أفتح النافذة لقليل من الهواء المتجدد . أخلع ملابسى فى نور المصباح المدار بمولّد وآخذ حماماً لكى أختم الليلة . أبتلع أقراص الليل وقرصاً منوما . أزيح للوراء البطانية واللحاف وأتمدد فوق الملاءات البيضاء والنظيفة .

أشعر بالتهاب شديد ويؤلمنى صدرى . مر على يوم شديد وليلة فظيعة بالرغم من الخوف والارتعاد من الحرب والهجوم الجوى

وبالصواريخ من قبل صدّام إلا أن الليلة بالخارج لطيفة . تهب النسائم العليلة من داخل النافذة وتحك جلدى فأشعر بالراحة. أدير الراديو فى الظلمة على الموجة القصيرة وأبحث عن محطة بها موسيقى لكن لا أجد إلا محطات الموسيقى والرقص العربية أو أخباراً بلغات غير مفهومة وغربية . وحتى أجد موسيقى إيرانية فى محطة ما يدق التليفون بجوار سريرى أمد يدى وأتناول السماعة . آمل أن تكون فرنجيس (آلو ؟)

(السلام)

- (مريم ؟ هل أنت مريم ؟)

- (أين كنت ؟)

- (هل تكلمينى من تليفون داخلى بالفندق ؟)

- (نعم ، وجدت تليفونا وسط هذا الضجيج والجلبة . أين كنت ؟)

- (عند الدكتور فرجام)

- (هل لم تتضايق منى بسبب أنى حضرت زفافاً عائلياً)

- (لا) صوتى الجميل الذى يصدر الآن من تحت عذر أحبالى الصوتية العذبة كأنه صوت سحب الصنفرة على موكت جيلانى رخيص .

(هل أنت لوحدك ؟)

- (لا ، حميرا المطربة عندى)

تضحك وتقول هنيئاً لك . ثم تقول حفل زفافهم خداع وصامت ومقبض كما أنهم حتى الآن لم يقدموا عشاء) . كنت أود أن أقول لها إننى سعيد بأن أسمع صوتها وإذ بها تقول فجأة (انظر ، سوف أترك السماعة حالاً).

(هل حدث شىء ؟)

- (فيما بعد . .)

أظن أن مشكلة وقعت .

أسمع صوت قطع الخط ثم صوت أصوات السيارات حسناً . ربما يخيل إلى هذا لا ، أنا أصلاً غير متضايق . الليلة أنا وحيد هنا وسط انقطاع النور ومثل الفضاء بين النجوم الجليلة والخاوية والباردة . . أتيت إلى المنزل ، لا . أتيت إلى حجرتى الفخيمة فى فندق رويال آستوريا الفجر . حشوت نفسى بأنواع وأقسام من الدواء : الباربيتورات والمبنزيدرين وسديم أميتال . وأخذت أيضاً من الأسبيد بول من فرجام . لكنى لست متضايقا . لا لست متضايقا ، أصابنى الضيق والهم حين كنت أتجاوز معبراً فى حياتى . أحاول أن أغمض عينى وأفكر . الليلة أغمضت عينى وآخذ فى التفكير . أفكر أن بخارج هذه الغرفة فى هذا الليلة الجميلة كم ألاف من الناس يعيشون الآن فى خوزستان فى خوف وفزع . وكم من الناس يموتون أو ماتوا وكم منهم تمزقوا وكم منهم تحت الأنقاض وكم منهم ينزف دماً وكم من مصاب وكم منهم مزقت أجسادهم باصابة الزجاج وكم منهم اختنق بالغازات والدخان والنار وكم منهم مزق تحت الدبابات وكم من انفجرت فيه الألغام وكم منهم هلك فى الأسر هنا

وهناك أو يهلكون وكم منهم أصبح عجيناً تحت الدبابات وإطارات السيارات والناقلات وقت الهجوم على المدن وكم منهم أخذوه وضربوه وكم منهم عذبوه وكم من الفتيات أزيلت بكارتهن وكم من النساء وقعوا اغتصبوهن وكم من الناس نهبوا أموالهم وكم منهم خنقوه وكم منهم أطلق عليه الرصاص وحقوق كم منهم هضمت وكم منهم يرتعد خوفا من القنابل والصواريخ فى وسط الظلام ؟ لا ، لست حزينا . أتيت هنا فقط لكى أدرس فى دورة مكثفة لإعداد التقارير بالانجليزية . أتيت أبحث عن ابن مطرود . الليلة فقط أنا تائه شارد قليلا بالمواد المهدئة والمنومة . مدينة يمكنها أن تكون أيضاً مثل إنسان تائه حائر . . تخاف وترتعد .

إنسان ما يطرق الباب بيده بشدة .

ربما أحد الخدم فى الفندق ، لابد أن يريد شيئا أو لابد أن بديله هو الذى أتى أنهض وآتى إلى البا ب.

(من ؟)

- (أنا ، أفتح)

- (أوه ، حضرةً جرجس !)

أدير الأكره وفى خلال أقل من واحد من الألف من الثانية تقول (سلام) وتدلف إلى الداخل وأنا أقفل الباب فى خلال واحد من الألف من الثانية . لاتزال لابسة حجابها المحكم ومعطفها الإسلامى لكن حذاءها وجوربها الشيك الفخم يظهران من تحت عباءتها .

- (كيف صعدت ؟ يابنية ؟ يامريم المجدلية !)

- (أبداً ، بالسلم ، الفندق يضج ويعج)

- (أهاجمت العراق ؟)

تضحك (لا ، أنا الذى هاجمت) تقبل كتفى من فوق المنشفة .

- (هل تعلمين أن الدور أعلانا مخصص كله لحرس الثورة الإسلامية ؟ تعالى)

- (أنا زوجتك الشرعية والقانونية)

(ادخلى) كنت قد سمعت أنها شجاعة وحازمة لكنى لم أكن أعلم أنها لاتزال تتخيل أنها تعيش فى مدينة فيرجينيا فى أمريكا

- (جئت معى بعقد الزواج أيضاً) وتشير إلي حقيبة يدها

- (فى داهية عقد الزواج هذا)

تفك حجابها وترفعه عن وجهها

- (ماذا قلت للناس لكى تختفى عنهم ؟)

- (الدكتور وزوجته وكلهم موجودون بالأسفل . قلت أنا ذاهبة للمنزل لأطمئن على آذر والننه وسأعود . وحينما انقطع النور غادروا صالة الفندق خوفاً وفزعاً)

- (كم بإمكانك البقاء هنا) أشعل الشمعة الموجودة أمام المرآة .

- (ساعة ، ساعتين . . كانوا يريدون إذ ذاك تقديم العشاء) .

- (للأسف ليس عندى شيء لأقدمه لك)

- (أنا لا أريد شيئا تقـدمه لى . .) ثم تقول (أنت قدمت لى كل شىء)

- (هل غامرت كل هذه المغامرة فى هذا الوقت من الليل وجئت لتمزحى معى)

- (لا أتيت لأشكرك . . لا أراك منفـرداً فى أى وقت ولو لمدة لحظات)

أجد سيجارة جديدة في مكان ما وأشعلها (ماشى)

- (ألست غضباناً ؟)

- (أنت استحقـقت وتستحقين أشياءً كـثيرة أُخذت منك . أنت يجب أن تغـادرى هذا المكـان ، هذه المدينة . تمام . أنـت يجب أن تبدئى حياتك من جديد .

نحن مانزال خلف الباب ، وقفنا بالقرب من الثلاجة . الآن أرى وجـهـا بصـورة أوضـح . صـففت شـعـرها الليلة بطريقـة جمـيلة ووضعت على وجـهـها وعينيها مكيـاجاً مناسباً ومعـتدلاً . تفوح من عنقها الرائحة الجـميلة لعطر (شانل) أو شىء قريب منه . تفك الآن أزرار معطفها بتؤده .

- (ألا تريد أن تأتى زوجتك إلى جانبك ؟)

- (هل أنت واثقة مما تفعلين ؟) أقولها بالانجليزية لكى تتجمع حواسها .

تخلع معطفها (ارتديت فسـتان الزفاف أيضا من أجلك) وتجيب على بالانجليزية أيضا لكى يتم الحوار .

كانت صادقة . ارتدت قميصاً من الساتان واسع الذيل ومعه التُّلُّ الشيفون ومايتبعه على أعلى صدرها وكميها .

- (هل هنا حمام ؟)

- (نعم) وتدلف إلى داخل الحمـام وتضع فيه شمـعة أو اثنتين لإضاءته . آخذ نفسـاً طويلاً من السيجارة ، ثم أتنفس نفساً مـتمهلاً عميقا .

ليس بباب الحـجرة سلسلة حديدية لكى أحكم قفلـه . لا أهمية لذلك . وأعود لأتمدد فـوق السرير وأطفى الراديو الذى أخذ يخـرخر ويصفـر . لا أسمع إلا صـوت تكتكة ساعة الجـرس التى أهداها لى الدكتور نورى . ينـتهى عملها فى الحمـام بعد دقيقـة واحدة وتخرج بقمـيص نوم من الحرير الأبيض فضـفاض وتنزلق بنعـومة قطيطة إلى جوارى .

- (سلاماً ثانية)

- (إذن ما وراءك من أخبار جديدة ؟)

- (تقديرى وشكرى لك)

جسدها ليس كما كنت أعتقد دائما نحيفا جدا بل قوى وغض

- (فستان زفافك هذا ممتاز)

- (اشتريته من أجلك مع أننى كنت أعلم أنك لن تأتى قط إلىّ)

- (ماشى)

- (أنا فى الحقيقة أحبك .. هل تعلم هذا ؟)

- (س س س) أضع أصبعى على أنفها

- (هل قلت مايسوء ؟)

- (لا ، لكن ليس هذا وقته)

- (أنت عطوف وشهم وأنا الملعونة لا أستطيع أن أنسى أنك زوجى الشرعى والقانونى فى نكاح دائم) تنطق الكلمات الأخيرة ثانية بالفارسية .

- (أنا لست زوجاً لأحد ،ألم يكن هذا اتفاقنا ؟) وأقول جملتى هذه بالانجليزية .

- (أعلم . طيب لماذا لاتريد أن أحبك ؟)

- (...)

- (هل لا تريد صخبا وضجة وزوجة وأطفالاً يحيطون بك فى حياتك ؟)

- (مريم !)

- (يعنى حين أصل إلى لندن تأتينى ورقة طلاقى الرسمية بالبريد الموصى عليه ؟)

- (أنا مزعج)

تتأوه (ماشى)

تقبلنى برقة ونعومة . الليل بالخـارج الآن صامت . تبدو السماء من خلال الستارة مظلمـة مسودة غاب فيها القـمر والنجوم . تغوص الحجرة فى بحر نور الشمع الخـافت ولا أسمع الأصوات ساعة الجرس وهى تتكتك .

- (شفتاك دافئتان وعذبتان)

- (بقية أجزاء جسمى ثلجى)

- (أين ؟)

تأخـذ يدى (قلبى . .) ثم تقول (هل سـتقـبلنى يومـا زوجة حقيقية لك ؟ أو لو أحببتك وأوقفت عليك كل حياتى ، هل ستقبلنى لك زوجة ؟ يا مليكى ؟)

- (الحديث لا يفيد معك)

- (إذا لم ترد الليلة أذهب . أذهب حـتى تتأكد من أن مـا بيننا سيبقى كما تريد طاهراً وخالصاً حتى ذاك الوقت الذى تريدنى فيه)

- (شكرا)

انقضت فترة من الهياج الصامت وغضى من الليل أقساه .

تقول (بعـد إعدام كوروش لم تلمسنى يد رجل قط وقـبله أيضاً لم تمتد يد واحدٍ إلىّ) يتأرجح صوتها . أدير رأسى إليها لأراها .

- (لماذا يرتعد جسمك الآن ؟)

- (لا أعرف)

- (اهدئى يا بنية)

- (إن داخلى يرتعد شديد الارتعاد)

- (حين تهاجرين هل لديك مال ؟)

- (مال ، نعم مال ، ليس اكمال مشكلتى)

- (كم لديك ، إن تكاليف الحياة هناك تفترق كثيراً)

- (كان كـوروش قد أودع بأمريكا مائة ألف دولار فى حـساب مشـترك ولا تزال موجودة . أخـتى فريدة تسحب منهـا . وكان لدينا حساب آخر لـوديعة مشتركة فى نهـاية الأمر فى لندن أظن أنه حوالى ستة وثلاثين ألفاً)

- (استرلينى أم دولار ؟)

- (استرلينى ، آرشى ابنى يسحب من هذا الحساب بشيكات من إمضائى)

وأدير وجهى وأتناول سيجارة أخرى وأرفعها وأشعلها (حسناً أى أخبار أخرى جديدة وراءك ؟)

- (كم أنت مؤذٍ ، صدقت حين قلت إنك مزعج)

- (ولكنك قلت إننى عطوف)

- (عطوف لكنك تؤذى الجميع وتفر هاربا) تمد يديها .

- (الليلة لا . .)

- (لماذا ؟)

- (هنا لا)

تتأوه (ماشي)

يمتزج صوت تكتات الساعة وسط الظلام بصوت سيارة الإسعاف القادم من النافذة . ثم ترتفع بعد ذلك أصوات المدافع المضادة للطائرات من فوق مدخل الفندق ولكن أحداً لا يأبه منّا . بالنور الأقل المنبعث من زجاج الراديو جوار رأسها أرى وجهها . لا أعرف أي مرحلة من المراحل تتخطاها وماذا تعني لها هذه المرحلة . تلمس جسدي وشفتي بينما عيناها نصف مغمضتين وفي خلسة صمت . هذا بالنسبة لي ، في جزء من المليار من الثانية ، يعني السباحة في مياه ساخنة في ليلة باردة منير بنور القمر . في مكان بعيد منذ سنوات وسنوات في أزمان بلا زمن على شاطيء المحيط حين كان القمر يرسل أشعته كانت السماء صافية ولم يكن الليل يفيض بهدير الموت . لا أدري السبب في أني تذكرت كلام منصور فرجام بأول الليل . هل كنت عاشقا حتى الآن ؟

- (هل كنت عاشقة حتى الآن ؟)

- (أنا ؟)

- (هل كنت ؟)

- (ليس بهذه الكيفية)

- (هل عشقت كوروش ؟)

- (نعم كان أول حب لى . وكان رجلى الوحيد وزوجى)

- حين كنتما تتبادلان العشق هل كان ممتعا ؟)

تلتفت إلى . وتنظر (كان دائماً)

- (وحين قتلوه ، ماذا كان إحساسك ؟)

- (أوه ياربى . .) تأخذ سيجارتى وتتنفس منها نفساً عميقا :

- (أى أيام كانت . . أى جهنم من الظلم كانت !)

- (هل تألمت كثيراً ؟)

- (كنت أتمنى الموت)

- (. . .)

- (لا لم أكن أتمنى الموت . بل كنت أود أن آخذ أبا غالب ابن الكلب بأى شكل وطريقة وأخنق أنفاسه وأقتله . ثم أموت . كم بكيت ! كم . . بكيت !)

أدير رأسى وأشاهد الليل البهيم من خلال الستائر . جثمان عارٍ لرجل ما يغوص فى مكان ما .

(أين أنت ؟) تلمسنى

(هنا فى نفس المكان)

تتنفس نفساً عميقا (عجيب . . عجيب أننى فى هذه الليلة والآن أستطيع لأول مرة أن أتحدث عنه)

- (عن كوروش ؟)

- (عن كوروش . عن موته . عن كل شيء)

- (بم تشعرين ؟)

- (قلبي يود الحديث عنه . أي يمكنني الآن أن أشعر تجاهه كجزء من حياتي السابقة .. لا كابوس متنقل)

- (حسناً) أنظر إلى ساعتي

- (وأنت الذي جعلت هذا ممكنا - لا تنظر إلى ساعتك بهذا الشكل .

ربما لن نكون معاً مرة أخرى وربما لن أراك ثانية)

- (أليس من الواجب أن تنزلي ؟ ألم يتأخر بك الوقت ؟)

- (لا ، الآن سيقدمون العشاء ثم يقدمون الشاي والجاتوهات ويستغرق هذا ساعتين أو ثلاثاً)

- (هل تحسبين الوقت بدقة ؟)

- (سأبقى نصف ساعة أخرى ثم أذهب . أحب أن أتحدث معك إلا إذا كنت تريد أن أنهض على عجل وأعود)

- (ليلة أن قتل كوروش هل أخبروك في نفس الليلة ؟)

- (لا ، أخبروني اليوم تاليها ، قالوا وقتها أنهم يمكنهم أن يسلمونا جثمانه بعد يومين . وكان يومها الخميس . لم يسلمونا الجثة حتى السبت . عاوننا الدكتور ناصر كثيرا . سوء الحظ أن يوم الاثنين

من ذلك الأسبوع كان مقررا أن ينقلوه . أى كان مقرراً أن ينقلوا كوروش والسيد نقشينه ذاك إلى طهران . ثم كان الملف تحت يد حجة الإسلام ، أنا ناسية اسمه الآن - الذى كان رجلاً طيباً ذهب يوماً ما إلى قم لعدة أسابيع ، وبعد غيابه قالوا مرة واحدة فى يوم الأربعاء أن اليوم تعقد محاكمة كوروش شايان كعنصر معاد للثورة ومفسد فى الأرض فى محكمة الثورة الإسلامية . غمرنا جميعاً الخوف والحيرة لأنهم فى ذلك الوقت لم يكونوا يميزون بين البرىء والمجرم . كان إذ ذاك يقومون بإعدام الرءوس الكبيرة فى طهران بشكل متواصل . كان اعدام كوروش موافقاً إعدام الفريق رياضى وخلعتبرى وجها نبانى وأمثالهم) .

- (هل ذهبت إلى المحكمة ؟)

- (لا ، لم يعقدوا محاكمة له . وكانوا لا يسمحون للنساء بحضورها . فقط أخى عطا الله فان كان لايزال بالأهواز وكان يذهب ويجىء . قالوا إن المحكمة سوف تطول ساعات . ولا نعلم أصلاً هل عقدوا محكمة أم لا . كان أبو غالب أو الحاج أبو الفضل غالب وقتها هو كل شىء فى لجنة التصفية والتطهير وكان هو كل شىء وراء إعدامه خلف الكواليس ، قالوا إنهم يتلون أولاً آيات من القرآن - ثم يعلنون خطاب الادعاء . يقولون ابن كوروش شايان بعمله بوظيفة حساسة فى صناعة النفط فى الجنوب وإحرازه منصب رئاسة حزب البعث فى خوزستان كان يعاون النظام الذى كان إسقاطه واجباً شرعياً على كل إنسان وكان يدفع بالبلاد إلى جهة مصالح الاستعمار العالمى ويجر الإسلام إلى القهقرى وسوف يزلزل مستقبل البلاد بإفساده فى الأرض ومحاربته لله ومثل هذا . . .).

- (قبل الثورة ماذا كان يعمل أبو غالب الشيطان هذا ؟)

- (لا شيء ، كان يعمل فى النقل والحمل . كان يذهب إلى بلوجستان والهند وتلك المناطق . كان ابن قبيلة الزركانيين بالأهواز . دخل الشركة فى التاسعة عشر . كان ساكنا فى السنوات قبل الثورة . كان دائم الزحف يعض شفتيه ندمًا ويتظاهر بالعبادة والتقوى . ثم ظهر داخل الجماعة الإسلامية والمجاهدين كان يجلس فى البداية ويقول إنه يطالب بحرية الشعب ويريد حكومة العدل الإلهية لكننا نتعايش مع الجميع ونتباحث مع الشيوعيين فلهم حق ابداء الرأى وللجميع حق إبداء الرأى . لا نعارضهم إذا احترموا الحدود الإسلامية . نعاونهم ونتجاوب معهم . لانعارض الحرية والإيدلوجية . بل نعارض الفحشاء والسرقة والفساد والاستغراب . . ثم بدأ فى النهاية فى رسم المكان لى ولكوروش)

- (ماذا كان آخر وظائف كوروش ؟)

- (كان كوروش رئيس المصانع المركزية . وبعد ذلك عينوه وكيلا للهندسة الفنية أواخر سبتمبر ١٩٧٨)

- (هل أعدموه ليلة أن حاكموه ؟)

- (لا نعرف ما الذى حدث . كانت مجموعة تقول إن شايان انتحر وأخرى تقول إن أبا غالب نفسه كان قائد جوقه الإعدام داخل المعتقل لهذه اللجنة) .

- (وماذا كانت الحقائق الموثوق بها والدقيقة ؟)

- (كان بأعلى جمجمة كوروش إصابة خمس رصاصات . قال

الدكتـور ناصر لاشك أن أحـدهم أطلق الرصاص بسـلاح يدوى على كوروش مـن الأمـام وقت أن كان جالسـاً أو نائماً . . هل تفـهم ما أقول ؟ كان أبو غالب فى الأصل مجنونا وسفاحاً وسفاكاً . فى أوائل الحرب وكـان لايزال فى الحرب كان يقـبض على العراقـيين دائماً فى الصحراء ويقطع أعناقهم فورياً)

- (لا ياماما)

- (والقرآن . سمعت هذا من أشـخاص موثوق بهم . ولأجل هذه الفظائع طردوه أخيراً من الجيش واللجان الثورية) .

- (ولما سلموكم جـثة كوروش مـاذا فعلتم ؟ هل قـمتم بمراسم تلاوة القرآن والروضة ؟)

- (لا ، لم يكن لنا الحق فى أن نقرأ عليـه القرآن أو أن نقيم له ذكرى السـابع . قالوا إنه مـفسد فى الأرض وفـى الدرك الأسفل من النار) وتتأوه أهة طويلة وتصمت . وأمد يدى ألمس شعرها .

- (هل تعرفين أى منظر جميل وراء نافذة حجرتى ، خلف هذه الستارة ؟)

تنظر إلى النـافذة وتفـكر (منزل الجـدّ ، لابد أن يظهـر من هنا منزل أبى كوروش)

- (أشاهد هذا المنظر كل صبـاح . . هل تعلمين من يسكن فيه الآن ؟ وكم من الحيوانات يربيها داخل حديقة المنزل ؟)

- (نعم ، أنه نفس هذا الحيوان ، سمينا هذا المنزل قلعة الحيوانات)

- (حسناً)

- (كم كانت حديقة ، حديقة جميلة على النسق الإيرانى القديم) .

فأقول بدون وعى (تغيرت الأوضاع ، لكنها تتغير الآن مرة أخرى) تتأوه ثانية (يحدونا الأمل . .) ثم تقول (تغير شىء واحد بالنسبة لى . وأنت الذى عاونت فى أن يتغير)

- (لا تقولى هذا الكلام ثانية . . ألم يتأخر بك الوقت ؟)

- (كيف بوسعى أن أقدم لك شكرى ؟)

- (بوسعك أن ترتدى ملابسك وتعودى ، حتى لاتحدث دراما . الوقت حساس).

- (هل يمكن أن نلتقى قبل أن أسافر إلى بريطانيا ؟)

- (ماشى . .)

- (يحدونى الأمل . . .)

- (أعرف . . إنك الزوجة الشرعية والقانونية . . فى نكاح دائم و . . الخ . ارتدى ثيابك الآن وانزلى إلى حفل الزفاف) .

- (حفل الزفاف !)

- (حين تصلين المنزل اتصلى بى تليفونيا)

- (على عينى) -

- ٤٠ -

أقفل النافذة وأحكم قفلها وأستلقى على السرير . الحجرة الآن لاينتشر بها رائحة الهواء الميت والجاف . الليل ليس حالكا . والسقف والجدران إن أمطرا تراباً فإنهما لايمطران حزناً . والسنوات الحلوة الضائعة لا تخرج بدورها من طيات الموكتات القديمة والمتسخة . أتناول الراديو ثانية فيذيع من مكان ما موسيقى خالصة كأنها موسيقى جاز (برويك) التى تصدح من شاطىء المحيط الكبير وليالى الساحل الرملى . لا أعلم كم مضى من الوقت ساعة أو نصف ساعة وعيناى غلبهما الوسن حين يدق جرس التليفون . كنت أعلم أنها هى حتى قبل يطوى دق الجرس داخل الغرفة .

- (وصلت الآن . آزر والننة نائمتان ، ألم تنم ؟)

- (كنت على وشك النوم . . أنت كيف حالك ؟)

- (ولادة جديدة)

- (ماذا ؟)

- (أحس « بولادة جديدة »)

- (ألم نسرف فى العاطفية) .

- (لا . . . اسمع :)

الآن وقد بلغنا نحن الأوج

امحنى أنا فى خمر الموج .

هل هذا لا يشعرك بمعنى وإحساس ؟)

- (اقرئى البيت ثانية)

- (الآن وقد بلغنا الأوج . . امحنى أنا فى خمر الموج)

- (لابد أنه يشعرنى بأن الشاعر ذاهب إلى مطار هيثرو بلندن بطائرة British Airways أو الطيران البريطانى على ارتفاع ٣٩,٠٠٠ قدماً . وفى الطائرة يقدمون الخمر مجاناً)

- (أولا قائل البيت ليس شاعراً بل شاعرة . هى فروغ فرخ زاده ، كانت معلمتى . هنا فى مدرسة نظام وفا الثانوية . كانت فى غاية الحزن والحساسية والطيبة . ولم تسافر قط بالطيران البريطانى British Airways . لا أعتقد).

(حسناً ، فماذا يشعرك أنت ؟)

- هذا أيضا من شعرها) ويزيد صوتها حرارة وإحساساً

« انظر إلى شمع الليل فى طريقنا

كيف يتقطر قطرة قطرة

وقلة عينى السوداء

بهدهد تهك ذات اللحن الدافىء

تمتلىء بخمر النوم »)

- (أنا أعرف مفهوم هذه الأشعار)

- (ماذا تفهم منها ؟)

- (أنى إذا لم أنم مبكرا فإن تدريس Repart Writing أو إعداد التقارير لن يتم)

تضحك مقهقهة (هنيئا لك وأنت فى الأصل لست شاعراً)

- (إقرئى أشعاراً أخرى)

- (ماذا ؟ أقرأ)

- (أليس ديوانها الآن على ركبتيك ؟)

- (أنك شيطان ، كيف ضمنت ؟ لكن شعرها ممتاز يحمل الإنسان إلى خلوة لطيفة وجميلة :

تجذبنى إلى طريق تملؤه النجوم

وتجلسنى أعلى من كل النجوم

...

أنظر

إلى أين أنا بلغت

إلى المجرة ، إلى اللانهائى ، إلى الخلود ...)

وبعد انتهائها أقول لها مازحاً (إنه نفسه)

- (ما هذا الذى هو نفسه ؟)

- (من سافر ليلاً بالطيران البريطانى وينظر من النافذة البيضاوية للطائرة إلى المجرة) .

- (د . .) ثم تقول (انظر ، أنت ولدت فى شهر يوليو أى فى برج السرطان . حسناً مواليده فى العادة بسطاء لكنهم عاطفيون وأوفياء).

- (ومن أين تعلمين هذا ؟)

- (ومن أين أعلم ماذا ؟)

(أنى ولدت فى شهر يوليو)

- (مكتوب هذا فى عقد الزواج)

- (يا حضرة جزجس !)

- (والمواليد فى برج السرطان يتفاعلون جيدا مع مواليد برج الحوت)

- (طبعا لا يخفى أنك شرفت الحياة فى برج الحوت)

- (٢٢ فبراير)

- (أعلم هذا . . فهو مكتوب فى عقد الزواج)

- (ونجمانا كلاهما وكوكبانا متوافقان متفاعلان)

- (وهل هذا مكتوب أيضاً فى عقد الزواج ؟)

- (لا ، ليس مكتوبا فى العقد . نجمانا يتجاذبان . ألا تعلم أنهم يقولون دائماً إن شهر ميلاد الإنسان وحركة السيارات والشمس والقمر لهم جميعا تأثير بليغ فى الأقدار والمصائر)

- (وضحى لى)

- (أنا برج الحوت وأنت برج السـرطان . والحرارة والبرودة كل منهما يكمل الآخر . والحيوان أو الصـفة المحددة لكل منا أيضا حيوان بحرى . أنت السرطان وأنا السميكة) .

- (أى نعيش كلانا تحت الماء)

- (بإمكاننا . . أن نذهب إلى انجلترا) الآن نغمة كلامها جادّة جداً .

(أنا أعيش فى طهران).

تتأوه . حاولت ولابد أن تحاول ثانية . لكنها تصمت الآن

(هل تود أن أستمر فى قراءة شعر فرخ زاد ؟)

- (ربما فى وقت تكونين فيه معى . لابد أن تنامى)

- (ماشى) ثم أقول (كنت عند فرجام فى المساء وكان يستفسر عن أحوال لاله)

تتأوه ثانية (هذه البنت فى الواقع متألمة وحزينة ومبتلاه فى زماننا وفى بلدان إيران) .

- (هل هى عندك ؟)

- (نعم . نائمة فى إحدى الغرف)

- (يجب أن نعـرف مـا هو طالع هذين الاثنين . ربما يستطيع حيوانا طالعيهما أن يمتزجا ويتفاعلا) .

- (ماذا تعنى ؟)

- (في البـداية كنت أعـتقـد أنه يحـبك أنت . لكنه الآن وهذا واضح وضوح الشمس أنه يشعر باحساس قوى تجاه لالة . لالة تذكره بإنسانه معينة ، قتلت فى أمـريكا فى حادثة سيارة وهى فى حضنه فى الحقيقة ، هو الذى حكى لى أشياء كثيرة من هذا القبيل) .

- (يعنى ماذا تهدف إليه بالضبط ؟) .

- (يمكنك أن تتحدثى مع لالة وأنا بإمكانى أن أتحدث مع فرجام فلعلنا نستطيع أن نفجر الاحساس بينهما) .

- (أى يتزوجان ؟) .

- (من أربعة مليون سنة بالتـمام وأولاد آدم ملأوا كل مكان فى الدنيا) .

تتأوه (جلال ، لالة تحب فرشاد منذ الـطفولة وسوف تظل تحبه حتى النهاية) .

- فرشاد ليس جاداً ولكن منصور جاد) .

- (فرشاد يحب لالة أيضا . يحبها منذ الطفولة . ومع أنه تربى مدللا وترعرع وسط النعمة والدلال والمـال وكل ما يريده وعنده لباس الجينز الأمريكيـة وكاسيت الرول والجاز ومايكل جاكـسون والفيديو ، لكن لالة بالنسبـة له شيء مختلف . لماذا لم يـسافر فرشـاد مع أبيه وأمه إلى أوربا وبقى هـنا ؟ من أجل من بقى حتى أخذوه فـى النهاية إلى الجندية والحرب ؟) .

- (حسناً جداً، لم أكن أعرف أنهما ليلى والمجنون الأهوازيان) .

- (ليلى والمجنون لا تراهما إلا فى هذه المنطقة ، خاصة المجنون ! هل تعلم هذا ؟) .

(ولالة ليلى ما أحوالها ؟) أنا الآن أريد النوم حقاً .

- (وهل تعرف شيئاً عنها ؟ إن لالة اشترت سكينا حادة يابانية من هذا النوع الذى فى مقبضها زرار يفتحها ، وهى بداخل حقيبتها . كما أنها اشترت أقراصاً مختلفة قوية ووضعتها داخل حقيبتها . تقول لو حدث لفرشاد شىء يوماً أو نقصت شعره من رأس فرشاد سوف تقطع هى عنقها بالسكين إذ ذاك أو تتناول الأقراص وتموت . تحمل السكين والأقراص داخل حقيبة يدها أينما ذهبت كرمز للطالع النحس) .

أنها لا تهزل . . أنظر إلى ما هو فوق رأسى لأرى هل ارتفع الدخان من رأسى أم لا . (فهمت الآن لماذا قلت أنهما من قبيلة بنى عامر) .

- (نعم كلنا من قبيلة المجنون) .

- (وأبو غالب ابن الكلب هذا من أى قبيلة ؟) .

- (هو وأجداده من الزركانيين . هاجروا أيضا إلى دُبى والهند لكنه زركانى ابن زركانى وجميع أهل الأهواز يعلمون أن بين الزركانيين والعامريين عداوة دموية منذ قرون) .

أتنفس نفساً طويلاً (إذن لالة تريد أن تقتل نفسها . هذه ليست معادلة ذات أطراف مجهولين وسوف تعقد أكثر فرجام البرىء) .

- (لا يا بابا ، أنه قــوى . إنه يستطيع أن يقــوم حين يحب ويذهب إلى مينى سونا) .

- (يمكنه ، ولكنه لم يذهب وأنا أعـتقـد الآن أن أحد أسـباب بقائه هو لالة) .

- (يا بابا وهل عند لالة ما ليس عند كل البنـات المختلفات فى أمريكا ؟ يكفيه أنه يمشى ويقف أمام أى بنت ويشير إليها برأسه) .

- (حسناً أنا من هذه المعـادلة . هل تريدين أن تقرئى لى شـعر فرخ زاد ؟) .

- (لا ، أنت متعب ولابد من أن تنام) .

- (اقرئى لى بعض النجوم والمجرات الأخرى)

- (دعنى أبحث فى الديوان)

- (ماذا تلبسين ؟)

- (نفس ثوب الزفاف الذى أعجبك)

- لعله كان طيرا ناح

أو ريحا وسط الأشجار

أو أنا

أمام قلبى المسدود)

وأسمع أصوات طرقعة مخيفة من التليفون

- (ما هذا ؟)

(لا شيء)

(ربما المدافع المضادة للطائرات هي التي ناحت)

– (لا ، بل التليفون سقط من على قدمي على الأرض)

– (حسناً ، ليلتك سعيدة)

– (ماشي ، ليلتك سعيدة)

والليلة بعد سهر طويل أغوص في الأعماق كلوح حجري يسقط في المـاء وأنام نوماً عميقاً .

- ٤١ -

يومان أو ثلاثة بعد ذلك تمر بأكثر هدوءاً وتقريباً بلا جديد أو أنى الأكثر هدوءاً وتقريباً بلا جديد والحياة تصطبغ بسيرها العادى لهذه الأيام . وأحد الأيام عصراً أتوجه مع فرجام لحضور ذكرى استشهاد هاشم ابن عم شلمتشىء الموظف عند فرجام . هاشم كان يعمل فى إدارة مشتريات شركة النفط وكان ضمن الاحتياط استشهد الآن فى خرم شهر ، ويلزم فرجام نفسه أن يذهب لحضور ذكرى ابن عم موظفة الذى يحبه . ونذهب أنا وهو وفارسى بالسيارة نيسان باترول التابعة للمركز . تغطت جدران مسجد الباقر كما هو شائع بالملصقات واللافتات القماشية للعزاء . وأمام المسجد أيضا تنعقد جلسة تلاوة القرآن والروضة بشكلها العادى أو جلسة (العروج الدموى) لأحد الشهداء من الحرس الثورى . وفى اللحظة التى ندخل فيها المسجد يصل بضعة من الأخوة والزملاء الشباب النائحين . يشكرنا ويشكرهم شلمتشىء الواقف بجوار الباب يرقب الجميع وينوح والجميع يدقون صدورهم . وأقف أنا ومنصور وفرجام فى ناحية بيد واحدة ندق صدورنا وكأننا بالنسبة للجميع وصلة غير متوافقة أو أنا على الأقل الوصلة غير المتسقة معهم . فرجام بعد أن نهبوا ثيابه وأثاثه فى العنبر يلبس الآن سروالاً شبه عسكرى ومعطفاً زيتونيا رخصياً اشتراه من أسواق الأهواز فأصبح يشبه إلى حد ما الشكل الكاكى الترابى العام لهذا المحيط . لازلت أذكره بسرواله ومعطفه من الجبردين وقميصه الحريرى وحذائه (الفلورشايم) وغليونه وطباق

الآمفـوراحين رأيته في مكتب (خيـر أنديش) الصور الكبيـرة المبروزة لنصف جـسم الشهـيد هاشــم ملأت كل مكان كـأنه حاضـر في هذا المجلس وواقف وينوح ويضـرب صدره . فتى بلا شـارب ولحيـته لا يبدو فوق شفته غيـر اسمرار باهت . تنبعث من كل مكان بكاء النساء ونواحهن . صوت النائح كأنه ناقوس مرتفع الصوت : (لا تبكي في فرحي يا أمي يا أمي . .) يدق الأولاد صـدورهم أشد وأشد ثم أرى فرجام بدوره يدق صدره بيديه لا بيد واحدة (قميص زفافي صار كفنا يا أمي يا أمي . .) وهناك ، أمـام المحـراب ، أعـدوا سفـرة لنهـاية النواح والمجلس على كـل ركن منهـا رشاش بحيث تجـتـمع رءوس الرشاشـات الأربعة بشـكل مخروطـي . وفي ماسورة كـل رشاش . زهرة من زهور الشـقائق الحمـراء . وبوسط السفـرة الصورة الكبـيرة المبروزة لهاشم . يشتد الأولاد في دق صدورهم (لا تبكي في فرحي يا أمي يا أمي . . قميص زفافي « صار كفنا يا أمي يا أمي) .

تدريسي بالكلية يمضي على نسقه وطريقته ، فأذهب بالسيارة إلي كوت عـبد الله حـيث الكلية وأعـود إلى الأهواز إلى فندق أسـتوريا الفجر والعكس .

أمر من بين الأبوب الكبيرة ذات الزجاج لفندق الفجر . وأسير من شارع كـوت عبد الله تجـاه المبنى الصغيـر لقسم العلوم واللغـة . رائحة الطباشـير والممحاة هي الرائحـة الحيوية لمناسك قـدر أيامي هذه . حسناً افتحوا ياسادة كتبكم على صفحة ١٢٧ . . ذهب بعض من تلامذتي إلى صـفوف المتطوعين . لأول مـرة في تاريخ أخـذ الحضـور والغيـاب في مـدارس بلاد الورد والبلبل أضع ثلاث عـلامـات على ورقـة الحضـور

والغياب بدلاً من العلامتين المعهودتين : (✔) علامة الحاضر و (غ) علامة الغائب و (جبهة) لمن ذهب إلى الجبهة . أتناول فى الظهر الغذاء مع نويختى وأفشار والدكتور حسينى بور والدكتور مقدم . يعتقد الدكتور مقدم أن اللبن على الخضار باللحم المفروم شيء لذيذ . فى العصر أطالع جريدة (كيهان) الصادرة بالأمس التى تصل بقطار الليل . عناوينها لا تتغير أبدية كلها تتحدث عن المناورات الكبرى والمسيرات الضخمة للذكرى السنوية العظيمة للثورة الجليلة الإسلامية . تقرر أن يأتى رئيس الوزراء إلى الأهواز . بشرنا الأمام أن صدام على وشك الزوال وأننا سوف نوجه إليه ضربة قاصمة . عشرون مليوناً من متطوعى الأمة المستضعفة من المقرر أن يشتركوا فى المناورة الكبرى لتحرير القدس فى ١١ فبراير ٨٤ فى ٦٣ منطقة بالبلاد أعدمت الثورة فى باريس أويسي الجلاد يوم ٢٨ سبتمبر الماضى - ٤١ دبلوماسياً أمريكياً هربوا بالهليوكبتر من بيروت . البيان رقم ١٦٢٦ الصادر عن القيادة المشتركة للجيش تبشرنا بأن عشرات من جنود دورية العدو هربوا أمام النيران الشديدة الأوار الإسلامية واحترقت مئات من الدبابات والناقلات وقتل مائة وسبعة وعشرون عميلاً بعثيا صهيونيا وجرحوا) يمكن أن تضفى البهجة على الحياة هذه الأخبار .

لكن فى الصباح وأنا أحلق ذقنى يدق جرس التليفون فى وقت محرج ، أرفع السماعة وقد غمر الصابون نصف وجهى . بطنى خالية ولاتزال رأسى يؤلمها الصداع وحين تلقى علىّ مريم السلام والتحية تزجى إلى هذا الخبر لا تكون مسيحية الأنفاس : انتحرت أو أقدمت على الانتحار لالة جهانشاهى بتناولها خمسة وعشرين قرصًا من الاكسازيام . مرة أخرى يا حضرة جرجس ! كيف حالها الآن ؟

الجميع الآن مجتمعون بالمستشفى . يحاولون تفريغ معدتها وأمعائها .
هل حالتها فى تحسن ؟ لا يدرون . لكن بما أنها لم تنم تلك الليلة فى منزل مريم وكالعادة كانت تنام فى منزلهـا المنعزل فلابد أن يتوقع مثل هذا . . لماذا ؟ لأسباب كثيرة . هل نحصيها ؟ أولاً صوت أمها ثانيا انكسارها ويأسـها ثالثا وحدتهـا ثم بطالتها وأخيراً خبر إرسـال سرية فرشاد إلى العلميات الحربية داخل حدود العراق فى خور الخويزة .

- (ماذا يمكن أن أعمله ؟)

- (لا ، وراءك تدريـس ، الـوضع الآن تحت السـيطرة إلى حد ما)

- (إذن كونى على اتصال بى)

- (ماشى)

تصعيد الحـرب وتصعيد الدعايات الحربية الـنفسية وصل فى هذا الأمر حد أن العـمليات الحربية مع التهـديدات الدائمة ثم قصف المدن عمليـاً صارت حـقنة ادخال الكوابيس الليـلية تدور حول ذبح الـنساء والأطفال الأبريـاء فى الأماكن السكنيـة . المدن الجنوبية والغـربية من إيران تقع بشكل متتابع موضع الهجوم الصاروخى وبالقنابل من جانب (العملاء الكافرين البعثيين الصهاينة) . لم يكن أحد يصدق أن إيران التى لم تقدم من قبل على مـهاجمة المناطق السكنية فى المدن العـراقية تقبل على (المقـابلة بالمثل) فى عمليات عنيفـة . لكن بعد ثلاثة أيام من التهديد والتحذير لسكان مدن البصرة وخانقين والسليمانية ومندلى وزرباتية فقـد قام (جيش الإسلام) بدوره على القـصف المنتظم لهذه المدن ، فـزاد ذلك من العنف البـربرى لصـدام وصـار الفـزع والهلع والتوتر وتلف الأعصاب والموت هو الغذاء اليومى للشعب .

فى الساعة التاسعة والنصف تعيد مريم الاتصال بى فى الكلية وتبلغنى أن الخطر زال فعلاً ويمكن أن تغادر لالة المستشفى عصراً نظراً لازدحام مرضاه .

فأسالها (هل يعرف فرجام بهذه الأخبار ؟)

- (لا ، لا أعتقد)

- (أعتقد أنه من الخير إعلامه بما وقع . لديه حساسية فيما يتصل بلالة . سأتصل به فى المركز المستطاب للتعليم التكنولوجى . ربما نأتى اليوم أو غدا لنرى لالة . هل هى عندك اليوم وغداً ؟)

- (نعم ، سوف أصحبها إلى منزلى)

- (إذن اعملى شيئا واسترضيها لكلى تسافر ،معك إلى الخارج)

- (بدون فرشاد لن تسافر . وهو بعد أن سافر إلى جبهة الحرب يمكن ألا يعود مطلقاً . وعليه فإن الآلام والمتاعب والموت سوف تظل على حالها)

- (لا لن تظل دائماً ، كونى على اتصال)

فى اليوم التالى أقرر أنا وفرجام أن يأتى إلى فى السابعة والنصف بعد الظهر ونتوجه معًا إلى منزل الدكتور حتى نقابل مريم ولالة فيه . تحاشينا فى هذا الشهر الأخير الذهاب إلى منزل مريم لأن سيارة نيسان باترول لها لون عسكرى ولا تحمل رقماً ترابض دائماً وفيها راكبان أمام منزلها أو تتسكع هناك. يبدو أن أبا غالب شم خبراً عن أن مريم أخذت خطوات لترك الأهواز . . على أيه حال بما أن منزل الدكتور وعيادته يلتصقان بمنزل مريم وهما محل تردد عدد كبير من الناس العاديين فلا يستلفت وجود هذه السيارة الانتباه .

يأتى منصور بتاكسى فى الموعد وفى نحو الثامنة إلا الربع نترجل إلى منزل الدكتور يسألنى (أين لالة ؟ هل فى منزلها أم فى منزل مريم هانم ؟)

(فى منزل مريم . لكن حين تسافر مريم لابد أنها سترجع إلى منزلها الخاوى أو تذهب لتعيش عند بدرى هانم جزايرى امرأة أخى مريم فى «الطريق القومى» وهى أيضاً وحيدة) وحين ندخل منزل الدكتور نجد عالم النساء احتل حجرة الصالون وجلست لالة فى ركن منها وقد شحب لونها أكثر واشتد ضعفها عن اليوم الذى كانت تنثر التراب فيه على رأسها فى المقابر . وبعد أن ندخل يجلس فرجام بجوار لالة ويتناول معها بعض الكلمات . لالة فى الأغلب مطأطئة برأسها ولا أسمع ماذا يدور بينهما من حديث . بجوار لالة راديو صغير يذيع على الموجة القصيرة البرنامج الفارسى من العراق الأغانى المبتذله العنيفة فى الفترات الفاصلة بين التخريفات الدعائية عن (الشعب الشريف والنجيب الإيرانى) ثم التهديد بتحطيم المدن وصب الشتم على النظام الإسلامى . وفى الناحية الأخرى من الصالون يوجد تليفزيون مفتوح ويذيع الأخبار الرئيسية لإيران والحرب المفروضة . يبث تقريراً عما تم من تخريب فى مدن العراق ويشرح الضربات القاصمة (لجنود الإسلام) . وتأتى زوجة الدكتور من ناحية بالشاى والعصائر ويأتى الدكتور من ناحية أخرى بخمر الأفسنطين وعصير الأناناس .

ويقول (هؤلاء يضربون وأولئك يضربون)

يتناول فرجام بيديه زجاجة الخمر :

(اشتد الضرب)

فيقول الدكـتور (أحسن ما فيه أن كلا الـطرفين حقق انتصارات عظيمة) ويهز فرجام رأسه (لا ينهزم غير النساء والأطفال)

فيقول الدكتور (سرعان ما يصيـبهما التعب ، لكن ستبقى حالة اللاحرب واللاسلم حتى يسقط صدام)

يضع فرجـام كأسـه ويفتح (سـستة) سـترته الغليظة المـصنوعة بهونج كـونج ، وفضلاً عن سـترته الشبه العـسكرية الغليظة - يلبس سروالاً من الجينز وقـميصاً من الكتان . وقد استـبدل بحذائه الجلدى الفـاخـر (الفلـورشـايم) الأمـريكى هــذه اللـيــلة بوتاً بنـعــل بلاستيكى (أديداس) . وجهه وشعره كذلك خلافاً للمعهود لا يبرق ولا يلمع .

يقول (إن الإقدام على الحرب هو الشـغل الشاغل لفكر المجانين والمجـرمين . إن مهـاجمـة المدن والأبرياء ظلم والدفـاع عن المدن هو صراع على البقاء ولابد أن نصارع من أجل البقاء . وهذان البلدان فى تنازع مستمر مـنذ الأبد . هاجمت العراق إيران لكى تصارع من أجل البقاء فاضطررنا إلى الهجوم الآن) أنظر إليه .

وتسأله زوجة الدكـتــور (هل تعتقد يا سيادة الـدكتور أن صدام سيـسقط ؟) ويحك رأسه (ليـس أمام صدام حل إلا أن ينتـحر) ثم يدير وجهة بسرعة عن لالة .

ويقول الدكتور ناصر (إذا أرادت أمريكـا وفرنسا وإنجلترا وروسيا أن يسقط صـدام فسـوف يظهر رأس صــدام المقطوع مساء الـغد على شاشة التليفزيون . ويكـــون للعراقيين يد طـولى فى قطـع رأسه . لا يزالون يتذكـرون فيصل وعـارف وعبد الكريم قـاسم . دع التاريخ

القديم المعروف جانبا الآن . فى الوقت الحالى الجميع يريدون أن يبقى رأس صدام الملعون على جسده لكى يسد الطريق أمام الجمهورية الإسلامية . والحرب أيضا هى مكسب وأمر حيوى للقوى العظمى بشرط ألا يدخلوا هم المعركة وهم لا يريدون يكسب واحد من الطرفين هذه الحرب أو أن يسقط واحد منهما ثم يزول . إذا هزم العراق وانضمت جمهورية إسلامية فى العراق إلى الجمهورية الإسلامية فى إيران ، فضلاً عن سوريا وفضلاً عن الأحزاب الإسلامية فى لبنان فسوف تزول إسرائيل للأبد . ولو انهزمت إيران فلابد من إعادة رسم خريطة العالم ، بناء على ذلك فقد كتب على جبيننا لابد من المعاناة فتقول زوجة الدكتور (وصل عدد سكان الأهواز إلى النصف) وتقول مريم (اتصل أخى الذى سافر بأسرته إلى كتشساران بى ويقول إنك لو ألقيت إبرة فلن تبلغ الأرض داخل استراحات الشركة وهذه المدينة الصغيرة) .

فيقول الدكتور (نحن الأغنياء نجد دائماً طريقة لكى نرسل أولادنا إلى مكان آمن ومريح ونجد لأنفسنا مكانا آمنًا فيه العشق والمرح والمال) فيقول فرجام (نعم)

- (نرسل أولاد الفقراء إلى الجبهات لفتح كربلاء - وللجنَّة)

- (بعضهم)

- (وهذا ليس شيئاً لكثير من الأخوة أيضًا)

لا أحب أن أتحدث حول هذه الأمور ، لأن هذه الأمور وهذه الأحاديث لا أميل إليها . أنا أميل إلى موضوعات وأمور أخرى .

أتحول إلى فرجام قائلاً (منصور بيه ، خمِّن من رأيته عصر اليوم أمام محل حلوى كامران يزدى ببداية شارع طالقانى ؟)

- (الدكتور يزدى) .

(لا ، بل موظفك الأخ فارسى كان خارجًا يحمل تورتة عيد ميلاد تورتة عيد ميلاد تزن أوقيتين تعلوها القشدة والشوكولاته وكان متجها إلى سيارة التويوتا التابعة لمركز التكنولوجيا) .

يحك فرجام رأسه ثانية ولا يقول غير (قلت لنفسى اترك السيارة بالليل له ، فلديه أطفال عديدون)

- (أجرك على الله)

فيقول الدكتور ناصر (أنا أعرفه هو ابن الحاج غلام على فارسى رئيس شئون التجهيز للمقابر . يملكون مصنعاً لصناعة الملابس الصوفية أيضا فى سكة مسجد سليمان . لقرب من كلية الزراعة . سمعت أنه يستقل مع زوجته وأولاده السيار التويوتا بالليل إلى خارج المدينة فى طريق (حلا ثانى) لكى يقضوا الليل بمسكنهم على أطراف شوشتر بجوار الصحراء ، ثم يعودون صباحاً إلى المدينة) .

يضحك فرجام (لا أستطيع قبول أن الأخ فارسى يخاف)

فتسألنى زوجة الدكتور (لماذا لا ترحل يا سيد آريان ؟ هل لا تخاف ؟)

- (مثل الكلب) .

تضحك (بجدّ لماذا لا ترحل ؟ حياتك فى طهران . الناس يرحلون عن المدينة . وأنت وجدت إدريس)

- (لا يزال ورائى تدريس . كما أن الشتاء فى خوزستان دافىء مثل فلوريدا) .

تضحك وتسأل فرجام (ولما أنت هنا باق ياسيادة الدكتور ؟ لا عملك هنا يتقدم ولا يدفعون لك أجراً . كما أنهم سرقوا ونهبوا شقتك فماذا تريد بعد ذلك ؟) .

يهز فرجام رأسه (أحب ألا يكون خط الأخ شلمتشيء بهذا القدر من الجمال) .

لا يفهم أحد قصده بل لا يجرأ أحد أن يحرج نفسه ويستفسر عن قصده من رده هذا .

وتسأل مريم لالة (عزيزتى لالة وأنت ماذا تريدين ؟)

تتأوه لالة (نفس الشيء الذى كنت أريده ليلة أول أمس)

- (كن هذا ليلة أول أمس) أما الآن فإننا نحلم ونتخيل) تأتى من الناحية الأخرى للكرسى الجالسة عليه لالة أصوات هذيان الدعائيين الصداميين وإفناء إيران ومدن إيران . ومن الناحية التى يجلس فيها الدكتور تأتى أخبار تحطيم مدان العراق وتفصيلاتها .

ينظر فرجام إلى لالة (لو سمحت يا لالة هانم ، ربما سمعت حكايات بنت ملك الجن ومصباح علاء الدين . ربما لا يهاجم صدام أى بلد) .

تحرك لالة رأسها (وقوع البلاء ولا انتظاره . ليته يهاجم دفعة واحدة ويريحنا يقولون حين يهاجم ويضرب مرة واحدة ولا يضرب بعدها) .

فيقول الدكتور (لو هاجم صدام الأهواز فسوف يساعده عربها) فتقول مريم (عرب المنطقة لا يقعون فى الخطأ قط . حين كان صدام

يقصف كل القرى والمدن الحدودية الإيرانية حيث يقيم العرب ماذا فعل عرب هذه المناطق ؟) .

فتقول لالة (هذا الانتظار للضرب والموت أسوأ من الموت نفسه)

وتضغط على بطنها .

أنظر إليها . أحاول أن أتصور لو أنها أزالت حجابها فماذا يكون شكلها . إذا خلعت عباءتها الإسلامية القديمة والمبقعة وأخذت حمامًا نظفت به جسدها جيداً وتزينت ولبست قميصًا بلون الليمون يضاهى عينيها الخضراوين وزاد وزنها خمسة كيلو جرامات ، فماذا يكون شكلها . لابد أن ستكون الفتاة التى يراها فرجام فيها ، هى نفس الفتاة التى فقدها من قبل .

ينظر فرجام أيضًا إليها

تقول لالة (أحب أن يأتى مخلوق من كوكب المريخ أو كوكب آخر ويقبض بمخلبة على شعرى ويرتفع بى . أعلم أننى سوف أتألم ، فليكن ، دعه يؤلمنى لكنه يرتفع بى عالياً ويلففنى ثم يلففنى ثم يقذف بى) .

- (إلى أين ؟)

- (خارج هذا الكابوس ، بعيداً عن هذه الحرب ، بعيدًا عن هذا الدمار) .

فتقول مريم (لوحدك ؟)

تنظر إليها لالة كأنها تقول لها لماذا تسألين هذا السؤال ؟ ولا تجيب عليها . تقول مريم (ربما يستخدم مخلبيه) .

فيقول الدكتور (أتى الدكتور فرجام من أمريكا وليس له مخالب، لكن لعله يستطيع أن يكون ابن ملك الجن) .

لا يرفع فرجام رأسه ويظل مطأطئا . صمته غامض . ثم يرفع رأسه وينظر إلى لالة ثم ينظر إلى النافذة المظلمة ثم يعود فينظر إلى لالة .

– (أنا أقوم بأى عمل أستطيعه. فى أى وقت وتحت أى ظرف) لا يزال كلامه يصطبغ بلون الانجليزية الاصطلاحية .

فتصفق فرخندة هانم (جميل جميل ، هذا الخبر والبشرى أمر عظيم) وفى هذا الوقت بالذات ينطفىء النور فجأة ويستغرق الحجرة ظلام تام . ويأتى صوت (آى ى ى ى) و (و آى ى ى ى) أكثر من صدور النساء .

ولا يظل باقياً غير صوت التخريفات الآتية من إذاعة العراق من الراديو ذى البطارية الخاص بلالة فتخفض لالة صوت . ينهض الدكتور وزوجته ومريم تلقائياً ويقومون بجمع الشمع وإشعاله وإشعال المصباح الكيروسينى ويحضر الدكتور أيضا مذياعه الترانزستور لنسمع منه صفارة الإنذار . صفارات الإنذار لا تعمل ولا حتى تذاع من الراديو . يتحدث راديو طهران عن أفلام الـ ٨ و ١٦ ملليمتراً التى سوف تشترك فى مهرجان أفلام (أيام الفجر العشرة – الذكرى السنوية للثورة الإسلامية) .

يخاطب الدكتور فرجام (سيارة الدكتور ، كأنكما وقعتما فى الأسر ولا يمكنكما أنت وجلال الآن أن ترحلا . فلابد أن تتناولا العشاء هنا) .

- (وأنتم أيضا وقعتم فى أسرنا !)

- (إن الحديث معكم جميل ومبعث افتخارنا) .

- (وبما أنكما وقعتما فى أسرنا فلابد أن تعانيا مثلنا) .

- (أنا سعيد بذلك . أردت دائماً أن أكون مأسوراً ، غير أنى أعتقد أن جلال لم يرد أن يكون أسيراً) .

- (حين يرضى واحد بالأسرة لجميع يرضون بالأسر) .

صوت إذاعة العراق مرتفع ويصرخ واحد باللهجة الحادة العربية- الفارسية أنا سوف نسوى بالأرض مدن إيران المشايخ بناء على رغبتهم وندمرها على رءوس سكانها .

فتقول مريم (أواه ، كم هى منحوسة مشئومة أصواتهم) وتقول زوجة الدكتور (آه ، تعبنا ، متنا ! أصواتهم كصوت تهشم السمكة بين مخالب السرطان البحرى) .

فتقول مريم وهى جالسة بجوار الشمع (عندنا سرطان وسرطان)

لا يهاجم العراقيون فى النهاية الأهوار تلك الليلة . لكن انتظار هجومهم وضربهم والاضطراب الناشىء عنه لا يخرج قلب لالة ومريم وفرخنده وأمعاءهن من إذانهن . حتى ننهتى من العشاء ونرحل أنا وفرجام لا يأتى النور وعليه فلا يطرح شىء آخريين فرجام ولالة .

- ٤٢ -

آخر ضيافات الدكتـور في هذا الشتاء المذكور . في الأهواز مساء الأربعاء بعـد ليلة السابع لأم لالة . عند الغـروب يتصل بي الدكـتور تليفونيـا ويقول إن فرخندة دعت لالة ومريم وبما أن الخميس والجـمعة هما آخر يومين لفرشاد قبل ترحيله للجبـهة فهي تود أن تتجمع جميعًا بالطريقة القديمة ونحقق قول حافظ (أيهـا الأعزاء اعرفوا قدر بعضكم البعض) . ثم يسألني (لمـاذا لا يرد تليفون فرجام ؟) .

– (أنا بنفـسي كنت أتـساءل نـفس التـساؤل . لم يذهب من الأمس حتى الآن إلى الإدارة . وتليفون شـقته لا يرد . لا أعرف هل فصل سلكه أم وضع السماعة على الأرض. وربما هو لا يريد أن يرد) .

– (هل يمكنك البحث عنه وإحضاره ؟) .

– (سأحاول . ليلة أول أمس في الغروب لما ذهب إلى المقابر ، طاف فيها وقرأ الفاتحة وكان أكثر حزناً من الجميع) .

– (ماذا جرى له ؟)

– (لا أعلم . كان مغموماً . . كان منقبضاً)

– (هل بكى ؟)

– (حين يخطو إلى المقابر يغلبه البقاء . قلبه رقيق)

يتأوه الدكتور (أنه يعاني حالة يسـميها الفرنسيون Obssession avec la morte أي « الانشغال الذهني بالموت » . . أعتقد أن لديه حالة من هذا المرض . لسبب أو لأسباب أنت نفسك تعرفها) .

- (الآن نصف الشعب أو أكثر يعانى حالة حادة من الانشغال الذهنى بالموت) .

- (نعم ، لكن الحالة الكثيرة الحدة منها يمكن أن تؤثر على المريض تأثيراً خطيراً . ابحث عنه وهاته) .

- (ماشى)

- (هل هو حزين بسبب شىء خاص ؟)

- (أحوال المركز ميتة . البرنامج والنظام الذى طلبه لم يتحقق . ومنذ أيام قليلة سابقة سرقوا جهازى فيديو من المركز .

- (سرقوا الفيديو ؟ عند من كان ؟)

- (عند موظفيه ، داخل المخزن ، كان مقفولاً ، يقولون سرقهما اللصوص)

- (جميل جداً)

- (لديهم حارس وحراسة . كما أنه حين لا يعمل يصاب بالانكسار واليأس وأشياء أخرى يضمرها فى قلبه) .

- (أحضره)

أجد فرجام فى شقته عنبر ١٣ ب بابه مفتوح . يرتدى ثيابه وحذاءه لكنه غير حليق الذقن تمدد على السرير مواجهها الحائط . عيناه حمراوان وأظن أنه لابد أن ابتلع ربع أو نصف قرص اسبيدبول . ليس من خبر لموسيقى موزار أو بتهوفن الكلاسية . الصوت الذى يأتى فقط يأتى من مكبر صوت المسجد الذى يذيع أذان المغرب .

- (السلام عليكم)

- (سلام) صوته منكسر ومنهك ، ويشخر من داخل حلقه

- (آمل ألا أكون أزعجبك)

- (لا) ادخل ، كيف حال مريم والبقية ؟)

- (مريم والبقية بخير)

على جدار الغرفة الخالى وفوق المائدة التى كانت تحمل قبل السرقة جهاز تليفزيون وكمبيوتر وزهرية ألصقت الآن صورة كبيرة للشهداء الشباب المتطوعين من شركة صناعة النفط . من نوع صور (دعايات الحرب المفروضة) المعلقة على جدران المبانى وسائر أعمدتها . وهذه الصورة هى الوحيدة التى تملأ الفضاء المخيف للحجرة .

أقول (الدكتور وجه لنا الدعوة وأمر أن نأتى ونتجمع (ويا أيها الأعزاء اعرفوا قدر بعضكم البعض) .

- (الليلة ؟)

- (نعم ، على حدود علمى مريم ولالة هناك الآن)

يرفع كتفيه وينهض ويجلس .

الصورة الكبيرة معلقة على الحائط خلفه . صورة مظلمة كالسياج للشهداء فى مربعات سوداء وبشقائق حمراء غامقة ، واسم كل منهم وتاريخ استشهاده ومحل الاستشهاد ، وجملة لابد أنها مأخوذة من الوصايا . حسين أحمد زاده : خرم شهر ، ١٩٨٢/٦/٢١ ، (سوف نصفع أمريكا) . مسعود اليجودرزى : جزيرة مسينو ، ١٩٨١/١٠/١٠ ، (لسنا كأهل الكوفة حيث بقى الإمام وحده) .

فريدون مهدى زاده : عبد الخان ، ١٩٨١/٤/٢٢ ، (يوم استشهادى هو يوم زفافى) . مهدى حيدرى زاده : شادجان ، ١٩٨٢/٥/٢١ ، (ادعوا للإمام) . هو شيخ بوشهرى : بستان ، ١٩٨٢/١٠/٢٢ ، (قادمون إلى كربلاء) . جواد ملايرى : خسرو آباد ، ١٩٨١/١١/٢٥ (انضموا إلى الانتساب إلى الحسين). حسين أهوازى : عبدان ، ١٩٨١/٩/٢٣ (املأوا المساجد فهى تحصينات) . (نحن فداء الطريق الحسينى) . أحمد غلامى : شوش ، ١٩٨٢/١٢/٣٠ (لا تبكى يا أمى بسببى ، كونى مثل زينب إذا بكيت) .

فأقول (إدريس وفرشاد هما مقاتلان أيضا . وفرشاد تقرر أن يتحرك صباح السبب إلى الجبهة نحو فتح كربلاء) .

- (أعرف هذا) .

- (إذن قم فاحلق ذقنك لترى كيف ستبدو ، هل سرقوا ماكينة حلاقتك ؟) يتحسس وجهة بيده (نعم) .

- (ألم يظهر خبر عن جهازى الفيديو اللذين سرقا)

- (لم يظهر)

- (يمكن أن نذهب لفترة قصيرة عند الجمع ونرى كيف حالهم)

يرفع كتفية ومع أنه فيما يبدو لا يفكر ولا يشعر إلا أنه فى النهاية يخرج معى ندخل فى نحو الثامنة حجرة صالون الدكتور . لا يزال مدهوشاً مبهوتا إلا أن نظرة واحدة إلى لالة وفرشاد وإدريس تهزه قليلا . لالة بوجه حزين ونحيف وعينين غائرتين وملفوفة فى عباءتها

الإسلامية السوداء وحجابها وحذاؤها وجوربها سود أشبه بهيكل عظمي لا مرأة منها بفتاة في التاسعة عشر في بداية عمر الشباب . وبجانب لالة فرشاد بشعره المحلوق وجمجمة طويلة ووجه بارز العظام ولا يقل عنهما شيئاً . وادريس بساق معلقة ورجل سروال خاوٍ وكم قميص خال وبوجه مصاب مجروح في جانبه هو أكثر نضارة منهما ولا تزال ضحكته الجانبية معلقة بأحد جانبي وجهه . جماعة ليست مشرقة . يتقدم منصور نحو لالة ويسلّم عليها ويصافح فرشاد ويصافح إدريس أيضا ويجلس بجانبهم .

يسأل فرشاد (كيف الحال على الجبهة ؟) يرتعش صوته

- (فاتر) ويطأطيء رأسه

- (سمعت أنه من المقرر أن تشمروا عن سواعدكم للحرب من السبت)

- (وكيف يمكننا أن نصنع ؟) صوته رقيق لكنه يائس جدا فيقول إدريس (كله بيده الله)

يخاطب فرشاد فرجام (أنا لا أريد إلا أن أعيش . هل هذا مطلب عسير ؟)

- (لا)

- (حياتنا مثل حيوانات زحفت إلى ركن وتجمعت به ومصيرنا بيد أشخاص في مكان ما تملكوا الأمر هناك وبالضغط على زر التحكم يطلقون الصواريخ علينا . حالياً الحادثة والقرعة هما لمن وعلى رأس من سوف يقعان . هذا ليس من عمل الله) يقول الدكتور وهو يحمل

صينية المشروبات (هلموا الليلة نجتمع حول أنفسنا بسعادة أيها الأصدقاء على أمل أيام أفضل. القرعة والقدر هما للجميع مثل بقيتنا والحوادث تحدث أيضاً لأولئك . أليس كذلك يا دكتور ؟)

– (بلى ، الحوادث تقع للجميع هنا وهناك)

فيقول الدكتور : يقول مولانا الرومى :

حوادث الدنيا لابد من وقوعها

وفى النهاية هذا السلم لابد من وقوعه

وأبله ذاك الذى جلس بأعلى السلم

لأن عظامه سوف تتحطم بصورة أشدّ وأحدّ

تعالوا الليلة نخضع ونعشق)

– (ونعربد فى السكر)

ينظر فرجام أولاً إلى لالة ، ثم إلى فرشاد . لالة تنظر إلى الأرض فى أغلب الوقت وتنظر فى كل وقت إلى فرشاد وتعض شفتيها . يمكننى أن أتخيل منظرها وهى تنثر التراب على رأسها قبضة بعد قبضة وهى تعيش كابوسًا مهولاً . ويسأل فرجام على حين بغته (ألا تريدين أن ترحلى إلى الخارج ؟) سؤاله هذا كسؤالهم لطفل قيدوا يديه وقدميه فسقط ، سألوه : هل تريد ليوم العيد حذاءً عنابيا أو آخر فى لون القرطم ؟ ترفع رأسها إلى منصور فرجام قائلة (نحن هنا محكوم علينا الفناء يا سيدى الدكتور ، لن يبقى واحد منا حيًّا).

فيقول إدريس (شهيد هذه الدنيا يذهب إلى الجنة)

فترمقه لالة بنظرة تفيض غيظاً .

فيقول فرجام (هذا كلام عظيم)

ويقول الدكتور (يا هو . . العشق) ويعطى لكل منا كأس خمره . أحْسى كأس وكأس فرجام ، واعتقد أن كأس فرشاد أحْسِي أيضاً لأنه يحتاَج إليه بالضرورة .

ويقول فرشاد (هذا شعار أنسب للاستشهاد يا أخ أدريس) فيقول الدكتور (كل شعار أو كل كلمة صدقا أو كذبا لو تكررا بقدر كاف ثم تكررا يتبدل كل منهما إلى حقيقة مؤقتة بعد فترة . ثم ننظر يوما فنرى الحقائق المؤقتة قد حلت محل الحياة الواقعية . وترفع رأسك وترى أنك تتنفس أوكسجين الموت بدلاً من أوكسجين الحياة) .

تعود مزيم وبيدها سيجارة جديدة من المطبخ (أواه . . نحوا جانبا هذا الكلام المتصل فى الموت بحق القرآن) .

فيقول فرشاد (ليس للموت مكان نضعه فيه إلا فوق رأسى أنا التعيس !)

- (أى والله)

فيقول فرجام (عدد أنفاس كل إنسان رُبط مثل الجراية وكل نفس نتنفسه يقربنا أكثر إلى الموت ، وما عدا هذا الكلام لغو) .

فيدير الجميع رءوسهم وينظرون إليه ، إن كلامه هذا جديد وهو القليل الكلام دائماً .

فينظر الدكتور إلى ، أرفع كأس (أنا معقود اللسان)

فيقول الدكتور (الليلة نحن نتنفس العشق والتوحد يا عزيزى الدكتور . الحياة هبة من الله . هل تقبل هذا ؟)

- (نعم) لا يجب أن يبدو غير منصف .

- (علينا أن نسعى فى بقائنا وفى استمرارنا الطبيعى . وماهية أعمالنا نحن الأطباء هى هذا . النظام الذى يفضل الموت على الحياة فى مجتمعه فأداؤه يتصف بالنقص الفنى فى ناحية ما . ولابد من إزالته) .

فيقول فرجام (حينا لا يزكى الموت المسحوب أو الموت المقنّن نظام الحياة المقبلة فقط بل ويجعلها ممكنة . مثل نزف الدماء . الطاعنون يموتون حتى ينفتح المجال للجيل الجديد)

فتقول مريم (وحين يموت خيرة الشباب بلا اختيار ياسيادة الدكتور فماذا يعنى هذا ؟)

رأسها منخفضة ، وضعت ساقاً على ساق وتدخن . أنظر إلى تأرجح رجلى سروالها الأسود المختفى .

فيقول فرجام (نعم) ورأسه منخفضة أيضا (حينا يقتل كثير من الأخيار وكثير من الشباب ، بلا سبب ، وهذا ظلم) ويرتعش صوته الآن .

- (وكيف يمكن تبرير هذا ؟)

- (هذا هو الجانب التراجيدى والمثير للحزن فى الحياة) ويرتشف من خمرة وشراب الأناناس .

فيقول الدكتور لتغيير الموضوع (احك لنا يا فرشاد عن أماكن الجبهة المثيرة إلى أى مدى أظهرتم جهادكم ؟)

فيسأل فرجام فرشاد الجالس بجانبه (هل ذهبتم نعلاً إلى الجبهة ؟)

- (عشرة كيلو مترات خارج الأهواز وحيثما ذهبت جنوباً وغرباً فأنت في الجبهة عملاً) .

- (إلى أي حد نقلوكم ؟ وإلى أي مدى جاهدتم ؟) لا يبتسم.

- (نقلونا يوم الاثنين إلى مكان اسـمه « الجـفيـر » . كنت في حالة طوارىء لمدة أربع وعشـرين ساعة . تركونا حـتى قالوا تقرر أن جناب القائد سيأتي ويوزعنا) كان فرجام ينصت باهتمام .

- (كان معكم أسلحة ؟)

- (رشاشات آربي جي وقنابل)

- (هل كنتم جميعاً من سرية واحدة ؟)

- (لا ، كنا من وحدات مختلفة في القاعدة . وكان بعضنا من الجيش . كنا خليطاً)

- (هل الجميع يعرف بعضهم بعضا مثل المدرسة وغيرها ؟)

- (لا يابابا .. كان عددنا عظيماً وضخماً إلى حد أن كل واحد منا في حالة).

(حسناً)

(أول ما ضرب العراقـيون بالأسلحة الكيميائيـة أصيب عدد منا أنظر فأرى الدمـوع تنحدر من عيني لالة الغـائرتين . ويرى هذا أيضا فرجام . ويسأل فرشاد : (فماذا فعلوا بكم ؟)

- (أنا بسبب أنني مؤهلات أرسلوني بنقالة ضـخمة رجعت بها إلى الأهواز ناقلاً الجرحى وتسلمت المؤن وحملتها)

- (ماذا كنت تحمل ؟)

- (الفسدق والكمبوت المهدى من « الأمة المتجة للشهداء خلف الجبهات » .

- (وهل الناقلة ما زالت فى عهدتك ؟)

- (نعم . المفروض أن نعود بها صباح السبت) .

أنا فى حيرة لماذا يسأله كل هذه الأسئلة ؟

فيقول فرشاد (يمكننى أن أستقلها يوم السبت وأهرب بها إلى تشالوس !)

فيبتسم فرجام (وماذا فعلتم أيضا ؟)

- (الأولاد يعملون ، يتدربون ، يصلُّون ، يعدون التحصينات والمتاريس ، ويلتهمون ما يقتلهم من طعام ، يمزحون ، يعطيهم القائد أقواساً فيطلقون سهامها ، بعضهم يخافون . الجبهة شيء مختلف .

الآربى جى والقنابل

كل الكمبوت فى الظل

الموت لصدام ! »

- (أكان هذا قبل الهجوم الكيماوى أم بعده ؟)

- (قبله . الأولاد المصابون بالأسلحة الكيماوية إصابات بليغة أرسلوهم فوراً بسيارات الجيب والإسعاف . كان صديقى أحمدى فى المقدمة فأصيب بإصابات خطيرة) .

- (ثم ماذا فعلتم بعد ذلك)

- (أنا على الفــور تظاهرت بالمرض النفـسى وآلام فى الأذنين والمخ المهم حصلت على تصريح وركـبت الناقلة وأعطونى راحة حتى السبت)

- (إذن لابد أن تعود السبب ؟) يتأوه فرشاد وينظر إلى لالة :

(لا أعلَم ، كـأن الناقلة سوف تنقلنا هذه المرة إلى دارخـوين ثم إلى الأمام) .

- (ومعكم ناقلة التموين ؟)

- (نعم ، لا يزال مفتاحها فى جيبى)

- (ألا تخاف ؟)

- (لا . . فقط عظامى ترتعش)

أثناء تناول العشـاء وبعده نتحدث ونتجـاذب أطراف الحديث فى تلك الليلة . عن الحـرب وذبح الأطفـال الأبرياء فى المدن ، وجـواز السفر ، والتأشـيرة وعن التوجه إلى تركيا التى لا يتطلب السـفر إليها تأشـيرة . . وهذه أول بلد تتـوجه إليـهـا مريم وآزر لكى يرتبـا هناك التقديم للحصول على تأشيرات أخرى . عن فرار الناس من مدنهم . وإذا حدث صمـت مرة تلى ربع ساعة وترتفع أصـوات المدافع المضادة للطيـارات ولا يقع هجـوم ثم نشـاهد الأخبـار العـادية للحـرب من التليفـزيون لكنى لا أشعر أن أحداثاً جـديدة على وشك التكـــوين . أو على الأقل لا أشعر بها فى هذه الساعة .

فرجام وفرشـاد ولالة متجاورون ويتبادلون الحـديث بصورة دائمة خاصة فرشاد وفرجام .

تلك الليلة بآخرها ينهض فرشاد وفرجام ، كأن فرجام سيصحبه . أطلب أن أوصلهما إلى نيو سايت فيشكرني قائلاً أنه يجب أن يتمشى . وحين نتصافح يقبل وجهي . ليس عصبياً لكنه صامت . لا يقول شيئاً إلا (في حفظ الله) .

لكن مريم مقبوضة تشعل سيجارة بعد سيجارة وليست متحمسة للعودة إلى منزلها . ولست أنا متحمساً أيضاً . وعليه فأجلس بجانبها وأشعل سيجارة وأسأل عن حالها . لم يبق غير أسبوع تقريباً على رحليها. تقول إنها باعت سيارتها وجمعت ثم نقلت كل أمتعتها . هناك أشياء تزعجها ولكنها لا تريد الإفصاح عنها وتجعلني غير مستريح . وحين يذهب الدكتور إلى حجرته للرد على التليفون وتأتي فرخندة باللبن المخلوط به الكاكاو وتجلس نعيد الكلام فترة إلا أن مريم لا تتحدث عن المكالمات التليفونية المزعجة والمهددة من أبي غالب وإنما تقول وسط كلامها بالكناية أنها تدعو الله الآن بأن تتم هذه التجربة بأسرع ما تكون .

- ٤٣ -

في الفجر يجعلني انفجار عظيم أهب من رقودى ، كأنه بالقرب من الفندق أو هو أصلاً داخل الفندق . المبنى جميعه والزجاج يهتز . أنبعث مخليا السرير وألبس نظارتى وأنظر من النافذة . من بين السيارات التى كانت واقفة أمام الفندق من ناحية الحارة فى ذاك الاتجاه ترتفع نيران ضخمة وفى الواقع من المكان الذى تقف فيه سيارتى أو يبدو لى أن النار كأنها تمتد من سيارتى المنحوسة .

ارتدى سروالى وحذائى على عجل وأعدو نحو السلالم . خرجت شرذمة من النزلاء الآخرين من حجراتهم فى صخب وفزع أو أسرعوا إلى الخارج . لا أنتظر المصعد وأصل فى حوالى بضع ثوان إلى الصالة السفلى ثم إلى الخارج . يعدو هنا وهناك بعض من الخدم والبوابين بعد أن هبوا مستيقظين من نومهم (كانت قنبلة !) .. (كان صاروخاً !) .. (قصف داخل الحارة) .. (واحد يتصل بالإطفاء !) .. (اتصلنا ..) .

نقطة الانفجار والنار بجانب سيارتى . السيارة بجوارى تحطمت قطعاً قطعاً ولا تزال النار والدخان يتصاعدان من أجزائها . ولمجرد الاطمئنان أفحص لافتة سيارتى وداخلها حتى لا أكون أخطأت . أتذكر أننى حين عدت البارحة بآخر الليل ركنت سيارتى بجوار سيارة بيوك البنية اللون أخرى تشبه سيارتى . يمكن أن تكون السيارة المحترقة سيارتى ! فى الواقع حين أتقدم أكثر أجد الزجاج المتناثر على ذاك الطرف من سيارتى وسائر الناحية المواجهة لمكان السائق قد تصاعد منه

الدخان الأسـود . . الذى يتزايد لحظة بعـد لحظة . وتستـمر النار فى التقـدم لا من أثر لسيـارات الإطفاء . لم يبق شيء وتنفـجر سـيارتى بدورها . لا أجرؤ على أن أدير مفـتاحها وأشغـلها . أريد العودة إلى الفندق وأخرج إحدى أنابيب إطفاء النار اليدوية حين أرى أحد العمال الذى انتبه للفكرة ويأتى حامـلاً واحدة من هذه الأنابيب . آخذها منه وأجذب بسرعة مفـتاح أمانها وسلكهما وأنشر الرغوة البـيضاء بسرعة فوق مركز النار . . أتذكر فى لحظة واحدة أننى كأنى فى الأيام الأولى للحرب فى عبدان . ويأتى أحد جنود الشرطة من أول الشارع وأنبوبة أخرى ونسيطر تقريباً على النار حين تصل سيارات الإطفاء وهى تطلق صفـاراتها . وسرعـان ما تصل سيـارتا شرطة وسيـارتا دورية وتنقل المعلومـات عن الحـالة بأجـهزتهـا اللاسلكـية . وتصل سـيـارات من الإسعاف والطوارىء أيضًا . حتى أن سيارة من المحافظة وسيارة جيب عسكرية تصل كـذلك وسرعان ما تدفق مـا يقرب من عشريـن سيارة وحضر مئات من عمال وحدات الإنقاذ المستعدة والنشطة . وأقف فى حيرة . ويحققون فى طريق الأنفجـار وسببه تدريجاً . لم يقع هجوم جوى . وحتماً لم يكن صاروخ أرض أرض كذلك . تدمير الصاروخ والقنبلة الملقاة من الجو أو الصاروخ المطلق من الأرض يفوق ما حدث من تدميـر بمراحل . لم يتحطم غـير سيـارة ولم يصب غير سـيارتين أخـريين وتحطمت ألواح من الزجـاج . كـانت مؤامـرة من المنافـقين وضعوا قنبلة تحت السيارة أو بداخلها ! الحرس والشرطة يبعدون الناس عن مكان التفـجير . بعضهم يـسألوننا لأننا أول من وصلنا إلى مكان الانفـجار . أقـدم لهم نفس وأبلغهـم أننى صاحب السـيارة المصـابة المجاورة للسيـارة المحطمة . ويظهر أيضًا على عجل التـعيس صاحب

السيارة المحطمة . سيارة بيوك لبنية رقمها يتبع طهران أو كان تابعًا لها وهو وسائقها فى خدمة مجموعة كورية تقيم حاليًا فى الفندق ، وسرعان ما تبدو أشلاء السيارة المحطمة وبجوارها سيارتى المصابة جرحًا غائراً داخل العين يشين منظر شارع الشهيد عابدى .

البوابة الكبيرة لمنزل أبى غالب الذى يبعد نحو أربعين قدمًا مفتوحة . يخرج طفل ممزق الملابس ثم شابان فى نحو العشرين ثم الجسم الضخم لأبى غالب نفسه مرتديا بنطلون بيجامة وسترة شبه عسكرية وطاقية سوداء ثم شابان ملتحيان آخران . لكنه لا يتقدم .

أنظر إلى ابن الحرام هذا . أول مرة أراه فيها عن قرب . وجهة مسحوب برأس ضخم وجبهة عالية ولحية وشارب بيضاوين تقريباً لكن حاجبيه سوداوان . عيناه يشع منهما الريبة والعبوس والحقد وجسمه هامد الحركة كأنه مشلول لكن صوته حاد ومرتفع . يتحدث أولاً مع أحد أفراد الشرطة ثم مع واحد من إخوة الدورية الحاملى مسدسات صوته الحاد يحطم كل شىء . يشير أولاد أبى غالب إلى السيارات ويتحدثون أو يجيبون بدأوا المظاهرات حين أعود إلى الفندق .

أفكر فى مريم وبنتها . انفجار بهذه الفظاعة لابد أنه أيقظهما أيضا وهما يعيشان فى شارع أبعد قليلا . آخذ من داخل الفندق ويكل المشقة . خطاً خالياً من عامل السويتش وأدق جرس تليفون الدكتور ناصر لأن تليفون مريم لا يجيب الآن فى الأغلب بسبب خوفها . الدكتور مستيقظ ويرد على بسرعة . أبلغه موضوع الانفجار فيحمد الله أنه لم يحدث شىء خطير . يقول أن الجميع مستيقظون وتجمعوا بالأسفل وتريد فرخنده أن تقود الجميع إلى داخل النفق للتحصن به . خشيت أن يكون هجوماً جوياً .

- (هل أرسلت عبدى إلى مريم ليبلغها أن المسألة ليست خطيرة ؟)

- (مريم نفسها الآن خلف النافذة تتحدث مع فرخندة)

- (حسناً)

- (قالوا أن من وضع القنبلة عناصر داخلية ؟)

- (يبدو أنهم وضعوها داخل إحدى السيارات أو بأسفلها بجانب سيارتى أن المبتلى !)

- (هل أصيبت سيارتك ؟)

- (نعم ، ولكن ليس بهذا الحد الخطير)

- (وأى سيارة هذه التى تحطمت ؟)

- (بيوك إيرانية لبنية)

- (جميل جداً ، حين تفهم مريم هذا فسوف تفزع) . وحين لا أفهم يقول (الموضوع لا يلزمه رمل وأسطرلاب ومخابرات انجليزية ، افهم يا جلال بيه)

- (لازلت غير فاهم)

- (اسمع ، وضعوا هذه القنبلة تحت سيارة تشبه سيارتك . سيادتك كنت الهدف ، وحظك من السماء حين وضعوها تحت سيارة مشابهة)

- (مصيبة ، كيف هذا ؟)

- (أنا نفسى غير مطمئن)

- (إذن فلا تقل شيئا لمريم ، قل وحسب كان تفجير قنبلة من
خل)

- (أعتقد أن من خطط وضع القنبلة عند سيارتك يمكنه أن يضع
ء الغد قنبلة فى مكان آخر)

- (الأفضل أن نسفّر مريم وبنتها إلى طهران ونطوى الموضوع
بى سرعة)

- (هذا تفكير إيجابى . كان من المقرر أن يسافرن الأسبوع
دم . سفّرهما اليوم أو غدا)

- (سنرى ماذا يمكن فعله ؟ عزيز لديه سيارة ويعمل فى شركة
رات . أقول له أن يستعد ، سوف أكلمه اليوم)

- (أستأذنك لأقول للجماعة أن تصعد)

- (قل لم يكن شيئا ، وسوف أتصل بك)!

أقطع المكالمة وبما أن الخط لا يزال معى أتصل بفرجام . يجيب
أول جرس كأن يده نائمة على السماعة وتصورت هذا وارد مع
ع حجرته الصغيرة ووجود التليفون بجوار سريره .

- (سلام يا منصور بيه آمل ألا أكون أقلقت نومك) .

- (سلام هل حدث شىء ؟)

صوته كأنسان لا يزال نائماً أو لم ينم ليلة بأكملها ومصاب
هول أقص عليه بإيجاز ما حدث . وأقول : (ربما نقرر أن نسفر
ماعة فى أقرب وقت أى نعجل بإرسالهم بالغد أو ربما قبل ذلك إلى
ران . هل أنت مستيقظ ؟

- (أكمل كلامك)

- (وإذا قـررت أنت الآن أن تذهب إلى طهـران فـالأفـضل أن توافقهم وتصحبهم وترعاهم) .

فيقول (أنظر ، بعد نصف ساعة سأتصل بك)

- (إذن إما أن تـتصل بى هنا فـإذا لم تتمكن سـأتصل بك فى المركز) .

- (ماشى)

- (وعلى حـد قول الدكـتور فكر تفكيـراً إيجابيـاً . . اقتـربت النهاية)

- (أواه ياجلال ، مع السلامة)

أترك السماعة وأخرج حتى أصل حطام السيارة المنفجرة والسيارة التى يتصاعـد منها الدخان والزجاج المكسور الخـاص بسيارتى . منظر وأى منظر ! ضابط شاب من الشرطة وواحـد من الأخوة يستجوباننى الآن . وتمضى نصف سـاعة أولـها توجس ثم أسـئلة بشكل رسـمى وفحص أوراق السـيارة ثم بطاقتى الشـخصية ، وكـارنيه التقـاعد من الشركة الوطنية الإيرانية للنفط . وعقد التدريس لدورة اللغة فى الكلية بالأهواز ، الوثائق الأخرى التى تثـبت شخصيتى وكل شىء تفـحصه لجنة التحقيق. لا ، لا يبـدو بشعرى الأبيض أنا أكون واضع القنبلة . ثم تعـود الأوراق فـجـأة . يقـتـرح الأخـوة أن ينقلوا هم السـيـارة ويصلحـوها ويسلمـوها إلى صالحة وسليـمـة خـلال ثـلاثة أيام. لا يصح أنه تبقـى سيارة بهـذه الحالة فى الشارع وعلـى الملأ العام .

الشيء الوحيد الذى يتوجب على فعله أن أسلم (السيارة المصابة) إلى لجنة الإنقاذ بأول الشارع ثم أتسلمها بعد منهم . (السيارة المصابة) سوف تتكلف ما يقرب من ثلاثين ألف تومان قطعًا لو استطعت أن أجد الآن زجاجها فى السوق . وتحرك مجموعة أخرى من الضباط والأخوة حطام السيارة المتحطمة باللودر .

أقدم لهم مفتاح السيارة ، وبعد فحص صندوقها الخلفى وإخلاء الصندوق الأمامى أسفل زجاجها الأمامى ، وإثبات كل شيء فى المحضر الرسمى يعطوننى إيصال تسلم لها . نحو السابعة يأتى أحد الأخوة ويدير السيارة وينقلها وهذا أيضاً منظر آخر . أتنفس بعمق لانتهاء هذه المشكلة .

أصل إلى شركة السيارات التى يعمل بها عزيز ، فأجده لم يأت بعد . أترك له رسالة مفادها بأن يتصل بى على جناح السرعة إما فى الفندق أو بالكلية . وتصلنى سيارة الكلية فى نحو الثامنة إلا الربع ولا أستطيع أن أتصل بفرجام بالتليفون ولا أعرف خبراً عن عزيز .

حين أتحرك من الفندق إلى كوت عبد الله بالسيارة « نيسان استيشن » وعليها شعار الكلية وشعار الجمهورية الإسلامية كان عمال الفندق ويعاونهم كناسو المحافظة قد نظفوا الأرض التى وقعت فيها الحادثة والباب والجدار المقابل لها كأنه لم يقع أى حادث قط . إلا الأرض مكان الحادثة فيها حفرة سوداء بقدر قبر طفل صغير ،وهذا هو نفس الشيء الذى أحتفظ به وسط أمعائى .

- ٤٤ -

أعجز عن الاتصال بفرجام فى سـائر ساعات الصباح حتى أوائل ما بعد الظهر ، أتصل بالمركز ولا حياة لمن تنادى . تتصل مريم بى فى الكلية وتستفـسر عن أحوالى وتبشرنى بأن لالة جهان شاهـى مستعدة أيضا أن ترافقـهم فى السفر إلى طهران . يا إلهـى ! أعجب أنا أيضا وأشعر بالسـعادة وفى نفس الوقت أعود إلى التفكيـر فى فرجام . إن خبر استعداد لالة للذهاب إلى طهـران واحتمال سفـرها إلى الخارج يمكن أن يشكل صنع المصير بالنسبة لفرجام . أفكر فى هل سمع بهذا الخبر هو أيضاً أم لم يسمعه . أعيد الاتصال بالمركز . لا يرد تليفونهم . كم سيكون جـميلاً أن يصـحب مريم آزر . يلزم أن يصحـبهم رجل . وبين دروسى الصامتة الساكنة فى الكلية أتصل بتليفون المركز فى الظهر ولا يرد على أحد . مرة يرد على رحمانى المسئول عن الكانتين . أخو عامل التليـفون وموظف الحراسة عـندهم استشهدا فى دزفـول بسبب قصف صاروخ وذهب إلى دزفول . أود أن أرى فرجام وأبلغه بلسانى أنا بالذات أن الأولاد سـوف يتـحركـون فى وقت أبكر وبدون مـراع ويمكنه أن يصحـبهم بعد التـدريس أستقل سـيارة من سيـارات الكلية وأصل عنبره . باب حجـرته مقفول وليس فيهـا أحد . أرى الدكتور بختى منشغلا بتشوين حقيبة ثيابه وأمتعته داخل صندوق قديم . أسأله عن فرجام . لم يره هو أيضا من الصباح حتى ذاك الوقت .

- (ألم يأت إلى غرفته البارحة ؟)

- (بلى ، سمعته آتياً البارحة . كان معه واحد .. ألم تكن أنت معه ؟ ظل مصباح غرفته مضاءً حتى الصباح)

أهز رأسى (محتمل أنه كان أحد أصدقائنا المشتركين - فرشاد . البارحة خرجا معاً من ضيافة الدكتور ناصر)

- (سمعت أنه يريد الرحيل)

- (من الذى يريد الرحيل ؟)

- (الدكتور)

- (هل قال هذا هو نفسه ؟)

- (لا .. أمه اتصلت من نصف ساعة لتطمئن عليه . ولم يكن موجوداً . فاتصلت بى . كأنه قال هذا الخبر لأمه البارحة) .

- (قالت تريد الرحيل والاستقالة من المركز ؟)

- (قالت ممكن أن يذهب إلى طهران ، ثم إلى أمريكا بعد ذلك . هذا ما سمعته أمه منه . لكن لم تكن واثقة من كلامه . لم تكن تعرف متى سيرحل وكيف ولأجل هذا السبب كانت أمه تحاول الاتصال به) .

كل هذه الأخبار تعد جديدة على ، أشعر بسعادة لسماعها . أودع الدكتور بختى الذى كان غارقاً على التوجه إلى شيراز وأتوجه إلى مركز تعليم الكمبيوتر كان منصور قد قال أنه سوف يعود . لابد أن أراه قبل نهاية عمله الإدارى وأتحدث معه شخصياً . الآن آخر ساعات العمل الرسمى . اليوم هو الخميس وقت تصعيد الحرب .

وبأعلى شارع (زيتـون كارمندى) يقع الميدان الرحب المتسع للأسود الخمسة يبدو الميدان خالياً مهجـوراً تقريباً . والتماثيل الخمسة الحجرية السوداء المحزنة للأسود الجالسة وسط الميدان تظهرها ملوكاً على الموقد الأسود لا ملوكاً على الحـيوانات . البوابة الكبيرة لمبنى مـركز التعليم التكنولوجى للكمبيوتر مغلق وليس فى حجرة الأمن غير عربى نعسان وبجوارة هراوة .

سيارتى عليها شعار شـركة النفط والكلية . فيسمح لى بالدخول لكنه يقول لا يوجد أحد ، أعلم ، أنتظر حتى يأتى الدكتور فرجام .

فى الدور الأول لا يوجد غيـر (دهلرانى) يجلس ساكتاً صـامتاً على مكتـبه . وراءه ملـصق عليه إعــلان بضـرورة مراعـاة الحجـاب الإسلامى ورسـم امرأة تلبس العـباءة والسـروال والحجاب وكـلمات جمـيلة الخط كتـبها الأخ شلمـتشى هى (أخـتى ، إذا كان السـفور حضارة فالحيوانات أكثر منا حضارة . معلّم) . إناء صغير من الطعام وبعض الخبز أيضاً بجواره . جلس صامـتا وكعهده عبوس لكنه راض ومشغول بإنخال بعض الأقلام والأدوات الكتـابية داخل مكتب صغير . فرجـام يحبه لأنه يماثله ويماثل شلمـتشى فى البسـاطة والعمل . ليس يماثل الأخ فارسى فى خداعه وتآمره وارتشائه ومداهنته . تزوج حديثاً ولديه سيارة نقل (يامـاها) . استشهد أحد إخوتـه فى خرم شهر . ابن عم له رئيس قسم حكومى فى طهران . أبوه كان له خارج الخويزة حظيرة أبـقار وكان دهلرانى فى أول سـنوات عمره يسـاعد عـمه فى توزيع الفضلات الجافة الناشئة عن تربيـة البقر والجاموس ويلبى حاجة عدة مخابز تتبع جنوب عيلام وشمال خورستان إلى الوقود . هو قانع بعمله الحالى فى المركز لأنه أفضل من توزيع فـضلات البقر الجافة فى الخويزة . يؤكد هو بدوره أن الدكتور فرجام لم يعد حتى الآن .

ثم يسألنى بقلق (سيارة المهندس هل يريد السيد الدكتور أن يغادر هذا المركز ؟)

- (ليس لدى معرفة أكيدة . هل قال شيئاً لأحد ؟)

- (والله ماذا أقول . لكن الحاج أغا نفسه أتى هنا . وانتظره فترة وكان قلقاً جداً)

- (الحاج أغا لواسانى ؟)

- (نعم ، أتى وصعد وجلس فترة . ذهبت فرأيته واضعًا رأسه بين يديه . كان منزعجاً . اتصل مرات بالتليفون هنا وهناك . طلب منى أن أتصل بإدارة الاستخدامات والتوظيف لأرى لماذا لم يصدر قرار توظيف السيد الدكتور . لم يكونوا موجودين) .

- (أنا صاعد فوق ، أنتظره) ثم أسأله (هل استقال واحد آخر وترك المركز ؟)

- (نعم، الأخ شلمتشئ طلب أجازة شهر وذهب إلى الجبهة) .

(جميل جداً) أريد أن أسأله عن جهازى الفيديو لكننى أقول لنفسى وأى رجل هنا منضبط ؟

وأمام بداية السلم صالة كبرى لتركيب أجهزة الفيديو بابها مفتوح ولا تزال خاوية توجد ملصقة كبيرة جداً تقريباً عشرة فى عشرين متراً عليها كلمة (يا مهدى) بشريطين سوداوين جميلين كتبت باللون الأخضر الفاتح والأحمر القانى وتوزع عليها نجوم مختلفة هنا وهناك . تبدو أبعاد هذه الملصقة الكبيرة بالنسبة إلى هذه الصالة المتسعة نفسها عظيمة . وتحت كلمة (مهدى) كتبت كلمة بالخط الكوفى الخفيف

بحروف أدق هي (أدركني . .) ولابد أن هـذه الملصقة كـانت آخر آثار الأخ شلمتشئ قبل توجهه إلى الجبهة .

أنتظر في مكتب فرجام وأستخدم تليفونه وأدق جرس مريم .

ترد النة بوشهرى وتقـول إن الهانم فى منزل الدكتــور فى نفس الحوار (أنا لا أحب الـرد على التليفـون) أستأذنهـا وأتصل بمريم فى منزل الدكتور .

- (لالة تريد الذهاب معنا) هذا تقريباً أول كلامها .

- (حسناً جداً)

- (لا أعلم لماذا يرتعش جسمى تلقائياً فى نهاية المشوار ؟)

- (لابد أن ذلك مـن كـرامـات الـفـزع مـن قنابل صـــدام وصواريخه)

- (لاله تصر على أن تأتى معنا) .

- (ذكرت لى هذا ، وما المشكلة فى هذا ؟ هل يمكنك الليلة أو هل تحبين أن تذهبى إلى أى مكان آخر حتى لا تظلى بمنزلك ؟)

- (هل نذهب خارج المدينة ؟)

- (لا . . بل فى مكان واحـد . هل مـثـلاً منزل بدرى خـان ايرى بداخل الطريق الوطنى ؟)

- (نعم لا يوجد لنا فيه غير منزل بدرى هانم) .

- (على أية حال إذا كان بمقـدورك أو كنت ترغبين فى الذهاب بعيـداً عن منزلك فالأفضل أن تذهـبى هناك . . بعيداً عن الضـوضاء والصخب وسط المدينة) .

- (ماشى ، سنذهب ، أعتقد أن لالة سوف تأتى أيضاً . عموماً نحن على أهبة) .

- (خير ، كونوا على استعداد بعد ذلك لأن تتحركوا صباحاً من نفس ذلك المنزل . أنا وجدت سيارة . ستسافرون مع سائق طيب من أصدقائى السابقين يمكن الاطمئنان له) .

- (حسناً جداً ، بدرى هانم اتصلت حتى الآن أكثر من مرة ، سوف أتصل بها الآن) .

- (حين تكونون مستعدين أخبرينى . سأتصل بهذا السائق لينقلكم)

(ماشى)

وأتصل ثانية بوكالة السفر بجوار فندق آستوريا الفجر . يرد على هذه المرة عزيز نفسه . أذكر له موضوع استئجار سيارة واحدة من الباب إلى الباب تسافر إلى طهران . لا ، لست أنا الذى يريد السفر ، بل عدة من النساء ورجل واحد وربما مرافق واحد . قال يمكنه أن يقوم بهذه المهمة ويفخر بأنه قدم هذه الخدمة . أطلب منه أن يأتينى الساعة الثانية فى الفندق لكى نتفق ، فيقول على عينى . هذا ما تم فى أمر الاتفاق على السيارة .

لا أثر لمنصور فرجام . أجلس على الكرسى الوحيد بجوار مكتبة . أستند عليه . على طرف مكتبه على صفحة من نتيجته اليومية ، كتب بيت شعر باللون الأخضر . وكمن لا عمل وراءهم رسم رسومات جانبية حول بيت الشعر وأضاف حواشى وزيادات

حوله . البيت نفسه متأثر ببيت من شعر نظامى الكنجوى (بلغت القلوب من المنتظرين الخناجر . . فأدركنا يا حضرة جرجس) .

أتنفس ببطء وأشعل سيجارة وأمدد قدمي وأحرك أصابعي قدمىَّ . من مكبر صوت ضخم معلق على الغرفة الصغيرة للأمن بجوار بوابة المركز ومتصل بمسجد أبعد قليلاً من المركز تذاع خطبة ما بعد صلاة الظهر تدور حول أخبار (الحرب المفروضة) وتفصيلها . حجرة الدكتور فرجام رئيس تعليم الكمبيوتر بعد شهرين وأيام لا تزال تخلو من الأثاث ومن الحياة . ليس فيها غير مكتب وكرسيين وسلة مهملات . لا معدات ولا أجهزة ولا دولاب ولا رفوف ولا أجهزة مخططة ولا تجهيزات للكمبيوتر ولا حتى ستارة ! جانب من الجدار حُفر منذ شهرين لأسلاك توصيل جهاز التكييف لا يزال محفوراً بدون أسلاك . فضلاً عن صور رجال الدين ورؤساء الجمهورية الإسلامية فلا يزال أغلب لوائح العمل والمخططات الخرائط ولم تنسخ بعد معلقاً على الجدران . إلا بضع خرائط ورسوم كروكية جهزها شلمتشى بخطه ورسمه الجميل . فوق حافة النافذة توجد زهريتان لطيفتان لزهور (حسن يوسف) التى يشم منها البساطة والنضارة والروح المتجددة لأوائل فترة فرجام هنا . زهرية زهر البنفسج وأخرى لزهر الياسمين تزدهر فيهما زهورهما فى أطراف الحجرة .

أنظر إلى سلة المهملات فأجدها لم يُخلوا ما فيها وتكاد تنفجر مما فيها . وأرى بجوار السلة أوراقاً مدهوسة فى لون لب الفسدق الفاخر من نفس نوع الأوراق السميكة الأمريكية التى رأيتها سابقاً داخل دفتر خواطره الخاصة لما ذهبت إليه بالمستشفى . أنهض تلقائياً وأرفع

الأوراق المدهوسة وعددها كبيرة وأفتحها بتمهل . . جميل جداً . إنها محتويات مذكراته كلها . . من الأيام الأولى التى قدم فيها إلى هنا حتى البارحة أو ليلة أول أمس لأن المذكرات الأخيرة لا يبدو عليها تاريخ محدد . . مزق كل شىء من دفتر خواطره وأخرجها منه وألقى بها فى مزبلة التاريخ .

حتى الآن لا يسمع صوت ولا وطء قدم فى الممر ولا يتردد نفس من إنسان قادم منه . أتصفح هذه الوريقات المفصولة بسبب شىء من حب البحث والتنقيب وبسبب آخر . وهو أنى أريد أن أقف على آخر قراراته . بعض المواضع الأخيرة منها تتردد فيه الأنفاس .

« القمر يتلألا من نافذة العنبر المشهور بأنه ١٣ - ب . قمر ليلة السابع بايران ، وليس قمر ليلة الأربعة عشر . مضى علىّ شهران وسبع ليال كم الوقت الآن هنا ؟ زرار Signon أى قر واعترف . بيب بيب . دورتان كاملتان للقمر . استوردنا . لا يزال على الورق . كل شهر قمرى ثمانية وعشرون يوماً وليلة وسبع ساعات وثلاث وأربعون دقيقة وإحدى عشرة ونصف ثانية . بيب بيب . شهران أضيفا إلى التربيع. بيب بيب . شغل الداتا . يعطى القمر إشارة. القمر خدعة ! بيب بيب . الكمبيوتر ضحكة ! فى الجهاز لابد أنه يكون كل شىء عدداً من رقمين وله برنامج . إلا رأسك فهى قصة طبيخ الأرز بالخضار الطازج. بلا ملح وبلا كاربوهيدرات . طرفة هى شهر ثان ! بيب بيب . تصور جميع توصيات طلب شراء المعدات أربع نسخ . وتصور توصيات طلب الشراء من الخارج ثمانى نسخ . شعار الجمهورية الإسلامية بأعلى كل الأوراق المصورة . باسمه تعالى . وشعار قوى . يمكنك الوقوف وسط المؤسسة وتصرخ وتتأوه . تصرخ

شئت أو أبيت . بيب بيب . لابد من أن يأخذك واحد ويهدهدك حتى تعرف إلام صارت إليه الأوضاع . الوحدة المشغلة لمخك مصابة بالذهول . المخ لا يصدر أمراً للاستشارى المتصل بقدميك ويديك . الديسكات الممغنطة حول قشرة مخك تنسج عليها العنكبوت خيوطه وتراكم عليها ركام كناسة عهود (ماذا أفعل وماذا لا أفعل) . لا يضر أن تنهض ليلاً وتمشى وتجلس فى (المركز) على كرسى فى المحطة الرئيسية وتجرب حظك من أجهزة السى بى يو للكمبيوتر . لكن أى خط ؟ وأى كمبيوتر وأى برنامج وأى مركز ؟ الدود يرتفع هنا من جميع الجدران بدل كل شيءٍ . الدود . الدود يسحب من الجدران لأعلى ويسحب لأسفل. يدخل ياقتك. يزحف من رجلى سروالك . ويمكن أن تثير ضجة فى ليلة فلا يصل صوتك لأحد إلا لأذنى الحمار المصرى الدائر بالساقية .

سمعت وفكرت من الظهر حتى الغروب إلى حافظ من شريط مسجل أو حاولت السمع والتفكير أين صلاح الأمر وأين أنا الفاسد ، انظر الفرق بين بداية الطريق ونهايته لو أن أمراً أى أمر حدث بينك وبين هذه الفتاة أو سيحدث أو يمكنك أن تفعل لها مصلحة فليكن لأن عينيها مثل عينى تلك . حافظ يعلم . يا حافظ الشيطان ماذا تفعل هنا أصلاً ؟ ألا تخاف الدود الأبيض والأسود ؟ ألم يحدث أن غشوك مرة ؟ ألم يحدث أن عانيت ؟

يا دكتور فرجام أنت متسخ ! عليك النهوض وأخذ حمام وحلق ذقنك وتبقى نظيفاً وطاهراً وتكون مستعداً وتسافر وتحلق . عليك أن تقوم بأعمال كثيرة . كان عليك أن تفعل أشياء كثيرة . . رأسك يؤلمك . تخرج منك رائحة كريهة . يداك بلا حس ، باردتان .

ابتعلت ربع قرص اسبيدبول أكثر من مرة ؟ خليط الهروين والكوكايين بنسبة متساوية هو الإنتاج المشترك للوس أنجلوس وكولومبيا . تصب كل هذا داخل صاروخ إلى أين كان يطير ؟ أى طيران ؟ لم تحلق إلى أى مكان « الطيران هو أجر العاشقين المختارين) (الوصول إلى الله هو عمل سالكى العشق) .

تنظر إلى معلقات أسمائهم وصورهم على الجدار . تاريخ استشهادهم ومحله . بجانب زهرة الشقائق الحمراء جملة من وصاياهم ومبادئهم . وصلوا إلى الله . وصلوا إلى المتفذ الأخير لهم وإلى عشقهم البسيط « أن يوم استشهادى سيكون يوم زفافى » . « أمى لا تبكى من أجلى . وإذا بكيت فكونى مثل زينب » « أريد ألا أموت على فراشى » أريد أن أصل إلى الله فى محراب الشهادة » وماذا تفعل ؟ ربما لا يضرك أن تبتلع ربع قرص آخر . أو تعود إلى العلبة القديمة المصادرة للدود الأبيض والأسود . إلى مركز الهرج والمرج . تعليم بدون برنامج . تكنولوجيا بلا همة . كمبيوتر بلا فهم ولغة فوضوية تود لو أن بيدك سيخا من الحديد وتنهض وتحمله وتبدأ فى العمل . أولا تحطم الزجاج ثم التليفون ثم التقويم ثم المكتب ثم الجدران والبرامج والباب والنوافذ . تحطم كل شىء تكسره تحيله إلى قطع صغيرة وتراب . هم ليسوا أشراراً يا منصور بيه . أنك تحل عقدك ، فأكثر من الكتابة ، أكثر .

الأيام الأولى لك فى المركز ليست سيئة . أوقات تبعث على الأمل وطيبة . ثم تتغير الصورة . كل شىء يتبدل . كل شىء سيمشى إن شاء الله . كتابة شعارات من أجل كتابة الشعارات فقط

تبدأ . الأخوة فى اجتماع وأنت تعانى الانتظار ، وتتفح علب الدود الأسود والأبيض . عليك أن تحسم المشكلة لأن العشق يبدو سهلاً فى البداية .

حين يستقر عشق الموت فى المخ فكيف يمكن أن نفعل ؟ حين يأكل مخك سرطان الموت مثل الأكلان فماذا يمكن فعله ؟ حين يكون الفكر فى الموت والفناء جزءاً من الكسب والعمل اليومى فماذا يمكن علمه ؟ كل يوم ، كل ليلة ، كل ساعة تفور دعوة السرطان . عشق الموت وموت العشق . لكن هذا السرطان سرطان واعٍ ليس الذى يقتل ويريح . سرطان يمضغ ويرضع ويأكل ويبلى ويجفف الجذور الحيوية لكنه يحزن بسبب الموت الحاسم .

كفاك ! هل كنت تريد أن تتخذ قرارا ؟

نهضت ودخلت الحمام ، مرحى ، أتيت بالدفتر والقلم أيضا . فى النهاية نجحت . تقف أمام المرآة ، تنظر ، ماذا حدث لك ؟ كنت يوماً الدكتور منصور فرجام . فكر ، ارجع ، عشْ ، فكر ، فكر ، فكر . . فى الحياة ! لكننا لا نرجع إلى أى مكانَ ثانية . . علينا أن نجهز أنفسنا ، وعليك أن تجهز نفسك . آخر ربع قرص ابتلعته ولا تزال واقفاً على رجليك مستعداً للحركة . كل شىء تمام . لن يوجد مركز الدود ثانية . لن يوجد مركز الكمبيوتر . لن يوجد الأخ فارسى ودهلرانى . لن توجد فصول الانجليزية رقم واحد . لن يوجد بيكليرى طاعتيان . حتى لواسانى الطيب الغيور والمغشوش فيهم لن يوجد أيضا - مثل إخوانهم الشهداء ، ذهبوا أو عادوا إلى مكة . شلمتشى عاد إلى الجبهة أيضاً .

تبـارك الله ، عـدت فى النهـاية وجلست على السـرير بدون أن تصدم ثانية بالكرسى . بدون أن تركل الحسود النائم وسط الحجرة . النوم (البعض يمكلونه والبعض لا يملكونه) .

أخذ منك . حسناً جداً - أغلق منشأ التصميم . لا تصطدم بهم وأرحل .

الأخ منصور فرجـام أنت على الجبهة . الطريق مـفتوح الواجب والرسالة واضحان ، أنت خللت هنا ومن أهل هنا وتريد البقاء هنا . حائراً مـغشوشـاً فى التهاب . أنت طفل تـنتظر العشق وفى احتـضار الموت ، يومـاً بأعلى ويوماً بأسـفل . وأنت هنا . ذهبت من هنا إلى كل مكان . حملت مـعك الديسكة والقرص المـمغنطين لهذا المكان . تحملهما مرة أخرى . أتيت من ٩٠ شـارع فولر حيث شركة (سانت بول) إلى هنا وسط ساحة الوهم للأهواز . حين سجل وأثبت العشق أو ألم العشق فى مخك فبأى قوة يمكنك أن تزيله. تأوه كيفما تحب . سوف يضيء فـى النهاية الجواب علـى المحطة الرئيسيـة . أنت هنا ، أنت هنا ورأيت عـينيها اللتين تجـذبانك إلى حيـاة العذاب . عـشقت هاتين العينين وتعشقهمـا وإنتهى الأمر . هاتان العينان بإمكانهما النظر للمـوت والنظر للحـياة أو لـرجل آخر . لكن أمـرك مـعلوم ، حين سقطت فـى دوامة العشق وإنتـهى أمرك . أنت فى تشـرد تام . ليس لك حق الاختـيار . ليس من صاروخ ولا قنبلة ولا خـوف ولا موت ولا حياة بل العشق وحده كتب على جبينك » .

هو هنا ثانية ، موجـود بحد كبيـر . لكن الوقت تجاوز الواحدة والنصف ولم يأت حـتى الآن وأنا على موعـد مع عزيز أمـام الفندق

فأقرر أن أترك له خطاباً وأمضى . وأطوى سائر مـذكراته وأضعها فى جيبى . وأكتب له كلمـة بالانجليزية على ورقة بـيضاء وأوقع عليـها بالحرفين الأولـين من اسمى . الليلة أو صـباح الغد المبـكر (زوجتى والولد) بصـحبة لالة سـيذهبـون إلى طهران . ثم أضـيف (بما أنى أشعـر أنك أيضا مسافـر يمكنك أن تصحبـهم وترعاهم . لابد من أن أكون فى الفندق بعد الظهر وهم سوف يعرفون أين ذهبت ومتى أعود . اتصل بى فوراً) .

أضع الخطاب على مكتبة ومبـا أن دهلرانى عاد إلى منزله أتركها عند الحـارس العـربى أمـام باب الدخـول قـائـلاً تركت هذا الخطاب للدكتور وأودعه وأمضى إلى فندق الفجر .

عزيز ينتظرنى أمام سلم الفندق ندخل المطعم لتناول الغذاء وتبادل الحديث . يمكنه أن يعـد سيارته التويوتا ويسافـر بالأولاد . لكن عليه أن يفحص شـمع السيارة وبلاتيـنها وعجلتـها الاحتـياطية ويغـير الماء والزيت . أوصـيه بـأن يجلب عجلـة إضافـية مـن واحد من زمـلائه ويحمل جـالونين من البنزين معه للضـرورات المحتمل حـدوثها وسط الطريق . فـالشوارع مـزدحمة ونحـن فى عز الشـتاء . أعطيـه أجرة الذهاب والإياب على حسب تسـعيرة الوكـالة وفوقهـا مبلغ لتكاليف السفر . يريد أن يقـدم الأجر لى هدية فأقول (عـزيز قصرّ الكلام أنا عاجز عن الكلام ولا يمكنك أن تطعم زوجتك وأطفالك وزوجة أخيك الشهـيد وأولاده برغوة صـابون إهداء الأجرة لى) أعطيـه خمسـمائه تومان لكى يهـيىء أمور الرحلة . ونتـفق على أن يأتى بالليل ويبلغنى ويأخذ إذا تطلب الأمر أكثر .

- ٤٥ -

ليلة من ليـالى الأهواز المؤلمة ، الليلة سـابقتـها هوجمـت مدن عديدة من خورمـستان بالصواريخ والقنابل المقذوفـة جواً وأعلن الحداد العام فى المدينة وكانت الأهواز نفسهـا من ضمن قائمة المدن التى وجه إليها إنذار الاخلاء . البعض أخـذ يقول النكات ويمزح ويسخر بصدام وصواريخـه والبعض التـمس مواضع أكثـر أمناً لليالى المصـائب مثل المخابىء الـقديمة تحت الأرض وجمـع الفؤوس والمعاول لأيـام الدمار وعدد كبير رحل .

أقوم بتصحيح أوراق الطلاب فى غرفتى بالفندق ثم أنزل للعشاء . جلال آريان العـاقل البعـيد النظر . لو أن المدينة يجـتاحهـا الفزع من القنابل والصواريخ فجلال آريان يصحح أوراق الطلاب ثم يتزل لتناول الدجاج المشوى . الدكـتور الآن فى عيادته وفرجـام لم يظهر له أثر . فأخرج لبضع دقائق وأشترى جريدة (كيهان) من أمام سينما الساحل وأعود مـاشياً . فى الطريق تراودنى رغـبة الذهاب إلى سـاحل النهر والتريض عليه قليلا ، لكن المدينة غاصت فى سكون وصمت رغم أن الكهرباء لم تنقطع بـها كما أن سـاحل نهر كارون بما فيـه من أوحال المطر لا يتميز إلا على المقابر ذى الفـقار المضروبة بالقنابل فى عبدان . بل إن البعوض والحشرات الطائرة دخلت إلى ملاجئها .

فأعـود إلى الفندق ، وأجد أن لا أحد اتـصل بى ولم يأت أحد آخر . ولا أحب النزول والجلوس وحيداً فى المطعم المتجهم العبوس . فأصـعد بعد أن أوصى بإعـداد الدجاج المشوى والسـلطة وأتمدد على الكرسى وأفتح التليـفزيون والمذياع على مـحطة (بى بى سى) أيضاً وأتصفح جريدة (كيهـان) كذلك . وترتفع من وراء الباب والجدران وكل مكان أخبـار الحرب ودعاياتهـا وإعلاناتها والحرب الحـرب حتى النصر .

يصلنى العـشاء مـبكراً ولابد أنه طعام باق من الظهـر وعلى أية حال لا يمكن أن أحدد بالضبط متى أعدوه فـألقى بالجريدة جانباً وأقبل على العشاء . فى برنامج المسـابقة العلمية فى التليفـزيون يطلب مقدم البرنامج من المشاركين فى مسابقة الثقـافة الإسلامية أن يجيبوا على أن (ابن قتيـبة) العالم الدينى والأديب المشهور من أى مـدينة كان ومتى توفى وما هى أشهر مؤلفاته . وللمتـسابقين نصف دقيقة ليتشاوروا . وبعد بضع لقمات أتناول (فى انتظار جودو)

وأتابع قصة اسـتراجون وفلاديمير اللذين يقـرران فى آخر الفصل الأول افتراق أحـدهما عن الآخر أو أن يظلا على اتصـال ولا يفعلان شـيئـا . ولا يكفى هذا بل أرفع الراديو وأسـمع على برنامج البى بى سى الموجه من المذيع يبث ناقلاً عن (مراسلينا) الصحفيين التهديدات والإنذارات الجديدة للقيادة الحربية العراقية حين يدق جرس التليفون . فأهمس أنه لابد أن يكون هو صدام الملعون نفسه . لكنه فرجام .

(السلام عليكم) أشعر بسعادة لسماع صوته

- (سلام ، أين أنت يا منصور بيه ؟)

- (نا)

- (هل أنت بأسفل الفندق ؟)

- (لا ، بل فى الشقة)

- (وجـهك ولا وجـه القمـر يا مـؤذى . ألم تجـد خطابى فى مكتبك بالمركز ؟)

- (أنا أصلاً لم أذهب هناك ، كنت مشغولاً ، والليلة لابد من الذهاب إلى شوشتر لأودع أمى) .

- (تودع والدتكم ؟ مبارك ، سوف ترحل ؟)

- (سمعت أنهم قاموا بتمثيلية صباح اليوم على سيارتك . هل هذا صحيح ؟)

- (نعم أحدهـم قرر أن يلعب مع سـيارتى الطائرة وبالمصـادفة وضع القنبلة تحت سيارة بجانبها) .

- (ما مقدار إصابة سيارتك ؟)

- (تحطم الزجاج الخلفى وزجاج أحـد الجانبين وتحتاج إلى دهان ولون أيضا) .

- (هل كان من أعمال رجال أبى غالب ؟)

- (هكذا تظن مريم والدكتور ولأجل هذا فسوف أرسل الجماعة أبكر من المقرر . كنا اتفـقنا على أن يسافرا طهران قبـل الطيارة بثلاثة أيام لكن الآن سوف يسافرون قبلها بأسبوع تقريباً . اسمع سمعت أن لالة مسافرة معهم فهل ستسافر أنت أيضًا ؟) .

- (نعم ، حان الآن وقت التحرك ، لأجل هذا أكلمك)

- (جـرجس ابن جـزجس ! سعـيـد لأنى أسـمع هذا منك يا منصور بيه . الأولاد سيسعدون كثيراً حين تكون مرافقاً لهم) .

- (وما هو البرنامج ؟ سمـعت أن خططت برنامجا ؟) لا يزال هو نفس فرجـام الذكى المنطقى العطوف بدون كـحول وعقـار وقرص الاسبيدبول .

أشرح له مـوجز الخطة التى رسـمتهـا مع عزيز . سـيارتى الآن سقطت من حيز الانتفاع . اتفـقنا على أن يجهز عزيز الليلة أو صباح الغد سيارته التى تعمل عند الوكالة وحين تتهيأ كل الأمور يخبرنى .

- (يعنى متى سيتحركون ؟)

- (إما ظهر الغد أو صباح بعد الغد من بدايته لو حدث تأخير)

- (عال) - (هل هناك متسع لراكب واحد آخر ؟)

- (آه يا مؤذى هذا مـا كنت . أود أن أسمعـه من فمك . نعم يوجـد مكـان . مـريم ولالة وإدريس يجلسـون بالخلف وأنت وآزر الصغيرة أمام وكلكم شلة المعلم) .

- (وموضوع حجز تذاكر الطيارة ماذا تم فيه ؟)

- (سُوّى أيضا . ووفق عـلى تذكرتك وتذكـرة مـرافق ولكن عليك أن تشترى التذكرتين بأسـرع ما يمكن من المكتب الفرعى لشركة الطيران الإيرانية في الأهواز ، هل تريد الآن أن أجرى مكالمة أخرى ؟ ليتك يكون عندك وقت وتأتى لنجلس ونتحـدث ونخطط البرنامج معاً بدقة) .

- (للأسف لا أظن أن لدى وقتاً الآن . جلال الوقت قد حان للعمل واريد أن أصل شوشتر . أين مريم ولالة هذه الليلة هل بمنزل مريم ؟) .

- (هم الآن يتهيأون للسفر)

- (الأفضل أن تنقلهم إلى مكان آخر . القنبلة التى أخطأت سيارتك البارحة يمكن أن تصيب وتدمر الليلة منزل مريم هانم) .

- (وهذا ما تعتقده مريم . اقترحت أن تذهب الليلة سراً إلى منزل بدرى هانم فى الطريق القومى ، ولم يذهبوا حتى الآن ، ربما يذهبون) .

- (حسنا ، مع السلامة يا جلال) .

- (هل أنت واثق من أنك لن تستطيع أن تأتى إلى بضع دقائق ؟)

- (الليلة لا . سأعود فى الصباح الباكر من غد وسوف أتصل بك بمجرد أن أصل . وأنا جاهز مستعد فى كل الأحوال لأن ليس معى أمتعة ، فى حفظ الله) .

- (حسناً فى أمان الله) .

لكن لا أحد الليلة يتوجه إلى مكان واحد آخر . تتصل مريم بى مرتين من منزلها فأضعها فى الصورة وأعلمها بسير الأمور فى مسارها وبسفر فرجام معهم إلى طهران ، وبعد أن أتصل بطهران أطمئنها بأنه مكان الدكتور فرجام ومرافقة لايزالان محجوزين على كمبيوتر الطيران الوطنى الإيرانى . وبناء عليه إذا استطاعوا أن يبقوا أحياء الليلة وربما ليلة الغد أيضا فسوف يتحركون فى الصباح الباكر لبعد الغد .

لا يأتينى عزيز من الوكالة التى بجوار الفندق إلا الساعة التاسعة ويتصل من تحت بى ويقول إن سيارته وراءها توصيلة . لم يحصل بعد على بنزين إضافى لكنه يعد بأنه سوف يعد كل شيء حتى الغد . فأقول إذا كان حتى الغد فليس من مشكلة ، وأقول له أن يصعد فيشكرنى وأصر ويصعد فى النهاية . تأخذه الدهشة حين يدخل الحجرة الفخمة والجلوس على كرسى وثير فى الفندق . أصافحه أقبله ، وجهه شاحب ونحيف جائع تعهده دائماً وعيناه فى لون الكركم . أسأله هل تناول الشعاء فيجيب بالنفى لكن لابد من الرجوع فى أقرب وقت . أطفاله وابن زوجة أخيه أيضاً مرضى . لونه فى لون الزعفران بأكثر مما سبق . يمكن السفر إلى الكويت لكن مكتوف اليدين فقد أقعده عن السفر أولاده وأولاد أخيه الشهيد . ويسألنى (صدام قال أن يخلوا الأهواز حتى يوم السبت وسوف يقصفها) .

- (لا تهتم بهذه التخريفات الدعائية)

- (لن يقصفها ؟)

- (نحن لا نعرف ولكن يا عزيز ألم تسمع أنهم قالوا الكلب الذى يعوى كثيرا يصيد قليلا ؟)

فيقول (سمعت أنا يا أخى هذا وكذلك أنت سمعت ، لكن صدام الملعون يمكن ألا يكون سمع هذا المثل)

فأضحك وأقول (أنت واحد عربى وقدمت ابنك وأخاك شهيدين للجمهورية الإسلامية ولا تخاف شيئا . أنت تفهم هذه الحرب أفضل من غيرك)

- (أخاه ، أننا نضحك والله العظيم على أننا غير فاهمين معنى هذه الحرب . أنا مقيد اليدين والقدمين وإلا كان بإمكاني السفر إلى الكويت أو دبي . فما معنى هذه الحرب ؟)

- (لا تهتم ، أنا أيضا غير فاهم)

فيضحك . (إلى متى ستستمر ؟)

- (عندنا أخ اسمه شلمتشئ يقول طالما بقى الكفر فلابد من أن يقطر الدم من سيف الإسلام دائماً فى كفاحه للكفر) .

- (يا على المرتضى !)

- (هل تفكر أنت نفسك إلى متى سوف تستمر ؟)

- (أولئك يضربون وهؤلاء يضربون . العراقيون يقصفون والإيرانيون يقصفون أولئك ضربوا دزفول وأنديمشك وكرمان شاه ونهاوند ومسجد سليمان وهؤلاء عادوا فضربوا البصرة وخانقين وشأنه درى والسليمانية واستولوا على طريق « العمارة - البصرة » والحرب كأنها سوف تستمر حتى ظهور المهدى إمام الزمان) .

- (إذن فعلينا الإنتظار)

أمد يدى وأخرج مبلغ ألف تومان وأعطيها إليه فلا يأخذها (أخى أنا فى خدمتك)

- (اسمع يا عزيزى أجرة رحلة من العتبة إلى العتبة أو إلى طهران مباشرة ألفان وخمسمائة . وهذه ألف تومان وسوف أعطيك ألفا أخرى وقت أن تتحرك . إذا لم تأخذها فسوف أضطر إلى الاتفاق

مع سائق آخر والسلام . هذا عمل ومعاملة . ليتك لا تذهب . لكنك أنت نفسك تريد الذهاب وأنا لن أجد أفضل منك . وعليه فالحساب حساب الغرباء . إذا كنت تريد أن تهدى الأجرة لى فأقول لك مع السلامة) .

- (على عينى) يحمل المبلغ ويضعه فى جيبه . كأنه يتنفس مستريحاً ويتخايل ظل الهدوء على عينيه (أنا مقيد اليد والقدم ومرتبط بعدد من الأطفال العاجزين وقعوا علينا من السماء . ليتنى كنت قادراً على القيام بخدمة - وحياة على - لأخ مثلكم وسيدة . مثل شايان هانم وأنتما ذا شخصية ومن العلية هى فى الواقع إنسانة محترمة) .

لن أضيع الوقت الآن فى ذكرى لعزيز كيف استخرجت مريم جواز سفرها وتحت اسم من ووجهة سفرها . لا لزوم لذلك وهو يتهيأ للنهوض قبل أنه تقفل الصيدليات أبوابها . يريد الحصول على الدواء لأولاده أو يريد الحصول على الخبز لهم .

بعد أن آخذ حمامًا وأرتدى ثياب النوم أتجرع أقراص النوم أطفى التليفزيون والمصباح وأتمدد على السرير وأختم السهرة وأترك الراديو مفتوحاً لكى أسمع أخبار منتصف الليل . آخر أخبار الحرب والدعايات الحربية تنتشر مثل فيروس الجنون فى هواء الحجرة ٤٢٩ بفندق الفجر . ثم أطفىء المصباح أيضا بعد فترة . وفى النور القليل لمصباح النوم (السهارى) أغلق عيناً وأقرأ بالعين الأخرى النصف المفتوحة لأستعد للخلود للنوم صفحة أو اثنين من انتظار جودة . أشغل فكرى بمشهد فلاديمير واستراجون وقد أنضم إليهما « بوزو » المجنون و « لاكى» المذهول أيضاً . تستمر المشاهد الجنونية (للانتظار)

انتظار وصول جودو القبيح الوجـه إليهم . وفى بداية الفصل الثانى . يدخل فلاديمير خشبـة المسرح وينظر هنا وهناك ويحـمل البوت الذى خلعه من هنا استراجون من قدمه ويشمه، قطب وجهه، جرى ثانية ، مشى ، وقف على الجانب الآخر من خشبـة المسرح ويظلل عينيه بيده ويقف مـذهولاً ، ثم يعـود ويمشى ويقف فى النـاحيـة الأخـرى من المسرح ثم يظلل عينيه بيديه ثانية ويقف فجأة ويبدأ فى الصباح وانشاد الشعر الساخر :

دخل كلب المطبخ

وسرق قطعة خبز

أتى الطباخ بالمغرفة

ضربه على رأسه حتى مات

انثال عليه الكلاب الآخرون

ودفنوا الكلب الميت

ونحتوا على شاهد قبره

دخل كلب المطبخ

وسرق قطعة خبز

أتى الطباخ بالمغرفة

ضربه على رأسه حتى مات

انثال عليه الكلاب الآخرون .

أقفل الكتاب وأضعه بداخل حقيبتى . أتذكر أن أعيده فى الصباح لفرجام . لا يأيتنى المنام . آخذ قرصاً آخر من للومينال وأطفئ السهارى أيضاً أحاول النوم . . ولا يسوؤنى بناء على قول مطرود آل مطرود أن يكون الدخول البطىء للنوم بغير كلام وتفكير .

فى الليل أرى فى المنام أن مطرود جلس وحده وسط الصحراء قلقاً وأخذ يبكى ويتخيل أن أحداً لا يسمع صوته ، إنه ينتظر .

- ٤٦ -

يرسل الصباح الشمس الصافى من وراء الستائر الذهبية للحجرة المواجهة لنهر كارون خاصتى أشعته بينما تحمل الريح صوت نواح ضرب الصدور المؤلم أيضاً من مكبرات الصوت على المسجد الواقع خلف البنك الوطنى . الصباح جميل ومنظر المتظر الناعس رائع وساكن . المذياع مفتوح يقص مِن خلال برنامج براعم الثورة الصغار- سيرة تلميذ شهيد علقت صورته على جدار مكتبة مدرسته : « الشهيد مصطفى ثعلب زاده فتح عينيه فى أسرة فقيرة على الدنيا مثل أتباع سيد الشهداء (عليه السلام) . وطوال أيام دراسته جرب الشجاعة فى ضوء العمل وأدرك أنه يجب أن يمارس العمل بجانب الدراسة . أقبل مصطفى على العمل فى الميكنة واللحام وصناعة براميل المياه والأقفال . ولم يغفل بجانب هذين العملين الأصليين عن دراسة النصوص الإسلامية وكان يقضى بعض أوقاته يتمشى فى غرفة الفكر . حتى تعلق قلبه رهناً بلابس الثوب الأخضر ، الذى بكربلاء ، وبعد فترة فى ١٩٨٢/٩/١١ سلك طريقه إلى جبهة العشق والإيثار . . ثم نال الشهادة فى جبهة دوآب باوه) .

أعتقد أنه فى صباح مشمس بمثل هذا الجمال والحسن الإلهى كيف يخطر ببال طفل فى مدرسة ابتدائية أن يقوم ويستهشد ؟!

الفندق خال تقريباً وأنزل فى حدود الثامنة للإفطار بالمطعم . لم يبق غير العمال وقلة من النزلاء وكانوا يسمعون الإذاعات الأجنبية . هم واثقون تقريباً من أن صدام سوف يقصف الأهواز اليوم تخليداً لذكراه . احتل النزلاء المناضد فى ركن واحد من الصالة كأن فعلهم هذا من الناحية الاستراتيجية أكثر أمناً . يقول واحد ليس مع صدام الإذن بأن يخطىء ويضرب الأهواز . وآخر يقول لو أن أولئك يضربون الأهواز فهؤلاء يضربون بغداد ولا يتركون واحداً من بغداد على قيد الحياة . ويقول ثالث لو ضرب هؤلاء بغداد فسوف يسوى أؤلئك طهران بالأرض . ويقول رابع ليس لدى أحد قط الإذن بإنهاء الحرب لأن أمريكا وروسيا لا يسمحان بذلك . أتناول البيض النصف المسلوق مع الخبز والقشدة ومربى الجزر والشاى وأعود صاعداً مثل اليويو الطويل المط بشكل الفهد .

لا يقومون بأعمال التنظيف اليوم فى الغرف وعليه أجلس مستريحاً بجانب الشباك وأرفع سماعة التليفون وأطلب من الأخت عاملة السويتش أن توصلنى بطهران . خط الاتصال بطهران في الأيام الثلاثة الأخيرة مجنون ومشغول ومشتبك المكالمات ولكن الأخت تقول (على عينى يا حاج) .

انقلب صوت نواح دق الصدور المرتفع القادم من مكبر الصوت بالمسجد خلف البنك الوطنى الآن إلى أحد الأناشيد الثورية :

فى كل لحظة عاشوراء ، وفى كل مكان عزاء

وكل مكان يسلم شهيد فيه روحه هو كربلاء

كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء

أنظر من النافذة ، المدينة لاتزال هادئة ومنيرة وتقضى يوم عطلة. نهر كارولن لايزال يجرى . لا يفجر أحد مكان فيها قط . وفى (قلعة الحيوانات رقم ٢) تجرى الحياة مجراها العادى . تقرقر الدجاجات فى حظيرتها . يتناقر خارجهـا الديكة . تسير طيور البط بمهل أحدها فى إثر الآخـر . الأبقـار تغـمس رءوسـهـا فى مـزاودها . تنظر طيـور الطاووس مختالة إلى هذه الناحية وتلك . أرى أبا غالب بجسمه الذى يشبه القربة يحمل أبريقه ويذهب إلى نهاية الحديقة . معروف أنه يريد الآن تفجير مكان ما .

أجلس على المكتب وأشـغل نفسى بكتـابة بعض الرسائـل حتى يظهـر عـزيز . الأولى لجانيـس الصديقـة الشـريكه لى فى المصـالح وأفحص بدقـة مكان لقائنا وزمـانه لأن هذا نفسـه يهب مخـيخى كل الإحساس الأمنى والاسـتحكام الوجودى . وفى وسط الرسالـة الثانية التى أكـتبهـا إلى بهرام آزرى فى طهـران يتصل بى عـزيز من تحت ، فأنزل للقائه . السـيارة تقريباً جاهزة لكن ابن عـمه وعده بأن يأتى له بعد الظهر بجـالونى بنزين وعجلة احتياطية جـديدة . وبناء عليه نتفق على أن موعد التحرك هو الساعة الخـامسة من صباح الغد ونتفق على أنى سوف أبلغه فيما بعد بالمكان الدقيق للتحرك . وأعلمه بأن الدكتور فرجام سوف يذهب معهم إلى طهران وعليه فوضعهم الآن أفضل .

ثم أتصل بمريم حتى أبلغها بالموعد الدقيق للتحرك . يدق جرس تليفونهم نحـو خمس عشرة مرة ولا يرفع أحد السـماعة . أعلم أنهم جمـعوا حـقائبهم لكنهـم لا يزالون بالمنزل . محال أن يـكونوا تركوا منزلهم بدون إخـبارى . أبدأ فى الشعـور بالقلق . لكنها تتـصل بعد ذاك مباشرة . تقول من كثرة من اتصل بها من ليلة البارحة حتى الآن

وهو يسب ويشتم أو يخرج من صورة أنفاساً مـرعبة ووحشية لم ترفع السماعة مرة أخرى ، ولم تسمح للننة بالرد على التليفون .

- (لماذا لا تذهبين إلى منزل بدرى هانم وتقضين الليلة معها ؟)

- (ألن نسافر اليوم ؟)

- (الآن كان هنا عزيز . سـيارته شغالة حتى الرابعـة بعد ظهر اليوم . والأفـضل عدم التـحرك فى الغـروب بل تسافـرون فى بداية الصبـاح . ولو ساروا بحركة سـريعة فلابد من وصـولهم طهران فى غروب يوم الغد أو بأول ليلته) .

- (أشعر الآن بالقلق)

- (كل شيء سيمضى على خير ، كيف حال لالة ؟)

- (كـأنها أصـيبت بالجنون . تذرع الغـرفـة ذهاباً وإياباً طوال الوقت وتنظر خارج النوافـذ . لا أعرف ماذا حدث لهـا . هل جرى لها تعب نفسى ؟) .

- (وكيف فرشاد ؟)

- (المفروض أن يعود غـروب اليوم إلى قاعدته وتتحـرك سريته إلى الجبهة) .

- (إذن فلا تحزنى لستم الوحيدين القلقين أو المجانين)

- (أعرف هذا . طيب أظن أننا سنذهب عصراً لمنزل بدرى هانم فى الطريق القومى) .

- (حسناً إذن سـأرسل إليكم عزيز ليسـافر بكم . . يمكنكم أن تودعوا الدكتور وزوجته) .

- (ودعتهم حتى الآن عشرين مرة . الحقائب جاهزة وحقيبة لالة جاهزة) .

- (الساعة الخامسة مناسبة ؟)

- (نعم ، وقل له أن يأتى خلف المنزل)

- (ماشى ، سوف أعرفه العنوان)

- (تتأوه (ليتك كنت معنا فى هذه الليلة الأخيرة)

- (سارى . لابد أن آتى بإدريس . حاضر . أنا عارف عنوان هذا المنزل ، فقط من فضلك أعطنى رقم تليفونهم ، تعطينى رقم تليفون بدرى هانم وأدونه (أنا أنتظر مكالمة من فرجام . أبلغه بموعد التحرك والبرنامج والعنوان . هو أستاذ فى التخطيط يخطط سائر رحلتكم ويشغلها على الكمبيوتر أن شاء الله حتى هيثرو فى بريطانيا العظمى)

تضحك ضحكة صغيرة (وأنت لابد أن تأتى يومًا ما وتستضيفنى ؟)

- (قطعًا سأسعد بذلك)

- (أنا على إنتظار وصولك)

- (حسناً ، لكن اتصلى لكى يطلع أحدنا الآخر على تطورات السفر ، ماشى)

- (على عينى ، هل أنت بحجرتك ؟)

- (فى كوخى المتواضع بفندق آستوريا الفجر)

- (ماشى ، فى حفظ الله)

ويترك كلانا السماعة

أتصل بالأخت بالسويتش لكى أسأل عن حال خط طهران فتقول (يا حاج الخط خسران . . لـلأسف لا يمكننا أن نتصل بطهران ولكنى سأحاول ثانية) .

بعد نـصف ساعة عـلى الأقل يفى فرجـام بعهـده ويدق جرس التليـفون . صوته كـأنه يأتى من مكان بعـيد أو مزدحم . أخـمن أنه يتكلم من سنترال شوشتر .

- (ما البرنامج ؟)

- (كنت أعلم أنك سوف تسألنى ما البرنامج)

- (أدخلْ فيه)

- (صباح الغد المبكر . . الأولاد الليلة فى منزل امرأة أخى مريم فى مكان فى الطريق القـومى بعيـد عن الصخب وإفـساد الأعـصاب وسوف ينامون هناك . ربما أذهب إليـهم ، هل تريد أن تأخذ عنوانهم وتليفونهم ؟)

- (أعطنى رقم تليفونهم وسأتـى أنا بعد الظهر إليك ، سأتصل بك)

أعطية رقم التليـفون . يقول (لا أسـتطيع الآن أن أتحدث كثـيراً أردت فقط أن أعرف الموعد المضبوط للتحرك)

- (الخامسة بداية الصباح)

- (أنا مستعد)

- (أنفاسى انقطعت يا عزيزى . إذا وصلت استانبول املأ عروقك بزجاجة الدواء الناجع «جونى ووكر بلاك ليبل اكسترا اسبشيال» التى عتقت من اثنتى عشرة سنة فى صحة المنتظرين للطائرة)

- (ربما . وماذا يفعل أولئك الذاهبون إلى جبهة جزيرة مجنون ؟)

- (أولئك بفضل الله يذهبون وينضمون للقاء الله . هناك كل شىء)

- (وإذا لم يتم لهم ذلك ؟)

- (بحول الله وقوته « المركز » موجود)

- (فى حفظ الله يا جلال . . ليته كان)

أسمع صوت وضع السماعة بعنف كأنه غاضب ويضع قفلا على الباب المغلق لأى مثقال ذرة من المزاح فى هذا الموضوع .

يمضى باقى هذا اليوم بهدوء وبلا حوادث . أبقى فى الفندق أنتظر تقدم أمر سفر الأولاد . لا أستطيع الاتصال بطهران . الدكتور فى نوبته بالمستشفى وانشغل بوضع الامتحان النهائى لطلبتى الذى سيعقد فى الأسبوع القادم .

وقرب الظهر أتناول الغذاء فى حجرتى وأضع الصينية خارج الباب وأتمدد وأدخن سيجارة وأسمع الراديو الذى يذيع الآن قصص الأولاد على الجبهة . تتصل مريم مرتين ونتكلم وقتا ونؤكد على موعد التحرك وبرنامجه فى العصر . ثم يتصل الدكتور ثم أثناء مكالمة أخرى من عزيز يصلنى خط مكالمتى لفرنجيس فى طهران فى النهاية

على حين بغته ، أقول لها أن الأولاد سيصلون الغد أو بعد الغد إلى طهران لكى يغادروا إلى الخارج . فتسألنى متى يصلون ؟ إنها قلقة . وبينما أقول يجب أن أفكر فى التفاصيل الدقيقة للبرنامج لأن لا شئ يسير طبق البرنامج المخطط له » فينقطع الخط . لكن ما قلته كاف لكى يريح مخى إلى حد ما .

يسير كل شئ وفق المقرر له ونجتمع كلنا فى منزل بدرى هانم وقت الغروب فى الطريق القومى بعيداً عن زحام وسط المدينة . ويعقبنى فى الوصول الدكتور وإدريس ويجتمع شملنا بأول الليل ما عدا فرجام . ينقطع النور ويأتى وتنطلق صفارات الأنذار ولا نعرف خبراً عنه . لالة كأنها قطة مضروبة وتشرف على لقاء ملك الموت . تزحف دائماً فى أركان الحجرة أو تذهب من هذه الغرفة إلى تلك الغرفة وتنظر إلى خارج النوافذ وحين يعرض التليفزيون أخبار الحرب وجثث القتلى العراقيين فى المستنقعات أو المعاقل والمتاريس والتلال يعمها الاضطراب إلى حد أن الدكتور يعطيها أقراصاً مهدئة .

لا أحد منا يدرك عمق الأحداث المفزعة وحقيقتها التى تمر بها . يقضى الدكتور شطراً من الليل ويساعد تواجده حضورنا واجتماعنا فى منزل مرتعب وملتهب . ووسط عشاء الأرز واللحم المفروم بالخضار يدق جرس التليفون فإذا هو فرجام فأرد عليه .

(لا خلا المكان منك ، كلهم مجتمعون . الليلة الأخيرة . واللحم المفروم بالخضار الأخير (أيها الأعزاء اعرفوا قدر بعضكم البعض)

– (انا آسف ، واعتذر ، لا أستطيع أن أقضى معكم الليلة الأخيرة لدى أسباب)

(ماذا تأكل فى العشاء الأخير ؟)

يضحك (لا أعرف طعاماً ولا شراباً . حقيبتى مقفولة وأنا جاهز للعمليات . هل الموعد هو الصباح الباكر ؟)

- (قلت لعزيز يجب أن يمر عليك أولاً - وتركب معه)

- (ماشى)

- (ثم تأتى وتركب الأولاد الطائرة . أنا هنا)

- (على عينى . كل ترتيب قمت به عظيم)

- (إذن أراك صباح الغد ؟)

- (ماشى ، يارب سهل حتى الغد)

بعد العشاء نتحدث فترة ونشاهد التليفزيون ويمضى الليل متثاقلاً ويهدأ الأولاد قليلاً . يعرض التليفزيون الإيرانى الانتصارات الإيرانية وأفلاماً تسجيلية قديمة وفيلماً لجثث القتلى العراقيين والمبانى المحترقة والمدمرة والمعاقل المضروبة . ويقفله الدكتور من أجل لالة . وفى النهاية يختمون السهرة .

وفى حدود العاشرة يودع الدكتور وفرخنده زوجة مريم وآزر ولالة . يفترق جيران وأصدقاء لسنوات طوال . تبكى النسوة ويقبل إحداهن الأخرى يوصى الدكتور بأن ينام المسافرون نوماً عميقاً متصلاً هذه الليلة . إنتهى هذا الفصل من حياتهم . الفصول التالية فى أمريكا إن شاء الله يقبل واحدهم الآخر ويستودعه الله .

ترتب مريم لى مرقداً داخل الصالة ومناماً لإدريس داخل حجرة صغيرة قريبة منى . ثم تنحشر هى مع البقية داخل حجرة النوم وينتظرن انقضاء هذه الليلة .

- ٤٧ -

يطفئــون نورهم بعد فــترة وتنام أصواتهــم . إدريس - الشيخ - نائم داخل حجرة قريبة منى والبـاقى كأنهن انحشرن داخل حجرة من حجرات الـنوم . فكرة ليست سيئـة . أشغل نفسى فتـرة بقراءة (فى انتظار جودو) . ثم إنهض وأخلع حـذائى ومعطفى وسروالى وإنزلق تحت لحـاف ناعم وأتمدد . ولعن الـله الصـواريخ والقنابل وصــدام ، سائر هؤلاء الثلاثة . أفكر فيما يفعله فرجام الآن ؟ وماذا تفعله مريم؟ وماذا تفـعله لالة ؟ وماذا يفـعله فرشاد ؟ ومـاذا يفعله عـزير ؟ وماذا يفعله صــدام ؟ وماذا تفعله جـانيس ؟ أرفع الكتاب وأقرأ صفـحة أو اثنتين . كتـاب سئ لكل شئ . وسيلة تجعلنـى أنام فى الليل . فقط أنهك عينى بالرياضــات والمجاهدات الكلاسيـة لفلاديمير واستــراجون على صفحتين (من ؟) (ماذا ؟) (أصـلاً ما معنى كل هذه الأوضاع ؟ من يستغل الآخر ؟) (يستغلون الله) (لمـاذا ؟) (لأنه لم ينقذهم) (من جهنم ؟) (لا تفهم بل من الموت !) (اعتقدت إنك قلت من نار جهنم) . (من الموت والغناء ، أنت غـير فاهم من الموت) إلـى الآن لا أفهم ما هو موضوع المســرحية من الأصل ، مثل حوادث هذا الشتاء العجيب . الذى تعاقبت مـشاهده وحركاته وأحاديثه واحد بعد الآخر . من ذلك اليوم الذى كنت فيه داخل مكتب خير أنديش وتريد تصريحاً للـسفر إلى الأهواز وعبدان ثم رأيت فـرجام ، ثم أتيت إلى الأهواز وانشغلت تمامـا بكلية النفط ومريم جزايرى . فـرجام نفذ إلى

داخلك ومريم أنت خلف جدار حياتك ، وصعدت الحرب . وجدت ابن مطرود مبتور اليد والقدم ويعين عمياء من وسط كل أولئك المصابين وكل أولئك الشهداء . وماذا الآن ؟ ماذا يفعل مطرود بما بقى من عمره ؟ ماذا تريد أنت أن تفعل مع نفسك ؟ هل لهذا قيمة ؟ ماذا يريد منصور فرجام أن يفعل مع نفسه ؟ هل لفعله هذا قيمة ؟ هل يستحق أن يضيع شتاء من عمره وكل أمواله وتقريباً حياته هنا ويعانى؟ إلى أى حد يجب أن يقاسى ؟ إلى أى حد لابد أن يكابد ؟ إلى أى وقت سيظل ينتظر ؟ ماذا يعنى الإيثار ؟ وإلى أى حد يجب أن يكون ؟ ومن ؟ وماذا ؟ هل يجب أن يضحى واحد مثل فرجام بشتاء من عمره ؟ أو مثل إدريس يضحى بيد وساق وعين ؟ أو مثل محمد ولد النتة بوشهرى وتقى أخى عزيز ومحمد وأحمد أخوى لواسانى حين ضحوا بأرواحهم ؟ أو مثل أسرة الأخ شلمتشئ التى قتلت جميعا تحت الأنقاض ؟

أتجرع قرصين آخرين مهدئين وأتمدد وسط الظلام . الساعة فى ساعتى السايكو الأتوماتيكية التى تظهر أرقامها بالليل تعدت منتصف الليل بنصف ساعة . ضبطت المنبه على الرابعة والنصف حتى لا أتأخر إذا غلبنى النوم . أضغط على عينى بساعدى . لا أفهم كم انقضى من الوقت حين أشعر بأن مريم تأتى تحت جنح الظلام وتتمدد بجوارى . تلبس قميص النوم .

(هل أنت نائم ؟)

- (لا)

- (أن قلبى يدق بشدة) تتكور نفسها بجوارى

– (كل شئ إنتهى)

– (إلى الآن لا)

– (كل شئ سيمر على خيـر .. على نحو ما . أشعر بأن كل شئ يسير للأمام على خير وجه . أنا واثق)

– (أنت دائماً تمنحنى القوة . ولكن لا أعلم لمـاذا أفكر أن شيئاً سوف يحـدث . أظن أن أبا غالب فى آخر لحظة يرسل سـيارة تقطع طريقنا . أو يحـدث مكروه وسـط الطريق . الآن الشـوارع والطريق مزدحمة والبنزين صعب الحصول عليه . أو أفكر أننا إذا وصلنا طهران لن يعيدوا إلى جوازى فى المطار) .

– (اطردى هذه الأفكار عن ذهنك يا بنيـة . فكرى بايجـابية . فى الصباح المبكر سوف يأتى فرجام بالسيارة والسائق الواعى المحترف . لديه فى صندوق سـيارته جـالونا بنزين أى مـا يقرب من أربعين لتـراً إضافية . وتـذهبون إلى طهران عند فرنجيس وتسلمون جـواز سفركم فى وقـته وتصلون المطار فى أوانـه . وبعد أن يخـتم جوازك بالخـاتم الأخضر تسافرون بالسلامة تذهبين إلى آرش وآرز أيضاً معك) .

– (على أية حال قلبى مضطرب جداً)

– (من الطبيعى أن تكونى قلقة وعصـبية قليلاً . أنت على سفر فى منطقة حـربية لكن الأمور ستكون بخـير . الدكتور فـرجام معكم وسائق محترف) .

– (قلبى لا يريحنى)

– (اتركى قلبك بجـانب فرشاد الـتعيس ذلك . علـيه أن يصل

إلى وحدته الخامسة صباحاً بعد ثلاثة أيام إجازة والمقرر أن تتحرك سريته إلى المستنقعات فى حدود العراق) .

- (أواه)

أمسح بيدى على شعرها (كيف حال لالة) .

(لا أعلم . . فى حالة من الشرود والفزع أظن) أنها تصمم على الشيء ثم تتردد وتضطرب .

- (هذا أمر متوقع، من الطبيعى أن تشرد. أنها تنفصل عن حبيبها. لكنك رأيتها أنها سافرت معك فى آخر لحظة)

(هذا ما حيرنى . أظن أنها سوف تفقد عقلها)

- (على العكس ! إنها تصرفت بكل عقلها)

- (أعتقد أنها يمكن أن تقدم على فعل ما فجأة . فهى تتصرف بشكل عجيب فى الفترة الأخيرة . تجتاحها حالة من يريد أن تقبض روحه كل ثانية . تريد الكلام ولا تتكلم وتنفجر . تجلس فى زاوية وتقرض أظافرها وتأخذ خصلة شعرها وتديرها)

- (لن يحدث لها سوء . لديها جواز السفر والتذكرة وكل شئ. ستذهب إلى انجلترا عند خالتها . وبعد فترة سيسرح فرشاد بإذن الله ويلحق بها) .

- (لو بقى حياً ! . . وهذا لو حدث أمر عجيب)

- (سيبقى حياً . . لا يقتل كل من يشترك فى الحرب)

- (قتل كثيرون)

- (حتى تنتهى هذه الحرب سوف يقتل ملايين داخل الصحراء والمستنقعات والمدن . لكن ملايين أخرى سوف تبقى حيه وتعشق . وإذا لم يكن الأمر هكذا ما كان عدد مكان العالم الآن مليارات . فكرى بعقل يابنية) تتأوه مريم وتطأطئ رأسها (أنا لا أعرف فقط لماذا تخاف لآلة إلى هذا الحد . تقرر أن تأتى ثم تتردد وتضطرب) .

- (أنها فتاة وحيدة ماتت أمها تواً والحرب وهى تنفصل عن الشخص الوحيد الذى تحبه وهو على قولك عشقها الأبدى والأزلى وحبيبها يذهب إلى جبهة حرب تموج بالبشر . كل من كان مكانها لابد أن يذهل ويقرص أصابعه . أنت نفسك مضطربة وأنا قلق إلى حدٍ ما) .

- (وما سبب قلقك ؟)

- (لا شئ . ولكن لابد أن تعبروا من طريق الأهواز - أنديمشك ومن مدينة أنديمشك وهذا الشيطان قصف أنديمشك حتى الآن ثلاث مرات) .

(لا تقلق على إدريس فسوف أعتنى به كثيراً)

تهز رأسها (كما انقضى علىّ ليال وأيام وأنا أفكر أن الأهواز هى نهاية هذا العالم ونهاية الزمان . هل سأرك ثانية ؟) .

- (من يعلم ؟ أنت امرأة حرة وسيدة لك شخصية وإرادة وتتوجهين إلى أمريكا ، البلد الذى هربت إليه بسبب أنك إيرانية . وأنا هنا فى إيران أسافر من الحين للآخر . . لكنك حرة تختارين ما شئت من حياة) .

- (أنا اخترت أن أحبك)

- (أنت لازلت بإيران وتحت الضغط . اصبرى حتى تخرجى وتفكرى باستقلال ومن يعلم ربما تلتقى خطانا . كان لدى صديق كتب يومًا لى أننا نتحرك جميعاً بمظروف مختوم ومشمع من القدر ونحن لا نعلم ماذا يجب أن نفعله وماذا سيحل بنا) .

- (أليس هوالذى قلت أنه كان يود أن يكون ويليام فولكنر إيران ثم ذهب إلى مكان بقرية ليكتب ولم تذكر ماذا حدث له . قلت لى فقط أنه دخل فى عالم الوهم والخيال الثلجى) .

- (دفنوه حياً . . أصيب بالصرع . انقلبت أحواله دفنه القرويون حيًا . هل ستتصلين بى من استانبول ؟)

- (حتماً)

- (نامى الآن نوماً عميقاً وهادئاً)

- (ماشى ، أحياناً أفكر أن هذا مجرد حلم . أفكر أنه منام وسوف أستيقظ مرة واحدة وأجدنى لازلت فى هذا القبر أعمل وفاض جسدى عرقاً وصوت أنفاس أبى غالب يتردد فوق رأسى ثقيلاً مميتاً ولا أرى ابنى مطلقاً) .

- (ألا يأتيك النوم)

- (بلى)

- (اغمضى عينيك)

- (ماشى)

حين يغلبها النوم أظل سهران وأنظر إلى وجهها القريب جداً إلى

وجهى . الليلة ساكنة وهادئة . وصوت أنفاسها الرتيبة والهادئة يتخلل وجهى . حينا أنظر فى وجهها الصغير وحيناً أنظر إلى العقارب الفوسفورية التى تنير بالليل بساعتى . فى نومها وفى ضوء الغرفة يبدو وجهها كوجه طفل ، طفل مفزوع ووحيد وتائه . يشبه وجه أخى الصغير يوسف حين كان صغيراً جداً .

الآن لست فى ليلة شتاء عام ٨٤ ، فى الأهواز ، فى ذروة عمليات (خيبر) والسيطرة على جزائر مجنون ومستنقعات خور الحويزة وقذف القنابل وضرب الصواريخ والرصاص على مدن إيران والعراق ، بل فى نصف قرن سبق ، فى ليلة شتوية أخرى داخل ما وراء أزقة شارع شاهبور الناعسة، ليلة أن ماتت أمنا وهى تلد يوسف . كانت لا تزال فى سيعة شبابها وفائق جمالها وكانت كثيرة الضعف والهزال. كانت ولدت أربع مرات من سن الرابعة عشر حتى العشرين . بعد ولادتها أختىَ فرنجيس قالت أمى زوجة أحد النحاسين لأمها وجدتها إن الأم لا يجب أن تُجَنّ ثانية وتحمل وتلد وإلا فإن موتها محقق .

لكنها حملت ثانية وأحبت ابنها ولم ترد أن تسقطة . كانت قدرأت ذات ليلة أن من ببطنها ولداً أيضا ونظرت إليه فرأته جميلاً مثل يوسف الكنعانى وتحايلت جدتى وخالتى بكل حيلة لكى تتخلى أمى من جنونها وتسقط هذا الطفل أو تجهضه لكنها لم تطعهما . كانت تريد أن يبقى ابنها . تريد أن يبقى يوسفها .

لأنه كانت قد رأت فى المنام أن سيدنا على نزل من الجنة والملكوت وحمل مهد يوسف تحت إبطه وقال تعالى يا أختى هذا هو

يوسـفك أنه مـحل نظر الله عـز وجل وسـوف يحـملك إلى الجنة .
لأجل هذا أحبت يوسف أكثر من قلبها الذى تحمله بين جنبيها . حين كانت تسير داخل المنزل أو تجلس أو تغسل الملابس كانت تتكلم معه . تحت السرير حين كـانت تنام كانت تتحـدث معه . بل كـانت تكلمه أثناء نومها : كيف يمكن أن أسـقط ولدى الذى أحبه . كيف يمكن أن أسقط يوسفى الكنعانى . كيف يمـكن أن أغفل كلام سيدنا على ونظر الخالق عز وجل . كيف يمكن أن أشيح بوجهى عن الجنة وشاطئ نهر الكوثر . أنا أحبه . وحين تحب واحداً تـريد أن تفعل له فعلاً ، تريد أن تفـعل من أجله كل ما بوسـعك حتى يبـقى حيـاً . وهكذا يدخل الإنســان الجنة .

- ٤٨ -

لا أزال مستيقظا حتى السحـر ويأتى إلى صوت تنفسها الهادئ .
كل أهل المنزل لا يزالـون نائمين . لا يسـمع صـوت من أى مكان .
الحقـائب المقفلـة جاهزة وراء البـاب . تقول ساعـة يدى إنها الـرابعة
والنصف . المقرر أن يقل عزيز فرجـام فى الخامسة ثم يأتيان وهذا هو
ما طلبه هو .

متـعب ويغلبنى النوم لكنى أشعر باحـساس طيب . انقطع النور
من الثالثة والربع تقريباً فصاعـداً . أخمدت أصوات الفريزر والثلاجة
وجهـار التدفئـة وسائر أصـوات ليل المنزل . انغمسـت أزقة (الطريق
القومى) أيضـاً فى الظلام اعتقدت أولاً أنَّ هجـوماً جوياً سيـحدث .
لكن لم أسـمع صوتاً ولا هدير المدافـع المضمـادة للطيارات . وعليـه
فيحتمل أن يكون السبب احتياطات استراتيجية لإدارة الطاقة .

ولكى أظل يقظاً أفتح مذياعى الجيبى ذا السـماعة وأسمع الأخبار
بالانجليـزية من مـحطات مخـتلفـة . حرب المدن والهـجـوم العظيم
الإيرانى على مـستنقـعات خـور الخويزة وخسـائره نقلاً عـن وكالات
الأنباء تبـدو أكثـر مللاً مما سبق . أصـــدر العـراق إنذاراً إلى ثلاثين
مدينة بإيران لكـى يخليها سكانهـا . وأمرت قيـادة البلاغات الحـربية
للجمـهورية الإسـلامية المدنيين فى كـافة المدن العراقـية بالتـوجه إلى
العتبات العاليات بالنجف . دخل تحت سيطرة (جنود الإسلام) أكثر
من مائتى كيلو متر مربع من الأراضى العراقية وقدرت المصادر الرسمية

الثروة النفطية لجزائر مجنون بأكثر من ثمانية مليار برميل . تقع مدن البصرة وخانقين ومندلي تحت طائلة النيران التي يمطرها (جنود الإسلام) . وفي داخل الأراضي الإيرانية ليس للحرب وجه أفضل ، فقد أشعل النيران صدام ثانية بالقنابل والصواريخ أجزاء من المناطق السكنية لمهاباد وبل دختر وخرم آباد وبروجرد وأنديمشك .

تهب مريم من نومها بهزة سيئة كأن شيئا أنهضها من كابوس أولعل موجات من جسمي أدركتها .

(صباح الخير)

- (ألم تنم ؟)

- (لم أنم . الأفضل أن تطلعي وتشرقي يابنية وتجهزي المسافرين)

- (انقطع النور ؟) تفزع

- (ليس من شئ ، هو مطفأ من ساعات)

- (كم الساعة ؟)

- (تقترب إلى الخامسة)

- (أواه ألم يتأخر ؟)

- (قال أنه سيأتي في حدود الخامسة والنصف أعد البنزين وكل شئ . أمامك وقت تلبسين فيه وتعدى الشاي) .

تنهض وتتجه في الظلام إلى الغرف الأخرى . وأنهض بدوري وأبدأ في ارتداء ملابسي . وكنت أربط حزامي حين يمزق صوت رنين

الجرس قلب الليل المظلم مثل السكين . أعتقد أولاً أنه جرس بوابة الفناء . لكنه التليفون وبعد جرسين يرفع أحدهم السماعة . ثم تأتى مريم ومعها مصباح صغير كيروسينى قائلة إنه الدكتور فرجام يريد أن يكلمك) .

– هو نفسه ويقول بعد السلام (انظر يا جلال) يرتعش صوته قليلا . أعتقد أنه استيقظ من النوم لتوه (هناك تغيير بسيط فى برنامج تحرككم)

– (أوه ، أمل ألا يكون شيئا مهماً وسيئاً)

– (لا ، أتى عزيز بسيارة فخمة ضخمة وهو مستعد . هو الآن أمام باب العنبر جاهز للتحرك . فقط ورائى عمل فى مكان ما لمدة نصف ساعة . وسأرسل الآن السيارة وعزيز ليأتى ويركب أولاً الأولاد جميعاً) .

– (ماشى)

– (هل من أخبار جديدة عن أوضاع الطرق ؟)

– (لا جديد . هو مثل الأمس وأول أمس ومزدحمة ومرور صعب والعربات متلاصقة وفى صفوف طويلة أمام محطات البنزين .. لكن لا تهتم . فعزيز سائق مجرب ومعكم نحو ثمانين لتراً) .

لا أذكر له شيئا عن ضرب أنديمشك بالصواريخ وبل دختر وخرم آباد وبروجرد وهى مدن أربع على رأس طريقهم . على أية حال من المحتمل أنه سمع بهذا .

– (ألا يوقفون السيارات ؟)

- (لأى سبب ؟)

- (يفحصون المسافرين) أعتقد أنه قلق على مريم وأخطار محتملة من قبل أبى غالب .

- (لا يابابا ، تحت هذه الظروف إذا أرادوا أن يفحصوا جميع السيارات فلابد أن يحتفظوا بنحو ثلاثمائة سيارة كل دقيقة . لا تقلق من هذه الأمور) .

- (حسناً ، أنا كنت فقط قلقا من هذه الناحية . أشكرك على كل شئ) .

- (إذن فلن أراك ؟ وأودعك ؟)

- (أنا أستودعك الله اليوم الآن . لأن لدى عملاً وأنا أصلاً لا أودع أحداً لأنى . أود أن أراك فى المستقبل سريعا ودع هذه الرحلة تقع خلفنا)

- (ماشى)

- (اعتن بنفسك)

- (وأنت كذلك) صوته يهتز . مريم ولالة ارتدتيا ملابسهما ونظرتا إلى الأرض تنتظران سماع أخبار . أشير إليهما بيدى أن كل شئ تمام . يقول فرجام (اسمع يا جلال . كن على التليفون حتى ساعة أخرى فربما أطلب منك القيام بشئ) .

- (على عينى)

- (إذا لم تتلق منى اتصالاً حتى ساعة واحدة يعنى هذا أننا رحلنا وانتهى كل شئ وهناك توضيح أكبر فى الواقع سوف تعرفه فيما بعد) .

- (حاضر)

- (تركت لك مظروفاً)

- (أين ؟)

- (فى الفندق . البارحة كنت أمر بآخر الليل هناك فصعدت ولم تكن موجوداً فكتبت رسالة وتركتها فى الاستقبال)

- (تحت أمرك)

ثم سألنى (كيف حال مريم هانم ولالة ؟)

- (بخير ، هل تريد أنه تكلمهما ؟ كلتاهما مثل غصن شجرة البقس فى حجاب إسلامى هنا جاهزتان ومستعدتان وواقفتان)

- (فقط لدى رسالة إلى لالة)

- (كلمها بنفسك)

أشير بالسماعة نحو لالة (السيد الدكتور فرجام عنده رسالة لك) ثم أنظر إلى مريم

(الآن السيارة قادمة هل استيقظ أدريس وآزر ؟)

- (أجل آزر تلبس ثيابها . هل الدكتور مستعد ؟)

- (قال عزيز يأتى إلينا أولاً ويقلكم فى سيارته ثم يركب معكم بأول الطريق)

- (ماشى)

أتقدم نحو أدريس الذى ما يزال تحت لحافه نائماً مع الملوك السبعة أو الأئمة السبعة . لا يطاوعنى قلبى أن أوقظه لكن لابد من أن يتحرك . أوقظه وأساعده فى ارتدائه ملابسه (أنهض ، للسفر ، حان وقت الصلاة والتحرك يابابا) استمرت مكالمة فرجام مع لالة أربع دقائق ، ولا تود لالة بغير (حاضر) و (نعم) و (مرسى) و (متشكرة جداً) ثم (على عينى) ثم تودعه وتضع السماعة .

وحين يأتى عزيز بسيارته التويوتا وحباله وغيرها يكون الجميع مستعدين إلا آزر التى ترتب حقيبة عرائسها وإدريس الذى لا يزال يصلى . أساعِد عزيز فى وضع الحقائب بالصندوق الخلفى وبأعلى السيارة . حتٌى (الطريق القومى) لا يزال خاليا وساكنا والجميع صامت . فقط أضيئت جوانب من أفق السحر من خلف عمارات مؤسسة النهر والكوبرى الثالث . وفى الناحية اليمنى من مكبر صوت مسجد صاحب الزمان ى شارع زيتون كارمندى تلى أصوات النواح يهز النواح السماء اللطيفة فى الصباح .

إذا تدحرجت فى دمى

إذا تدحرجت فى دمى

فلا تحزنى يا أمى ولا تنوحى

فسوف تتحول إيران إلى بوستان ورد

من هذا الورد الكثير الأوراق

من هذا الورد الكثير الأوراق

عزيز شاحب اللون ، طرف أنفه فى لون القهوة وكأنها بنجرة مشوية وفى حالة معنوية متدنية .

(قصفوا البارحة أنديمشك وبل دختر وخرم آباد وبروجْرد ثانية) أبتسم إليه ناظراً إليه (إذن فعرفنا أنهم لن يقصفوا هذه المدن اليوم . وأنتم ستتحركون أثناء النهار وأن شاء الله تصلون طهران بالليل وترتاحون هناك)

– (إن شاء الله)

– (الأحوال بخير ؟ أسرتك ؟ سيارتك ؟ أنت نفسك ؟ كل شئ ؟)

– (نعم كله على الله)

– (احترس ولا تتجاوز الثمانين كيلو متراً فى الساعة)

– (على عينى)

أمد إليه يدى بألف تومان لأضعها فى جيبه فلا يريد أخذها

(ما هذا يا أخى ، أعطانى الدكتور كافة المصاريف)

– (ضعها فى جيبك)

– (شكرا)

- (حين تصل إلى طهران اتجهوا مباشرة إلى منزل أختى . معك عنوانها قل لها أن تتصل بى لتطمئننى على سلامتكم)

- (حـــاضر) لكنه لا يزال يشـعـر بقلـيل من التردد والقلـق (يقولون إن التليفونات عاطلة من كثرة اتصالهم بطهران)

- (ماذا يا عزيز ؟)

- (روشتـه لم أستطع أن أصرفهـا . الصيدلية لا تفـتح ليلا . الدواء لابنى ولابن أخى الكبيـر وهما مريضان) زوجـة أخيه الشهـيد وأولادها الأربعة فى كفالة عزيز .

- (هل الروشته معك ؟)

- (نعم) .

- (اعطينهـا سوف أوصل الدواء إليـهم فى الظهيـرة ، واطمئن بالاً) يخرج الروشتة من جيبه ويعطيها لى .

- (أنا أزعجك) يتركها لى لكي أوصل الدواء إلى زوجته .

- (امضى فى أمان الله وقلبك مطمئن) .

حان وقت التحرك

أتت زوجة أخى مريم بـالقرآن وجعلت الجميـع يمرون من تحته . أساعـد إدريس للدخول إلى الكرسى الخلفى والجلوس فيـه . لا يبدو سعيداً . لالة أيضاً تدخل فى الخلف بجوار إدريس . لا تبدو سعيدة. إدريس يسحب نفـسه عن الفتـاة التى ليست من محـارمه . ولابد أن تجلس مريم آوزر فى الخلف متـجاورتين . لا يزال صوت النواح يأتى

من مكبر صوت مـجسد صاحب الزمان فى شـارع زيتون كارمندى . آزر لا تحب الجلوس بالخلف . مريم غـاضبة . مـرة تنظر إلى وأخرى إلى آزر . آزر عنيده ولا تريد الجلوس فى الخلف .

(قلت لا يمكن أنه تجلسى فى الأمام ، بل فى الخلف بجوارى)

– (لا أحب ذلك) وتبكى .

– (انظرى لالة جلست بالخلف وأنا أيضا)

– (لا) لالة أشـاحت هى أيضاً بوجـهـهـا وأشعلت سـيجـارة وأبعدت نفسها عن إدريس .

فتقول مريم (قلت لا يمكن . بالأمام مكان عمو الدكتور فرجام . والأخ السـائق لن يكون على راحة يـريد أن يغيـر سرعـة السيـارة . الطرق مزدحمة . أواه ماذا أفعل ، قل لها شيئاً) .

أتقـدم (إدريس يمـكن أن ينزل ثم يأتى إلى طهـــران مـعى فى الأسبوع القادم)

– (آه ، ينزل الآن ؟)

– (نعم ، وهذا أكـثر راحـة له . سوف يرجع مـعى الأسبـوع التالى . هل أنت موافق يا إدريس ؟ . . ليس من وقت ، هلم)

(إدريس موافق ولا يجلس سعيداً فى الخلف بجانب امرأتين من غير محارمه وطفلة بنت رجل غنى كثيرة التعلل والتدلل .

(سوف تسافر معى الأسبوع القادم)

أنزل إدريس أمتـعته فى خلال بضع دقـائق . وتصبح آزر وتذهب بجوار لأنه وتستند على الكرسى . والمرأتان بالخلف والرجلان بالأمام . هذا الوضع الآن طبـيعى . هكذا قـدر الله . وهم الآن بالفـعل على أهبة التحرك . فى اللحظة الأخيـرة تأخذ مريم يدى وتضغط عليها . أفكر لمدة ثانية واحـدة أنها تريد أن تقـبلنى لكن سنوات كونها سـيدة إيرانية محافظة وخاصة سنوات الجمهـورية الإسلامية علمتها ألا تظهر احساسها الداخلى على الملأ العام وتكتفى بالقول (أشكرك)

تجمعت الدموع فى عـينيها وتنظر إلى الأطراف ، إلى المبانى إلى الأرض ، إلى الأشجار ، إلى السماء وإلى الأفق الأحمر المنير للسحر فى الأهواز .

- (أشكرك على كل شىء)

- (اركبى)

- (الشمس الحمراء وقت الصباح . . وبسبب أنى راحلة ، يثور الهم فى قلبى كل الأشياء التى أحببتها وأحبها هنا)

- (هلمى ولا تسرفى فى العاطفيـة فى النهاية ، فقط قولى الأن فى حفظ الله) تمسح عينيها (فى الوقت الحالى فقط فى حفظ الله)

- (هذا أفضل)

- (لم يكن لدينـا أى وقت لأى شئ . . حـتى من أجل الوداع كما يجب أن يكون)

- (مضى الوقت)

- (فى حفظ الله ، اعتن بنفسك) وفى النهاية تركب .

(وحين تصلون طهران لو استطعتم الاتصال بى تليفونيا أو إذا لم تستطيعوا فأنتم فى أمان الله . قولى لفرنجيس ومطرود أننى سأرجع آخر الأسبوع ومعى إدريس . وهو فى أمان معى)

- (اعتن بنفسك) لا تزال متجهمة

- (ماشى)

- (لا تصبح شهيداً)

- (اقفلى الباب ، قال الدكتور فرجام إن لديه اقتراحاً أو عرضاً) يدير عزيز محرك السيارة ويلوح بيده مودعاً (أخى لا تنسى الروشته)

- (لا تحمل هماً ، مع السلامة)

ألوح بيدى لمريم ، مريم الآن تشخط فى آزر وجهها متجه لطفلتها وهى تتحدث وأنا فى اللحظات الأخيرة أرى جانباً من وجهها . يضرب الدخان غير الكثيف الذى يخرج من ماسورة شكمان سيارة عزيز وجهى ووجه إدريس .

- ٤٩ -

لا يجد جـديد فى النصف الساعة الـتالى إلاّ أنى أجلس وأدخن نصف علبة سجـائر (شيراز) لا يتصل فرجـام الذى قال من قبل أنه من المحتمل أن يتـصل بى تليفونيا بعد ساعـة . وعليه فلابد أن يكون غادر المدينة هو ومن مـعه بالسلام وانحـسمت القضيـة . انتظر لوجه الاحتياط نصف ساعة أخرى ، ثم عـشر دقائق أخرى . ونحو الثامنة إلا الربع أودع السيدة جزايرى وخادمتها العجوز وأقود إدريس والسيارة التابعة للكلية وأعود إلى المدينة .

ويستغرق إعادتى إدريس مرة أخرى إلى منزل الدكتور عند عبدى من الوقت ما يجـعلنى لا أعود إلى الفندق وآخذ حمـاماً وأحلق ذقنى وآخذ مظروف منصور فرجام ، وبناء على هذا بعد صرف روشته عزيز وإعطاء زوجته الدواء وأنا أمر على منزلهم بأول شارع زيتون كارمندى ، أتجه إلى الكلية فى كوت عبد الله وأشغل نفسى بالتدريس حتى الظهر مع أن نصف عقلى يتدحرج داخـــل طـريق الأهواز - انديمشك - بل دختـر - خرم آباد - بروجـرد - أراك - قم - طهران . بعـد تناولى الغذاء فى مطعم الكليـة والانتهاء من أمور التـدريس أعود إلى الفندق فى الواحدة أتسلم مظروف فرجام فى أول تبعات النهار مظروف ضخم بلون الحمص بقـطع كبيـر . لم يكتب عليه بالحـبر غيـر اسمى ورقم غرفـتى . أتعرف الآن علـى الخط الجميل لـفرجام . أفـتح المظروف

داخل المصعد وألقى نظرة . بداخله مظروف أبيض عـادى مقفول آخر خارج المصعد وبداخل الممـر الخالى فى الطابق الرابع أقف وأعاين هذا الآخر . داخل هذا المظروف ورقة كتب فيها بقلمه الحبر :

صديقى وأخى الكثير الإعزاز جلال :

لا أتذكـر أنى فى هذه السنوات طـلبت طلبـاً من أحـد قـط . الليلة أطلب منك هذا الطلب . افتح هذا المظـروف واقـرأه واعمل بما فيه (والجمل الآتية بعد مكتوبة بالخط الأحمر) ولكن ليس اليوم . بل اليوم الذى تطمئن فيه بصورة مطلقة على أنى خرجـت من إيران أو اليوم الذى تطمئن فيـه على أنى بلغت لقاء الله . فى حفظ الله .
م . ف .

يا حضرة جرجس بن جرجس !

أضع المظروف بداخل جيبى وأدخل غرفـتى وأنجز كالإنسان الآلى المراسم التقليـدية من إلقاء المفتـاح فوق الثلاجـة ورمى حقيـبتى على السرير وملء حوض الحمام وخلع ملابسى والانزلاق وسط المـاء اللزج والدافئ . أنا لا يسـوؤنى أن أبلغ الـيوم لـقاء اللـه وسط المـاء اللزج والدافئ لكن هل لقـاء الله على أهبـة لكى يبلغنى أو يلحـقنى فهـذا موضوع آخر .

وبعد حـمام طويل ودافئ أخرج والمنـشفة على جـسدى وأتصل بالدكتور ناصر وأبـلغه بسير الأمور . لكنى لا أقول شيـئاً عن الرسالة الغامضة لفرجام ثم أحـاول الاتصال بفرنجيس فى طهران ولا يمكن لى هذا . يبدو أن الخطـوط عاطلة أو أنها فى حـال من الانفجـار بسبب الكثرة الجنونيـة للمكالمـات وسوف يستمر هـذا الوضع عشرة أو اثنى عشر يوماً التالية طوال فـترة الهجوم الإيرانى الجديد على العراق الذى سيؤدى إلى الحرب المتسعة للمدن .

مع ظهور إدريس ورحـيل كل الناس الذين كانوا فى هذه الرحلة انشغالى الذهنى أشعر بأن كل شئ إنتهى وبأنى هادئ خالى البال .

أستمع إلى أنبـاء الساعة الثانيـة وأنام ثلاث ساعات وحين أنهض كـان الجـو داخله الظلام فـأرتدى مـلابسى وأنزل إلـى المطعم وأخطر الأخت فى السويتش بمكانى حتى إذا جاءتنى مكالمة نادت على .

لا يجد جديد حتى ساعـة أخرى وأعود بالجريدة لأعلى وأجلس أتصفح (كيهان) وأشاهد الـتليفزيون . المكالمة الوحيدة التى وصلتنى هى مكالمة الدكتور الذى يطلب منى أن أذهب إليه . يقول إذا كان من المقرر أن ينطلق علينا صاروخ أرض أرض بطول تسعة أمتار وبزنة طنين فتعال لنأكل سوياً . أشكره وأقول الأفضل أن أبقى هنا فمن الممكن أن تصلنى مكالمـة . على أية حال يود أن أذهب إليه هناك لأن هناك أكثر أمناً من الطابق الرابع للفندق .

- (فرخندة تصـر على أن نهبط الليـلة بالمخـبـأ تحت الأرض ألا تحب أن تأتى لكى نهـبط إلى المخـبـأ بالفـؤوس والمعـاول وسـائر المعدات ؟) .

- (لا ، لو انطلق صاروخ مكتـوب عليه اسمى فـسوف يبلغنى وأنا تحت الأرض) لكن لا أسمع تلك اللـيلة خبراً ساراً من التليـفون أو الراديو أو التليفزيون إلاّ أخبار الحرب والدعايات الحربية والدعايات المضادة . وصل الهجـوم العظيم والشامل الإيرانى الذى بدأ من أواخر عشرة أيام الفجر إلى تداعياته وانعكاساته الآن هذا الهجوم الذى أعلن عنه أنه (آخـر ضربات الإسـلام) الموجهـة إلى (الأعداء الكافـرين والعاجزين والمحتضـرين) تقرر أن ينهى الحرب ولكنه فى هذه الأيـام

لا يزال ناشباً ويشمر سفك الدماء . أعظم أجنحة الهجوم فيما يبدو يقع هنا فى الجبهات الجنوبية التى تورث شدته الغثيان والجنون . النصر الوحيد الذى يظهر وقع أيضا هنا وهو الاستيلاء على جزر مجنون وثرواتها النفطية حروب هذا العام تستخدم الأمواج البشرية للجيش الإيرانى على غرار حروب صدر الإسلام مع اختلاف مهول : أن العراق صعد هجومه على المدن الإيرانية وذبح النساء والأطفال الأبرياء واضطرت إيران إلى الرد بالمثل . بدأ العراقيون كذلك حصار الموانئ التجارية ومحطات تصدير النفط الإيرانى الأمامية وقصفها بالقنابل عن طريق الطائرات الحربية الفرنسية (سوبر اتاندار) المزودة بصواريخ (اكزوست) . روسيا الحانقة بسبب ضرب زعماء الجمهورية الإسلامية للحزب الشيوعى الإيرانى (توده) تعلن تأييدها المطلق للعراق بشكل أكثر قوة وتزود صدام بالأسلحة الأكثر تطوراً وقوة لكى يدمر بها مدن إيران ويذبح النساء والأطفال بالليل . يدور الحديث الليلة من خلال الأخبار عن الحرب على الحدود الإيرانية والعراقية ومحاولات العدو الكافر والعاجز لاستعادة الأراضى والمستنقعات وجزر مجنون . وقعت مدن كرمان شاه ورام هرمز ودزفول ثانية موضع الهجوم الجوى والصاروخى . . وقصفت ثانية مدينة البصرة وخانقين ومندلى . . اليوم تأتى الأخبار لأول مرة أن العراق استخدم على جبهات جزر مجنون وخور الحويزة القنابل الكيمائية فأفكر فى أن فرشاد متى سيصل إلى هذه الجبهة التى تملؤها الفرقعات والكيماويات .

وعلى الساحة الدولية هددت أمريكا بدورها أن (حرب الخليج) لو اشتدت فسوف ترسل قواتها إلى مضيق هرمز لحفظ الأمن بالمنطقة وتأمين سلامة ناقلات البترول . . وأعلن فرانسوا ميتران أن هزيمة

العراق سوف تكون هزيمة لفرنسا . وفى طهران يدور الحديث عن نهاية احتفالات عشرة أيام الفجر والثورة الجليلة الإسلامية وكيفية صرف عيدية موظفي الحكومة وسيمنار ممثلى الدعوة والإرشاد للثقافة الإسلامية فى خارج البلاد وبرنامج إنشاء أسواق الخضار فى طهران وشروط الحصول على حصص الأرز ليلة العيد .

يصلنى فى منتصف الليل الخط للمكالمة التى طلبتها لطهران وكأنى أوقظ فرنجيس من النوم . هى قلقة بسبب أنى بالأهواز فأطمئنها بأنى لازلت بعافية وصحة وأتمدد فى غرفتى بالفندق على سرير فخم تسألنى عن أحوالى فأقول أنها بخير . لكنها لا تعرف شيئاً عن الطيور المهاجرة . لا تبدى تعجباً لأن الطرق مزدحمة ومن خرم آباد حتى أراك تغطى الطرق فى هذا الوقت من كل عام الثلوج . لا أسألها شيئاً آخر . كل ما أتمناه من صميم قلبى ألا أسمع عنهم خبراً إلا أنهم طاروا من أعشاشهم .

- ٥٠ -

بعد ثلاثة أيام تجرى الأوضاع على الحرب والعاديون من الناس على اختلافهم يفرون داخل المدينة أو يفرون منها أو يقدمون من الأماكن التى فاقت فى إصابتها من الحرب وتجذبهم المدينة . قوات جديدة نشطة من الجيش والجنود والمتطوعين تتقاطر على المدينة كالسيل لكى تتجمع وتتوجه إلى الجبهات .

مع أن الضرب لا يزال شديداً فى سائر الجبهات وتقع مدن مثل كرمان شاه وخرم آباد وهمدان واصفهان وانديمشك ودزفول ورام هرمز ومسجد سليمان وحتى بهبهان موضع الهجوم إلا أن الأهواز لا تقع موضع الهجوم المباشر ويأخذ الناس الذين هاجروا من الأهواز فى الأيام الأولى من أزمة الهجوم عليها فى الرجوع إليها بالتدريج ويرسب بالتدريج أيضاً هذا الاستنتاج الواهى فى كلام الناس فى طوابير الخبز واللبن وهو كأن الأهواز لن يهاجمها صدام إما متفهماً أو متعمداً . يرجع بعض الناس السبب فى عدم الهجوم إلى قوة التحصينات الدفاعية واستحكامها فى المدينة وترجع جماعة أخرى السبب إلى وجود الخبراء الروس الأعزاء وتقول إن صدام لا يسمح بأن يقتل روس فى الأهواز بصواريخ وقنابل روسية . قطعاً كل هذا تخريف لأن أطراف أصفهان وقعت مراراً موضع الهجوم وعدد الخبراء الروس العاملين فى مصانع الحديد بأصفهان يزيد بضعة أضعاف على عددهم بالأهواز . وتعتبر جماعة أخرى أن سبب عدم الهجوم على الأهواز هو وجود عدد ضخم من العرب وهذا هو باطل الأباطيل لأن

صدام هاجم بوحشية المدن والقرى والضيعات الحدودية فى خورستان وسكانها عامةً من العرب لا مرة واحدة بل عشرات المرات حتى بعد إعادة تعميرها وجعلت قواته سكان هذه المناطق الذين يتحدثون العربية موضع هجماتهم المهولة وقامت وتقوم بالمذابح فيهم . صارت الحرب الآن ، كسائر الحروب التى تمتد وتطول ، قذرة ووحشية وتفيض بالسفك والمذابح العامة التى بلا مبرر . فى الاشتباكات البالغة الإفزاع بين المدفعية العراقية المضادة للطائرات فى جزر مجنون وخور الخويزة وهجمات طائرات الهليوكبتر والسفن الحربية الإيرانية تظل الحرب دائرة وتبقى المدن الحدودية الإيرانية والعراقية خاصة أطراف البصرة وخرم شهر وعبدان تقصف بالصواريخ والقنابل والرصاص بالليل والنهار وأشعر بالراحة لأنى أخرجت إدريس من عبدان فى الوقت المناسب .

فى الكلية تبلغ دورة إعداد التقارير المكثفة الآن أسبوعها الأخير . يوم الخميس هو يوم امتحانها النهائى . والمقرر أن يكمل الطلاب فى نفس اليوم تقاريرهم الفردية التى أعدوها طوال هذا الأسبوع وتشكل جزءاً من درجاتهم ثم ينسخوها على آلة النسخ ويسلموها لى وببدايتها Covering Letter أو الخطاب ذى المرفقات وأنا نفسى كما هو مقرر أسلم النتائج والدرجات يوم السبت لإدارة الكلية وأجمع خلقاتى يوم السبت للعودة إلى طهران .

لكن الأربعاء ظهراً حين أعود من الكلية لاينهار بالتدريج الجبل الكامن فوق رأسى .

فقد تركت رسالة فى منصة استقبال الفندق عليها اسمى وينادينى الأخ بازوكى بنفسه ويسلمها لى . (السيد آريان مس فضلك اتصل

بالسيدة جزايرى هانم على تليفـون رقم . . على وجه الاستعجال) .
يخطر إلى بالى أولاً أن الرسالة من طرف زوجة بيجن جزايرى وتحمل خبـراً سيئـاً عن مريم ومن معـها . طائرة مريم لفت انتـباهى أن رقم التليفون يخـص منزل عطاء الله خان جزايرى المنزل الذى اختـفت فيه مـريم فى الليلة الأخيـرة لهـا فى الأهواز وكنت أنا نفـسى فيـه الليلة المـاضيـة حتى صبيـحة اليوم حين تحركـوا منه . لا قدر الله أن تكون هذه السيدة لديها خبر سئ من طهران .

أتصل بالسيدة جـزايرى من حجرتى ترد على مباشرة تقـريباً كأن التليفون على رأسها .

بعد السلام والاطمئنان على الأحـوال بوجه الإيجاز أسألها (هل من خبر من طهران يا هانم ؟ يخص مريم والأولاد ؟)

- (لا يا سيدى ، الأخبار التى تخصهم عندك أنت)

- (لا أعلم غير أنها ستطير السـاعة العاشرة والنصف من صباح الغد

- (المفروض)

- (التليفونات عاطلة ولم يحصل بيننا اتصال)

- (ربنا يسهل سفرهم بحق الأئمة الخمسة . الأخبار السيئة هى عن فرشاد المسكين)

- (عن من ؟)

- (فرشاد ابن أخت الهانم)

- (ماذا حدث ؟ لم يسافر إلا من ثلاثة أربعة أيام)

- (أحد أصدقائه وصلنا قبل الظهر وقال إن أحد الجنود الذى كان من خمسة سرية فرهاد هو الآن بالمستشفى ويقول إن جميع أفراد سريتهم ضربوا بالصواريخ فى شلمتشة)

- (وماذا حدث لفرشاد ؟)

- (قال جميع أفراد السرية إما استشهدوا أو أصيبوا بجروح خطيرة . نقلوا بعضهم ولا زال بعض آخر منهم قتلى أو جرحى فى المستشفيات الصحراوية الميدانية فى دارخوين خلف الجبهة) .

- (آه ، يا ولدى ! وأين فرشاد الآن ، هل فى دارخوين ؟)

- (قال هذا . قال أنهم نقلوا بعضهم وتركوا الآخرين) لازلت أفكر فى إن مريم ولالة فى طهران (إذن فليس عندك رقم تليفون مريم ولالة فى طهران ؟)

- (بلى)

- (ألم يتصلوا بك خلال هذه الأيام ؟)

- (بلى)

تفهم قصدى وتقول (سيادة المهندس ، أنهم لا يتصلون بى خوفاً من أبى غالب الملعون . ولو اتصلوا فهل يمكن فى هذه الأحوال أن أتفوه بكلمة على مسمع لالة عن فرشاد ؟)

- (شكراً ياهانم ، هذا هو تصرف العقلاء) أستعد لوضع السماعة

- (هل يمكننى أن أقوم بعمل ؟)

تتأوه العجوزه (والله ليس عندنا أحد هنا يسأل عن هذا الولد . كلهم رحلوا .

بيجن وزوجته حالياً فى كتشساران وزوجى بطهران وأنا نفسى طاغية وتؤلمنى قدمى ولا أستطيع القيام بأى عمل)

لا زلت أفكر فى مريم ولالة وطائرتهم التى ستقلع غدا فى العاشرة والنصف (يا هانم لا تقلقى وأنا مسرور لأنك اتصلت بى . تعرفين كما عانينا فى سبيل إخراجهم من الأهواز ولا يجب أن نلقى بحجر واحد أمام أقدامهم حتى يفسد برنامج سفرهم . أنا الآن سأتصل بالدكتور ناصر وببعض أصدقائى ، ثم نأتى إلى منزلكم) .

- (على عينى ، متشكرة جداً ، جاراكم الله خيراً)

- (الآن صديقه الذى قلت إنه أتى منزلكم وأعلمك قال أين فرشاد بالضبط ؟)

- (لم يقل إلا إنه فى دارخوين)

- (فهمته في وسط الطريق القديم للأهواز وعبدان . . وصديق فرشاد هذا أين هو الآن ؟)

- (منزله هنا أبعد قليلا فى شارع زيتون كارمندى)

- (هل عندك عنوانه)

- (لا)

- (لا من مشكلة لو معك اسمه واسم عائلته سأجده)

- (اسمه محمد عباس وأبوه يملك دكاناً بأول الشارع)

- (طيب أستودعك الله ياهانم)

- (جارك على قمر بنى هاشم خير الجزاء)

- (ماشى)

اتصلت بالدكتور وأبلغته الخبر

- (أواه ، ياربى ، هذا غير معقول)

- (للأسف)

- (أنا أعرفه وأعـرف أباه وكنت أعرف أمه وكانا مـن أصدقائى الأحياء هل أستطيع القيام بشئ)

- (من غير أن تقول ، أنا سأبحث وأتصل بك)

- (ألا تحتاج إلى شئ ؟)

- (لو كان مـعنا سيارة إسعـاف لنذهب بها إلى دارخوين فـهذا أفضل)

- (يمكن تدبيرها . . أنت الآن بالفندق ؟)

- (نعم بالفندق)

- (أنا سأجهز سيارة من المستشفى أو من الاسعاف وأتصل بك)

- (ماشى)

- (هل من أخبار عن الطيور المهاجرة ؟)

- (لا خبر عندى)

يتأوه (حسناً ، مع السلامة ، فى هذه الظروف اللعينة الجهل بالأخبار هو أفضل خبر)

فى الساعة الخامسة من يومى هذا نغادر بوابة الأهواز وننقلب إلى داخل طريق دارخوين أنا والأخ سيد عبد الحسين آل ياسين الذى يعرف المنطقة بسيارة أسعاف (نيسان بارول) قديمة علق بها الطين والتى وجدناها. بدأ المطر الكثيف وأحال الأرض والزمان طيناً بصورة سيئة. يفترق يومنا هذا عن اليوم الشمس الصافى منذ ثلاثة أسابيع حين ذهبت أنا وفرجام إلى عبدان لنقل إدريس اختلاف الأرض عن السماء .

آل ياسين هو نفسه أحد أعضاء اللجنة التنفيذية للمتطوعين المستضعفين وحدة كوت عبد الله . صحيح الجسم وسمين وله لحية كثيفة مهذبة ويقول (كثير) من أفراد أسرته استشهدوا فى بوستان ويتحدث الفارسية باللهجة العربية البندرية ويناديني (الحاج أغا) لأنه حتماً يتخيل أنى (إنسان كبير) استطاع أن يجهز سيارة لنقل جندى جريح من أسرته . يحمل كارنيه التطوع وفى الطريق الذين عرضه خمسة وثلاثون كيلو مترا من نقطة حراسة (عرب عباس) حين يوقفونا للتفتيش وإبراز تصريح دخول المنطقة الحربية يظهر كارنيهه ويقول أننا نريد الذهاب إلى قاعدة دارخوين والعودة منها لنأتى بجريح . ويذكرلهم رقم السيارة واسمينا . وركب معنا جنديان ليس لهما وسيلة للذهاب إلى القاعدة ليس من شئ حتى دارخوين غير الضباب والمطر وأرض الله . الطريق مظلمة مهشمة الأسفلت وتمتلئ بالحفر والمطبات التى كانت تقذف حيناً بالسيارة متراً فى الهواء .

مضت ساعة من الليل حتى ندخل دارخوين أو ما بقى منها تحت الحرب والمطر لم يبق من المبانى غيـر اثنين أو ثلاثة . هنا وهناك بضعة أكواخ وعـدد من الدكاكين المتصـدعة . يوقف الأخ آل ياسين سيارة الاسعاف أمام مدخل قاعـدة صاحب الزمان . تتقطر أعلام إيران ذات الألوان الثلاثة الأخضر والأحمر والأسود بالمـاء تحت المطر بأعلى بوابة القاعـدة المقببة وحـول صورة الإمام الخـمينى . تغطى عمـوداً جانبى البـوابة بصور وأسـماء الـشهـداء . وتملأ أصوات نواح دق الصـدور المحزنة بعد صلاة المغرب من مكبر الصـوت بالقاعدة الصحراء المحزنة المطورة والناعسة إلى حد مـا . يخفق قلبى . نفس النواح الذى كان ينشد فى مريم الذكرى السنوية لابن السنة بوشـهرى فى مقبرة الأهواز مقر الشهداء) .

داخل بوابة القـاعدة جلس جندى مـسلح بالكلاشنيكوف وبدون قبعـة فى كوشك الحراسة القائم على أربع قـواعد يلبس زيه العسكرى الزيتونى والكاكى الخاص بالتمويه والتخـفى وبأزرار مفتوحة . يستمع إلى مذياع صغير وهو يقـوم بالحراسة . وجندى آخر بطرف الكوشك نائم . يشرح آل ياسين قصدنا من المجـئ للحارس ويـشير إلى ناحية بيـده (المستشفى) .

ما يسـمى بالمستشـفى فى الواقع ملجأ تحت الأرض مـعلق عليه علامة الهلال الأحمر وشـعار (الحرب الحرب حتى النصر) . داخله صالة كـبيرة وعلى أطرافـها فى النهاية حـجرات حقـيرة عليهـا أرقام وعلامات . عم جو المـلجـأ رائحة خليطة من الدم والكافور والديتول قطعاً ليس عند أحـد وقت للصق الشعارات والملصـقات لأننا لا نرى

على الجدران شعارات وصوراً وملصقات . على الأرض تمتدد ما يعرب من عشرين جريحا وغائبا عن الوعي ملفوفا ببطانية أو ملاءة . الشخص الوحيد الواقف على قدمية أو المحنى الظهر شاب ضئيل والذى لا يمكن أن نفهم هل هو طبيب الجيش أو موظف الهلال الأحمر أو متطوع للإسعاف من مشغول فى تغيير رباط قدم أحد الجرحى . يبدو هو نفسه منهكاً وميتاً ولا يضيرنا ضرراً كبيراً أن نتناول عشاء فخماً أو نأخذ حماماً سابغاً فى صحته وسلامته .

وحين أعاين الجرحى فرداً فرداً وأتقدم لا يظهر فرشاد بينهم . أبحث عنه عند المسئول بالمستشفى بعد السلام والتحية و (أعطاك الله العافية يا أخ) فيهز رأسه وهو منشغل بعمله (ليس عندنا من بهذا الاسم) .

- (أين يمكن السؤال عنه ؟)

- (مكتب الاحصاء ، على يدك اليمنى بآخر الصالة .

- (شكراً)

- (العفو)

داخل المكتب لا يوجد أحد أو شئ إلا كرسى واحد ومنضدة وعليها دفتر صغير . مصباح عار متدلي بسلك من السقف . أنظر هنا وهناك حتى أقع فى النهاية على مكتب بآخر الحجرة ووراءه ولد صغير مشغول بالصلاة على الأرضية الأسمنتية وسط الظلام والنور بزى الجندية وبساقين عاريين (وبأكمام مشمورة ، يهتف وهو راكع ساجد وبصوت عال وبالعربية الفصيحة بالأدعية كأنه فى اتصال دقيق ومباشر مع ربه فى هذه الزاوية من خلوته .

أتأوه وأقف منتظراً حتى يتلو فى النهاية آخر ركعات صلاته ويؤدى التشهد والسلام بصدق عظيم ولكن بصوت غليظ . قبل أن يبدأ فى صلاة أخرى أقول (السلام يا أخى أتينا من الأهواز ولدينا استفسار) .

- (تفضل)

قوامه ووجهه لطفل له شعيرات قليلة جداً بأسفل ذقنة وشارب نبت حديثاً . يشبه قليلاً إدريس ، ثبت بدبوس كارنيه هويته الأصفر على صدره (جندى مجند سيد موسى خضرائى) .

أقول (جندى مجند اسمه فرشاد كيان زاد كان عندكم هنا وهو من الأهواز .

يبدو أنهم نقلوه هنا من الجبهة وأرجعوا صديقه إلى الأهواز لكنه لم يعد . أسرته قلقة وأنا أيضا من أسرته . أردت أن تتفضل وترى أين هو وفى أى غرفة يقيم هنا) .

- (متى أتو ابه ؟)

- (توجه إلى الجبهة من ثلاثة أيام لكن لا أعرف متى أحضروه إلى هنا)

- (أى جبهة ؟)

- (لست واثقاً لكن يظهر من خلال كلامى مع اثنين من الإخوة داخل السيارة أن سريته كانت متجهة نحو طريق القرنة - العمارة وأصيبت فى شلمتشه) .

لا يزال جالساً على ركبتيه على سجادته ولا أعلم لماذا بدأ قلبي الملعون في الخفقان بشدة وضاقت أنفاسي ربما بسبب عدم تجدد الهواء والرائحة الخاصة بالمخابئ تحت الأرض .

ينهض ويبحث في دفتره . يحمله ويتصفحه (قلتم ما هو اسمه؟ كياني ؟)

- (فرشاد كيان زاد)

- (كيان زاد ؟) يخفي الدفتر حتى لا أرى ما فيه

- (هو هنا إن شاء الله)

يرفع رأسه وينظر إليه بشدة (ما صلتك به ؟)

أقول بلا وعي (خاله) أنطق له اسمي وأريه كارنية شركة النفط والتصريح .

- (كيف ستعودون ؟)

- (السيارة إسعاف)

- (إذا أردت نقل جثتكم فلابد أن تأخذ تصريحاً من سيادة الرائد) .

- (جثة) .

يضع الدفتر على مكتبة وينظر إلى مرتفعاً ببصره (عفواً يا أخي ظننت أنك كنت تعرف) .

- (يا إمام حسين !)

- (حين أتوا به صباح الأمس كان شهيداً . رحمه الله . كانوا كثيرين . كان لدينا سيارات قليلة فأرسلنا أولاً الجرحى) .

- (أين هو ، هل يمكن أن أراه ؟ ربما حدث اشتباه . لم يترك الأهواز إلا منذ أربعة أيام) .

- (سريته بمجرد أن دخلت شلمتشه وقع عليها الهجوم . أظن أنه لم يحدث خطأ. هو بآخر الممر الغرفة ١٣. تفضل سوف أدلك . املأ هذه الاستمارة لنقله ووقع عليها من سيادة الرائد) .

آخذ الاستمارة

نعود ثانية من وسط الصالة ، لكن هذه المرة لا أشم رائحة الدم والكافور والديتور ولا أسمع صوت النواح والألم . سقط فى وسط مخى شئ فوق شئ ثان ويأكلنى ويخمشنى . كما يحرقنى أنفى وعيناى .

يفتح خضرائى الباب ويشعل المصباح العارى المتدلى بسلك من السقف . ويصطدم المنظر بوجهنا . دائراً ما دارت الأرضية الأسمنتية للثلاجة اصطفت الجثث . أغلبها عليها علامات وكارنيهات الهوية . أسباب الاستشهاد والموت مختلفة . بعض الجثث محترق وبعضها ممزق وبعضها فقدت أيديها أو سوقها تماماً . بعضها نزف بشدة وتغطى بالدم الجاف والأسود وبعضها سليم الجسم فيما يبدو ولم تصب بجروح وكأنها نزفت فى الداخل بموجة الانفجارات أو لسبب آخر . لكل جثة بطاقة لإثبات الشخصية منها الكارنية الأصفر العادى للجيش ومنها ورقة مقواة صغيرة كتب عليها بالقلم الحبر اسم الشهيد وتاريخ استشهاده ومنها ما أكتفوا بكتابة هذه البيانات بالقلم الحبر على أيديهم

أو أقدامــهم أو فوق زيهم العــسكرى يعاين خــضرائي الجــثث واحدة واحدة . يتقــدم وأنا أتبعه كظله . حين امــلأ استمارة النقل وأقــدمها ويوافق عليها سيادة الرائد . ذكر فى الاستمارة سبب الوفاة لكن ليس فيــها تصريح الدفن . تقــول اللوائح يجب أن تسلم الجثــة المنقولة من هذا المستــشفى إلى مستــشفى الجيش أو إلى أى مــستشفى آخــر وأخذ تصريح الدفن ولابد من ملء اسـتمارة (مــؤسسة الشهــداء) أيضاً . فرشاد كيان زاد . فرشــاد كيان زاد . أفكر ليلة أن رأيته لأول مرة مع لالة فى منزل الدكتور ناصر . صبى فى نحــو العشرين من عمره ولا يزيد عنها وجهه بين الحمرة والبياض بشعر أجعد بلّوطى اللون مدهون ومعــطف ذهبى أمريكى وســروال صينى تبــدو عليه الســيادة ويــسمع مايكل جــاكسون وليلى والمجنــون . كان عاشــقاً بقى فى الأهواز من أجل لالة . ثم استغرقــة سير أوضاع الجمهورية الإســلامية فى الحرب حــتى إنتهى أســره إلى منعه من مــغادرة البــلاد والمراقبــة والإحضــار ودخول الحــرب ودخول الثلاجة . حين تحب أحــداً لابد أن تفعل من أجله شيئاً .

يقف حضرائى أمام جثة ويشير إليهــا باصبعه . جسم الجثة تصفه تقريباً جروح وطعنات . الوجه والقــسم الأعلى للجسم ملفوف بشال فلسطينى . القــدمان عاريتان يــنحنى خضرائى ويجــذب طرف الشال يرفعــه ، لا يزال نفس الزى الزيتونى الكاكى الخاص بالتــخفى على الجسد ولايزال كــارنيه إثبات الشــخصيــة الأصفر المثبت بدبوس على الصدر وعليه (جندى مجند فرشاد كيان زاد) .

جــزء من الجــثة غــطى تماماً بــالدم الجاف الذى خــالطتــه رمــال

الصحراء . الناحـية اليمنى من وجهـة ملوث بالدم بالكامل وعليه آثار الحرق . يبدو أن انفجاراً طيره من موضعه ثم أسقطه ليصطدم بالأرض بشدة . ربما حـدثت الوفاة فى نفس لحظة الانفـجار لكن لم تخل من الألم .

أتقدم إلى أعلى رأســه وأنحنى . على ساعـده الأيسر الذى يطل من كم زيه العسكرى الممزق وبقى سليمـاً بعد هذا الحادث مكان جرح قديم . مكان جرح أبيض وبرق وطويل ومستطيل الشكل طوله سبعة أو ثمانيـة سنتيمـترات أسفل المرفق هو الذى كـان يلمع فى ذاك اليوم تحت شمس عبدان المضيئة !

– ٥١ –

أواخر الليل لا زالت مستيقظاً وأجلس بجوار النافذ منهكاً وعاجزاً . مظروف رسالته فوق السرير . لا تزال رسالته بيدى . أنا ذاهل ومضنى عز على النوم وغمرنى الشرود . وماذا أفعل الآن بهذه الجثة . أعلم أنى أعمل شيئا فى النهاية أنا دائماً أظل باقياً وأعمل شيئاً . المهندس جلال آريان الذى بلا هدف وأصلاً أنا كلبة حسن دولة وأشكر مائة وأربعة وعشرين ألف رسول لأننى أصبحت الآن خبيراً فى قسم نقل الجثث . لابد أنكم كنتم تروننى .

وأى ليلة ! أخذنا تصريح نقل الجثة بكل صعوبة باستمارة النقل وشهادة الوفاة أثناء تأدية الواجب وشهادة مؤسسة الشهداء . نقلنا الجثة إلى الأهواز وسلمناها للثلاجة بمستشفى جندى شابور (بمساعدة الدكتور ناصر) . هو حتى الآن لا يعلم شيئاً ولا يجب أن يعلم . جزايرى هانم لا تعلم شيئاً بدورها ولا يطاوعها قلبها أن تشاهد هذا الوجه المفزع . لم أتركها أن تنظر إليه . إقناع الدكتور لم يكن أمراً هلا . يادكتور ، يا دكتور أرجوك رجاءً واحداً لا تنظر إلى وجهه ن أجلى . أنا رأيته فلا تره ، ولا تسألنى لماذا . لا تشاهد وجهه . ط اسمح للدكتور المناوب أن يستخرج تصريح الدفن . لوجه الله . لا تنظر فى وجهه .رتب الدكتور الأمور وأجلنا قرار تشييع الجنازة والدفن لصباح الغد .

لا أستطيع الاتصال بطهران وسائر الاتصالات انقطعت من طهران . الخطوط عاطلة . لا أعرف شيئاً عن الأولاد ولا حتى عن فرنجيس ، لا أعلم متى وصلوا طهران مع التغيير الذى حدث لهم فى آخر لحظة وذهبوا به أو إلى أين بلغوا . لا أتمنى إلا أن يكونوا فى أمان حيثما وصلوا ويُسَلِّموا جوازات سفرهم قبل سفرهم بيومين للسلطات .

ربما بهتت مريم بالتغيير الحالى وتريد أن تؤجل سفرها . ربما يسافرون بأى طريقة من يفكر بأمر من ؟ يا مريم يابنية . . ليس الذنب ذنبك ؟ كم تعانين من الآلام والعذاب فى اللحظات الأخيرة . لم يدر بخلدك فى ليلتك الأخيرة هنا أن اتفاقاً قد تم بين لالة وفرشاد وفرجام . لا تستطيعين الآن أن تكلميني لأن كلامك يحمل خطر موتك . أوه ، مريم ، مريم ، لا تحاولى . لا تنظرى للخلف ولا تفزعى . هذا الموضوع لا يتعلق بك . اذهبى وخذى آرز وسافرى . كم من سر أسود وسيئ وقبيح ومفزع لابد أن يكون من نصيبك فى اللحظات الأخيرة من حياتك واقامتك التاريخية فى هذه البلاد . غداً تتحرك طائرتك فى العاشرة من مطار مهر آباد بطهران . اوصلى الطائرة ولا تنظرى إلى الخلف ما استطعت ولا إلى أى أحد . اصحبى معك هذين الولدين العاشقين إذا كان بوسعك ودعى موتاً غالياً وعزيزاً يبلغ ثوابه وأجره .

إذا انتبه الليلة واحد فى مستشفى جندى شابور للموضوع فجأة فماذا يحدث ؟ يقبضون على الجندى الهارب من جبهة القتال الإيرانية ومن الأهواز فى مطار مهر آباد وهو يحمل جواز سفر مزور وتأشيرة أمريكا يؤتى به ومعه رفاقه لالة جهانشا هى ومريم آريان وآرز شايان

بالسيـارة المتجة من الأهواز إلى طهـران مباشرة وبدون توقف . كـما سيطول الأمور حتى تكتشف (الحقيـقة) ؟ وحين تكتشف الحقيقة أى حكم سيـصدر لكل هؤلاء ؟ ما الحكم الذى سـيصدر ضد فـرجام ؟ الرجل الذى يدخل برضا قلبه وإيمانه جبهة معارك إيران والعراق ويلقى الشهادة ؟ ما الحكم النهائى ؟ مـا الحكم علىّ لأننى أحمل رسالته هذه وأتستر عليه :

« جلال ، إذا قـرأت هذه يوماً أو ليلة أكون قـد غادرت إيران ، فلابد أن تعـد بأن ترتب مكاناً فى أى ناحـية من الدنيا لنأتـى ونتنحى جانباً ونفتح زجـاجة لا تحب سواها ونضع شريطاً للموسـيقى الناعمة وأحكى لك الواقعـة بالتمام والكمال . أعـدك ألا أضع شريط موزار ربما أضع شريط مثنوى حافظ وربما أضع شريط حميراً إذا تيسر . على أية حال أتيت الليلة لأراك فى (المنجر) كنت أود أن أعتـرف أمامك وبحضـورك بكل شئ . لم تكن موجوداً . ثـم تذكرت أنك قلت لى عصراً بالتليفون إنك ستنقل مريم وآزر ولالة إلى منزل جزايرى هانم . إذن فلابد أنك هناك الآن .

جزء من روحى سعيد لأنى لم أرك الليلة ، فلو رأيتك وأفصحت لك عن كل شئ فلا يبعد أن تصرفنى فى آخر لحظة وتفسد برنامجى . والآن وقـد وصلت هنا فلن أفكـر فى شئ آخـر . أتيت الأهواز وأنا أتوقع أشياء أخرى فرأيت أشياء أخرى وعلى كل حال قررت أنا قرارى الأخير .

جلال ، أنا صحيح الجسد ومفـيق ومجتمع الحواس وليس يفسد شعورى ، بقولك ، ذرة واحدة من الكحول والمخدرات ، لكنى أشعر

بقليل من الألم . وفى المستقبل سأواجه الألم واحتمالاً الموت . أو موت العشق . لا تحاول أنت أن تجد لذلك السبب والمنطق ولا تسألنى لماذا . ليس لكل سؤال عن الدوام جواب لا حين يموت العشق ولا حين يولد عشق الموت . لا تسمع وقتنا إلا لنداء قلبك . قلت هذا بنفسك تلك الليلة .

الجزء الثانى من روحى حزين لأنى لا أراك . لأنى أخشى ألا أراك من بعد مطلقاً . حين يفترق إنسان عن إنسان عزيز عنده بلا وداع ولا يراه ثانية كأنهم سرقوا هذا الإنسان منه . على كل حال جلست الآن فى هذا الركن وأكتب لك هذه الكلمات وأودعك ولا أودعك معاً .

لكن . . لكن إذا قرأت هذه الكلمات ذات يوم أو ليلة أكون قد لحقت بخالقى وليس من توضيح آخر إلا هذا المكتوب . يمكن أن تجمع تفصيلاته بنفسك مثل اثنين واثنين تساوى أربعة أو تحل الفزورة عن ضم أجزائها إلى بعضها .

حلقت رأسى . (ف) بدوره الآن معى فى العنبر . نسمع شعر حافظ فى كل الليلة وسوف أسلحة عند السحر آخر شهاداتى ووثائقى وأمتعتى ولباس سفرى . سوف أقدم له آخر الوصايا لرعاية لالة . سوف آخذ وثائقه ولباسه وسوف نبدل طريقينا اللذين يتوجب على كل منا أن يسلك أحدهما فى الصباح الباكر وسوف نكرر الأفعال والكلمات التى يتعين أداؤها مراراً وتكراراً ونتمرن عليها كأنك بعثت ثانية فى الدنيا أو رجعت إلى الحياة الجميلة التى كانت ملكك يوماً ثم ماتت فجأة .

حين حلقت راسى وقدمت إلى فندق (الفجـر) لـم ألبس القبعة على رأسى . كنت أضـحك وأشـعـر بالسعـادة . لا تضـحك ! لم يخالجنى أدنى خوف من أننى كنت متوجهاً الليلة حليق الرأس وغريبة بدون مقدمـات إلى (الفجر) حتى السـيد راسبوتين لم يتـعرف على بشعرى الحليق . أتيت مـتجرئاً وسعيـداً وبلا تفكير وجلست فى هذا الركن . لم أكن أخشى شيئاً. حين لا تملك شيئا لا تخشى من شئ .

فى تحليل آخـر يا جـلال . أنا سعـيـد الحظ لأننى فى الظروف الراهنة جـرت الأحداث لكى آتى إلي هنا وفى هذا الزمن الـصعب . ويقـول الدكـتور، لكـى أتمكن المشاركـة بنصـيب فى هذه التـجـربة العظيمة. فى ناحية ترى حياة سهلة حين تكون بالخارج ، حين تسكن فى شقـة بباريس أو فى سـانت بول وتجلس على كرسى وثيـر وتفتح الستائر وتشرب الويسكى الفاخـ أو تسمع من إذاعة أمريكا لعن إيران وسبها. لكن هنا صبـية جنود و ١ اس عاديون بين التراب والدم والدمع والعرق والمدافع والصـواريخ والقوة والخـوف والعجز والعـشق يدقون رأس عدو الزمان بالحـجر ، قصة أخـرى . هل تذكر تلك الليلة التى كنا نتحـدث فيها عن سـعداء الحظ وذاك الشعر وقلت بعـضهم ينالون الحظ وبعضـهم لا ينالونه ، أنا أملك الحظ أو أمتلـكته فى هذه الأيام الأخيرة . أنا سعيد لهذا القـدر المحتوم أو لهذا الجنون العظيم ، سمّه كما شئت .

تأتينى من مكبـر الصـوت فى الجهـة الأخرى للكوبرى أصـوات النواح المحزن لكنى لم أكن أسمـعه لأنه كان غزلاً عشـقياً . أريد أن يعم الحياة السـرور والضحك والعشق . فإذا لم يتيسـر ذلك لى فدعه يكون من . . حظها هى .

وبعد حسناً ، وأستودعك الله وإلى اللقاء أيضاً . اعشق فى أثينا بدلاً منى أيضاً . فقد حان وقت التحرك ووقت العشق .

المخلص م . ف

أرفع سماعة التليفون وأضرب رقم الدكتور ناصر . الآن الحادية عشر تقريباً . أعلم أنه لا يزال ساهراً . إنها ساعة فحص بعض ملفات مرضاه وتقاريرهم الطبية وهو فى العادة آخر أعماله . يرفع السماعة :

(نعم)

(السلام ، أنا)

(كيف حالك يا جلال ؟)

- (لابد أن أقابلك وأدرس معك موضوعاً لا يمكن أن أبحثه من خلال التليفون)

- (كأنك تشعر بالألم ، تعال)

- (كنت أحب أن أحتفظ به داخل قلبى لكن لو فعلت ذلك سأنفجر فى الصباح)

- (إذن تعال قبل أن تنفجر)

لا أضحك (سآتى خلال خمس دقائق)

أرتدى معطفى وأضع رسالة فرجام فى جيبى وأخرج . حين أصل لا أحد غير المصباح الصغير مضاء أمام المنزل . مصباحه دائماً مضاء . الشارع ساكن مظلم . وقف الدكتور أسفل شجرة العرعر اليابسة القريبة من الجدول ينتظرنى . تماماً مثل أول ليلة حين قدمت أنا ومنصور كشخصين متشردين هنا .

– ٥٢ –

انقضى من الليلة نصفها حين عدت إلى الفندق لم يتنبه أحد إلى ذهابي وإيابي . المصعد والممر الطويل الخالي وغرفة ٤٢٩ يلفهم العبوس والموت . أحمل الطبق البلاستيكي الصغير المملوء بالأدوية وأضعه أمام مرآة التسريحة . أخلع معطفي وحذائي وأرميهما في ركن . لم أتناول عشائي ، نسيته ، وهذا رقم قياسي عالمي لجلال آريان . أرفس علب دواء الليل التي على طرف المنضدة بجوار السرير فتتناثر . مع أنني أود (أن أجد سيخاً من الحديد وأقوم وأرفعه وأبدأ في) . . لكنني أذهب وآتي بنصف كوب ماء من صنبور دورة المياه وأخلطه بمحلول العيل وأجلس على الكرسي الذي يواجه ظهره المرآة التي وضعت على طرفها صغيرة صغيرة لفرنجيس . لا أريد أن تراني . ولا أنتظر منها في هذا الوقت مكالمة . الليلة لا أنتظر أحداً أو شيئاً قط . . فرجام لا ينتظر أحداً أيضاً إلا أن نودعه الثرى في الصباح وندعه يحلق رسمياً بالله ورحمة . أعد له كأساً وأضعه على طرف المنضدة أمام الكرسي الخالي حيث جلس آخر مرة . إنتهت الرحلة وإنتهى الانتظار .

أتجرع جرعتي ماء كبيرتين بقرصين من الأقراص التي أهداها لي الدكتور وأشعل سيجارة وحين أدير وجهي لأحمل منفضة السجائر من فوق المنضدة أرى نصف عنقها مكسوراً فأدير وجهي بسرعة وأتجرع جرعة أخرى . لكنني أخطر نفسي هامساً هذا الأخطار الرسمي . على

رسلك يا آريان الغرّ ، لا تكن أخرق الليلة . لو تعب المسئولون وجاءوا الآن وجرى التحقيق المطلوب وجرى التوضيح المطلوب فلا أن تكون منطقياً عاقلاً وميتاً وعليه فلا تكن من الآن دافن موتى يا آريان . حسناً جداً ، حسناً جداً . أنني الآن أعد نفسى للغد متحليا بالمنطق والمتانة والإفاقة وبالشقة الكاملة واللازمة . أعد نفسى لتحمل أربع وسبعين جلدة أو أعد نفسى لدفع أربعة وسبعين ألف تومان غرامة مالية . أو أعد نفسى لحبس سبع سنوات وأربعة شهور . أعد نفسى لمراسم متألقة تفيض الفخار لدفن أحد الشهداء .

هذه الليلة على كل حال متقلبة وتهب فيها الرياح بالخارج . أمدد قدمى . اسمع أولاً صفير رياح الليل ثم صدى الصمت العنيد الذى يأتى من المرأة والجدران والستائر ، لكن كان السكون منعدم . صدى عربدتى أنا الذى لم يصدر عنى حتى الآن أو صدى ضجة لم تثر من ثلاجة جندى شابور وسط العاصفة . أشرب جرعة أخرى من محلول الليل . MERKE ٩٩٪ . . قرصان من هذا وخمسة من ذاك . وعليها البنز يدرين وأضيف أيضاً حمض الاستوساليسيليك . أشد خطراً من السم المنقوع وأكثر تحريماً من لحم الكلب الأرمنى . وأشد فتكاً لك من سم السيانور بتاسيم . . لكن سوء الحظ هنا أنك لا تموت يا آريان . تظل حيا تعيش . لأن الموت عشق ويتطلب الجدير به (الطيران عمل العشاق المختارين) س س س ! انكتم يا آريان . فكر ما ستفعله بالغد يا آريان .

صباح الغد ماذا سيحدث ؟

أولاً الأخبار السعيدة التى ستظهر على وجه الاحتمال لشخص سعادة إليك على شاشة الفيديو (الأقبال) فى الجمهورية الإسلامية

هى :(المهندس جلال آريان ، الموظف المتقاعـد لشركة النفط » أستاذ غير مـتفرغ بعقد من كليـة النفط » فى الساعة الثالثة من صـباح اليوم حول إلى (مسـتشفى الأمراض العقليـة قسم الخطرين) من قبل إدارة الشرطة بالمنطقة وإخوة وحدة إسعـاف المرضى النفسيين المقاتلين . كان المذكور أثناء انتقاله إلى قسم الإسعـاف بالمستشفى تحت تأثير المخدرات واحتمالاً المسكرات الطبية . امتنع النقيب كاردوست عن إبداء أى رأى فى هذا الموضوع . علم المراسل الصـحفى لجريدة (نداء خـورستان) بمتابعتـه المؤولين عن العلاج أن المذكور أثناء انتقـاله إلى قسم الطوارئ كان يقـرأ بصوت مرتفع مثنوى (حـافظ) وكان المهندس آريان يدعى إنه هو الشاعر المعروف شاطر عبـاس قمى . قام ومع الطبيب المسئول المناوب بضرب النزلاء لأنه تـصادف أن الدكتور نفـسه كان من أحـفاد شاطر عباس قمى) وأتجرع جرعة كبيرة .

أنهض وأمـلأ كأسى ثـانية من مـحلول الليل وأعـود إلى داخل الحـجرة أو أحـاول . لا أتمدد على السرير . لو تمددت فـإن حسـاب نهوضى من النوم سـيكون مع الكرام الكاتبين . ولا أعتـقد أن الكرام الكاتبين يحسـون بأدنى رغبة الليلة أو صبـاح الغد أو أى وقت فى أن يحاسبوا جلال آريان .

لا تزال السماء حـالكة بالخارج ، لكنى أعجز عن مـعرفة الوقت فى الغرفة ٤٢٩ بفندق الفجر . ساعتى شغالة وغير شغالة . فى ثلاثة قاعدة دارخوين حين كنا ننقل جثـة منصور فرجام إلى أعلى وانزلقت قدما خضرائي وسـقطت أنا وهو والجثة ثلاثتنا على رءوسنا اصطدمت ساعتى بالأرض . وهـى الآن وأن كانت شغالة لكنهـا تحتاج إلى مخ ليفهم الوقت بها . أنظر . العقارب خاصة عقرب الثوانى يدور سليماً

والرقاص يدق بإنتظام . لكن كأن صفحة الأرقام بها أخذت تدور حول حركة العقارب . أقسم بالله . العقارب تدور ناحية اليمين والصفحة تدور بنفسها ناحية الشمال . حسناً جداً . اتركها تدور ، اتركها تدور في شرود وذهول . أنا حيّ حتى الآن ، هنا ، يقظ ، أشرب محلول الليل وبالخارج لا يزال هناك حالك الظلام ينزلق متدحرجاً . لا يمكن حتى الآن أن يكون تعدى الثانية أو الثالثة بعد نصف الليل . أجلس وأشعل سيجارة أخرى ولكن كفاك أن تكون غاسل أموات .

فكر فى الأيام والأعمال الطيبة وبنحو إيجابى . تأتى أنت وفرجام إلى خوزستان ليتعلم الكمبيوتر . فكر فى الانجازات الناجحة . هو يخطط وينظم مركز تعليم تكنولوجيا الكمبيوتر ومركز تدريب الموظفين فى النهاية بأى شكل ولا يزال هذان المراكزان قائمين . خذ فقط مثالاً فصول تعليم الانجليزية المتقدمة الاصطلاحية بغرفها النفطية الفخمة وما فيها من ملصقات تنبه الأخوات بمراعاة الحجاب بنقش دعاء ما قبل بداية الدرس ودعاء ما بعد الدرس وشعارات التعليم (نريد تأسيس مجتمع نورانى) . (أيها الأخوة يمكنكم أن تسجلوا أسماءكم للتوجه إلى كربلاء فى الحجرة ٢٠٥ . للتفصيلات الأخ شلمتشىْ) المركز موجود . موجود دائماً والأخوة الملتزمون المحرومون من العلم موجودون . والأخوة المتخصصون القدامى فى إدارة تدريب القوى العاملة موجودون . برنامج المركز بهمة الأخوان وجد من الأنسجام والتنظيم ما يجعله يعمل أتوماتيكياً . تلقائياً ! وبحول الله وقوته فى النهاية سوف تستقيم الأمور وتستوى . اتجرع ما بكأسى . أستطيع أن أتصور أننا صرنا نسير أتوماتيكياً بحول الله وقوته . سكرتير طاعتيان

ينفض الغبار عن مكتبة . يصور جميع الأوراق والمستندات ثلاث صور ويحتفظ بالصور . أرسل بيكلرى لجمع إخوة المركز فوراءهم اجتماع الساعة العاشرة . لابد من تسجيل احصاء لطلاب الانجليزية . لابد من وضع لائحة دفع أجر التدريس للمدرسين بعون أخوة تسجيل اللوائح . أخت سكرتير طاعتيان لا تسمع شيئاً . ما هو اسم حضرتك ؟ تضع السماعة على النقاب والعباءة اللتين تخفيان أذينها . نعم ، الأخ ضرغام ؟ آسفة ، الأخ منصور سرانجام . .

متأسفة يا سيد سرانجام . الأخ طاعيتان الأن فى اجتماع . اتصل يوم الأربعاء أو الخميس حين يفرغ من مشاغله . ماذا قلت ؟ على عينى ، سأكتب له رسالة ، نعم سأقول إنك اتصلت . . لكن أولئك الآخرين لا يستغلون الأخ ضرغام الملقب بالأخ سرانجام واسمه المستعار فرجام لأنهم أداروا وجوههم إلى الناحية الأخرى . الكمبيوتر يشبه مخ الإنسان . المعلومات والحقائق التى تعطى إليه مثل المعلومات التى يحفتظ بها الإنسان فى مخه . ويمكن للكمبيوتر على أساس هذه المعلومات والحقائق المحفوظة أن يظهر جواباً لكل سؤال سريعاً وصحيحاً . أولئك لن يمتلكوا ثانية فرجام . حسبهم أن يحملوا الملف الكبير الذى يحوى الرسوم والخرائط ولوائح العمل والبرامج وسائر المعلومات للإدارة . لن يمكنهم ثانية مد أيديهم إلى فرجام أو تعطيله بامتحان توظيفه أو سرقة شقته أو نهب شيكاته السياحية أو الاستفادة من قلبه البرئ والعاشق . فقد ذهب إلى مكان ترد فيه الحقوق وحيث يوجد العدل الألهى الحقيقى . آريان آريان ، لوجه الله تعالى ووجه ساقى الكوثر لا تكن غاسل أموات احمل كأسى الفارغة وسيجارتى نصف المدخنة وآتى إلى المرحاض . أحيى مرة أخرى

كأسي . ليتني ملأته من ماء الكوثر . ما طعمه ؟ لكن ليس لك الليلة هنا غير محلول Merke والبنزيدرين والاستوساليسيليك وعز عليك حت« سم السيانور باسيتم ولن تذهب إلى أى مكان سوى تواليت رقم ٤٢٩ بفندق آستوريا الفجر .

أعود إلى الكرسى بجوار السرير والغرفة ٤٢٩ لا تزال مع وجود العاصفة بالخارج تمتلئ بالهواء الميت وطعم التراب وتمتلئ بتعفن الآمال والتوقعات التى ذهبت هباء . . أنت جائع يا آريان ، انهض وتناول شيئاً . أنت دائماً جائع . أنت جائع وأتيت هنا من أجل المال . تجمع المال أيضا . لكن هنا هو مكان محمد عبد الزهراء ابن الننة بوشهرى ومكان أصغر عبد الله والأخوان . مكان الميكانيكيين والخبازين والأطباء ومصلحى إطارات السيارات والبنائين واللحامين وأطفال المدارس الذين يتوجهون إلى الجبهات ولا يعود أغلبهم . هو مكان الأخوات وأمهات الشهداء وزوجات الشهداء اللواتي يأتين خلف الجبهات ويغسلن بكل العشق والألم أردية الشهداء الملطخة بالدم وأزياء الجرحى داخل أوانيهم الواسعة وينشرونها تحت الشمس وكوشة ليلة زفافهم وكوشة الليلة الأولى فى مقابرهم واحدة . هنا مكان احمد لو اسانى أخى الحاج لواسانى . هنا مكان إدريس بن مطرود . هنا مكان أخى عزيز زيتونى وابنه . هنا مكان منصور فرجام. ليس مكانك هنا . العاشقون لا يصدرون القرارات . العاشقون لا يتحدثون عن العمل الذى يحسب أجره بقدر مدته . لا يتحدثون عن المكافآت والمزايا . العاشقون لا يريدون الكوبونات وبونات الجمعيات التعاونية . العاشقون لا يحتلون منصباً ويتكسبون منه الأموال . العاشقون لا يقتنون أجهزة الفيديو . العاشقون لا

يتناولون شطائر السجق . العاشـقون لا يأكلون أموال الموتى والمرضى فى عائلتـهم لا يجمعـون الذهب والعملات الصـعبة . ليسـوا كتلك الشرزمة الزانية المستغربة الجوعانة مثلكم .

جرعات أخرى عديدة . فرجـام بقلبه الكبير يذهب بطائرة إيرانية إلى فـرانكفـورت ومنهـا عن طريق الجـامـبـو جت SP ٤٧٤ لـ (بان أمريكـان) إلى شيكاغـو ويذهب منها بالطيـران الداخلى (للخطوط الجوية الأمريكية) إلى سانت بول ترك سيـارته فى الخارج فيستقل من المطار تاكسى (يلوكب) إلى شارع فولـر يأخـذ مفتـاح شقتـه من الـ Manager المدير . وفى العـصر يخـرج سـيارته من الجـاراج تحت الأرض ويخـرج بها إلـى السوبر مـاركت (كى مـارت) أو يمكن أن يجلس فى شقتـه مع كتبه بجانب كمـبيوتره الشخصى المتـصل بمكتبه الكونجرس ويتصل تليفونيا لكى يرسلوا له من (فندق البلد ، فيلج إن) بيتزا عـيش الغراب والجمبرى . أو يمكنه يذهب إلى السـينما ليلاً مع فـرانسيس برجـمـان ثم يذهبـان إلى العشـاء . يمكن أن يتـزوج من فرانسيس ثم يشترى كهدية عيد ميلاد ابنـه الأول من شـركة التـأمين (مريل انشورانس) على أقساط تأمين طويلة الأجل شهادة له لدراسة حتى الدكتوراه فى جامعـة (جونز هوبكنز) لكى يستطيع ابنه أن يبدأ من عام ٢٠٠٤ دراسته فى الطب بربع شهادة شركة التأمين .

أبقى بمشقة عَيْنَيَّ مفتوحـتين وأشرب جرعة أخرى . أرى فرجام توجه يملـؤه العشق بناقلة من إمـداد وتموين اللواء الخامس من الفـرقة العاشرة من جيش خراسان فى عـمليات (والفجره) إلى حرب الحق ضد البـاطل ويسرع إلى لقـاء الله . خلف عجلة الناقلة يلبـس قبعـته

ويفكر في ماضيـة ومستقبله . إنـه سعيد يطير فـرحاً . يجلس بجوار بقيـة الأخوان في المسجـد بأعلى طريق خضرية ويخـفي أكثر وجـهه بقبعـته . يتناول الشاي والخبـز المجاني في المسجد . يعلـم أين يتجه ولماذا يتجه . ربما يريد كـتابة وصيته ويرسلها إلى جـريدة (كيهان) لتنشرها : (الشهادة باب يفتحه الله لعبادة الخواص ومختاريه) .

الليلة العاصفـة لا تزال مزعجة . أجهز كـأساً أخرى وأحاول أن أفكر في جوانبها (الطيبة) بالقوة . أنظر إلى ساعتي بمعصمي . تشير عقاربهـا إلى التاسعة . يمكن أن تكون التـاسعة حسب حالتـها لكنها تقريبـاً الثالثة صـباحاً . لا يزال الظلام يملأ الجـو بالخارج لا يمكن أن تكون التـاسعة صـباحاً . يمكـن أن تكون التاسعـة لأي ليلة من هذه الليالي الأليمة الأخيرة. يمكن أن تكون التاسعة لليلة أسفل السافلين . أو التاسعة من لليلة التي رحلت فيها مريم والأولاد .

فكر فيهـم فلربما على الأقل يكون هذا السفر إيجابيـاً في النهاية لهم على أي نحو فكر فـيهم . فكر في أولئك الذين جاء فـرجام إلى الأهواز لكي يعطي لحـيـاتهم مـعنى ونظاماً . ألا يـحيى استـشهـاد العاشـقين الحياة والعشق ؟ فكر في لالة وفـرشاد فربما خلقوا حـياتهم وعشقهم . فكر فـي مريم وولديها . فكر في تلك الليلة . في ولادة أخرى. فكر في الليلة الأخيرة. فكر في الكلمات التي كنت تنطقها . أحسبها هنية وهـي عند الله شئ عظيم . كنت أو ذاك حتى همهـمة السحر تقول . كنت أريد أن أكون هنا ، أكون بإيران ، أكون في هذه الثـورة العظيمـة وأعمل شـيئـاً وأرى نتائجـه وآثاره . هنا في الوقت الحاضر لا يهتم أحد قط بأحاديث النسـاء وحـالاتهن وأحاسيسهن . ربما في تلك اللحظة التـي دخل فيـها الأخ المفـتش بإدارة المخالفـات

والانضباط ورأى سيدة موظفة انزاح قليلاً الحجاب عن شعرها ، ربما فى تلك اللحظة حين مدت المرأة يديها لترفع ستة ملفات ضخمة من فوق أرفف المحفوظات . ربما فى ذلك الوقت كانت كذلك قلقة بسبب ورم تحت ثديها وكانت فى هم لفترة خشية أن يكون ورماً غير حميد . أو ربما كانت فى هذا الوقت متخوفة لماذا نزلت عليها العادة الشهرية بلا سبب مدة شهرين لا قدر الله يكون سبب ذلك سرطان بالرحم مثلما حدث لوالدتها . فكر فقط فى أن أخاً ضئيلاً قال إن حجابها إنزاح قليلا عن شعرها أو انزاح فعلاً قليلاً فلا ينبغى حرمانها لأجل ذلك حقها فى العمل والحياة الاجتماعية للمرأة . فكر فى أنه لا ينبغى حرمان المرأة من وظيفة المتخصص فى الكمبيوتر بسبب أن هذه المرأة المتخصصة ذات التجربة نست الفرق بين الغسل الواجب بسبب الاستحاضة القليلة وغسل الاستحاضة الكثيرة فى امتحان الأيدلوجية . آريان لا تكن غاسل أموات !

أعد كأساً أخرى وأعود لأجلس على الكرسى . رأسى يدور . فى الخارج وسط الليل لا تزال الريح تعوى . ظل يقظاً وأشغل مخك . فكر فى أشياء أكثر بساطة . لا يزال كتابة بجوار سريرى كأنه ميراث شؤم وبلا معنى وغاير متجانس أرفعه وأحل أن أشغل فترة ما بقى من مخى . أين كنت ؟ لا يفترق الأمر . لا يفترق مع هذا الكتاب . أولا يفترق الليلة . أو لا يفترق فى غيرها . فلاديمير واستراجون فى نفس هذه الطرق المهجورة . قبعا تحت نفس الشجرة التى بلا اسم ينتظران وجوده . (ما هذه الليلة اللعوب التى نعيشها الآن !) لا يمكن نسيانها) (ولم تنته حتى الآن) (لا فيما يبدو)) (أنها سيرك) (أنها لعبة الرقص) (إنها سيرك) .

لا يضيرنى حمام ساخن ينظفنى ويجعلنى خفيفاً . لكن لا فى هذه الليلة . الليلة لا يتطهر أحد أو يتخفف إلا قطعة أرض صغيرة من الأرض . أنهض وأعود مثل اليويو إلى المرحاض وأملأ كأسى . أنظر فى المرأة فأرى استراجون يسخر بتحريكه صدغيه . الهواء يزمجر أو لابد أنه فلاديمير جاء مع روح جودو على إرسال قناة فضائية . الريح والعاصفة اشتدا . فليكن . ليست هذه أول ريح وعاصفة . فى الأهوار ولن تكونا الأخيرتين . لا تدر وجهك خجلاً وحسب . لا ، إنك من أولئك الوقحين . ارم بعض حفنات من الماء على وجهك ورأسك .

أعود بآخر كأس موجود من محلول الليل . الآن حالتى بخير تماماً ومخى يعمل بشكل جيد بالكامل . لكننى نسيت أى اتجاه ينبغى نفس سدادة الزجاجة حتى تنسد . أشعل الراديو بنفس ولوحدى وأسمع بعد دقائق برنامج (طريق الليل) فأعرف إن الساعة حوالى الخامسة . أقفل الراديو . طريق الليل بدون طريق . محلول زكريا وساعتى المجنونة اليدوية وسيلة فضلى لإزاحة هذه الليلة المفزعة الفجة . كأنك تجلس فى خمارة خضر ذى الخطى المباركة فى شيراز أو فى بار (جودو) فى باريس التى تتراجع فيها عقارب المنبه . حين تأتى فى نصف الليل بقلب مفجوع وتجلس وتأكل حتى ولو ألقى بك فى خندق البلاء تصبح أكثر فراغاً من الهموم . وكلما تقدم الليل واقترب إلى الصباح تتراجع ساعات الليل عن الثانية عشرة ويتحرك الليل الأسود متقهقراً أكثر نحو الغروب سابقة .

- ٥٣ -

لا يزال الجو مظلماً حين يأتى الدكـتور . يضرب لى الجرس من أسفل أنا فى انتظار وفى خلال دقيقتين أهبط إليه يرانى الحاج راسبوتين نعساناً فيقول (يا حاج الدكتور ينتظرك داخل السيارة) .

الدكتور خلف عجلة قيادة سيارته البيجو ٥٠٢ ش أمام منزل أبى غالب بالضـبط . ووقفت بجانبه سـيارة نيسان باترول زيتـونية الشكل لكنها خالية . لا يزال الجو عاصفاً ومليئاً بالتراب . الدكتور لم يحلق ذقنه ومتعب وسهر الليل . يدخن سيجارة ولون وجهه كالجير . أشير له بيـدى مسلّمـاً وأفتح الباب وأنزلق بـجواره . لا أشم منه رائحـة الكولونيا كعـادته ، أنا استحممت ونظفت نفـسى وتفوح منى الرائحة الكثيفة لربع ليتر من الكولونيا الرخيصة الإيرانية الصنع .

- (السلام عليكم)

- (نعم ، سلام ، ادخل) حتى صوته كأنه يرتعد

- (كأنك لم تنم البارحة حتى الآن ؟)

يتنفس نفساً من سيجارته (حيرنى فعل هذا الشاب ، هزّنى)

- (نعم ، الكثيرون ليسوا بمثل هذه الكفاءة)

- (تراجيدى)

أشعل بدورى سيجارة وأحاول أن أكون واقعياً

ـ تعال ولا نسرف اليوم فى الأحـاسيس يا عزيـزى الدكتـور ، هل نتحرك ؟) أنظر إلى ساعتى فتشير إلى نحو الثانية عشرة . المحرك دائر لكنه لا يتحرك وإنما يهز رأسه .

أتنفس نفساً طويلاً (يجب أن نفكر شيئاً فى الحق فى هذه الجنازة التى صارت مسئوليتنا . هل تريد أن تقوم بهذه المهمة) .

أتمعن فى النظر إلى عمق عينيه .

– (لقد اتفقنا البارحة يا سيادة المهندس جلال بك آريان)

– (بأى ثمن يكون ؟)

– (فلنذهـب لنر مـاذا سيـحـدث . الناس يموتون وتنـقلهم الشـاحنات تلو الشـاحنات ونحن نـدفنهم . وهذا واحـد منهم ، ألا تشعر بالخوف ؟)

– (لا أشعر بالخوف إلا كالكلب)

– (لا تخشى شيئاً)

– (يمكن أن تنتهى إلى عواقب . أعلم ماذا اتفقت عليه البارحة . الله هو الذى يعلم أن هذه المهمة يمكن أن تقضى إلى عواقب) .

– (إن شاء الـله لن يكون لها عـواقب) . يضع يده على يدى ويربت عليهـا (نعم ، لنذهب . . شئنا أو أبينا فقد سـقط هذا الأمر على رءوسنا ولا مفر منه) .

– (لا . . لا مفر منه)

ويجذب إليه عصا القيادة ونسير فى طريقنا

يغيرُ الموضوع (ضرب الملاعين البارحة للمرة الثانية مسجد سليمان وأنديمشك ودزفول) .

- (كم بلغت الخسائر ؟)

- (لا أعلم ، كثيراً . . في النهاية سيضربون الأهواز)

نطرق صامتين مدة . ثم يسألنى (هل وصلتك أخبار من طهران ؟) أريد أن أنظر إلى ساعتى ، فلا أفعل (لم يصلنى أى خبر ، فيما يبدو عجزوا عن الاتصال . طائرتهم العاشرة والنصف من صباح اليوم) تصدر عن فمى رائحة الكناسة العفنة .

- (إلهى يا كريم اللطف أوصلهم سالمين)

- (سوف يسافرون إن شاء الله)

- (هل أفطرت ؟) ينعطف من فتحة فى شارع آية الله منتظرى شمالاً (نأكل شيئاً عندهم . الغاسل والدافن يضربهم العمل ببطن خاوية . هل تود أن نذهب لتناول الكوارع ؟)

- (لا)

- (هون عليك)

أنظر إلى الخارج من النافذة (أود لو أن حادثاً يقع فعلى الأقل يقع بعد طيرانهم)

- (لن يحدث شئ . . لن تتحقق مخاوفك . اسمع يا جلال . لا تغير قلبك ونيتك حدث هذا الأمر العجيب . والملعون المقوت . مات فرجام هذا الطفل البرئ . جثمانة هناك داخل الثلاجة . الجميع

يظنون أن جثمانة هو جثمان الشهيد فرشاد كيان زادة . على أى حال هو شهيد واحدة . إنسان واحد والشهيد شهيد فما يفرق الاسم . العلامة التى كتبت على الكفن : الشهيد .. هذا هو واقع ولابد من قبوله ونعمل على أساسه . لابد أن ندفنه بكل برود وبارتياح وبسرعة . لابد أن يتم هذا الأمر وعلى خير وجه . لقد تحقق ما كان يطلبه وما كان مثلاً له . ونحن إذ ننقذ أرواح جماعة بريئة وحياتهم وسعادتهم فإننا نفعل ذلك من أجله هو . لابد من انقاذ حياة زوجتك ومن معها ، أهذا حسن ؟ إذن سوف تمر الأمور بخير) .

- (إن شاء الله)

يرمقنى ويتأوه ويكرر بيت الشعر الذى أنشده البارحة لحظة توديعى عند باب منزله : إذا لم يكن مآل منصور (الحلاج) المشنقة : فلماذا لا نتخلى عن عشقنا له ؟ !) .

ولابد أن يتزود بالبنزين . فنلتف من نفس بداية الشارع المجاور للحديقة الوطنية حتى داخل محطة البنزين . فيذهب وراء ملء سيارته بالوقود وأنا أبقى بداخل السيارة وأشاهد الشارع الصامت والمظلم كحالة شوارع الأهواز لا يزال الجويين النور والظلمة . ولا تتراءى أمام ناظرى أجمل أيام عمرى . نحن حتى عاجزان عن أن نهيئ له دفنه سليمة ومريحة . على ذلك الناحية من الشارع فى ظلمة الصباح ونوره اصطفت مجموعة من الناس أمام فرن الخبز تنتظر الخبز . اصطف الناس أيضاً أمام محل ألبان متعلق (بالأخوان) بأوان من البلاستيك ينتظرون اللبن . أنا نفسى جائع وعطش وأنتظر قبراً هادئاً وبغير صخب وضوضاء .

قرب السابعة ندخل فناء الحديقـة ثم نلج مبنى المستشفى . رجلٌ نحيلٌ أعجف الوجه أعرف فيما بعد أنه زوج عمه فرشاد واسمه السيد جلالى وقف أمام قسم الاستعلامـات ويتصل بمكان ما تليفونياً . حين يرانا ويعرف الدكتـور ينهى بسرعة مكالمته ويلقى على الدكتـور التحية ويرش يده بالكلولونيا . أقدم له نفـسى . جلالى أيضاً شاحب اللون ومتعب ومريض . بيده بضع اسـتمارات وأوراق مطوية كأنه لا يدرى ماذا يفعل بها وعليه فيسلمها للدكتور .

يفحص الدكتور الأوراق (ما الأحوال يا سيد جلالى ؟)

– (تعاسة . الشاب المسكين الوحيد . . كان فى أجازة منذ يومين فقط) .

– (هل وقعت على الأوراق كولىّ أمره ؟) .

– (نعم ، ماذا أفعل ، ساعدنا يا عـزيزى الدكتور . أنا وحيد . قلبى أيضًا ضـعيف تناولت جمـيع مالدى من مقويات ومـهدئات من البارحة حتى الآن) .

– (هل الجثة بالأسفل ؟) .

– (نعم وحـصلت على اسـتمـارات تصـريح الدفن من القـسم الصحى من اللواء العسكرى) .

– (حسنًا ، حسنًا) .

– (ومعى بطاقته الشخصية) .

– (هل سلمت تصريح الدفن لكى يختموه ؟) .

- (لا ، لم يأت أحد حتى الآن) .

- (وسيارة الإسعاف ؟ لنقل الجثمان . . هل أبلغت قسم الحركة ؟) .

- (سيارة إسعاف من المقرر أن تأتى الساعة الثامنة) .

- (كلما كان أسرع كان أفضل) .

- (لن تصل قبل الثامنة) .

- (ألا يمكن أن نأخذ من هنا سيارة إسعاف) .

- (لا يمكن . قالوا سيارات الإسعاف هنا تحت إشراف طوارىء الحرب . . أخذوها من مكتب الدفن . المفروض أن سيارة إسعاف واحدة ستنقل جثمانين آخرين من مكانين مختلفين ثم تأتى هنا وتحمل فرشاد وتتجه مباشرة إلى المدافن) .

- (ثلاثة مرة واحدة) .

- (سيارات الإسعاف هنا قليلة) .

يعود الدكتور وينظر إلى .

- (هل ننزل ونلقى نظرة ؟) .

- (من هنا) ويعيد الشهادات إلى جلالى ثم أقول (هؤلاء بضعة من طلاب الكلية) على رضا نوبختى وثلاثة من الطلاب يظهرون .

- (هذا هو رضا الوفى) .

- (السلام يا سيدى ، البقية فى حياتكم) .

- (سلام ، صباح الخير) .

- (حسنًا ، الأفضل أن نبذل كل ما بوسعنا) .

- (نحن مستعدون للخدمة) .

- (ابقوا أنتم هنا . هل ننزل يا دكتور؟) .

(هيا بنا) .

نهبط بضع درجات من السلم الخالى والمظلم إلى البدروم خلف حجرات غسل الملابس وتجهيزات التدفئة المركزية والتهوية ، أبواب الثلاجة مقفولة ولم يظهر أحد من الموظفين أو العمال . ننظر من خلف الزجاج . الدواليب المعدنية لصالة الثلاجة كلها مقفولة ونحو خمس عشرة جثة مصطفة بجوار الحائط على أرضية الصالة ، وأخرى ملفوفة بالملاءات . وبضع تحت البطاطين . وبضع غيرها ظلت فى أزيائها المختلفة العسكرية واختفت وجوهها تحت شالات . قليل منها لُفّت بالنايلون . ربما أصيبت بالقنابل الكيمائية . علِّم كل واحد من هذه الجثث بأى شكل بكتابة أسمائها وبياناتها . كأنى أرى من بعيد الجثمان الملفوف لمنصور فرجام وسطها فى المكان تقريبًا الذى تركناه فيه بالبارحة .

يظهر من خلف المغسلة وجه يخالطه النوم لجسم ضئيل وشارب ضخم وشعر أجعد يغطى الرأس المغسول المصفى . فى يده غلاف لحفظ الأوراق وفى الأخرى خبز رقيق طازج .

- (السلام يا دكتور ، تفضل ، أنا كاظمى ، هل تأمر بشىء) ينظر إلى ويرمقنى بنظرة شاكة ومرة .

- (السلام عليكم يا سيد كاظمى ، صباح الخير) يصافحه

الدكتور .

- (تفضل مشتاق لرؤيتك يا دكتور) .

ينظر إلى الدكتور (جـئنا لنقل جثة الشهيد فـرشاد كيان زاد . له صله قرابة بنا أيضًا) .

- (رحمه الله ، الأوراق ؟) يعطس وينظف أنفـه وما حوله بكم يده التى تحمل حافظة الأوراق .

يعطيه الدكتور الشهادات ولكن كاظمى لا ينظر إليها (متى أتوا به ؟) لا يزال طرف عينه الشاكة ينظر إلى .

- (البارحة فى الساعة الثامنة أو التاسعة) .

- (هل لديهم تصريح الدفن ؟) .

- (نعم) .

- (تريدون تشييع الجنازة الآن ؟) .

- (نعم يا سيـد كاظمى . أنا سـعيد لأنى رأيتك فـأنت موظف دقيق ومؤمن ومنضبط) .

- (من هذه الناحية يا دكتور ، أنا فى خدمتك) .

يفتح الباب الضـخم لصالة الثـلاجة بالقـوة وبضربة مـن كتـفه وندخل إلى الهواء البـارد ونتجمـد تقريبًا ، ينظر كـاظمى إلى الجثث التى على الأرض (هذه التى أتت البـارحة وفـجر اليـوم . قلت اسم المتوفى ما هو ؟) .

فيقول الدكتور بسرعة (فرشاد كيان راد) .

- (هل أحضروه الثامنة ليلة أمس ؟) .

أشير (هو هناك) .

- (نعم ، إنه هناك معهم) ويشير إلى الجثث التى اصطفت على أرضية الصالة بجوار الحائط .

وأشير إلى جثمان منصور فرجام الذى كنا لففناه فى ملاءة من الصوف السميك ليست كثيرة البياض وعقدنا أعلاه وأدناه بدوبارة بإحكام شديد كأنه رسالة بريدية ملفوفة وكتب بأعلى الصدر بالقلم الحبر (الجندى الشهيد فرشاد كيان راد بن محمد حسن بطاقة شخصية ١٢٥٧) .

- (هو هذا) .

يفحص كاظمى الأوراق والشهادات ويتلكأ متماطلاً ويقلب فى الأوراق ثم يعود إلى مضاهاتها بأوراق الجيش . أمسك ساعد الدكتور وأضغط عليه (هل هناك مشكلة ؟) .

ثم يرفع كاظمى أنفه ثانية . الخبز الرقيق ملقى فى ناحية بجواره . ثم يوقع على الأوراق باختصار ويقول بغير اهتمام (يمكنكم حمله) .

- (نحمله الآن) .

- (فى أى وقت تشاءون) .

- (والمحفة أو النقالة ؟) .

- (يا دكتور أنا خجلان والقرآن . كل النقالات فى غرف العمليات والطوارىء) فأقول (لا بأس يا دكتور . حين تأتى سيارة الإسعاف فطلاب الكلية موجودون فنأتى ونحمله على أيدينا نحن أنفسنا) .

فيسأل كاظمى (ألم تصل سيارة الإسعاف حتى الآن ؟) .

- (المفروض أن تأتى الساعة الثامنة) .

- (إذن فاتركوا الجثة يا دكتور . معكم الأوراق وحين تكونون مستعدين فاحملوها لا تحركوها الآن من فضلك) .

- (على عينى) .

لكنه على حين بغتة يسلب منا اهتمامه ويمضى لحال سبيله .

بإمكان الدكتور أن يستأجر سيارة إسعاف خاصة ونتحرك بالجنازة لدفن المتوفى بسرعة ، بما أن كل شىء جاهز لكننا نقرر أن نترك الأمر يأخذ شكله العادى .

لا تأتى سيارة الإسعاف إلى الصالة المجاورة . أتى رجل وامرأته آخران من أصدقاء أسرة شايان وجزايرى ووقفا بجانب جلالى وجزايرى هانم وأخذوا يتحدثون . وعلى رضا وطلاب الكلية يتحدثون فى حلقتهم أيضًا . والمرضى وغيرهم كثير الذين أتوا الآن للكشف والعلاج بالمستشفى جلسوا حوالى الصالة انتظارًا للأطباء وموظفى الفحوص أو قسم الأشعة . وفى أحد الأماكن انفتح مذياع

يذيع أخبار الساعـة السابعة صباحًا من طهران «الهجـمات الصاروخية الوحشية) على دزفول وأنديمشك ويهبهـان وعيلام وجيلان الغربية فى منتصف البارحة مهولة وإحصاء القتلى والجرحى ليس غير رقم تقريبى .

يتصل الدكـتور فى بضع مكالمات بأماكن مـتفرقـة ويقول أنه لن يذهب اليـوم إلى عيـادته . لا يأتى غـير زوجين آخـرين من عـائلتى شايان وجزايرى ومحمد عـباس وأمه . لحسن الحظ ليس أفراد العائلة الحاضـرون كثيـرين وأغلب أقارب (فرشـاد) بالخارج ! لكن اثنين من الأخوة وضابطًا آتيـا من وحدة الشئون المعنوية بـاللواء بباقة ورد . لا يزال جلالى بجـانب التليفون يسـتفسـر عن سيارة الإسـعاف . يضع السماعة ويقول (تحركت) .

فيـقول الدكـتور (لو زاد العدد لابد أن نـستأجـر حافلة يا سـيد جلالى) .

فيقول جلالى يوعينا (يمكننى أن أستأجر مينى باس . ومعنا ثلاث سيارات . وربما نجد مكانًا) .

فأقول يحدونى الأمل (ويجوز أن الجميع لن يذهبوا إلى التربة) .

ويقول الدكتور مثنيًا (لا ، لا يلزم ذهاب الجميع) .

ويكتب جلالى نص إعلان التعزية بقلمه الحبر ويعرضه على هذا وذاك ليطبـعه ويعلقه على الأبـواب والجدران بمناسبـة مراسم الرحـمة والترحم علـى الشهيـد فرشاد كـيان زاد . يبحث عـن صورة له لكن الدكتور يثنيه عن ذلك .

كنا لازلنا مشغولين باستخـراج تصريح الدفن من المستشفى .

يقولون وصلت عربة الإسعاف فهيا على عجل لأنها ستمشى . فنذهب أنا والدكتور وعلى رضا إلى باب الطوارىء فعلاً ، سيارة إسعاف تويوتا جديدة عسكرية اللون واقفة أمام المدخل ومحركها دائر وينتظر سائقها الشهيد (كيان زاد) .

أترك الدكتور هناك ونذهب كلنا ومعنا جزايرى هائم وجلالى والشهادات إلى أسفل ونتسلم الجثمان من الثلاجة ونصعد بالجثة بكل احترام وخشوع ونحن نقول لا إله إلا الله طاوين السلالم بسرعة ونخرج من الباب الخلفى ونضعه بمؤخرة سيارة الإسعاف . جثتان أخريان فيها أيضًا . الأولى علها لصبى صغير ملفوف بملاءة متسخة والثانية أكبر ولا يظهر منها غير قدميها العاريتين من تحت كفن حريرى . القدمان متفسخان معقودتان بالدم الخثير كأنهما وحدهما استهلكتا اللغم الطينى المزروع بأطراف شلمتشة نضع جثة فرجام بجانب الجثتين الأخريين . ومسار عملية الدفن أن تحمل سيارة الإسعاف الجثث إلى المقابر وتتركها فى صالة المغسلة بالمقابر ويتبع أهل الميت بطرقهم الخاصة السيارة وينقلون الجثة ويقومون بترتيب الأعمال الرسمية والمغسلة والكفن والدفن هناك .

أقوم أنا والدكتور بعقد مؤتمر سريع مكون من شخصين . واحد منا عليه أن يركب فى السيارة بجوار الجثة وتقع قرعة الفأل قطعًا على اسم ملك الحظ الذى هو أنا . فأتجه إلى السيارة . أتى الدكتور على أية حال بسيارته ويمكنه إرفاق عدد من المشيعين معه .

جلس اثنان على يمين سائق السيارة وليس لى مكان . لكن السائق يتفضل ويسمح لى بأن أركب بالخلف . يعاوننى الدكتور

وأصعـد بسرعة الباب المزدوج الخلفـى وأجلس بجوار جثة فـرجام ثم يقول الدكتور (هيا وادعـوا الله لنا) ويغلق الباب فى وجهى بشدة . . جمـيل جداً ، مرسى . وتتـحرك السيـارة بسرعة وهى تطلق صـفارة التنبيه وإخلاء الطريق وليس ليـدى موضع إلا أن أعقدهما على رأسى ثم ندخل فى عـمق مرور الصبـاح بالأهواز بسرعـة - وجلبة وبسـير متعرج ملتف . . وسط الرياح والتراب والعاصفة .

هذا المشوار ليس أسعد مشاويـر السيارة فى عمرى . أبذل أفضل محـاولاتى فى سبـيل ألا تنزلق جثـة فرجـام علىّ وألا تتراكم فـوقه الجثتان الأخريان . وفى النهاية بعد فترة زمانها فقط يمتد من الأزل إلى الأبد نصل المدافن . ينزل السائق ويفتح الباب الخلفى وأخرج أنا أولاً ثم الجثث الثلاث . تجمعت جمـاعات كثيرة جداً من كل نوع وصنف وطبقـة أمام باب المغـسلة . يتداخلون فى بعـضهم وينتظـرون وتنهال مجموعـة فى البداية وتحمل الجثة الملفـوفة بالكفن الحريرى بالصلوات والتسليـمات والهلهلة والتشهـد والبكاء والنواح . وتبقى جثـة الصبى وجثة فرجام بغير صاحب سواى فلم يصل بعد أحد من المرافقين لنا .

على أرض صالـة المغسلة التى تنتـهى إلى قاعة الغـسل اصطفت اثنتا عشـرة جثة فى طابور الدور لكى تحمل للغـسل بترتيب دورها ، بوابتها الكبيرة مفتوحـة كبوابة محطة السكة الحديد ويدخل منها بشدة الرياح والتراب والرماد . أقف وراء جـثة فرجام والتى انكمشت فـيما يبدو بفـعل البرودة وأقوم بحراسـتها . ملأت رائحة الكـافور ورائحة الدم والروائح الأخـرى صالة المغـسلة وارتفع من كل ناحـية أصـوات وصـريخ البكاء والنواح بالعـربية وبـالفارسـية مـعًـا . ارتفع عن كل

الصراخ من أحد الأماكن صريخ أم اختنق ثلاثة من أولادها مرة واحدة بسبب تسرب الـغاز فى غرفة صغـيرة فى كبر آباد . اصطفت جـثثهم الصغيرة الجرم قبل ثلاث جثث أمام جثمان فرجام بلا كفن أو ملاءة أو بطانية أو أى شيء آخر غـير الشورت والفانلة . تهتـز الصالة بصراخ أمهم ونواحها أكثر من كل صراخ ونواح .

أسأل الأخ الواقف أمامى (ماهى إجراءات التكفين والدفن) .

– (أولاً تأخذ منهم وصلاً) .

– (من أين ؟) .

– (من الخـزنة خلف قـسم الحـريم . وصـل بألف وأربعـمـائة وخمسين تومانًا) .

ينظر إلى الجثة (لكن إذا كان له شهادة من مؤسسة الشهداء يعاف من الرسـوم ، تكفى هذه الشـهادة . يختـمـون الوصل هنا بالخـاتم الأخضر ، هل له شهادة ؟) .

– (له ، شكرًا) .

الشهـادات مع جلالى . يتقدم الصف ببطء ولابد أن أنقـل الجثة للأمـام مـرة كل بضع دقائـق . تحول صـوت بكاء أم الأولاد الثـلاثة ونواحها إلى صياح حلقوى غايظ .

وسرعان ما يظهر الدكتور وجلالى وجزايرى هانم وطلاب الكلية الذين يأتون للبـحث عنى برفقـتهم الآن شـاب طويل القامـة وحسن المظهر ويرتدى قبعة فرنسيـة ولم أكن قد رأيته من قبل فى المستشفى .

يبدو أنه لحق بالمجموعة فى اللحظات الأخيرة .

أبلغ جلالى والدكتور أخبار الإيصال وترتيبات الغسل وأقول إن الخزينة خلف قسم الحريم ولابد أن يتولى أحدهم الأمر . وحين يسرع جلالى وجزايرى هانم إلى الخزينة يتنحى بى الدكتور جانبًا ويهمس فى أذنى :

- (انتبه لهذا الولد الطويل القامة ذى البريه) .

- (وما حكايته هو الآخر ؟) .

- (من الأصدقاء الشباب لفرشاد أيام دراسته الثانوية لو جاء أبو غالب الملعون مكانه لكان أفضل . من أولئك الذين كبروا مع فرشاد وكان يعرف فرشاد طوال حياته) .

- (يا حضرة جرجس !) .

- (قف هنا فى هذا المكان . ولا تدع خطأ يحدث . هنا لا يمكنه أن يفك الدوبارة ، ولكن لا تسمح فى أى ظرف بأن يدخل حين يغسلون الجثة) .

تصل اللحظات الأخيرة لانتظار دور جثمان فرجام وندخل ببطء بالجثمان فى بداية المغسلة . وسط صخب الصالة وازدحامها يدق قلبى الآن ويخفق بشدة . وفجأة أرى وسط المجتمعين امرأة محجبة تشبه السيدة (توران فرجام) أو هكذا أتخيل . نفس وجهها القمحى والمذهول ونفس عباءتها المنقوشة عليها الزهور وهى تضرب رأسها وتدور حول نفسها وتتجه نحو المغسلة . حولها امرأتان ثلاث . أقول فى نفسى يا إمام الزمان لا يمكن أن تكون هى . لا يجب أن تكون

هي ، لا يمكن أن تكون أدركت السر ، ياربي لا تدعها أن تكون هي . المرأتان الأخريان اللتان لا أعـرفهما تحاولان عـبثًا تهدئتهـا ومنعها من ضرب رأسهـا ووجهها وصدرها . أمـثالها كثيـرات في صالة المغسلة لكن لا أريد اثنين أولهـما أم منصور فـرجام والثاني رئيس مـخابرات شرطة محافظة خوزستان . أهم بأن أنادي الدكتور لأفشي له الموضوع حين يخرجـون بمتوفى من باب المغسلة ويأتي دورنا . أوصي الدكـتور بألا يدع أحدًا يدخل حجرة الغسل وأقول لعلي رأيت في الصالة أيضًا (أم صاحبنا جاءت من شوشتر) فيقول ادخل أنت بالجثة وأنا واقف هنا .

أرفع أنا وعلي رضا الجثة وندخل بها ويقفل الدكتور الباب .

داخل المغسلة حجرة عرضها ستة أمتار وطولها اثنا عشر مترًا ذات سقف مـرتفع كأنهـا حمام عـام . بنيت من قسمين مـتشـابهين تمامًا لكنهما مستقلان وكل قسم يشمل حوضًا صغيرًا حجريًا للغسل ومكانًا للتكفين . الجدران بيضـاء وكل مكان خال ومكتب يشبه كثيـرًا مكتبه في مركز تعليم الكـمبيوتر . في تلك اللحظة ، في الحوض الصـغير بالطرف الآخر من الحجرة بغسل أحـد الأطفال المختنقين بسبب تسرب الغاز أما في طرفنا فليس به غير الغاسلين وغيرنا وأطلب إذ ذاك من علي رضا أن يذهب بالخـارج خلف الباب ويقف ويساعد الـدكتور . فيقول على الفور (سمعًـا وطاعة يا سيدي) ويذهب وأقوم بغلق الباب خلفه . حين كان أحد الغاسلين في ناحيتنا يعد بسرعة وعجل حوض الغسل ويسحـب بالخرطوم الماء ، ينحني الآخر ويشد الملاءة الصـوفية السميكة التـي تلف جثة فرجام بعنف، وبلا اهتـمام حتى يمزقهـا تقريبًا ويخرجه منهـا . أتقدم وأدس في يده ورقتين من فئة الخـمسين تومانًا وألتمس وأنا أشيـر أيضا إلى الغاسل الثاني أن يوقـما نغسل هذا الميت

وتكفينه بطريقة متأنية ومتقنة . أقول إن لهذا ثوابًا خاصة أنه شاب غريب شهيد . وأساعد أنا بنفسى فى حمل الجثة ووضعها فى مكان الغسل . ثم أتنحى جانبًا وأشاهد الجسد الأبيض والنحيف والضئيل والمتصلب لفرجام بجروحه السوداء وبقعة على الحجر المجوف للمغسلة يبدو لى فرجام الآن مخلوقًا غير بشرى تقريبًا وقد احترق نصف وجهه وزال كما أن كتفه ويده وكفله الأيمن قد ضاعوا أو زالوا تمامًا أو كأنه شبه بشرى أو شيئًا كان يومًا إنسانًا . فى الناحية الأخرى يكمل الغاسل الآخر غسل الولد المختنق . قوامه الصغير والرقيق بين يدى الغسال السوداوين كجسم فرجام الأبيض الرقيق ، لكنه ليس فيه كل هذه الجروح . جسم فرجام جسم إنسان قذف به لأعلى أو اندق وصدم وصار شقوقًا ثم ألقى به فى معرض عاصفة شديدة . الغاسل الذى يتولى الغسل يمسكه بيده وبالخرطوم الذى يقبض عليه باليد الأخرى ومفتتحًا بالدعاء الذى يتلوه بقصد التقرب إلى الله يشرع فى غسل الجثة وفق الآداب والأحكام . يده السوداء والطويلة والخشنة والمربوطة بالقطن تدحرج ذات اليمين وذات اليسار الجسم الأبيض لفرجام المطعون المجروح . يصب الماء ويدلكه رجل قصير غليظ وله عينان جائعتان تتحركان بسرعة . ليس فوق أذنيه غير شعرات متوفة بيضاء جعداء ويسألنى (ألم تأت بالسدر والكافور يا سيادة المهندس ؟) سؤاله المنفى يخزنى .

- (لم نأت بهما) .

- (أغلبهم يحضرون معهم هذين) .

لا أجيبه . خارج الباب تستمر فى داخل الصالة أصوات الصراخ والصياح من الحلقوم . ولا أستطيع معرفة هل هذا الصريخ هو لأم

الأولاد الثلاثة المختنقين أم للسيدة فرجام على وجه الاحتمال !

يدلكه الغاسل الأول بالسدر . ثم يصب عليه الماء بتأن . أعماله دقيقة محسوبة وكاملة ومطابقة للأحكام ، ثم يغسله بالكافور . ثم يصب عليه الماء . ثم يغسله بالماء الخالص . ويسحب الماء . ويدحرج الجثة بهذا الطرف وذاك . ويوجه الخرطوم إليها يغسلها . تنزلق الجثة لأسفل فيجذبها لأعلى ، لم يترك فيها موضعًا لم يدلكه ولم ينظفه بدقة وحسب الشرع وباهتمام أنه متمكن من عمله وظروفه .

أراه يدخل المبنى المركزى للكمبيوتر فى شارع ينوسايت حيث «الإطار الرئيسى Main Frame» لعمليات الآى بى ام رقم ٣٧٠ موديل ١٥٨ يمضى عابرًا غرفة وحدات الديسكات وغرفة وحدات الأشرطة وصف المحطات الرئيسية ويدخل القاعة الكبرى لمراجعة الاتصالات وأجهزة الفيديو . طباق الأمضورا يغلونه حسن النكهة ولأنه يريد الإحصاء والتحليل لتقدم برامجه لتعليم الكمبيوتر يأخذ من المحطة المتصلة بـ Cal - Com - Plotter السلسلة الكاملة للرسوم البيانية والخرائط .

يقول وهو لا يزال ممسكًا بالخرطوم فى يد وبجسم فرجام بيد أخرى (عباس أغا . سمعت . . حين ينتهى هذا نتوقف عن العمل لتناول الشاى) .

فيقول الغاسل الثانى (آه يا مشد حسين أغا) هذا الآخر طويل القامة ومرتب بشعر داكن طويل ووجه رقيق يتناسب مع الكفن الأبيض والكافور الذى ينشغل بهما .

يقول الغاسل الأول (هل هو ساخن ؟) .

ويرد الغاسل الثانى (نعم ، وحمص ولوبيا مطبوخة يا مشد حسين) .

فيقول الغاسل الأول (أبقى شيء من الخبز والجبن ؟) .

ويرد الغاسل الثانى (أخذتهما من جاسم أبو قسام) .

فيقول الغاسل الأول (عزيزى إنه جاسم الخرمشهرى) .

ويغسل مشد حسين بعد ذلك الجثة بماء خالص . أنظر إلى ساعتى ولا أفهم كم هى . الغاسل الثانى منشغل بتجهيز وسائل التكفين بمعصمه ساعة كبيرة كمبيوترية (كاسيو) . أسأله عن الوقت فيقول (العاشرة إلا الربع يا سيادة المهندس) .

(شكراً) إنه متمكن من عمله وظروفه . ليس غيرى كمن أصيب بالاسكيزوفرينيا ولا أدرى أى خطأ أرتكب . نصف فكرى مشغول بجثمان فرجام وسط أيدى الغاسلين ونصف آخر بالخارج وسط صالة المغسلة يترقب التواجد المحتمل . لأم فرجام . ونصف فكرى أيضاً وسط مطار مهر آباد بطهران .

الآن هو أوان إعلان يوظف الإذاعة الداخلية للمسافرين المحترمين المتجهين إلى استانبول فى الرحلة رقم ٦٢٧ ومنها إلى فرانكفورت ، يطلب منهم التوجه للصعود إلى الطائرة بسرعة من باب الخروج رقم ٥ أعود وأنظر إلى الباب المقفول للمغسلة . ووراءها جلبة وضوضاء لكن الشرطة أو الحرس لا ينتشرون برشاشاتهم داخلها لكى يوقفوا مراسم الغسل .

وبعد أن يتم الغسل لا يدعنى الغاسلان أن أمد يدى إلى الميت . يرفعان هما بنفسهما الجثة بحرص ويضعانها على مصطبة حيث أعد الغاسل الثانى عليها ثلاث قطع من الصوف السميك للتكفين . لا أتذكر قط أن منصور فرجام فى طوال رحلته إلى الأهواز عومل بهذا القدر من الصفاء والاهتمام والاحترام . يقول الغاسل الثانى وهو يحمل مقداراً كبيراً من القطن والكافور (يا مهندس . يسمون هذا بالتحنيط . الميت المسلم يا سيدى لابد أن يدلك بالحنوط) كل جسدى متصلب بلا حس .

أود أن أقول ما أسعد الميت المسلم لكنى أقول (شكراً) ويبدأ عمله . الغاسل الأول شرع فى حسم أمور الشاى . والغاسل الثانى يعمل الآن على وجه السرعة . الأول يدلك الجبهة بقطنة مبلولة بالكافور ثم اليدين ثم الركبتين ثم القدمين ثم فتحتى الأنف ثم يقول حتى لا يظن أنه مجنون (أرنبه الأنف مستحبة ولكنى سأدهنها) .

أحنى رأسى صامتًا . أدهنها .

- (هل هو أخوك ؟) .

لا قدرة لى على الكلام (نعم) .

- (أين استشهد ؟) .

- (فى الجنوب . خور الخويزة) .

يتأوه (فليقبله سيد الشهداء وليؤجركم الله بأجر استشهاده) .

- (إن شاء الله) لا أعلم لماذا ، لكنى الآن أحس بالخجل والاستحياء .

- (نظرة أخيرة يا مهندس) يقول هذا ويلبس فرجام واحداً من الأكفان الثلاثة الذى يغطى الوجه والرأس والعنق ثم يلبسه الكفن الثانى الذى يغطى من السرة إلى أسفل القدمين . ثم يلبسه الكفن الثالث الأكبر والذى يشمل الجثة تمامًا . ثم يعقد بشدة طرفى كل كفن بالآخر ويعقد كذلك بشدة الجزء المغطى للرأس والعنق بعقدة يجعلها وراء رأسه أشعر بمزيد من الطمأنينة مع كل عقدة .

يرفع رأسه ويقول (صب الشاى يا مشد حسين أغا) .

فيقول مشد حسين أغا (إذا حملوه فلا تفتح كفنه ثانية) .

يقول عباس أغا (لو الشاى جاهز فصبه فقد متنا من التعب) . ثم يسألنى . . (هل عطلناك يا مهندس ؟) .

أتقدم إلى باب المغسلة وأفتحه ببطء حتى أبلغ الدكتور والباقى أن الأمور هنا قد تمت حين يأتى عباس أغا ويجذب نحوه الباب وهو يصرخ (هذا الباب مُعَطَّل) . داخل الصالة ضجيج وصخب . لكن الغاسل يسمح لنا بالخروج بالميت .

لا يزال المحفة أو التابوت معدومًا فنتعاون أنا والدكتور وعلى رضا والشاب الطويل القامة وجلالى ونتقدم بالميت حتى الصالة الخلفية محل الصلاة على الموتى قائلين لا إله إلا الله . هنا ثلاث جنازات موضوعة قبل وصولنا .

أسأل الدكتور كيف الأحوال ؟ فيقول عادية فاسأله عن أم صاحبنا هل عندك خبر عنها ؟ فيجيب الأوضاع عادية فعلاً وننتظر .

مسجد صلاة الميت واسع جداً بسقف منخفض وبدون أى أثاث ولا حتى فرش أو حصير . بل إن الجدران خالية وعارية باستثناء صورة صغيرة للإمام الخمينى . باب له ينفتح على المغسلة والآخر ينفتح على فناء المدافن الذى تهب منه الرياح الباردة والتراب . جميع أرضية المسجد أو بالأصح غرفة الصلاة على الميت ملوثة بالطين والقش . تتلى صلاة الميت والمصلون واقفون وحين يأتى دورنا نحمل الميت ونضعه أمام الشيخ النحيف والمتعب الواقف على قدميه . ونقف جميعًا وراءه للصلاة . لا يزيد جمعنا عن اثنى عشر مصليًا . نقف جميعًا مطرقين صامتين ومحزونين ونقتدى بالإمام فيما يقول . يتلو الشيخ الصلاة بقصد التقرب إلى الله على كل حال وتشمل خمس تكبيرات وأدعية عديدة بين التكبيرات تقرأ بدقة وفصاحة (اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات . . اللهم اغفر لهذا الميت) .

وتستمر الصلاة فترة . تحترق عيناى فى عمقهما . ينشب شىء أيضًا مخالبه بداخل أمعائى وأحشائى . الدكتور مغمض العينين بجوارى . ولا أدرى هذه الرهبة هل هى من أجل فرجام أو من الشوق إلى القربى من الله أو خوفًا من اثنين من الحرس الثورى مسلّحين وقفًا بجانب الشيخ .

المفروض أن نحمل الميت من غرفة صلاة الميت بالمغسلة حتى مسافة طويلة إلى قطعة من المدافن معد فيها القبر . ونقف بسرعة على أنه لا وجود لأى وسيلة لحمل الميت . التوابيت هنا نادرة يعنى ليس للميت ما يحيط به . وبما أن المسافة طويلة فلا يرى الدكتور من الصلاح أن نحمل الجثمان المكفن على أيدينا وأكتافنا يمكن أن يسقط

ونقع في المعصية ، ينظر إلي . على كل حال إما أن نحصل على تابوت أو أن نحمله بإحدى السيارات الخاصة وتأتي البقية وراءه . وقد تأخر بنا الوقت أنا الآن لا أرى أثرًا من آثار العباءة المنقوشة برسوم الزهور ولا أسمع صرخات السيدة التي كانت شكل أم فرجام ربما خيل لي أنها هي بسبب الموجات المتفجرة لأواخر الصرخات الحلقومية لأم الأبناء الثلاثة المختنقين الذين أخرجوا جنازاتهم المكفنة أيضًا أو ربما بسبب العاصفة الترابية التي ملأت عيني وأذني .

في النهاية يتقدم على رضا . وجد حلاً كعادته المعهودة إذ رأى سيارة صغيرة لحمل الموتى على أهبة الحركة تحمل الأولاد الثلاثة واستطاع بالرجاء والالتماس أن يستأذنهم لحمل متوفانا معهم . هو شهيد . حمله ثواب . تتفضلون علينا بالمساعدة . إن شاء الله سيكون فيها مكان . قبل أصحاب العزاء . لوفاء على رضا وتقربا لله . ونحشر بسرعة جثمان فرجام بأي شكل بجوار جثث الأولاد بمؤخرة سيارة الموتى التي تشبه سيارة نقل صغيرة لها سقف . الآن الأكفان بلا اسم وعلامة وصفة محددة ولكن ليس من الممكن أن يتوه جثمان منصور بين الأولاد الثلاثة . جثث الأولاد بأمر الله سوف يتعرف عليها والداهم واحدًا واحدًا . كما أن حجم كفن منصور فرجام يكبر كفن الواحد منهم مرتين . وفي كل حال أحشر أنا نفسي في آخر لحظة داخل السيارة بجانب المتوفين لحظة حركتها لا بسبب أني لا أود الافتراق عنه في اللحظات الأخيرة كأحد أهله أو رفاق عمره بل لأني لا أريد أن أفقده ! لا يعترض أهل الأولاد المتوفين وهم في حال من الألم والضنى والذهول ، ليس لهم قدرة على الاعتراض . بعد الابتلاء بمصيبة وتعاسة ووسط أمواج الجثث ووسط الآلام ووسط

الاضطرابات كل أنواع الاعتـراض والمخالفة تفـسد بل تموت، بل تكون ماتت .

سـائق سيـارة حـمل الموتى الخاصـة بالمدافن يعـرف المكان الذى يتوجب الذهاب إليه وأى قبر بالضبط . جلست بجانب الجثمان معلق القدمين وأنظر حينًا إلى جثمـانه وحينًا إلى منظر المدافن المتسع المفتوح . آلاف مؤلفة بل ملايين الملايين من الأعلام الملونة وسط أطُر مثبتة على أرفف الذكرى وصـور مدافن مقـر الشهـداء ترفرف وتهتـز . الأعلام الحمراء والخضراء والصفراء والسوداء وأعلام إيران ذات الألوان الثلاثة كلهـا ترفرف على أسـياخ طويلة وسط الأشـجار الخضـراء أو الزهور المختلفـة وشواهد القبـور البيضـاء . منظرها أشبه بسـاحة احتـفالات وانتصارات منه إلى ساحة مقبرة حـزينة متألمة . بعد دقائق يسيرة يصل إلى طرف نهـائى لمساحة الأرض التـى يريدها وأخرج من السـيارة . طابور من القبور المحفورة جاهزة ومهيأة . وتنزل الجنائز بسرعة وتعود السيارة . أنا وجثمان فرجام الملفوف المكفن مسجًى على الأرض القفر وسط الرياح والعاصفة . الآن نحن فـعلاً وحيدان وهو قد وصل إلى نهـاية الرحلـة . أقف وأنظر إليـه . أمـامنا جـمـاعـة من الدافنين واللاحديـن منشغلة فى عـملها . لديهم وسـائل الحفر مـن الفؤوس والمثاقب الآليـة . يحفرون ويتقـدمون . أحدهم يضع عـلامات على القبور . وعليه فلسنا وحدنا منفردين .

يصل الباقـون بسرعـة . يجد جلالى وعلى رضـا فوراً قـبراً فى القطعة الفلانيـة والطابور الفلانى والنمرة الفلانية كمـا هو محدد على الإيصال المعطى لنا . وبعد أن نضع الجثمـان بالقرب من القبر لا يعود أمامنا مـن مشاكل غـير واحـد أو اثنين من الدافنين . وبما أن الدافنين

ليسوا نادرين هنا فتحل هذه المشكلة بهمة على رضا أيضًا .

القبر ضيق وليس عميقًـا كثيرًا . واحد من الاثنين الدافنين يحشر نفسه بالقوة داخل القبر . نصل بالجثمان إلى آخر القبر أنا وعلى رضا وشخص ثالث . ويطل علينا بسرعة مقـرئ يقف بجوار المقبرة ويشرع فى القـراءة ، الدافن الذى بداخل القبـر شاحب قـصيـر وأقرع وذاك الآخر طويل بشعر مصفف . الدافن القصـير ينقل بسرعة الجثمان من بين ساقـيه القذرتين والسوداوين ويضـعه فى القبر ثبّتَ ركـبتىّ بأعلى رأسه منتـبهًا إليه . ينحنى ، ويمد يده أولاً ويريد أن يحك بـيده رأسه فأقـول له ألا يحك بيده وجهه . فـيقول يجب أن نحـول وجه الميت (نحو القبلة) . فأقول حسن جدًا حول وجهه لكن لا تمد يدك إلى وجهه تحت الكفن . تقريبًا جميع من كـان بأعلى القبر انخرطوا فى البكاء . جزايرى هانم انطلق لسانها وأخذت تصـرخ (عزيزى فرشاد ، عزيزى فرشاد) . كل من هو من طرف أم فرشاد ومن طرف أبيه البعيدين عنه والمغتـربين أخذ فى النحـيب . يبكون شبـاب (فرشاد الـغالى) والذى مات عريسًـا . ومن هو طرف لالة التى كانت حبيبة (فـرشاد الغالى) وخطيبته يبكى وينوح . يبكون آمال حياة (فرشاد الغالى) .

الدافن متأهب أن يضع حجرًا للحـد . وإذ بجلالى يتقدم ويقول للدافن (أظهر لنا وجهه لنراه لحظة وننظر إليه النظرة الأخيرة) .

فيقـول الدكتور (لا ، لا داعى للنظر) أسـرَّ من قبل للدافن بألا يكشف وجه المتوفى .

فتصرخ جزايرى هانم (اكشفوا لنا عن وجهه لنرى وجهه القمرى) ويقول أحد شـيوخ العائلة (يا بابا جـرى فى كل الدنيا أن يكشف عن

وجهه المتوفى للنظر إليه «النظرة الأخيرة») .

- (لا داعى للنظر إليه ، وجهه مهشم) .

- (نرجوك يا سيادة الدكتور قل لهم بأن يسمحوا لنا برؤية وجهه) .

وفى وسط النحيب والصراخ تصيح جزايرى هانم بأن يكشفوا عن وجهه لكى ترى الدنيا كلها ماذا فعلوا بهذا الشاب الفائق الجمال !

يرفع الدكتور يديه فى حال من العجز (أنا لا أرى فى ذلك صلاحًا . لا أعرف ماذا أقول لكم) .

فيقول جلالى (اكشفوا لنا عن وجهه بحق الله) .

ويصيح سائر أفراد العائلة (اكشفوه) .

وتقول جزايرى هانم صارخة (اكشفوه ، اكشفوه) .

فأقول للدكتور (قل له يا دكتور أن يكشفوا عن وجهه) .

ينظر الدافن إلى الدكتور ثم ينظر إلىّ . الدكتور ينظر إلىّ مبهوتًا .

- (اكشفوا لنا عن وجهه) .

يخفى الدكتور وجهه بيديه ويستسلم .

يتقدم الجميع ويكونون حلقة . فرشاد الصديق يفعل مثلهم يتقدم ويتحلق مع مجموعته .

يمد الدافن يده ويبدأ فى كشف الجزء الأعلى من الكفن . أنا لا أزال فوق القبر بالضبط وأقرب الناس إليه . أضع يدى على كتفه :

(اكشف . . اكشف فقط عن جزء قليل من وجهه ولا تمد يدك إلى رأسه دع وجهه يبقى متجهًا إلى القبلة . إذا مددت يدك إلى رأسه فسوف أقطع يديك الاثنتين !) (على عيني يا حاج) لابد أنه يتخيل أني لا أريد أن يتحول وجه المتوفى عن القبلة .

يكشف طرفًا من الكفن عن جزء قليل من الجانب الأيمن لوجه فرجام . ما ظهر من تحت الكفن الصوفي السميك الأبيض هو جرح كبير . جرح سيء المنظر مبقع وأسود في وجه إنسان أو شيء كان إنسانًا في وقت ما . أسفل جمجمته الجميلة الحليقة الشعر ، وإن كانت محترقة مكتوية ، لا يظهر غير طرف أنف وجزء من جبهته لا يزال بيضاء البشرة وغطى أيضًا بالقطن والكافور . رأس إنسان كانوا قد قذفوا به وهشموه وأحرقوه ، ثم حنطوه بالقطن ومسحوق السدر والكافور ثم أودعوه داخل القبر .

وهنا يتصاعد من الجميع أصوات النحيب والنواح بما لا يمكن تصوره . يدق الجميع على رءوسهم ووجوههم . جزايري هانم يغشى عليها وتسقط . وهذه العائلة الأخرى التي لا أعرفها يخفي كل منهم وجهه بين يديه ويبكي بحرارة وحرقة حتى جلالي يضرب رأسه ووجهه . فقط الدكتور ينظر إليّ شاردًا بابتسامة خفية . أدرك لماذا سمحت بأن يكشف لهم عن وجهه .

فأقول إلى الدافن (غط وجهه) وانهض . يسد الدافن الأول القبر بحجر اللحد ويخرج من القبر ويبدأ الدافنان بملأ حفرة القبر بالتراب بفأسيهما .

لا أحد قط يستطيع بعد ذلك أن يعتقل فرجام . وصل الانتظار إلى نهايته .

يشعل الدكتور سيجارته وينظر إليّ (الساعة الآن العاشرة وخمس وأربعون دقيقة) .

- (نعم ، وقت مناسب للطيران) .

- ٥٤ -

وحيدان ، معًا ، لكننا وحيدان .

خارج الأهواز ، أمام مقهى عبد الخان وقفت بسيارتي إدريس وتوضأ من الماء المخضر الجميل والمملوء بالطين من جدو المقهى ثم وقف معتمداً على ساقه الوحيدة المشهورة . وأخذ بصوت مرتفع . جعل يده الوحيدة بموازاة وجهه وأخذ يؤد القنوت (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة) ثم يرك يسجد . يتمرن على هذه الصلاة بقدم واحدة ويد واحدة إدريس تمرين .

فى حوالى هذا المكان نفسه منذ ثلاثة أشهر تقريبًا - أوقفت السيارة ونزلت مع منصور فرجام ووقفنا وسط ال وشاهدنا منظر غروب الشمس والتقط بآلة تصويره (كانون لحطام ناقلة محترقة وسط الصحراء المهولة .

اليوم فى الحقيقة أحس بالوحدة . وقفت تائهًا شار المهرجين الضالين وأنتظر فراغ إدريس من صلاة الظهر لنسلك د أنا سعيد لأن هذه الرحلة المضنية انتهت فى النهاية وأنا أعود أو بما بقى من إدريس إلى والده . كل شىء على كل الأحوا بشكل وصورة ما .

تأتى مع الدكتور منصور فرجام وتعود مع إدريس آل مطرو

هو الآن يرقد فى مقابر (مقر الشـهداء) فى قبر من العشق وسط آلاف القبور الأخرى للعـشق قبور الأولاد الذين آتوا إلى هذا المكان . ليتـه كان هنا الآن وأدار آخـر برامجه لأجلى الأوضـاع يمكن أن توفق خططهـا مع أولاد الناس . أحدهم الذى كـان بوسعه أن يعـلم وحدة عمليات كمبيوتر يتهـشم بموجة انفجار فى طريق شلمتشة وهو يرتدى لباس العسكرية . مـحمد ابن النة بوشهـرى الذى كان يمكن أن يقود شاحنة كبـيرة من بندر عباس لمصـايد الجنوب شطرته قنبلة نصفين فى جبهة (موسيان) . أصـغر عبد الله الذى كان يمكن أن يزرع البنجر فى مـزارع (بيشـاب) ينفجـر فيـه لغم فى جزيرة (مـينو) . أحمـد الأخ الأصغـر للحاج لواسانى الذى كـان يمكن أن يكون معلم الرياضـيات بمدرسة قم يتلاشى وجـهه ورائه فى جبهة (سـومار) . تقى أخو الأخ عزيز زيتـونى الذى كان يمكنه فـتح محل خـرازة على مفـترق الطرق يحترق ويقـتل فى تبادل عمليات بيت المقدس . إدريس ابن البـستانى مطرود الذى كان يمكنه أن يبيع الـسجائر فى ميدان ألفى بعبـدان يفقد يده وساقه فـى عمليات (ذو الفقـار) ويغدو معوقًـا . كوروش شايان مهنـدس الميكانيكا والمدير الشاب الذى كـان بوسعـه أن يدير مؤسـسة صناعية وإنتـاجية يعدم بالرصاص ، كلهم راقدون فى قـبورهم بجوار منصور فرجام لكن المركز موجـود ، راقد هناك . المركز دائمًا موجود . به الأخ دهلرانى الذى يسعده أن يلصق على جدار غرف المركز الخاص بالسى بى يو ملصـقة (الموت لأمريكا) و (إسـرائيل لابد أن تزول) وبه الأخ فارسـى الذى يسعـده أن يكون رئيس الشئـون الإدارية ويتبـادل الحديث مع الجمـعية التعاونيـة الاستهلاكيـة . وبه الأخ رضا كرباسى الذى يدرس فى فصـول الدور الأول الإنجليزية المتـقدمـة ومع الكتاب

الإنجليـزى (كرنل ون) الذى طبـعت فيه ومُنْتجَتْ صور الإنجلـيزيات بالعباءة والنقاب . به الأخ كرمان شاهى الذى جاءوا به حديثًا بدلاً من فـرجام ويطلب مـساعـدة الإدارة له فى أن يأتى وفـد مكون من ثلاثة إنجليز - إيرانيين من شركة السلع بلندن لكى يديروا مركز الكمبيوتر . به بيكلرى الذى يحاول الآن أن ينسى الجميع أن فرجام موجود واقتص من جمـيع خطط الدراسة والخرائط البـيانية ولوائح العـمل بل وكتب فرجام ودفاتره نظير ما لقيه من مـشقة فى سنواته السابقة فى الخدمة . به طاعتيان الذى يريد أن يرافق الحـاج لواسانى إلى لندن للتفاوض مع الوفد الإنجليزى ويلحق ابنه ذا الثلاثة عشر عامًا بمدرسة فى لندن حتى لا يمنع خروجه بعد ذلك من إيران . به رحيمى الذى أدار مذياعه فى الكانتين ويسـتمع إلى برنامج الأسـرة فى الساعـة العاشـرة من إذاعة طهران ليعرف كيفية إعداد مربى الباذنجان . المركز موجود دائمًا .

يصلى إدريس ركعـتى صلاة العصـر الأخيرتين . السمـاء ملبدة بالغـيوم وتولى وجـهها شطر الظلام . لا ترتفع أصوات كـثيـرة فى الطريق .

الزجاج فى الجهة اليمنى للسيارة وسائر الزجاج الخلفى هو الآن كأنه تابوت زجاجى وخيـوط العنكبوت تحطم وتهشم . لابد من فعل شىء فى طهـران لهـذا الزجـاج . الأخوة فى لجـنة الإسعـافـات فى الأهواز لم يحبوا أن يهتموا بهـا فكتبوا رسالة إلى طهران لكى يرسلوا لهم قطع غيـار . يا حاج الأمر سيطول شهراً أو شـهرين أو ثلاثة . ممنون يا سادة : الشيك الخاص بآخر أقـساط التدريس بالكلية راقد فى جيـبى . فى طهران سأضع على الـشيك مبلغًـا من المال أجهز بهـما الزجـاج المطلوب بالتدريج للسـيـارة من باعة قطع الغـيار فى شـارع

(مصباح الكهرباء) . جانب من السيارة كذلك لا يزال الدخان عالقًا به ويحتاج إلى الصقل والتلوين والدهان . هذه حياة آريان المشرقة فى إيران . يومًا تكسب فيه كثيرًا ويومًا آخر لا تكسب فيه شيئًا . تجمع فى الأهواز ما تدفعه فى طهران . هل هذا له معنى ؟ أنت نفسك هل لك معنى ؟ ما أنت إلا حامل توابيت . أنت تتحرك وتنشط لكنك بداخل الطين .

على الطريق قبل أن تخلى وراءك شارع نيوسايت داخل الطريق إلى أنديمشك ، تفرمل أمام مركز تعليم تكنولوچيا الكمبيوتر . تريد أن تلقى النظرة الأخيرة على المركز المستطاب لتعليم الكمبيوتر الذى استقال منه وغادر ، وتريد أن تحمل المسرحية الإنجليزية (فى انتظار جودو) التى تحرق جيبك كالحديد المصهور وتضعها وسط أمتعته الشخصية فلربما يرسلوها إلى أمه .

لا يزال المبنيان الكبيران (للمركز) فى مكانهما وعليها شعارات قماشية كبيرة وملصقات ورقية وصور الشهداء بلا حصر ومعاذ الله !

إنك ترى لأول مرة أنه وصل من الأثاث والمعدات والأجهزة التى كان أوصى بها ونزف دم قلبه من أجلها وأخذ يتابع شراءها وصل قليل منها فى النهاية . صناديق كبيرة مستوردة خارج باب المبنى خزنت وقد علاها التراب والرماد وضربات الشمس . حملوا منها اثنين وتركوهما داخل الممر . الأخ دهلرانى وقف فوق أحدهما ليعلق ملصق (نحن واقفون حتى النهاية) بأعلى الصالة الخالية المعدة للمحطات النهائية للكمبيوتر .

يقول فرجام ألم يرفعوا من الصناديق أجهزتهم الشخصية ؟

لا يا حاج لم يأخذوها حتى الآن . كل شيء داخل صندوق بأعلى . الحجرة لاتزال خاوية باستثناء نفس الصور والبرامج والرسوم البيانية واللوائح المنظمة للعمل التى علقت على الباب والجدار . جفت زهريات زهور (حسن يوسف) ، وزهور الياسمين . أما الزهرية التى نمت فيها شجرة زهرة البنفسج فقد اصفرت قليلاً وتعلقت غصونها بالنافذة وأسقطت أوراقها الجافة فغطت ما حول المكتب وحافة النافذة .

كرتونة شبه خالية بجانب مكتبه . بقعرها عُلْبتا مناديل ورق صغيرتان وبعض أكياس الشاى والسكر وزجاجة نسكافيه إلى نصفها وبعض كتب إنجليزية وغليون ومنفضة غليون وعلبتا ثقاب . . والسلام . لم يحدث أن ودع أحدنا الآخر حق التوديع . جثته ووجهه المهشم تحت أيدى الغاسلين أكثر ثراء وأفيض رحمة من هذا كله أضع الكتاب الصغير (فى انتظار جودو) داخل صندوقه الكرتونى . أستودعك الله يا صديقى . آسف .

يموت صوت ناقلة فى مكان ما بعيد . إذا أسرع إدريس وسلكنا طريقنا ربما وصلنا خرم آباد قبل الظلام وأمضينا الليل نائمين فى مكان ما . حالة مصابيح السيارة غاية فى السوء . لا يضر منام ليلة هادىء فى مكان واحد يريح سلامتنا .

يقرأ إدريس تشهده ويرفع صوته فى السلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لوسى سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر ألن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة — والاس مارتن — ت. حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها — بريجيت شيفر — ت. جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة — آلن تورين — ت. أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد — بيتر والكوت — ت. منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب — آن سكستون — ت. محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية — بيتر جران — ت. عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك — بنجامين باربر — ت. أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج — أوكتافيو باث — ت. المهدي أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف — ألدوس هكسلي — ت. مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور — روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين — ت. أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب — بابلو نيرودا — ت. محمود السيد علي
٤٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) — رينيه ويليك — ت. مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية — فرانسوا دوما — ت. ماهر جويجاتي
٤٩ – الإسلام في البلقان — هـ. ت. نوريس — ت. عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير — جمال الدين بن الشيخ — ت. محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية — داريو بيانويبا وخ. م بينياليستي — ت. محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسي التدعيمي — بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل — ت. لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم — أ . ف . ألنجتون — ت. مرسي سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقي للمسرح — ج . مايكل والتون — ت. محسن مصيلحي
٥٥ – ما وراء العلم — جون بولكنجهوم — ت. علي يوسف علي
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١) — فيديريكو غرسية لوركا — ت. محمود علي مكي
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢) — فيديريكو غرسية لوركا — ت. محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ – مسرحيتان — فيديريكو غرسية لوركا — ت. محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة — كارلوس موينيث — ت. السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل — جوهانز إيتين — ت. صبري محمد عبد الغني
٦١ – موسوعة علم الإنسان — شارلوت سيمور – سميث — مراجعة وإشراف محمد الجوهري
٦٢ – لذة النص — رولان بارت — ت. محمد خير البقاعي
٦٣ – تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) — رينيه ويليك — ت. مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة) — آلان وود — ت. رمسيس عوض
٦٥ – في مدح الكسل ومقالات أخرى — برتراند راسل — ت. رمسيس عوض
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية — أنطونيو جالا — ت. عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات — فرناندو بيسوا — ت. المهدي أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى — فالنتين راسبوتين — ت. أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين — عبد الرشيد إبراهيم — ت. أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية — أوخينيو تشانج رودريجث — ت. عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمي — داريو فو — ت. حسين محمود

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٢ – السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيميونوفا	ت : حسن بيومي
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيترستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرار چينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييراميتي	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ – حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادي بلانت	ت أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت . نسيم مجلي
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت . نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادوليتا	ت أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	جون جراي	ت أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفي	ت سمحه الخولي
١٢٦ – فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحي	ت بشير السباعي
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت شوقي جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق علي	ت طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت ..حر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ب كاميليا صبحي
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيفلينا تاروني	ت وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيفال	ريشارد فاجنر	ت مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت أمل الجبوري
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت حسن بيومي
١٤٣ – قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت عدلي السمري
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت سلامة محمد سليمان

العنوان	المؤلف	المترجم
١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت علي عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت علي إبراهيم علي منوفي
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت . أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعي
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت . خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت أحمد مرسي
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جي آنال وآلان وأوديت فيرمو	ت مي التلمساني
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامي الكنجوي	ت عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعي
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت إبراهيم فتحي
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت حسين بيومي
١٦١ – من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت . زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوي	ت صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت : مجموعة من المترجمين
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت شكري محمد عياد
١٦٨ – دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت شكري محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت شكري محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت محمد محمد الخطابي
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	ت أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنري ترويا	ت حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت . محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت سليم عبد الأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة | و . ب . ييتس | ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما | رينيه چيلسون | ت : فتحي العشري
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام | هانز إبندورفر | ت : دسوقي سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم | توماس توسن | ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل | ميخائيل أنوود | ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة | بُزُرْج علَوى | ت . علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب | ألفين كرنان | ت . بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة | بول دى مان | ت : سعيد الغانمي
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس | كونفوشيوس | ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ – الكلام رأسمال | الحاج أبو بكر إمام | ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك | زين العابدين المراغي | ت · محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم | بيتر أبراهامز | ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي | مجموعة من النقاد | ت · ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤ | إسماعيل فصيح | ت . محمد علاء الدين منصور

(تحت الطبع)

الجانب الديني للفلسفة
الولاية
تاريخ النقد الأدبي الحديث (الجزء الرابع)
الإسلام في السودان
العربي في الأدب الإسرائيلي
ضحايا التنمية
المسرح الإسباني في القرن السابع عشر
فن الرواية
ما بعد المعلومات
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
المهلة الأخيرة
عن الذباب والفئران والبشر
العولة والتحرير
علم اجتماع العلوم
قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان
الشعر والشاعرية
ديوان شمس
مصر أرض الوادي
الدراقيل أو الجيل الجديد
سحر مصر
الهيولية تصنع علماً جديداً

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١١٠٤٦ / ٢٠٠٠





شتاء 84

العشق - كما يقول الصوفية - لا يتشرف به إلا من استحقه، ولا يستحقه إلا من تهيأ لقبوله. العشق أعلى مكانًا من أن يحل في قلب كل من هب ودب، بل يختار من يحبهم ويؤثرهم لعشقه. وقد تهيأت الظروف لبطل الرواية لكي يكون جنديًا في لواء سيد العاشقين أو سيد الشهداء أو الحسين كما يؤمن به الإيرانيون. كما في بيت خلا من العشق، وفقدان العشق هو بداية تجربته، ثم عانى (موت العشق) في الخارج فأهابت به جوانحه إلى العودة إلى إيران في أحرج سنواتها لكي يعاني (عشق الموت) على أرضها.

إن هذه الرواية تجسد الشخصية الإيرانية وروح الدعابة خاصة في المواقف الشديدة الحساسية. كما أنها صفحة تخلد حقبة مرة وحزينة عاشتها إيران أثناء (الحرب المفروضة) وتعيشها غيرها من البلاد، ويحياها الأهلون العا[...] نكبوا بالحروب والمعارك والصراعات، آخرها دعوة [...] من أرباب الفكر والقلم والشعور إلى مخترعي الـ[...] وعشاق السفك والتشاجر بأن يكفوا عما يفعلون[...] مصيرهم هو الزوال السريع، والحياة (العشق) أقوى وأبقى من الموت والإرهاب والقلق.

